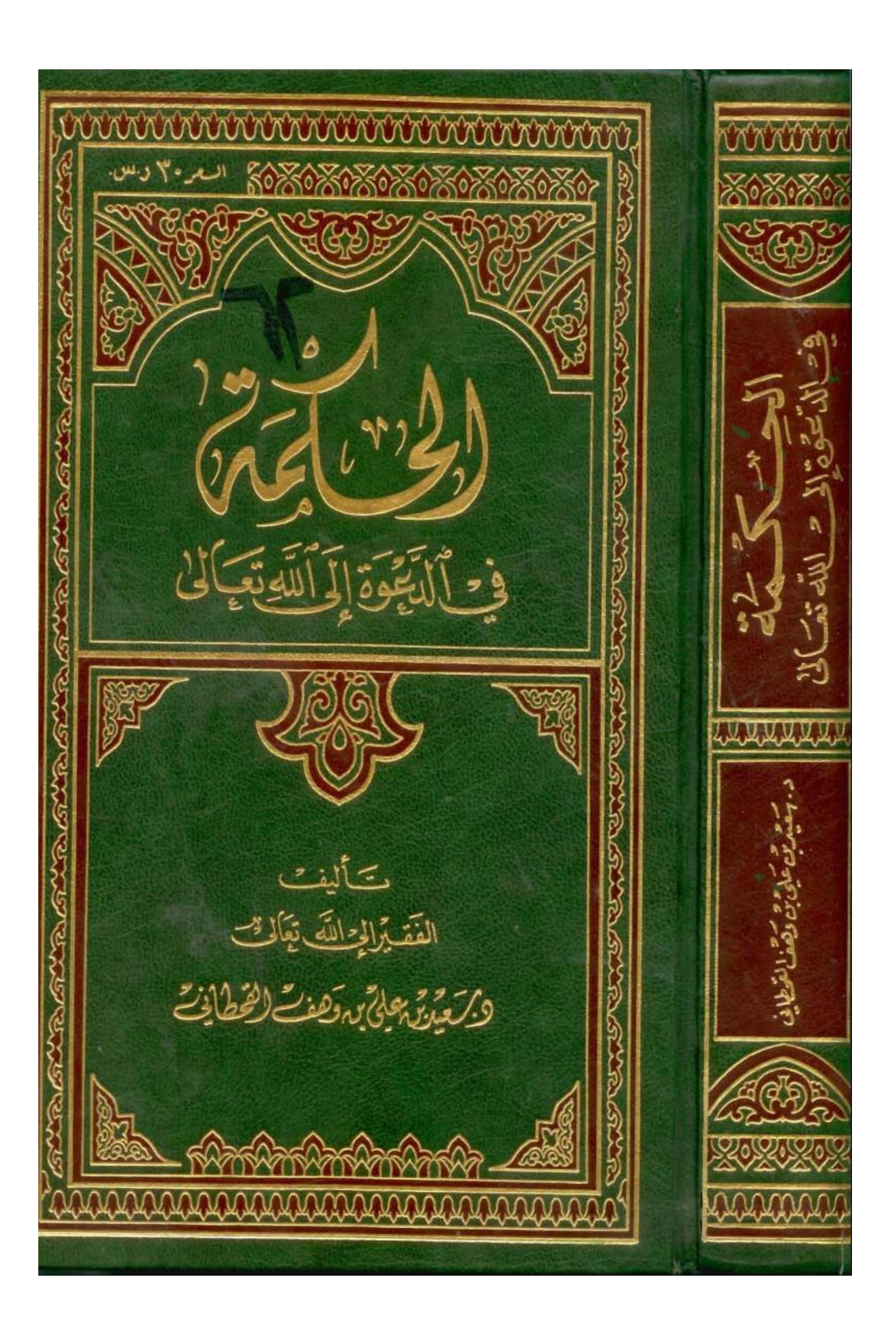


السعر ٣٠ ر.س.
الحكمة
في الدعوة إلى الله تعالى
تأليف
الفقير إلى الله تعالى
د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

الحكمة

في الدعوة إلى الله تعالى

تأليف

د. سعيد بن علي بن وهب القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [1]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [2]. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [3].

أمّا بعـــد:

فما خلق اللّه الجن والإنس إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، كـــما قال ﷻ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [4].

ولما كانت العبادة لا يمكن أن تُعرف أحكامها على التفصيل أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليهم الكتب؛ لبيان الأمر الذي خلق من أجله الخلق؛ " ولإيضـــاحـــه وتفصيله لهم حتى يعبدوا الله على بصيرة، فقاموا بواجبهم على الوجه الأكمل عليهم الصلاة والسلام.

ثم ختم الله تعالى الرسل بأفضلهم وإمامهم وسيدهم نبينا محمد بن عبد الله، عليه

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان ٧٠ – ٧١ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

وعليهم أفضل الصلاة والسلام، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ودعا إلى الله على بصيرةٍ سرًّا وجهرًا. ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [(١)].

وهذه طريقته ومسلكـــه وسنته، يدعو إلى الله على بصيرة، ويقين، وبرهان عقلي وشرعي [(٢)].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١ – قد بيّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [(٣)].

٢ – من تتبع سيرة النبي ﷺ وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى اللّه ﷻ فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم ﷺ الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أنس ﷺ قال: ﴿ كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: " فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفَرَجَ صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست [(٤)] من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي... ﴾ الحديث [(٥)]

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٦ .

(٣) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٤) إناء كبير مستدير . انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ٤٦٠ ، والمعجم الوسيط مادة (الطسْت) ٢/ ٥٥٧ .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ ١/ ٤٥٨ ، ومسلم ، واللفظ له ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات ، ١/ ١٤٨ .

وهذا يُثبتُ أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، حيث امتلأ بها صدر رسول الله ﷺ وهو صاحب الدعوة، مع الإيمان، وهو قضية الدعوة في لحظة واحدة، كما يؤكد قيمة وأهمية الحكمة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس، في طست من ذهب، وهو أغلى المعادن، في مكة المكرمة، وهي البقعة المباركة، ليمتلئ بها صدر محمد رسول ﷺ وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو أطهر الماء وأفضله.

كل هذا يؤكد أن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم وشأنها كبير، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ [1].

ثم سار أصحاب رسول الله ﷺ على طريقه وهديه في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، انتشر الإسلام في عهدهم – رضي الله عنهم – انتشارًا عظيمًا، ودخل في الإسلام خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وجاء التابعون، وكملوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله بالحكمة، وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، فأظهر الله الإسلام وأهله، وأذَلَّ الشرك وأهله وأعوانه.

٣ – من الناس من يظن أو يعتقد أن الحكمة تقتصر على الكلام اللين، والرفق، والعفو، والحلم... فحسب. وهذا نقص وقصور ظاهر لمفهوم الحكمة؛ فإن الحكمة قد تكون:

باستخدام الرفق واللين، والحلم والعفو، مع بيان الحق علمًا وعملاً واعتقادًا بالأدلة، وهذه المرتبة تستخدم لجميع الأذكياء من البشر الذين يقبلون الحق ولا يعاندون.

وتارة تكون الحكمة باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، وهذه المرتبة تستخدم مع القابل للحق المعترف به، ولكن عنده غفلة وشهوات وأهواء تصده عن اتباع الحق.

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩ .

وتارة تكون الحكمة باستخدام الجدال بالتي هي أحسن، بحُسن خلق، ولطف، ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقَلية وَالنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل لا بدَّ أن يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند جاحد.

وتارة تكون الحكمة باستخـــدام القوة: بالكلام القوي، وبالضرب والتأديب وإقامة الحدود لمن كان له قوة وسلطة مشروعة، وبالجهاد في سبيل الله تعالى بالسيف والسنان تحت لواء ولي أمر المسلمين مع مراعاة الضوابط والشروط التي دلَّ عليها الكتاب والسنة. وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند جاحد ظلم وطغى، ولم يرجع للحق بل رده ووقف في طريقه [1].

وما أحسن ما قاله الشاعر:

دعا المصطفى دهــرًا بمكــةَ لم يُجــب وقـــد لان منـــه جانـــبٌ وخطـــابُ

فلما دعـــا والســـيفُ صـــلتٌ بكفِّـــهِ له أســـلموا واستســـلموا وأنـــابوا[2]

وصدق هذا القائل فقد قال: قولًا صادقًا مطابقًا للحق [3]؛ ولهذا قال النبي ﷺ ﴿ إن من الشعرِ حكمة ﴾ [4].

٤ - الحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور قدرها فلا يزهد في الدنيا والناس بحاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦ و ٤/ ٣١٥، وفتاوى ابن تيمية ٢/٤٥ و١٩/ ١٦٤.

(٢) ذكر سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز في مجموع فتاواه. ٣/ ١٨٤ و ٢٠٤: أن هذا الشعر يروى لحسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٤٠، ٦/ ٥٣١، وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٣٣، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣/ ٣٥٤.

(٤) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجَزِ والحداء وما يكره منه، ١٠/ ٥٣٧.

الوضوء والصلاة.

٥ – الحكمة تجعل الداعية إلى الله يتأمل ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يُؤتَون من قبلها، والقدر الذي يبين لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعو إلى الله بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، ويُعلم العامة ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم ومستوياتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى الله بالحكمة التي هي الطريق الوحيد للنجاح.

والمهم أن تكون أقوال الداعية إلى الله – تعالى – وأفعاله وتدبيراته وأفكاره نابعة من الحكمة، موافقة للصواب، غير متقدمة على أوانها ولا متأخرة، لا زيادة فيها عما ينبغي ولا نقص، مجتهدًا في معرفة نفعه وصلاحه، سالكًا أقرب طريق يوصل إلى ذلك.

وهذا يؤكد أن دراسة الحكمة في الدعوة إلى الله – تعالى – من أهم المهمات، ومن أعظم القربات، وأنها بحاجة إلى من يبرزها في صورة ميسرة؛ ليستفيد منها الدعاة في دعوتهم إلى الله ﷻ؛ ليقدموا للناس الإسلام بالطُّرق السليمة التي توصله إليهم بيسر وسهولة، وهذا يحتاج إلى معرفة أحوال المدعوين، سواء كانت اعتقادية أو نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ثم معرفة الشُّبَه لديهم؛ لِإزالتها بالطرق المناسبة لأحوالهم، وهذا كله يحتاج إلى دراسة علمية دقيقة متكاملة متأنية، ولا سيما أن هذا الموضوع لم يتناوله أحد من الباحثين في دراسة مستقلة شاملة تستوعب جميع جوانبه المختلفة.

ولهذه الأهمية، وهذه الأسباب، وللعديد من غيرها، وحُبًّا في خدمة هذا الموضوع عقدت العزم، واستعنت بالله، وقررت بعد الاستخارة والاستشارة أن أجعل موضوع رسالتي " الحكمة في الدعوة إلى اللّه تعالى ".

واللّه أسأل أن يلهمني رشدي، ويعيذني من شر نفسي، ويوفقني للهدى والسداد، وجميع المسلمين.

الدراسات السابقة :

بالنسبة للدراسات السابقة لهذا الموضوع فحاصل ما اطلعت عليه منها ما يأتي:

. لقمان الحكيم وحكمه: لمؤلفه محمد خير رمضان.

وقد حاول تعريف الحكمة لغةً واصطلاحًا، وترجم للقمان الحكيم، وسرد بعض الآثار في حِكَم لقمان، وربما يكون بعضها من الإسرائيليات، ولم يتعرض في كتابه للحكمَة في الدعوة إلى الله تعالى.

. حكمة الدعوة: لرفاعي سرور.

وقد ذكر بعض الجوانب لتعريف الحكمة، ثم ذكر قيام الجماعة الواحدة، وأحكام الفكر الإسلامي، ولم يتعرض في كتابه إلى شيء من جوانب الخطة التي وضعتها.

. وما كتبه ابن القيم - رحمه الله تعالى - حول الحكمة في كتابه: " مدارج السالكين "، فقد اقتصر على تعريفها، وأركانها، وأنواعها، ولم يتعرض - رحمه اللّه - إلى الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن موضوع كتابه عن: منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [1].

وما كتبه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، في كتابه: " الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة "، إذ خصص صفحتين فقط من الفصل السابع عشر من هذا الكتاب عن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

ولم تحظ الحكمة في الدعوة إلى اللّه تعالى -بعد- بمؤلَّف مستقل شامل يتطرق للموضوع من جميع جوانبه في دراسة علمية متخصصة شاملة، دقيقة متكاملة.

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٥ .

خطة الرسالة :

وقد كانت خطة الرسالة كما يلي:

المقدمـــة:

الفصل الأول: الحكمة مفهومها وضوابطها:

المبحث الأول: مفهوم الحكمة.

المبحث الثاني: أركانها.

المبحث الثالث: أنواعهـــا.

المبحث الرابع: طرق اكتسابها.

الفصل الثاني: مواقف الحكمة:

المبحث الأول: مواقف النبي ﷺ.

المبحث الثاني: مواقف الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: مواقف التابعين رحمهم الله.

المبحث الرابع: مواقف تابعي التابعين رحمهم الله.

المبحث الخامس: نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور.

الفصل الثالث: حكمة القول مع المدعوين:

تمهيـــد: إنزال الناس منازلهم ومراعاة أحوالهم.

المبحث الأول: حكمة القول مع الملحدين.

المبحث الثاني: حكمة القول مع الوثنيين.

المبحث الثالث: حكمة القول مع أهل الكتاب.

المبحث الرابع: حكمة القول مع المسلمين.

الفصل الرابع: حكمة القوة الفعلية مع المدعوين:

تمهيد: مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر.

المبحث الأول: حكمة القوة الفعلية مع الكفار.

المبحث الثاني: حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسلمين.

الخاتمة: وفيهـــا:

. ملخص البحث.

. أهم النتائج.

. التوصيـــات.

الفهـــارس:

١ – فهرس المراجع والمصادر.

٢ – فهرس الموضوعات.

منهج الرسالة :

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستردادي التاريخي التحليلي، حيث تتبعت النصوص من القرآن والسنة، ومواقف النبي ﷺ في دعوته إلى الله بالحكمة، وأخذت مواقف الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم التي سلكوا فيها طريق الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى من أمهات الكتب.

كما استخدمت منهج الاستدلال؛ لأني احتجت إلى الاستدلال العقلي الـــذي ينبني على قواعد التأمل والتفكـــر في الوصول إلى الحقائق، واستخدمت هذا المنهج كثيرًا في حكمة القول مع الملحدين، والوثنيين، وأهل الكتاب.

وقد راعيت الأمور التالية:

١ – عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وذكرت اسم السورة ورقم الآية منها.

٢ – خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية.

٣ – حاولت الاقتصار على الأحاديث الصحيحة أو الحسنة.

٤ – أشرت إلى من صحح الحديث أو حسنه من العلماء المحققين إذا كان في غير الصحيحين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٥ – حرصت على جمع المعلومات من المصادر الأصلية مباشرة، ورجعت إلى أكثر من

مصدر في المسألة الواحدة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.

٦ - بينت في الحاشية بعض الكلمات التي أرى أنها في حاجة إلى البيان.

٧ - حرصت على رسم الآيات القرآنية بالرسم العثـــماني، اتباعًا لرسم المصحف الشريف، إلا بعض الأحرف؛ لعدم وجودها في الكمبيوتر.

٨ - ترجمت لأصحاب المواقف الحكيمة ما عدا الصحابة رضي الله عنهم كما ترجمت لغير المشهورين من الأعلام.

٩ - عملت فهارس تفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والآثار، وقد ميزت الآثار بذكر اسم صاحب الأثر أمامه، وفهرس الأبيات الشعرية، وفهرس الأعلام المترجم لهم، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

ولا أدَّعي الكمال، فالكمال من صفات اللّه تعالى، والنقص والتقصير واختلاف وجهات النظر من صفات الإنسان، ولكني قد بذلت قصارى جهدي؛ ليخرج هذا البحث المتواضع على الوجه المطلوب، فما كان من صواب وسداد فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله ﷺ وأستغفر الله من ذنبي كله: هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، إنه سميع مجيب.

الشكر والتقدير :

هذا، والشكر والحمد للّه الكريم الحكيم الذي أسبغ علي النعم الظاهرة والباطنة، ووفق عبده الفقير إليه وحده لمعالجة هذا الموضوع، وهو أهل الثناء والمجد.

وفي مقامي هذا أمتثل حديث رسول اللّه ﷺ حيث قال: « لا يشكر اللّه من لا يشكر الناسَ »[1].

فأشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة، فضيلة الأستاذ المشارك الدكتور

(١) أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ٤/ ٢٥٥ ، والترمذي بنحوه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٤/ ٣٣٩ ، وأحمد ٢/ ٢٩٥ ، ٥/ ٢١١ ، وانظر : صحيح أبي داود للشيخ الألباني ٣/ ٩١٣ ، وصحيح الترمذي للألباني ٢/ ١٨٥ .

فضل إلهي، رئيس قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الذي بذل الكثير من وقته وراحته، ولم يبخل علي بالرأي والمشورة والتوجيهات القيمة لرفع مستوى هذه الرسالة حتى خرجت بهذه الصورة، فقد أفادني كثيرا، فجزاه اللّه خيرا، وأجزل له الثواب، إنه قريب مجيب الدعوات.

كما أشكر الأستاذين الفاضلين: الدكتور محمد بن عبد اللّه الفهيد، الأستاذ بكلية أصول الدين، قسم السنة وعلومها، والدكتور أحمد بن محمد أبابطين، وكيل قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام، على تفضلهما بقبول عضوية مناقشة الرسالة وإعطاء الكثير من وقتهما وراحتهما لقراءة الرسالة، فجزاهما اللّه خيرا.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، على ما تقوم به من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، فجزى اللّه القائمين عليها خير الجزاء. كما أتقدم بالشكر والتقدير للمسئولين في كلية الدعوة والإعلام، وعلى رأسهم فضيلة عميد الكلية الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد، والدكتور مسفر البشر، وكيل الدراسات العليا بالكلية على ما يبذلونه من جهود في خدمة العلم وطلابه، فجزاهم اللّه خير الجزاء، وضاعف مثوبتهم إنه سميع الدعاء.

وصلى اللّه وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا محمد بن عبد اللّه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

الفصل الأول

الحكمة مفهومها وضوابطها

المبحث الأول: مفهوم الحكمة.

المبحث الثاني: أنواع الحكمة ودرجاتها

المبحث الثالث: أركان الحكمة.

المبحث الرابع: طرق اكتسابها.

المبحث الأول: مفهوم الحكمة.

المطلب الأول: تعريفها في اللغة.

المطلب الثاني: تعريفها في الاصطلاح الشرعي.

المطلب الثالث: العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي.

الفصل الأول الحكمة مفهومها وضوابطها

المبحث الأول مفهوم الحكمة

المطلب الأول: تعريف الحكمة في اللغة:

جاءت الحكمة في اللغة بعدة معان، منها:

١ - تستعمل بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.

وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد [(١)].

٢ - والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم [(٢)].

٣ - والحكيم: المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيمًا: قد أحكمته التجارب [(٣)].

٤ - والحَكَمُ والحكيم هما بمعنى: الحاكم والقاضي، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكِمُ الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى: مفعل. [(٤)].

٥ - والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل [(٥)].

٦ - **والحكيم**: المانع من الفساد، ومنه سُمِّيت حَكَمة اللجام؛ لأنها تمنع الفرَس من الجري والذهاب في غير قصد، والسورة المحكمة: الممنوعة من التغيير وكل التبديل، وأن يلحق بها ما يخرج عنها، ويزاد عليها ما ليس منها.

والحكمة من هذا؛ لأنها تمنع صاحبها من الجهل، ويقال: أحكم الشيء إذا أتقنه ومنعه

---

(١) القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، المتوفى ٨١٧هـ ، باب الميم ، فصل الحاء ، ص١٤١٥ ، وانظر : لسان العرب لابن منظور ، باب الميم ، فصل الحاء ١٢/ ١٤٣ ، ومختار الصحاح ، مادة : حكم ، ص٦٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، باب الحاء مع الكاف ، مادة حكم ١/ ١١٩ ، وانظر :لسان العرب لابن منظور ، باب الميم ، فصل الحاء ، ١٢/ ١٤٠ ، والمعجم الوسيط ، مادة : حكم : ١/ ١٩٠ .

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور ، باب الميم ، فصل الحاء ، ١٢/ ١٤٣ ، ومختار الصحاح ، مادة : حكم ، ص ٦٢ .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، باب الحاء مع الكاف ، مادة : حكم ١/ ٤١٩ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، كتاب الحاء ، مادة : حكم ص ١٢٧ .

من الخروج عما يريد، فهو محكم وحكيم على التكثير [1].

٧ – **والحَكَمَةُ**: ما أحاط بحنكي الفرس، سميت بذلك؛ لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتذلل الدابة لراكبها، حتى تمنعها من الجماح، ومن كثير من الجهل، ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل [2].

٨ – **والحُكْمُ**: هو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة، لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه، وأحكمته إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكمت فلانًا تحكيمًا: منعته عما يريد [3].

ومما تقدم يتضح ويتبـــين أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في عدة معان تتضمن معنى المنع:

فالعدل: يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم.

والحلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب.

والعلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل.

والنّبوة، والقرآن، والإنجيل: فالنبي إنما بعث لمنع من بعث إليهم من عبادة غير الله، ومن الوقوع في المعاصي والآثام، والقرآن والإنجيل وجميع الكتب السماوية أنزلها الله تتضمن ما يمنع الناس من الوقوع في الشرك وكل منكر وقبيح.

ومن فسر الحكمة بالمعرفة فهو مبني على أن المعرفة الصحيحة فيها معنى المنع، والتحديد، والفصل بين الأشياء، وكذلك الإتقان، فيه منع للشيء المتقن من تطرق الخلل والفساد إليه، وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه –: " الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه ولهذا دخل فيه

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٨٨ بتصرف يسير .

(٢) انظر : المصباح المنير ، لأحمد بن محمد الفيومي ، المتوفى سنة ٧٧٠هـ ، مادة : الحكم ، ١/ ١٤٥ ، وتاج العروس ٨/ ٢٥٣ .

(٣) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ٢/ ٩١ ، باب الحاء والكاف ، مادة : حكم .

معنى المنع كـــما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لا جميع معناه " [1].

المطلب الثاني تعريف الحكمة في الاصطلاح الشرعي :

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية [2] واختلفوا على أقوال كثيرة، فقيل: الحكمة؛ النبوة، وقيل: القرآن والفقه به: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: معرفة الحق والعمل به، وقيل: العلم النافع والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: السنة، وقيل: الورع في دين الله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة [3].

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ، لابن تيمية ٢/ ٧ .

(٢) جاء لفظ : الحكمة في كتاب اللّه – تعالى – في أكثر من تسعة عشر موضعًا ، انظر : سورة البقرة ، آيات : ١٢٩ ، ١٥١ ، ٢٣١ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، وآل عمران : ٤٨ ، ٨١ ، ١٦٤ ، والنساء : ٥٤ ، ١١٣ ، والمائدة :١١٠ ، والنحل :١٢٥ ، والإسراء :٣٩ ، ولقمان :١٢ ، والأحزاب :٣٤ ، وص :٢٠ ، والزخرف : ٦٣ ، والقمر :٥ ، والجمعة : ٢ . وجاء لفظ الحكمة في السنة النبوية في عدة مواضع ، انظر معظمها : في البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الإغتباط في العلم والحكمة ، ١/ ١٦٥ ، برقم ٧٣ ، وكتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر ابن عباس – رضي اللّه عنهما – ، ٧/ ١٠٠ برقم ٣٧٥٦ ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، برقم ٧٢٧٠ ، وكتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، ٨/ ٩٨ ، ٩٩ برقم ٤٣٨٨ ، ٤٣٩٠ ، وكتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجَز والحداءِ وما يكره منه ، ١٠/ ٥٣٧ ، برقم ٦١٤٥ ، وباب الحياء ، ١٠/ ٥٢١ برقم ٦١١٧ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ، ١/ ٧١ – ٧٣ برقم ٥١ ، وباب عدد شعب الإيمان ، ١/ ٦٤ ، برقم ٣٧ ، وكتاب صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه وغيره فعمل بها وعلمها ، ١/ ٥٥٩ برقم ٨١٦ والترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة/ ٥١ ، برقم ٢٦٨٧ ، وكتاب البر والصلة ، باب ما جاء في التجارب ، ٤/ ٣٧٩ برقم٢٠٣٣ ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب الحكمة ، ٢/ ١٣٩٥ برقم ٤١٦٩ ، والدارمي ، في المقدمة ، باب من هاب الفتيا مخافة السقط ، ١/ ٧٥ برقم ٢٩٣ ، وباب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ، ١/٩٠ برقم٣٩٥ ، وباب فضل العلم والعالم ، ١/ ٨٤ ، برقم ٣٥٧ ، وكتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن ، ٢/ ٣١٢ برقم ٣٣٣٠ .

(٣) انظر : تفسير مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية في المصادر التالية : جامع البيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ١/ ٤٣٦ ، ٣/ ٦٠ ، ٦١ وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري ١/ ٤١٣ ، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٦ ، ١/ ١١٦ ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ٣٢٤ ، ١/ ١٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٣١ ، ٣/ ٦٠ ، ٦١ ، وتفسير القرآن

وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولًا في تعريف الحكمة [(١)].

" وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه ﷺ حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه. فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح.. " [(٢)].

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضم جميع هذه الأقوال في تعـــريف الحكمة هو: " الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه ".

فجميع الأقـــوال تدخـــل في هذا التعريف؛ لأن الحكمة مأخوذة من الحكم وفصل القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال: إن فلاناً لحكيم بيِّن الحكمة، يعني:

العظيم لابن كثير ١/ ١٨٤ ، ١/ ٣٢٣ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١/ ٣٨٧ ، ٣/ ٤١ ، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٢٨٩ ، ١/ ١٤٤ ، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١/ ٤٧٢ ، ٢/ ٢٩ ، ٣/ ٧٥ ، ٣/ ٢٦٣ ، وتفسير المراغي ١/ ٢١٤ ، ٢/ ١٩ ، ٣/ ٤١ ، وتفسير السعدي ١/ ١٧٣ ، ١/ ٢٩٠ ، ٦/ ١٥٤ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣١٢ ، ١/ ١٣٩ ، ٣٩٩ ، ٢/ ٩٩٧ ، وصفوة المفاهيم والآثار لعبد الرحمن الدوسري ٢/ ٣٦٠ ، ٤١٦ ، ٣/ ٤٩٨ ، ٤٩٩ ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦/ ٦٦ ، ٦٧ ، ٩/٢٢ ، ٢٣ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ١٧٠ ، ومدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، والتفسير القيم لابن القيم ص ٢٢٧ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١/ ٦٧ ، ٧٠ ، ٦/ ٥٣١ ، ٧/ ١٠٠ ، ١٠/ ٥٢٢ ، ٥٢٩/ ٥٤٠ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ، ٢/ ٧ ، ٣٣ ، ٦/ ٩٨ ، ١٥/ ١٢ ، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ١٨٢ ، ٧/ ٥٨ ، ١٠/ ٣٢٧ ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ، ١٣/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(١) انظر : تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف ، أبو حيان الأندلسي ٢/ ٣٢٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٣٣٠ ، وانظر : البحر المحيط ٢/ ٣٢٠ ، قال الإمام النووي – رحمه الله – وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة ، وقد صفا لنا منها : أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام ، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة ، وتهذيب النفس ، وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل ، والحكيم من له ذلك . قال أبو بكر بن دريد : " كل كلمة وعظتك وزجرتك أودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم " ، شرح النووي على صحيح مسلم ، ٢/ ٣٣ .

أنه لبين الإصابة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلة في هذا القول، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهمٍ منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهمًا، خاشيًا لله، فقيهًا عالما، عاملا بعلمه، ورعًا في دينه... والحكمة أعم من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مسددون، مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور.»[1].

والحكمة في كتاب اللّه نوعان [2] مفردة، ومقرونة بالكتاب.

فالمفردة كقولـــه تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [3]. وقوله تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ [4]. وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [5].

وهذه الحكمة فسرت بما تقدم من أقوال العلماء في تعريف الحكمة، وهذا النوع كثير في كتاب الله تعالى.

أما الحكمة المقرونة بالكتاب، فهي السنة من: أقوال النبي – ﷺ وأفعـــاله، وتقريراته، وسيرته، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [6] وقوله: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٣٦ ، ٣/ ٦١ .

(٢) انظر : مدارج السالكين ، لابن القيم ٢/ ٤٧٨ ، والتفسير القيم لابن القيم ، ص٢٢٧ .

(٣) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩ .

(٥) سورة لقمان ، الآية ١٢ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾ [1] ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [2] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [3]. وغير ذلك من الآيات.

وممن فسر الحكمة المقرونة بالكتاب بالسنة: الإمام الشافعي والإمام ابن القيم، وغيرهما من الأئمة. [4].

المطلب الثالث العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي :

عند التأمل والنظر نجد علاقةً قويةً بين المعنى اللغوي والشرعي، فكلاهما يجعل العلم النافع، والعمل الصالح الصواب المحكم المتقن أصلًا من أصول الحكمة، وعلى هذا فيكـــون التعريف الجامع المانع للحكمة هو: " الإصابة في القول والعمل والاعتقاد ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان ". والله أعلم.

وبهذا التعريف يتبين ويتضح أن الحكمة في الدعوة إلى اللّه لا تقتصر على الكلام اللين، أو الترغيب، أو الحلم، أو الرفق، أو العفو... بل هي إتقان الأمور وإحكـــامها بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، وتوضـــع الموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، كـــما قال ﷻ ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [5]. ويوضـــع الزجر، والقوة، والغلظة، والشدة، والسيف في مواضعها،

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٦٤ .

(٣) سورة الجمعة ، الآية ٢ .

(٤) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٨ ، والتفسير القيم ص ٢٢٧ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

وهذا هو عين الحكمة. وقد قال أحكم الحاكمين لسيد الحكـــماء والناس أجمعين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [1].

كل ذلك بإحكـــام وإتقان ومراعـــاة لأحوال المدعوين، والأزمان، والأماكن في مختلف العصور والبلدان، وبإحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان [2].

ومن أراد البرهان العملي على ذلك فعليه أن ينظر إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ ومعاملته لأصناف الناس، وهو الذي أعطاه الله من الحكمة مما لم يعطِ أحدًا من العالمين [3].

(١) سورة التوبة ، الآية ٧٣ ، وانظر : سورة التحريم ، الآية ٩ .

(٢) انظر : فتاوى شيخ الإسلام ١٩/ ١٦٤ ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٤ ، والتفسير القيم ص ٣٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦ ، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ص١٥ .

(٣) انظر : التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤ ، الهامش .

المبحث الثاني أنواع الحكمة ودرجاتها

المطلب الأول: أنواع الحكمة.

المطلب الثاني: درجات الحكمة العملية.

المبحث الثاني أنواع الحكمة ودرجاتها

المطلب الأول: أنواع الحكمة:

الحكمة نوعان:

النـــوع الأول: حكمـــة علمية نظرية، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا.

النوع الثاني: حكمة عملية، وهي وضع الشيء في موضعه [1].

فالحكمـــة النظرية مرجعها إلى العلم والإدراك، والحكمـــة العملية مرجعها إلى فعل العدل والصواب، ولا يمكن خروج الحكمة عن هذين المعنيين؛ لأن كـــمال الإنسان في أمرين: أن يعرف الحق لذاته، وأن يعمل به، وهذا هو العلم النافع والعمل الصالح.

وقد أعطى الله ﷻ أنبياءه ورسله ومن شاء من عباده الصالحين هذين النوعين، قال تعالى: عن إبراهيم ﷺ. ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ [2]. وهو الحكمة النظرية، ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ ﴾ [3]. وهو الحكمة العملية.

وقال تعالى: لموسى، ﷺ ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا ﴾ [4]، وهو الحكمة النظرية ﴿ فَاعْبُدْنِي ﴾ [5] وهو الحكمة العملية.

وقال عن عيسى ﷺ ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ ﴾ [6].

وهو الحكمة النظرية، ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ ﴾ [7]. وهو الحكمة العملية.

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٧٨ .

(٢) سورة الشعراء آية: ٨٣ .

(٣) سورة الشعراء ، الآية ٨٣ .

(٤) سورة طه آية: ١٤ .

(٥) سورة طه ، الآية ١٤ .

(٦) سورة مريم آية: ٣٠ .

(٧) سورة مريم ، آية ٣١ .

وقال في شأن محمد ﷺ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [1]، وهو الحكمة النظرية، ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [2] وهو الحكمة العملية.

وقال في جميع الأنبياء. ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ [3]،وهو الحكمة النظرية، ثم قال: ﴿ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ [4]. وهو الحكمة العملية [5].

المطلب الثاني : درجات الحكمة العملية :

الحكمة العملية لها ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: " أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعدِّيه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه ".

لما كانت الأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ولها حدود ونهايات تصل إليها ولا تتعداها، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر، كانت الحكمة مراعاة هذه الجهات الثلاث بأن تعطي كل مرتبة حقها الذي أحقه الله لها بشرعه وقدره، ولا تتعدى بها حدها فتكون متعديًا مخالفًا للحكمة، ولا تطلب تعجيلها عن وقتها فتخالف الحكمة، ولا تؤخرها عنه فتفوتها، وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها شرعًا وقدرًا، فإضاعتها تعطيل للحكمة بمنزلة إضاعة البذر وسقي الأرض، وتعدي الحق كسقيها فوق حاجتها، بحيث يغرق البذر والزرع ويفسد، وتعجيلها قبل وقتها كحصاده قبل إدراكه وكماله، وهذا يكون فعل ما ينبغي على الوجه الأكمل في الوقت المناسب [6].

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

(٢) سورة محمد ، الآية ١٩ .

(٣) سورة النحل آية : ٢ .

(٤) سورة النحل ، الآية ٢ .

(٥) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ٧/ ٦٨ .

(٦) انظر : مدارج السالكين ٢/ ٤٧٩ .

الدرجة الثانية: معرفة عدل اللّه في وعيده، وإحسانه في وعده، وعدله في أحكـــامه الشرعية والكـــونية الجـــارية على الخلائق، فإنه لا ظلم فيها ولا جور، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [1] وكذلك معرفة بره في منعه، فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق، ولا يغيض ما في يمينه سعة عطائه، فهو سبحانه لا يضع بره وفضله إلا في موضعه ووقته بقدر ما تقتضيه حكمته، فما أعطى إلا بحكمته ولا منع إلا بحكمته، ولا أضل إلا بحكمته.

الدرجة الثالثة: البصيرة، وهي قوة الإدراك والفطنة والعلم والخبرة [2].

والبصيرة هي أعلى درجات العلم التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمـــة ثم المخلصـــين من أتباع النبي ﷺ وهي أعلى درجات العلماء [3] قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] فقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر الناس أن هذه طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك، ويقين، وبرهان، وعلم، وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين، وبرهان عقلي وشرعي [5] والبصيرة في الدعوة إلى الله في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن يدعو الداعية على بصيرة فيما يدعو إليه بأن يكون عالمًا بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه؛ لأنه قد يدعو إلى شيء يظنه واجبًا وهو في شرع الله غير واجب فيلزم عباد الله بـــما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيء يظنه محرمًا وهو في دين

(١) سورة النساء ، الآية ٤٠ ، وانظر : مدارج السالكين ٢/ ٤٨١ .

(٢) المعجم الوسيط ، مادة : بصر ١/ ٥٩ .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٢/ ٤٨٢ .

(٤) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٦ ، وتفسير السعدي ٤/ ٦٣ .

اللّه غير محرم، فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم.

الأمر الثاني: أن يكون على بصيرة في حال المدعو، فلا بد من معرفة حال المـــدعو: الدينية، والاجتماعية، والاعتقادية، والنفسية، والعلمية، والاقتصادية حتى يقدم له ما يناسبه.

الأمر الثالث: أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة [(١)] وقد رسم الله ﷻ طرق الدعوة ومسالكها في آيات كثيرة منها: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [(٢)] وهذه الآية قاعدة قوية متينة في الدعوة إلى الله تعالى ثم تكون هذه القاعدة متفرعة إلى ثلاثة أبواب: وهي الدعوة إلى الله: بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن [(٣)] قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [(٤)] قلت: والباب الرابع: الدعوة إلى الله باستخدام القوة عند الحاجة إليها كـــما قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ ﴾ [(٥)].

ولا شك أن أحسن الطرق في دعوة الناس طريقة القرآن، ومخاطبته لهم ودعوته، ومجادلتهم [(٦)].

---

(١) انظر : زاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٧ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

(٣) هذا التقسيم الجيد للقاعدة والثلاثة الأبواب ، للشيخ عبد القادر شيبة الحمد في محاضرة بعنوان : طرق الدعوة إلى الله ، ألقيت بجامع الراجحي بالربوة ، بالرياض ، عام ١٤٠٨هـ .

(٤) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٦) انظر : فتاوى ابن تيمية ١٩/ ١٥٨ - ١٧٣ .

المبحث الثالث: أركان الحكمة

توطئة:

المطلب الأول: العلم.

المطلب الثاني: الحلم.

المطلب الثالث: الأناة.

المبحث الثالث أركان الحكمة

توطئة:

للحكمة أركان ودعائم تقوم عليها، وكل خلل في الداعية إلى الله فسببه الإخلال بالحكمة، فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبًا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلهم منها ميراثًا.

وأركان الحكمة التي تقوم عليها، ثلاثة هي: العلم، والحلم، والأناة.

وآفاتها وأضدادها، ومعاول هدمها: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهلٍ، وطائشٍ، ولا عجولٍ [(١)].

وسأتحدث عن هذه الأركان بالتفصيل – إن شاء الله تعالى – في المطالب الآتية:

المطلب الأول: العـــلم.

المطلب الثاني: الحـــلم.

المطلب الثالث: الأناة.

المطلب الأول: العلم:

العلم من أعظم أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٢)].

وقد بوَّب الإمام البخاري – رحمه الله – لهذه الآية بقوله: " باب: العلم قبل القول والعمل " [(٣)].

وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قولـــه

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم٢/ ٤٨٠ .

(٢) سورة محمد ، الآية ١٩ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ١/ ١٥٩ .

تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [(١)] ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [(٢)]، فدل ذلك على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلَم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل [(٣)].

والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ وقد يكون علم من غير الرسول، لكن في أمور دنيوية، مثل: الطب، والحساب، والفلاحة، والتجارة [(٤)].

ولا يكون الداعية إلى الله حكيمًا إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين.

ولا شك أنه لا ينهى عن العلم إلا قُطاع الطريق، ونوّاب إبليس وشرطه [(٥)].

أقسام العلم الذي تقوم عليه الحكمة

وقد قسم الإمام ابن تيمية – رحمه اللّه – العلم النافع – الذي هو أحد دعائم الحكمة وأسسها – إلى ثلاثة أقسام، فقال رحمه الله: " والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثه الأنبياء كـما قال النبي ﷺ « إن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافِر » [(٦)] [(٧)].

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

(٢) سورة محمد آية : ١٩ .

(٣) انظر . فتح الباري ١/ ١٦٠ ، وحاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب ، جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي ، ص ١٥ .

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٣٦ ، ٦/ ٣٨٨ .

(٥) انظر : مدارج السالكين ، للإمام ابن القيم ٢/ ٤٦٤ .

(٦) الترمذي العلم (٢٦٨٢) ، أبو داود العلم (٣٦٤١) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٣) ، أحمد (١٩٦/٥) .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ٣/ ٣١٧ ، والترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥/ ٤٩ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/ ٨٠ ، وانظر : صحيح ابن ماجه للألباني ١/ ٤٣ .

وهذا العلم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علم بالله، وأسمائه، وصفاته، وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل اللّه سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما.

القسم الثاني: علم بما أخبر اللّه به مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلة، وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل اللّه آيات القصص، والوعد، والوعيد، وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

القسم الثـــالث: العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها، وأقوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه: العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام، ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ويندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة، فإن ذلك جزءٌ من جزءٍ من علم الدين.

والناس إنما يغلطون في هذه المسائل؛ لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرُب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم، بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم، كما قال النبي ﷺ ﴿ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترُجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر ﴾ [(1)] [(2)].

فقد يكون الرجل حافظا لحروف القرآن وسوره، ولا يكون مؤمنًا، بل يكون منافقًا،

---

(١) البخاري الأطعمة (٥١١١) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٧) ، الترمذي الأمثال (٢٨٦٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٨) ، أبو داود الأدب (٤٨٢٩) ، ابن ماجه المقدمة (٢١٤) ، أحمد (٤/٤٠٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٣) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأطعمة ، باب ذكر الطعام ٩/ ٥٥٥ ، ومسلم في صلاة المسافرين ، باب فضيلة حافظ القرآن ١/ ٥٤٩ .

فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه، وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان، وأما الذي أُوتي العلم والإيمان، فهو مؤمن حكيمٌ وعليمٌ، فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان، فهذا أصل تجب معرفته [(١)].

والعلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه، فإن العلم النافع – الذي هو أعظم أركان الحكمة التي من أُوتيها فقد أُوتيَ خيرًا كثيرًا – هو ما كان مقرونًا بالعمل، أما العلم بلا عمل، فهو حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر الله المؤمنين من أن يقولوا ما لا يفعلون، رحمةً بهم، وفضلاً منه وإحسانًا، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [(٢)].

وحذرهم عن كتمان العلم، وأمرهم بتبليغه للبشرية على حسب الطاقة والجهد، وعلى حسب العلم الذي أعطاهم الله ﷻ لا يُكلفّ الله نفسا إلا وسعها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ۝١٥٩ ﴾ [(٣)].

وهذه الآية، وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموه من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل اللّه من البينات الدالات على الحق، المظهرات له، والعلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ١١/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ بتصرف ، والفتاوى أيضًا ٧/ ٢١– ٢٥ ، وقال ابن تيمية رحمه الله : " العلوم خمسة : فعلم هو حياة الدين ، وهو علم التوحيد ، وعلم هو غذاء الدين ، وهو علم التذكر بمعاني القرآن والحديث ، وعلم هو لواء الدين ، وهو علم الفتوى إذا نزل بالعبد نازلة احتاج إلى من يشفيه منها كما قال ابن مسعود ، وعلم هو داء الدين ، وهو الكلام المحدث ، وعلم هو هلاك الدين ، وهو علم السحر ونحوه " . انظر : فتاوى ابن تيمية ١٠/ ١٤٥ .

(٢) سورة الصف ، الآيتان ٢ ، ٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٥٩ .

أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، ومن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين: كَتْم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، لعنه الله، ولعنه جميع الخليقة؛ لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم عن رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطير في الهواء؛ لسعيه في مصلحة الخلق وإصلاح أديانهم؛ ولأنه قربهم من رحمة الله، فَجوزيَ من جنس عمله. [1].

وقد بين ﷺ أن ﴿ من سئِل عن علمٍ يَعْلمُه فَكتَمَهُ أُلجِمَ يوم القيامة بلجام من نار ﴾ [2] [3].

فتبين بذلك وغيره أن العلم النافع الذي هو أحد أركان الحكمة لا يكون إلا مع العمل به، ولهذا قال سفيان [4] في العمل بالعلم والحرص عليه: " أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله " [5].

وقال رحمه اللّه: " يُرادُ للعلم: الحفظ، والعمل، والاستماع، والإنصات، والنشر " [6].

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تعلموا، تعلموا فإذا علمتم فاعملوا [7].

وقال رضي الله عنه إن الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب

---

(١) انظر : تفسير عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١/ ١٨٦ ، وتفسير البغوي ١/ ١٣٤ ، وابن كثير ١/ ٢٠٠ .

(٢) الترمذي العلم (٢٦٤٩) ، أبو داود العلم (٣٦٥٨) ، ابن ماجه المقدمة (٢٦١) ، أحمد (٤٩٥/٢) .

(٣) الترمذي ، في العلم ، باب ما جاء في كتمان العلم ٥/ ٢٩ ، وأبو داود في العلم ، باب كراهية منع العلم ٣/ ٣٢١ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب من سئل عن علم فكتمه ١/ ٩٨ ، وأحمد ٢/ ٢٦٣ ، ٣٠٥ ، وانظر . صحيح ابن ماجه ١/ ٤٩ ، وصحيح الترمذي ٢/ ٣٣٦ .

(٤) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، الإمام الكبير شيخ الإسلام ، ولد سنة ١٠٧هـ ، في النصف من شعبان ، وعاش(٩١) سنة . انظر : سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤ - ٤٧٤ .

(٥) أخرجه الدارمي في سننه ، في المقدمة ، باب في فضل العلم والعالم ١/ ٨١ .

(٦) المصدر السابق ١/ ٨١ .

(٧) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٩٥ .

حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه [1].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ " يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقواماً يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقًا فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله ﷻ " [2].

وقال أبو الدرداء ﷺ لا تكون تقيا حتى تكون عالمًا، ولا تكون بالعلم جميلًا حتى تكون به عاملًا [3].

ولهذا قال الشاعر:

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً … عليك ولم تعذر بما أنت جاهله
فإن كنت قد أوتيت علمًا فإنما … يصدق قولَ المرء ما هو فاعله[4]

وبهذا يتضح أن العلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا باقترانه بالعمل، وقد كان علم السلف الصالح – وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ – مقرونًا بالعمل، ولهذا كانت أقوالهم، وأفعالهم، وسائر تصرفاتهم تزخر بالحكمة، ولهذا قال ﷺ ﴿ لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللّه مالا فسُلِّطَ على هلكته في الحق، ورجل آتاه اللّه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ﴾ [5] [6].

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٦ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٧ .

(٣) المرجع السابق ٢/ ٧ .

(٤) المرجع السابق ٢/ ٧ .

(٥) البخاري العلم (٧٣) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨١٦) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠٨) ، أحمد (١/٤٣٢) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة ١/ ١٦٥ ، ومسلم ، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ١/ ٥٥٨ .

وقـــد دعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – بالحكمة، والفقه في الدين، فقال ﷺ ﴿ اللهم علمه الحكمة ﴾ [1]، وفي لفظ: ﴿ اللهم علمه الكتاب ﴾ [2] وفي لفظ: ﴿ اللهم فقهه في الدين ﴾ [3]. [4].

فكان – رضي الله عنهما – حبرًا للأمة في علم الكتاب والسنة والعمل بهما استجابة لدعوة النبي ﷺ.

أسباب وطرق تحصيل العلم:

والعلم النافع له أسباب ينال بها، وطرق تُسلك في تحصيله وحفظه، من أهمها:

١ – أن يسأل العبد ربه العلم النافع، ويستعين به تعالى، ويفتقر إليه، وقد أمر اللّه نبيه محمدًا ﷺ بسؤاله أن يزيده علمًا إلى علمه [5] فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [6] وقـــد كان ﷺ يقول: ﴿ اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا ﴾ [7] [8].

---

(١) البخاري المناقب (٣٥٤٦) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٧٧) ، الترمذي المناقب (٣٨٢٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٦٦) .

(٢) البخاري العلم (٧٥) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٧٧) ، الترمذي المناقب (٣٨٢٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٦٦) .

(٣) البخاري الوضوء (١٤٣) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٧٧) ، الترمذي المناقب (٣٨٢٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٦٦) .

(٤) البخاري مع الفتح ، في كتاب فضائل الصحابة ، باب ذكر ابن عباس – رضي الله عنهما – ٧/ ١٠٠ ، ١٣/ ٢٤٥ ، ١/ ١٦٩ ، ١/ ٢٤٤ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل ابن عباس رضي الله عنهما ٤/١٩٢٧ .

(٥) انظر : تفسير الإمام البغوي٣/ ٢٣٣ ، وتفسير العلامة السعدي ٥/ ١٩٤ .

(٦) سورة طه ، الآية ١١٤ .

(٧) الترمذي الدعوات (٣٥٩٩) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٣٣) .

(٨) الترمذي ، في الدعوات ، باب في العفو والعافية ٥/ ٥٧٨ ، وابن ماجه ، في العلم ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ١/ ٩٢ ، وانظر : صحيح ابن ماجه ١/ ٤٧ .

٢ – **ومنها: الاجتهاد في طلب العلم**، والشوق إليه، والرغبة الصادقة فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وبذل جميع الأسباب في طلب علم الكتاب والسنة [١].

وقد جاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه فقال: إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه، فقال أبو هريرة رضي الله عنه " كفى بتركك له تضييعا " [٢].

ولهذا قال بعض الحكماء عندما سُئلَ: ما السبب الذي ينال به العلمِ؟ قال: بالحرص عليه يتبع، وبالحب له يستمع، وبالفراغ له يجتمع، [عَلم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إن فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت] [٣].

ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاءٌ، وحرصٌ، واجتهاد، وبلغة وصحبةُ أستاذٍ وطول زمان [٤]

٣ – **ومنها. اجتناب جميع المعاصي** بتقوى الله – تعالى –؛ فإن ذلك من أعظم الوسائل إلى حصول العلم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [٥] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [٦].

وهذا واضح بين أن من اتقى اللّه جعل له علمًا يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل [٧] ولهذا قال عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه " إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد عَلِمَه بالذنب يعمله " [٨].

(١) انظر : تفسير السعدي ٥/ ١٩٤ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٠٤ .
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، ١/ ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٤) ديوان الشافعي ص ١١٦ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .
(٦) سورة الأنفال ، الآية ٢٩ .
(٧) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٣٨ ، وتفسير السعدي ١/ ٣٤٩ .
(٨) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٩٦ .

وقال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله –: " خمسٌ إذا أخطأ القاضي منهن خطةً [1] كانت فيه وصمةً [2] أن يكون: فهمًا، حليمًا، عفيفًا، صليبًا [3] عالما سئولًا عن العلم " [4].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

شكوت إلى وكيع [6] سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن علم الله نور ... ونور الله لا يُهدى لعاصي [5]

وقال الإمام مالك للإمام الشافعي – رحمهما الله تعالى –: " إني أرى الله قد جعل في قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية " [7].

٤ – **ومنها: عدم الكبر والحياء عن طلب العلم،** ولهذا قالت عائشة – رضي الله عنها –: ﴿ " نِعْم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين ﴾ [8] [9].

وقالت أم سُليم – رضي الله عنها –: ﴿ يا رسول الله، إن الله لا يستَحْيي من الحق، فهل على المرأة من غُسلٍ إذا احتلمت؛ قال النبي ﷺ " إذا رأت الماء ﴾ [10] [11].

---

(١) خطة : أي خصلة . انظر . فتح الباري١٣/ ١٤٦ .

(٢) وصمة : عيبًا . انظر : فتح الباري ١٣/ ١٤٦ .

(٣) قويا شديدًا ، يقف عند الحق ولا يميل مع الهوى . انظر : فتح الباري ١٣/ ١٤٦ .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الأحكام ، باب متى يستوجب الرجل القضاء١٣/ ١٤٦ .

(٥)ديوان الشافعي ، ص ٨٨ وانظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ، ص ١٠٤ .

(٦) وكيع بن الجراح بن مليح ، الإمام الحافظ ، محدث العراق ولد سنة ١٢٩ هـ ، ومات سنة ١٩٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤٠/٩ ، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٠٩ .

(٧) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ١٠٤ .

(٨) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٩٢٤) ، مسلم الحيض (٣٣٢) ، النسائي الغسل والتيمم (٤٢٧) ، أبو داود الطهارة (٣١٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٤٢) ، أحمد (١٨٨/٦) ، الدارمي الطهارة (٧٧٣) .

(٩) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ١/ ٢٢٨ .

(١٠) البخاري العلم (١٣٠) ، مسلم الحيض (٣١٣) ، الترمذي الطهارة (١٢٢) ، النسائي الطهارة (١٩٦) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٠٠) ، أحمد (٢٩٢/٦) ، مالك الطهارة (١١٨) .

(١١) المرجع السابق ١/ ٢٢٨ .

وقال مجاهد: " لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر " [1].

٥ – ومنها، بل أعظمها ولُبُّها: الإخلاص في طلب العلم، قال ﷺ ﴿ " من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه اللّه ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرَفْ الجنة يوم القيامة ﴾ [2] [3] يعني ريحها.

٦ – **العمل بالعلم** [4]

ومما تقدم يتضح أن العلم لا يكون ركنًا من أركان الحكمة ودعائمها إلا بالعمل، والإخلاص، والمتابعة.

المطلب الثاني : الحلم

تعريفه وحقيقته

الحِلْمُ: بالكسر: العقل [5] وحلم حلمًا: تأنَّى وسكن عند غضب أو مكـــروه مع قدرة، وقـــوة، وصفح، وعقل [6] ومن أسماء الله – تعالى –: **(الحليم)** وهو الـــذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منته إليه [7].

والحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب [8].

والحلم: هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة. فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقل ولا تبصر كان على رذيلة، وإن تبلد، وضيع حقه ورضي بالهضم والظلم كان

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب الحياء في العلم ١/ ٢٢٨ .

(٢) أبو داود العلم (٣٦٦٤) ، ابن ماجه المقدمة (٢٥٢) ، أحمد (٢/٣٣٨) .

(٣) أبو داود بلفظه في العلم ، باب في طلب العلم لغير الله ٣/ ٣٢٣ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب الانتفاع بالعلم ١/٩٣ ، وانظر : صحيح ابن ماجه ١/ ٤٨ .

(٤) انظر : ص ٤٨ ، من هذا البحث .

(٥) القاموس المحيط ، باب الميم ، فصل الحاء ، ص ١٤١٦ .

(٦) المعجم الوسيط ، مادة : حلم ١/ ١٩٤ .

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، حرف الحاء مع اللام ١/ ٤٣٤ .

(٨) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، مادة حلم ، ص ١٢٩ .

على رذيلة، وإن تحلى بالحلم مع القدرة، وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

وهناك ارتباط بين الحلم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم: وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس، وأصبح طبعاً من طبائعها كان ذلك هو الحلم، والله أعلم [(١)]

وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [(٢)].

ونلاحظ أن الآيات التي وصفت الله بصفة الحلم قد قرنت صفة الحلم - في أغلب هذه الآيات - بصفة المغفرة أو العفو، ويأتي هذا الاقتران في الغالب بعد إشارة سابقة إلى خطأ واقع، أو تفريط في أمر محمود، وهذا أمر يتفق مع الحلم؛ لأنه تأخير عقوبة، قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ ﴾ [(٣)].

ونجد أيضًا أن عددًا من الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قرن فيها ذكر الحلم بالعلم، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [(٤)] وهذا يفيد - والله أعلم بمراده - أن كـــمال الحلم يكون مع كـــمال العلم، وهذا من أعظم أركان الحكمة [(٥)].

الحلم من أعظم أركان الحكمة

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة - التي ينبغي للداعية أن يدعو بها

---

(١) انظر : مفردات غريب القرآن ، ص ١٢٩ ، وأخلاق القرآن للشرباصي ١/ ١٨٢ ، والأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني ٢/ ٣٢٦ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٥ .

(٣) سورة فاطر ، الآية ٤٥ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٥٩ .

(٥) انظر : أخلاق القرآن للشرباصي ١/ ١٨٥ .

إلى الله - تعالى - مدح النبي ﷺ للحلم، وتعظيمه لأمره، وأنه من الخصال التي يحبها الله ﷻ قال ﷺ للأشج: [1] ﴿ إن فيك خصلتين يحبهما اللّه: الحلم والأناة ﴾ [2] [3].

وفي رواية ﴿ قال الأشـــج: يا رسول الله، أنا تخلقت بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: " بل اللّه جبلك عليهما "، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما اللّه ورسوله ﴾ [4] [5].

وسبب قول النبي ﷺ ذلك للأشج ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ. وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها، وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقربه النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ ﴿ " تبايعونِ على أنفسكم وقومكم؟ " فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يا رسول الله، إنك لم تزاول الرجل على شيء أشد عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، قال: " صدقت، إن فيك خصلتين... ﴾. الحديث.

فالأناة: تربصه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، والحلم؛ هذا القول الذي قاله، الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب. [6].

الحلم خلق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة

ومما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها العظام أنه خلق عظيم من

---

(١) المنذر بن عائذ بن المنذر العصري ، أشج عبد القيس ، كان سيد قومه ، رجع بعد إسلامه إلى البحرين مع قومه ، ثم نزل البصرة بعد ذلك ومات بها رضي الله عنه . انظر : تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦٧ .

(٢) مسلم الإيمان (١٧) .

(٣) مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله - تعالى - ورسوله ١/ ٤٨ .

(٤) أبو داود الأدب (٥٢٢٥) ، أحمد (٤/٢٠٦) .

(٥) أبو داود ، في الأدب ، باب في قبلة الجسد ٤/ ٣٥٧ ، وأحمد ٤/ ٢٠٦ ، ٣/ ٢٣ .

(٦) شرح النووي على مسلم ١/ ١٨٩ ، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٢ .

أخلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم عظماء البشر، وقـــدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله والصالحين في الأخلاق المحمودة كافة.

وقد واجه كل واحد منهم من قومه ما يثير الغضب، ويغضب منه عظماء الرجال، ولكن حلموا عليهم، ورفقوا بهم، ولانوا لهم حتى جاءهم نصر اللّه المؤزر، وعلى رأسهم إمامهم، وسيدهم، وخاتمهم محمد ﷺ و لم يكن غريباً أن يوجهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة حين يقول له: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ ﴾ [1]. ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ ﴾ [2] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [3].

صورة حسية من حلم النبي ﷺ

وقد بلغ ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله – تعالى – الغاية المثالية، والدلائل على ذلك كثيرة جدًّا، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١ – عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿ لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أُناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ. فأتيته فأخبرته، فقال: " فمن يعدل إذا لم يعدل اللّه ورسوله؟! رحم اللّه موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ﴾ [4] [5].

(١) سورة الأعراف ، الآيتان ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٤) البخاري فرض الخمس (٢٩٨١) ، مسلم الزكاة (١٠٦٢) ، أحمد (١/٣٩٦) .

(٥) البخاري مع الفتح بلفظه ، كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ٦/ ٢٥١ ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ٢/ ٧٣٩ .

وهذا من أعظم مظاهر الحلم في الدعوة إلى الله – تعالى – وقد اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يقسم تلك الغنائم بين هؤلاء المؤلفة قلوبهم، ويوكل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه [1]

٢ – وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ﴿ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة [2] في أديم مقروظ [3] لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر [4] وأقرع بن حابس، وزيد الخيل [5] والرابع إما علقمة [6] وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء؟ " قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول اللّه! اتق الله، قال: " ويلك، أو لست أحقُّ أهل الأرض أن يتقي اللّه؟ " قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول اللّه! ألا أضرب عنقه؟ قال: " لا، لعله أن يكون يصلي " فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول اللّه ﷺ " إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم ". قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٍ، فقال: " إنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب اللّه رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ﴾ [7].

وهذا من مظاهر حلم النبي ﷺ فقد أخذ بالظاهر و لم يؤمر أن ينقب قلوب الناس، ولا

---

(١) انظر : فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ٨/ ٤٩ .

(٢) أي : ذهب . انظر : فتح الباري ٨/ ٦٨ .

(٣) مدبوغ بالقرظ . انظر : فتح الباري ٨/ ٦٨ .

(٤) وهو عيينة بن حصن بن حذيفة ، نسب لجده الأعلى . الفتح ٨/ ٦٨ .

(٥) زيد الخيل بن مهلهل الطائي ، وسماه النبي زيد الخير ، بالراء بدل اللام . انظر . فتح الباري ٨/ ٦٨ .

(٦) ابن علاثة العامري ، أسلم وحسن إسلامه ، واستعمله عمر على حوران ، فمات بها في خلافته . انظر : فتح الباري ٨/ ٦٨ .

(٧) البخاري ، مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب بعث علي بن أبي طالب ، وخالد بن الوليد – رضي الله عنهما – إلى اليمن ٨/ ٦٧ ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤١ .

أن يشق بطونهم، والرجل قد استحق القتل واستوجبه؛ ولكن النبي ﷺ لم يقتله، لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه ولا سيما من صلى [(1)].

٣ – عن أنس بن مالك ﷺ قال: ﴿ كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول اللّه ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء ﴾ [(٢)] [(٣)].

وهذا من روائع حلمه ﷺ وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس، والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام؛ وليتأسى به الدعاة إلى الله، والولاة بعده في حلمه، وخلقه الجميل من الصفح، والإغضاء، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن [(٤)].

٤ – ﴿ وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنه غزا مع رسول اللّه ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول اللّه ﷺ تحت شجرة، وعلق بها سيفه، ونمنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: " إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: اللّه (ثلاثًا) و لم يعاقبه، وجلس ﴾ [(٥)] [(٦)].

وفي هذا دلالة واضحة على قوة يقينه، وصبره على الأذى، وحلمه على الجهال،

---

(١) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ٦٩ .

(٢) البخاري اللباس (٥٤٧٢) ، مسلم الزكاة (١٠٥٧) ، ابن ماجه اللباس (٣٥٥٣) ، أحمد (٣/٢٢٤) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٦/ ٢٥١ : ومسلم ، كتاب الزكاة : باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠ .

(٤) انظر : فتح الباري ١٠/ ٥٠٦ ، وشرح النووي على مسلم ٧/ ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٧٥٣) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٤٣) ، أحمد (٣/٣١١) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب من علق سيفه بالشجر بالسفر عند القائلة ٦/ ٩٦ ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الخوف ١/ ٥٧٦ ، ٤/ ١٧٨٦ .

وشدة رغبته في استئلاف الكفار؛ ليدخلوا في الإسلام، ولهذا ذُكِرَ أن هذا الأعرابي رجع إلى قومه وأسلم، واهتدى به خلق كثير [(١)].

وهذا مما يؤكد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها.

٥ - ومن عظيم حلمه عدم دعـــائه على من آذاه من قومه، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم اللّه، ويدمرهم، ولكنه ﷺ حليم حكيم يهدف إلى الغـــاية العظمى، وهي رجـــاء إســـلامهم، أو إســـلام ذرياتهم، ولهذا ﴿ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء، صلوات اللّه وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدْمَوْهُ وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾ [(٢)] [(٣)].

ومما يدل على أن الحلم ركن من أركـــان الحكمة ملازمة صفة الحلم للأنبياء قبل النبي ﷺ في دعوتهم إلى اللّه تعالى.

فهذا إبراهيم أبو الأنبياء، عليه وعليهم الصلاة والسلام، قد بلغ من الحلم مبلغًا عظيمًا حتى وصفه الله بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [(٤)]. فقـــد كان إبراهيم كثـــير الدعاء، حليمًا عمن ظلمه، وأناله مكروهًا، ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ

---

(١) انظر : فتح الباري ٧/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٢) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٩٠) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٩٢) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٢٥) ، أحمد (١/٤٥٧) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حدثنا أبو اليمان ٦/ ٥١٤ ، ومسلم ، في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٧ .

(٤) سورة التوبة ، ١١٤ .

ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [1].

فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له، واستغفر [2]. ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [3].

وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين، كانوا من أعظم الناس حلمًا مع أقوامهم في دعوتهم إلى الله – تعالى – [4].

ومن وراء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يأتي الدعاة إلى الله والصالحون من أتباعهم، وإذا كان اللّه ﷻ قد جعل محمدًا ﷺ مثلاً عاليًا في الحلم، فقد أراد لأتباعه أن يسيروا على نهجه وسنته، ولذلك يقول – تعالى – عن الأخيار من هؤلاء. ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [5].

فمن صفاتهم أنهم أصحاب حلم، فإذا سفه عليهم الجهال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله ﷺ لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا [6].

فعن النعمان بن مقرن المزني، قال: ﴿ قال رسول الله ﷺ وسبّ رجل رجلًا عنده، فجعل المسبُوبُ يقول: عليك السلام، فقال رسول اللّه ﷺ " أما إن ملكاً بينكما يذب عنك كلما يشتمك هذا، قال له: بل أنت وأنت أحق به، وإذا قال له: عليك السلام،

(١) سورة مريم ، ٤٦ – ٤٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٦ ، والبغوي ٢/ ٣٣٢ ، والأخلاق الإسلامية للميداني ٢/ ٣٣٢ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ١١٤ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ١١٤ ، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ١/ ١٨٥ .

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٣ .

(٦) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣١٠ ، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٥٦ ، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٤٠ .

قال. بل لك، أنت أحق به ﴾ [1] [2].

فهؤلاء الدعاة إلى اللّه والصالحون إذا خاطبهم الجاهلون قالوا صوابًا وسدادًا، ويردون المعروف من القول على من جهل عليهم [3]؛ لأن من أخلاقهم العفو والصفح عمن أساء إليهم، فقد تخلقوا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعةً، حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [4]

فترتب على هذا الحلم، والعفو، والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير [5] كما قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [6].

ومما يبين حلم أصحاب النبي ﷺ من بعده وإن كانوا خلفاء وأمراء، ما رواه البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قدم عيينة بن حصن ابن حذيفة فنزل على أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فو اللّه ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر. يا أمير المؤمنين، إن الله – تعالى –

---

(١) أحمد (٥/٤٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٤٥ ، وقال ابن كثير في تفسيره : إسناده حسن ٣/ ٣٢٦ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٦ .

(٤) سورة الشورى ، الآية ٣٧

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ١١٨ ، وتفسير العلامة السعدي ٦/ ٦٢١ .

(٦) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [1] وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزَها عمر حين تلاها عَليه، وكان وقَّافا عند كتاب اللّه. [2].

وهذا الرجل قد جفا عمر أمير المؤمنين بعدة أمور تثير الغضب، وتجعله عرضة للانتقام والتأديب.

أول هذه الأمور، قوله: هي يا ابن الخطاب، ولم يقل: يا أمير المؤمنين.

والثاني: قوله: والله ما تعطينا الجزل، يعني العطاء الكثير.

والثالث: وهو أقبح الأمور الثلاثة، قوله: ولا تحكم بيننا بالعدل.

ومع هذا كله حلم عنه عمر وعفا عنه، وصفح عندما سمع الآية، وسمع قول الحر: إن هذا من الجاهلين، ووقف عند الآية، ولم يعمل بغير ما دلت عليه، بل عمل بمقتضاها، رضي الله عنه وأرضاه [3] وهذا يدل على كمال حلمه وحكمته التي استفادها من هدي رسول الله ﷺ فرسخت في ذهنه حتى كانت هيئة راسخة ثابتة في نفسه وخلقه.

وهذا يحتاج في بداية الأمر إلى جهاد وقوة، ولهذا قال ﷺ « ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » [4] [5].

ولا شك أن الغضب يهدم الحلم وينافيه، وصاحب الغضب لا يكون حليمًا، ولهذا قال ﷺ لمن قال أوصني: « لا تغضب » [6] [1].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٩٩ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة الأعراف ، باب : " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " ، ٨/ ٣٠٤ .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/ ٢٥٩ ، ٨/ ٣٠٥ ، ١٣/ ٢٥٠ .

(٤) البخاري الأدب (٥٧٦٣) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٠٩) ، أحمد (٢/٢٦٨) ، مالك الجامع (١٦٨١) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٨ ، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شئ يذهب الغضب ٤/ ٢٠١٤ .

(٦) البخاري الأدب (٥٧٦٥) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٠) ، أحمد (٢/٤٦٦) .

والداعية إلى اللّه يستطيع أن يتصف بالحلم، ليكون حكيمًا، وذلك بعلاج الغضب إذا حل به ونزل، ولا يكون العلاج النافع إلا بما شرعه الله. وبينه رسوله ﷺ فقد عمل على تربية المسلمين تربية قولية وفعلية عملية حتى يكونوا حلماء، حكماء.

علاج الغضب بالأسباب المشروعة

علاج الغضب:

وعلاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقين:

الطريق الأول: الوقاية:

ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه باجتناب أسبابه، واستئصالها قبل وقوعها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يطهر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتيه، والحرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل وما شابه ذلك [(٢)].

الطريق الثاني: العلاج إذا وقع الغضب:

وينحصر في أربعة أنواع كالتالي:

النوع الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال اللّه تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [(٣)]. وعن سليمان ابن صُردٍ رضي الله عنه قال: ﴿ استَبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسبّ صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ إني لأعلمُ كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ باللّه من

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٨ ، والحديث فيه : فردد مرارا ، قال : " لا تغضب " .

(٢) انظر : الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية ، للدكتور صبحي محمصاني ، ص٢٢٧ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٠ ، وانظر : سورة المؤمنون ، الآية ٩٧ ، وسورة فصلت ، الآية ٣٦ .

الشيطان الرجيم ﴾ [(١)] [(٢)].

ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عيانًا، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يُرى، وهو شيطان الجن، جعل الله سبحانه المخرج من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شر شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه [(٣)] وما أحسن ما قاله القائل:

فما هو إلا الاستعاذة ضارعًا ... أو الدفع بالحسنى هما خير مطلوب

فهذا دواء الداء من شر ما يُرى ... وذاك دواءُ الداء من شر محجوب [(٤)]

النوع الثاني: الوضوء، عن عطية السعدي ﷺ قال: ﴿ قال رسول الله ﷺ " إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِقَ من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ﴾ [(٥)] [(٦)].

النوع الثالث: تغيير الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو الخروج، أو غير ذلك، عن أبي ذر ﷺ قال: إن رسول اللّه ﷺ قال لنا: ﴿ إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلّا فليضطجع ﴾ [(٧)] [(٨)].

النوع الرابع: استحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من

---

(١) البخاري الأدب (٥٧٦٤) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٦١٠) ، أبو داود الأدب (٤٧٨١) ، أحمد (٣٩٤/٦) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ١٠/ ٥١٨ ، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب٤/ ٢٠١٥ .

(٣) انظر : سورة الأعراف ، الآية ٢٠٠ ، وسورة المؤمنون ، الآية ٩٧ ، وسورة فصلت ، الآية ٣٦ .

(٤) انظر : زاد المعاد ٢/ ٤٦٢ - ٤٦٣ بتصرف يسير . وأضواء البيان ٢/ ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٥) أبو داود الأدب (٤٧٨٤) ، أحمد (٢٢٦/٤) .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ٤/ ٢٤٩ ، قال الشيخ عبد العزيز ابن باز : وإسناده جيد ، وانظر : تهذيب السنن ٧/ ١٦٥ - ١٦٨ ، وعون المعبود ١٣/ ١٤١ .

(٧) الترمذي الصلاة (٤٢٠) ، أبو داود الصلاة (١٢٦١) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٩٩) .

(٨) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٥٢ ، وأبو داود في الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ٤/ ٢٤٩ ، وابن حبان ص٤٨٤ (موارد) ، وشرح السنة للبغوي ١٣/ ١٦٢ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رجال أحمد رجال الصحيح ٨/ ٧٠ ، وانظر صحيح سنن أبي داود ٣/ ٩٠٨ .

الخذلان العاجل والآجل، عن معاذ رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: ﴿ من كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه اللّه عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره اللّه من الحور ما شاء ﴾ [1] [2].

وهذه الأنواع أدلة ثبوتها واضحة من الكتاب والسنة.

الأسباب التي تدعو إلى الحلم

وإذا أراد الداعية أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته، فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم، فليعمل بها، وهي عشرة:

١ – الرحمة بالجهال، فإنها من أوكد أسباب الحلم.

٢ – القدرة على الانتصار؛ وذلك من سعة الصدر، وحسن الثقة.

٣ – الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

٤ – الاستهانة بالمسيء:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

٥ – الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.

٦ – التفضل على السّاب، وهذا من الكرم وحب التألف.

٧ – قطع السباب، وهذا من الحزم كما قال الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى ... وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا

٨ – الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا مما يقتضيه الحزم، فقد قيل: الحلم حجاب الآفات.

٩ – الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد، قال الشاعر:

إن الوفاء على الكريم فريضة ... واللؤم مقرون بذي الإخلاف

١٠ – المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء، وقد قيل: من ظهر غضبه قل كيده.

وقال بعض الشعراء.

---

(١) الترمذي البر والصلة (٢٠٢١) ، أبو داود الأدب (٤٧٧٧) ، ابن ماجه الزهد (٤١٨٦) ، أحمد (٣/٤٤٠) .

(٢) سنن أبي داود في الأدب ، باب من كظم غيظا ٤/ ٢٤٨ ، والترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب حدثنا عبد بن حميد ٤/ ٦٥٦ ، وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب الحلم ٢/ ١٤٠٠ ، وانظر : صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٥ ، وصحيح ابن ماجه ٢/ ٤٠٧ ، وصحيح الجامع ٥/ ٣٥٣ ، وصحيح أبي داود ٣/ ٩٠٧ .

وَلَلْكــفُ عــن شـــتم اللئـــيم تكرمـــا أضر له مـــن شـــتمه حـــين يشـــتم [(١)]

فإذا راعى الداعية الوقـــاية من الغضب، والعلاج، وهذه الأسباب العشرة كان حليمًا بإذن اللّه – تعالى – وبهذا يحقق ركنًا من أركان الحكمة التي من أوتيها فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.

الغضب لإعلاء كلمة الله

وينبغي أن يعلم أن الغضب للّه يكون محمودًا، ولا يدخل في الغضب المذموم، فالغضب المحمود يكون من أجل الله عندما ترتكب حرمات الله، أو تترك أوامره ويستهان بها، وهذا من علامات قوة الإيمان، ولكن بشرط أن لا يخرج هذا الغضب عن حدود الحلم والحكمة، وقد كان رسول اللّه ﷺ يغضب للّه إذا انتهكت محارمـــه، وكـــان لا ينتقم لنفســـه، ولكن إذا انتهكت حرمـــات اللّه لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادمًا، ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل اللّه، وقد خدمه أنس بن مالك ﷺ عشر سنوات، فما قال له: أُفٍّ، قَطُّ، ولا قال له لشيء فعله. لم فعلت كذا، ولا لشيء لم يفعله ألا فعلت كذا؟ [(٢)].

وهذا لا ينافي الحلم والحكمة، بل الغضب للّه في حدود الحكمة من صميم الحلم والحكمة.

---

(١) انظر : أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ، المتوفى سنة ٤٥٠هـــ ، ص ٢١٤ .

(٢) انظر : عدة حالات غضب فيها النبي لله تعالى ، في البخاري مع الفتح ، في كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله – تعالى – ١٠/ ٥١٧ ، وانظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ص١٢٧ ، وفتح الباري ١٠/ ٥١٨ .

المطلب الثالث : الأناة :

تعريفها

الأناة في اللغة: التثبت وعدم العجلة، يقال: تَأنى في الأمر: مكث و لم يعجل، والاسم منه: أناة [(١)].

ويقال: تأنى في الأمر: ترفَّق، وتنظّر، وتمهل، واستأنى به: انتظر به وأمهله [(٢)].

وتأتي الأناة بمعنى التبيّن والتثبت في الأمور، يقال: تَبين في الأمر والرأي: تثبت، وتأنى فيه و لم يعجل [(٣)].

ويأتي التبين بمعنى: التبصر: التعرف والتأمل، يقال: تبصر الشيء، وتأمل في رأيه: تبين ما يأتيه من خيرٍ أو شرٍ [(٤)].

وعلى ضوء ما تقدم تكون الأناة هي: التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ [(٥)].

والأناة مظهر من مظاهر خُلق الصبر، وهي من صفات أصحاب العقل والرزانة، بخلاف العجلة فإنها من صفات أصحاب الرعونة والطيش، وهي تدل على أن صاحبها لا يملك الإرادة القوية القادرة على ضبط نفسه تجاه انفعالاته العجولة، وبخلاف التباطؤ والتواني فهما من صفات أصحاب الكسل والتهاون بالأمور، ويدلان على أن صاحبهما لا يملك القدرة على دفع همته للقيام بالأعمال التي تحقق له ما يرجو، أو ليس لديه همة عالية تنشد الكمال، فهو يرضى بالدنيات، إيثارًا للراحة، وكسلاً عن القيام بالواجب.

أهمية الأناة في الدعوة إلى الله بالحكمة

والأناة عند الداعية إلى اللّه – تعالى – تسمح له بأن يُحكم أموره، ويضع الأشياء في

---

(١) المصباح المنير ، مادة : انى ١/ ٢٨ .

(٢) انظر . مختار الصحاح ، مادة : أنى ، ص١٣ ، والمعجم الوسيط ١/ ٣١ .

(٣) انظر : المعجم الوسيط ، مادة : أبان ١/ ٨٠ ، ومادة : ثبت ١/ ٩٣ .

(٤) انظر : القاموس المحيط ، باب الراء ، فصل الباء ، ص ٤٤٨ ، ومختار الصحاح ، مادة : " بصر " ص٢٢ ، والمعجم الوسيط ١/ ٥٩ .

(٥) انظر . الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني ٢/ ٣٥٢ .

مواضعها، فهي ركن من أركان الحكمة، بخلاف العجلة فإنها تعرضه لكثير من الأخطاء، والإخفاق، والتعثر، والارتباك، ثم تعرضه للتخلف من حيث يريد السبق، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، وبخلاف التباطؤ والكسل فهو أيضًا يعرضه للتخلف والحرمان من تحقق النتائج التي يرجوها [(١)].

والداعية مطلوب منه أن يتخلق بخلق الأناة، ولكن ما يتطلب من الأمور عملاً سريعًا فالحكمة السرعة إذن، وهي لا تخرج عن الأناة، فالقضية نسبية، وما يتطلب من الأمور عملاً بطيئًا فالحكمة البطء إذن، وهو لا يخرج عن الأناة؛ لأن الأمر نسبي، وليس للأناة مقادير زمنية ثابتة؛ ولكنها تختلف باختلاف حاجة الأشياء إلى مقدار السرعة الزمنية التي تحتاجها وتستدعيها النتائج المطلوبة، فالأشياء مربوطة بأوقاتها، والعجلة فيها مع معرفة أوقاتها المطلوبة خلقٌ مذموم يدل على ضعف خلق الصبر، ونقص الحكمة، والتباطؤ فيها خلق مذموم يدل على ضعف الهمة والإخلاد إلى الراحة والكسل، أما الأناة فليست تعجلًا ومسابقة لأوقات الأشياء، ولا تباطؤا وكسلاً، وكل من العجلة والتباطؤ يضيعان على أصحابهما الجهد والزمن، وما بذلوه، والأناة هي الكفيلة – بإذن الله تعالى – بتحقيق المطلوب، وتفادي الخسارة.

وقد ذم الإسلام الاستعجال ونهى عنه، وذم التباطؤ والكسل ونهى عنه، ومدح الأناة وأمر بها، وعمل على تربية المسلمين على الأناة والتثبت الحكيم في القيام بالأعمال وتصريف الأمور [(٢)].

قال الله – تعالى – للنبي ﷺ تربية له وتعليماً: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٣)].

فأمر سبحانه نبيه بعدم العجلة ومسابقة الملَك في قراءته، وتكفل اللّه له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره. [(٤)].

(١) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني ٢/ ٣٥٣ ، وأخلاق القرآن الكريم ٣٠/ ١٥ .

(٢) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ٢/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ بتصرف .

(٣) سورة القيامة ، الآيات ١٦ – ١٩ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٠ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

وأمر سبحانه عباده المؤمنين والدعاة إلى الله – تعالى – بالتأني في الأمور والتثبت فيها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[2] قرأ الجمهور: ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[3] من التَبين، وهو التَأمل، وقرأ حمزة والكسائي: (فَتَثَبّتُوا)، والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهرْ[4].

والدعاة إلى اللّه أولى بامتثال أمر اللّه – تعالى – بالتأني والتثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها قبل الحكم عليها أو لها، وعليهم أن يتدبروا الأمور على مهلٍ، غير متعجلين؛ لتظهر لهم جلية واضحة، لا غموض فيها ولا التباس. [5].

ذم الإسلام للعجلة ومدح الأناة

والداعية إلى الله – تعالى – إذا أبصر العاقبة أمِنَ الندامة، ولا يكون ذلك إلا إذا تدبر جميع الأمور التي تعرض له، ويواجهها، فإذا كانت رشدًا، وحقًّا، وصوابًا فليمض، وإذا كانت غيًّا، وضلالًا، وظنًّا خاطئًا، فليقف وينته حتى يتضح له الحق.

والمشـــاهَد والواقـــع أن عدم التثبت وعدم التأني يؤديان إلى كثير من الأضرار والمفاسد، فقد يسمع الإنسان خبرًا، أو يقرأ نبأ في صحيفة، أو مجلة، فيسارع بتصديقه، ويعادي ويصادق، ويبني على ذلك التصرفات والأعمال التي يصدرها للمقاومة أو الموافقة، على أساس أنه حق واقع، ثم يظهر أنه كان مكذوباً، أو محرفًا، أو مزورًا، أو مبالغًا فيه، أو

(١) سورة طه ، الآية ١١٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٦ .

(٣) سورة الحجرات آية : ٦ .

(٤) انظر : فتح القدير ، للإمام الشوكاني ٤/ ٦٠ .

(٥) انظر : في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٣٤ ، وموسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ٣/ ١٥ .

مرادًا به غير ما فهمه الإنسان، ومن هنا يكتوي المتسرع بلهب الندم والحسرة بسبب استعجاله وعدم تثبته.

وقد يصاب الداعية أو غيره من المسلمين بأذى دون أن يعرف مصدره، فيستعجل ويسارع فيتهم هذا، أو يسب ذاك، فيندم ويحصد ثمرة عجلته وعدم تثبته، ولو أنـــه تأنى، وتبين، وتثبت؛ لأدرك مصدر الأذى على حقيقته، وحينئذ يصدر التصرف على أساس البينة والبرهان، فلا يفقد أصدقاء له، ولا يضيف إلى أعدائه عدوًا جديدًا منهم.

ويدخل في العجلة وعدم التثبت تعجل الإنسان في المدح أو الذم، دون دراية أو دون موجب لذلك، أو يتعجل بالكلام قبل أن يديره على عقله، أو بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمد عليه، وبنى عليه فتواه، وبعد ذلك يحصد الغم والأسف [1] ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ [2].

ولعظم أمر الأناة والتبين أمر الله بهما حتى في جهاد الكفار في سبيل اللّه الذي هو من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [3].

ومن المعلوم أن الأمور قسمان: أمور واضحة، وأمور غير واضحة.

فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الداعية خاصة والمسلمين عامةً بحاجة إلى التثبت فيها والتبين، فإن ذلك يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة ما يجعل

(١) انظر : موسوعة أخلاق القرآن الكريم ٣/ ٢٦ ، وفي ظلال القرآن ٦/ ٣٣٤٢ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ١١ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٩٤ .

المسلم في سلامة عن الزلل، وبذلك يُعْرَف دين العبد وعقله ورزانته [(١)].

ومما يزيد الآية السابقة وضوحًا ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [(٢)] قال: كان رجل في غُنَيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غُنَيمته، فأنزل اللّه في ذلك إلى قوله: ﴿ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [(٣)] تلك الغُنَيمة، وقرأ ابن عباس: السلام [(٤)].

﴿ وعن أسامة بن زيد – رضي اللّه عنهما – قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، قال: فصبّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا اللّه، قال: كف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: " يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا اللّه؟ قال: قلت: يا رسول اللّه، إنما كان متعوذًا، قال: فقال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا اللّه، قال: فما زال يُكرّرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلم قبل ذلك اليوم ﴾ [(٥)] [(٦)].

وفي رواية قال: ﴿ قلت يا رسول اللّه: إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: " أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا "، فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٢/ ١٣٢ .

(٢) سورة النساء آية : ٩٤ .

(٣) سورة النساء آية : ٩٤ .

(٤) البخاري مع الفتح ، باب التفسير ، سورة النساء ، باب : ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ٨/ ٢٥٨ .

(٥) البخاري الديات (٦٤٧٨) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٥/٢٠٠) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي أسامة إلى الحرقات ٧/ ٥١٧ ، ١٢/ ١٩١ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/ ٩٧ .

يومئذ ﴾ [1] [2].

وفي رواية: ﴿ كيف تصنع بلا إله إلا اللّه إذا جاءت يوم القيامة؟ " قال: يا رسول اللّه: استغفر لي، قال: " وكيف تصنع بلا إله إلا اللّه إذا جاءت يوم القيامة؟ ". قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: " كيف تصنع بلا إله إلا اللّه إذا جاءت يوم القيامة ﴾ [3] [4].

النبي ﷺ أعظم الناس أناةً وتثبّتًا

ولهذا كان النبي ﷺ أعظم الناس أناةً وتثبّتًا، فكان لا يقاتل أحدًا من الكفار إلا بعد التأكد بأنهم لا يقيمون شعائر الإسلام ﴿ فعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم ﴾ [5] [6].

وكان ﷺ يعلم ويربي أصحابه على الأناة والتثبت في دعوتهم إلى الله – تعالى – ومن ذلك أنه كان يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إلى إحدى ثلاث خصال:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

(ب) فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

---

(١) البخاري الديات (٦٤٧٨) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٢٠٧/٥) .

(٢) مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/ ٩٦ .

(٣) مسلم الإيمان (٩٧) .

(٤) أخرجه مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/ ٩٧ .

(٥) البخاري الأذان (٥٨٥) ، مسلم النكاح (١٣٦٥) ، الترمذي السير (١٥٥٠) ، النسائي المواقيت (٥٤٧) ، أبو داود الخراج والإمارة والفيء (٢٩٩٨) ، أحمد (٢٠٦/٣) ، مالك الجهاد (١٠٢٠) .

(٦) البخاري مع الفتح بلفظه مطولًا ، في كتاب الأذان ، باب ما يحقن بالأذان من الدماء ٢/ ٨٩ ، ومسلم ، في الصلاة ، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان ١/ ٢٨٨ .

(ج) فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم [1].

ومن تربيته لأصحابه ﷺ على الأناة وعدم العجلة قوله: « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة فما أدركْتُمْ فصلّوا، وما فاتكم فأتموا » [2] [3].

وقوله: « إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني قد خرجت » [4] [5].

ولسُمُوِّ الأناة أحبها اللّه ﷻ قال ﷺ للأشج: « إن فيك خصلتين يحبهما اللّه: الحلم والأناة » [6] [7].

والرسل عليهم الصلاة والسلام هم صفوة الخلق وقدوتهم، وهم أكمل الناس أناةً وحلمًا، وأعظمهم في ذلك وأوفرهم حظّا محمد ﷺ.

ومن أمثلة ذلــك قصة سليمان مع الهدهد وتثبته وعدم عجلته، قال سبحانه عن ذلك: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١ ﴾ [8].

---

(١) أخرج الحديث مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ٣/ ١٣٥٧ ، وانظر : زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٠٠ .

(٢) البخاري الجمعة (٨٦٦) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٠٢) ، الترمذي الصلاة (٣٢٧) ، النسائي الإمامة (٨٦١) ، أبو داود الصلاة (٥٧٢) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٧٥) ، أحمد (٢/٥٢٩) ، مالك النداء للصلاة (١٥٢) ، الدارمي الصلاة (١٢٨٢) .

(٣) البخاري مع الفتح؛ كتاب الجمعة ، باب المشي إلى الجمعة : وقوله : فاسعوا إلى ذكر الله ٢/ ٣٩٠ ، ومسلم في المساجد ، باب استحباب إتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعيا ١/ ٤٢٠ .

(٤) البخاري الأذان (٦١١) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٠٤) ، الترمذي الجمعة (٥٩٢) ، النسائي الأذان (٦٨٧) ، أبو داود الصلاة (٥٣٩) ، الدارمي الصلاة (١٢٦١) .

(٥) مسلم ، في كتاب المساجد ، باب متى يقوم الناس للصلاة ١/ ٤٢٢ .

(٦) مسلم الإيمان (١٧) .

(٧) مسلم ، في الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله – تعالى – ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه ، ١/ ٤٨ .

(٨) سورة النمل ، الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

فهذا الهدهد من جنود سليمان ﷺ كان غائباً بغير إذن سليمان، وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم والجد في تنظيم الجنود حتى لا تكون فوضى، فإن سليمان إذا لم يأخذ بذلك في تنظيم الجنود ومراقبتهم كان المتأخر منهم قدوة سيئة لبقية الجنود، ولهذا نجد سليمان النبي الملك الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف، ولكن سليمان ليس ملكًا جبارا في الأرض، ولا متسرعًا عجولًا، وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يترك الأناة والتثبت ويقضي في شأنه قضاءً نهائيًا قبل أن يسمع منه ويتبين عذره، ومن ثم تبرز سمة النبي العادل المتثبت ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [1] أي: حجة قوية واضحة توضح عذره وتنفي المؤاخذة عنه [2].

فالأناة صفة جميلة، وتكون أجمل إذا جاءت من القادر على العقاب، ولهذا قال الشاعر ابن هانئ المغربي:

وكــل أنــاة في المــواطن ســؤدد ... ولا كأنــاة مــن قــدير محكــم

ومــن يتــبين أن للصــفح موضــعًا ... من السيف يصفح عن كـثير ويحلـم

وما الــرأي إلا بعــد طــول تثبــت ... ولا الحــزم إلا بعــد طــول تلــوم

وقال الشاعر يمدح عاقلًا حكيمًا:

بصــير بأعقــاب الأمــور كأنمــا ... يخاطبــه في كــل أمــر عواقبــه [3]

والداعية إلى اللّه ﷻ إذا تثبت، وتأمل في جميع أموره اكتسب ركنا من أركان الحكمة، وينبغي ألا يقتصر في منهجه المتكامل على التأني والتثبت في الأفعال والأقوال فحسب، بل عليه أن يجري ذلك على القلب قي خواطره، وتصوراته، وفي مشاعره وأحكامه ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ

(١) سورة النمل آية : ٢١ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/ ٢٦٣٨ ، وفقه الدعوة في إنكار المنكر ، لعبد الحميد البلالي ، ص١٧ .

(٣) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ، للدكتور الشرباصي ٣/ ٢٧ .

مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾ ﴾ [1].

فلا يقول اللسان كلمة، ولا يروي حادثة، ولا يحكم العقل حكمًا، ولا يبرم الداعية أمرًا إلا وقد تثبت من كل جزئية، ومن كل ملابسة، ومن كل نتيجة، حتى لا يبقى هنالك شك ولا شبهة في صحتها، وحينئذ يصل الداعية المسلم المتمسك بهذه الضوابط إلى أعلى درجات الأناة والحكمة والسداد - بإذن اللّه تعالى - [2].

أما العجلة فهي مذمومة، قال سبحانه عن فرعون: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ ﴾ [3] استخفهم وحملهم على الضلالة والجهل، واستخف عقولهم، يقال: استخفه عن رأيه: إذا حمله على الجهل وأزاله عما كان عليه من الصواب [4].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [5] ولا شك أن الإنسان قد خلق من عجل ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ ﴾ [6]؛ ولكنه - بحمد اللّه - إذا امتثل أمر اللّه وترك نهيه حسنت أخلاقه وطَبائعه.

أسباب العجلة وعلاجها

والعجلة لها أسباب ينبغي اجتنابها، منها: عدم النظر في العواقب، وسنن اللّه في الكون، ومنها الشيطان عدو الإنسان، فإن أساس العجلة من الشيطان؛ لأنه الحامل عليها بوسوسته، فيمنع من التثبت والنظر في العواقب، فيقع المستعجل في المعاطب والفشل [7] ولذلك قيل:

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٣٦ .

(٢) انظر في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢٧ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٥٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٠ ، وشرح السنة للبغوي ١٣/ ١٧٥ .

(٥) سورة الروم ، الآية ٦٠ .

(٦) سورة الأنبياء ، الآية ٣٧ .

(٧) انظر : شرح السنة للبغوي ١٣/ ١٧٦ ، وفيض القدير شرح الجامع الصغير٣/ ١٨٤ .

يـــا صـــاحبي تلومـــا لا تعجـــلا إن النجاح رهـين أن لا تعجـلا

وقال عمرو بن العاص ﷺ لا يزال الرجل يجني من ثمرة العجلة الندامة [١].

وينبغي أن يُعْلَم أن العجلة المذمومة ما كان في غير طاعة، ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت، ولهذا قيل لبعض السلف. لا تعجـل، فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [٢].

وقد قال بعض السلف: لا تعجل عجلة الأخرق وتحجم إحجام الواني.

والخلاصة: أنه يستثنى من العجلة ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ [٣].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال الأعمش: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ " التُؤَدَةُ [٤] في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة " [٥].

وعن عبـد الله بن سرجس المـزني، أن النبي ﷺ قال: ﴿ السَّمْتُ [٦] الحسن، والتؤَدَةُ، والاقتصاد [٧] جزء من أربعةٍ وعشرين جزءاً من النبوة ﴾ [٨].

وبهذا يعلم أن الأناة في كل شيء محمودة وخير إلا ما كان من أمر الآخرة، بشرط

(١) انظر : تحفة الأحوذي شرح الترمذي٦/ ١٥٣ .

(٢) سورة طه ، الآية ٨٤ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٩٠ .

(٤) التؤَدَةُ . التأني . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٣/ ٢٧٧ ، وعون المعبود ٣/ ١٦٥ .

(٥) أبو داود ، كتاب الأدب ، باب الرفق ٤/ ٢٥٥ ، والحاكم بلفظه وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي١/ ٦٤ ، وانظر . صحيح سنن أبي داود٣/ ٩١٣ . وذلك لأن الحزم بذل الجهد في عمل الآخرة؛ لتكثير القربات ورفع الدرجات لأن في تأخير الخيرات آفات . انظر فيض القدير٣/ ٢٧٧ ، وعون المعبود٣/ ١٦٥ .

(٦) السمت الحسن . هو حسن الهيئة والمنظر ، انظر فيض القدير للمناوي ٣/ ٢٧٧ .

(٧) الاقتصاد : هو التوسط في الأمور والتحرز عن طرفي الإفراط والتفريط . انظر : المرجع السابق٣/ ٢٧٧ .

(٨) الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب مـا جاء في التأني والعجلة٤/ ٣٦٦ ، وانظر : صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩٥ .

مراعاة الضوابط التي شرعها اللّه حتى تكون المسارعة مما يحبه الله تعالى. [1].

وعن أنس بن مالك ﷺ يرفعه: ﴿ التأني من اللّه والعجلة من الشيطان ﴾ [2] [3].

المبحث الرابع: طرق اكتساب الحكمة.

تمهيـــد: أهمية اكتساب الحكمة.

المطلب الأول: السلوك الحكيم.

المطلب الثاني: العمل بالعلم المقرون بالصدق والإخلاص.

المطلب الثالث: الاستقامة.

المطلب الرابع: الخبرات والتجارب.

المطلب الخامس: السياسة الحكيمة.

المطلب السادس: فقه أركان الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) انظر : شرح السنة للبغوي١٣/ ١٧٧ ، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي٦/ ١٥٣ .

(٢) الترمذي البر والصلة (٢٠١٢) .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣/ ١٠٥٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٠٤٠ وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة٤/ ٤٠٤ : هذا إسناد حسن رجاله ثقات .

المبحث الرابع : طرق اكتساب الحكمة

تمهيـــد:

الحكمة هبة وفضل من الله – عز وجـــل – يهبها لمن يشاء من عباده وأوليائـــه، والحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء له طرق تحصيلها، فالعبـــد لا يكون حكيمًا إلا إذا سلك طرق تحصيل الحكمة، ولا يمكن أن يحصل على الحكمة إلا إذا كانت طرقها مستقاة من الكتاب والسنة، وإذا وفق الداعية المسلم لطرق الحكمة فلا يخرجها ذلك عن كونها هبة من اللّه تعالى، لقوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ [(١)] بل الله الذي وفقه وسدده، وأعطاه خيرًا كثيرًا، جليلًا قدره، عظيماً نفعه، ولهذا استنبط بعض المحققين من قوله: ﴿ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ [(٢)] أن إيتاء الحكمة خير من الدنيا وما فيها كلها؛ لأن اللّه وصف الدنيا في قوله: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [(٣)] فدل ذلك على أن ما يؤتيه الله من حكمته خير من الدنيا وما عليها؛ لأن من أوتيها خرج من ظلمة الجهل إلى نور الهدى، ومن الانحراف في الأقوال والأفعال إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد والاعتدال، والبصيرة المستنيرة، وإتقان الأمور وإحكامها، وتتريلها منازلها، وهذا كله من أفضل العطايا وأجل الهبات [(٤)].

والحكمة لها طرق تكتسب بها بتوفيق الله تعالى، ومن أهم هذه الطرق التي إذا سلكها المسلم صار حكيمًا بإذن الله تعالى ما يأتي:

العلم النافع، والحلم، والأناة، والرفق واللين، والإخلاص والتقوى، والصبر والمصابرة،

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٧٧ .

(٤) انظر : صفوة الآثار والمفاهيم للعلامة عبد الرحمن الدوسري٤/ ١٣١ ، وتيسير الكريم الرحمن ١/ ٣٣٢ ، وفي ظلال القرآن١/ ٣١٢ ، ولقمان الحكيم وحكمه ص٣٠ .

والسلوك الحكيم، والعمل بالعلم، والاستقامة، والخـــبرات والتجارب، وجهاد النفس والشيطان، وعلو الهمة، والعدل، والدعاء، والاستخارة والاستشارة [1] وفقه وإتقان أركان الدعوة إلى اللّه تعالى.

وسأذكر في هذا المبحث بالتفصيل بعض هذه الطرق التي إذا سلكها الداعية المسلم – مع ما تقدم من الطرق – كان حكيمًا في أقواله وأفعاله، وتصرفاته، وأفكاره، موافقًا للصواب في جميع أموره بإذن الله تعالى، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: السلوك الحكيم.

المطلب الثاني: العمل بالعلم والإخلاص.

المطلب الثالث: الاســـتقامة.

المطلب الرابع: الخبرات والتجارب.

المطلب الخامس: الســـياسة الحكـــيمة.

المطلب السادس: فقه أركان الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الأول: السلوك الحكيم:

مفهوم السلوك وأهميته في اكتساب الحكمة :

السلوك: مصـــدر سلك طريقًـــا، وسلك المكـــان يسلكـــه سلكـــا وسلوكًا [2] وسلكه غيره.

والسلوك: سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال: فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك [3].

أما الخلق فهو: حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير

(١) انظر : هذه الطرق بالتفصيل في هذا الكتاب في الصفحات التالية : ٤٣ ، ٩٠ ، ٩٣ – ٩٧ ، ١٢٠ – ١٢٢ و ٥٤٢ – ٥٤٧ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، حرف الكاف فصل السين١٠/ ٤٤٢ .

(٣) المعجم الوسيط ، مادة (سلك)١/ ٤٤٥ .

حاجة إلى فكر وروية، وجمعه: أخلاق.

والأخــلاق علم موضــوعه أحكــام قيمة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح [1] وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكون طبيعيّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج لأدنى سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، كمن يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه.

القسم الثاني: ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه حتى يصير ملكة وخلقًا [2].

والسلوك عمل إرادي، كقول الصدق، والكذب، والبخل، والكرم، ونحو ذلك.

فاتضح أن الخلق حالة راسخة في النفس وليس شيئًا خارجًا مظهريا، فالأخلاق شيء يتصل بباطن الإنسان، ولا بد لنا من مظهر يدلنا على هذه الصفة النفسية، وهذا المظهر هو السلوك، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فنحن نستــدل من السلوك المستمر لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق، ورمز له، وعنوانه، فإذا كان السلوك حسنا دل على خلق حسن، وإن كان سيئا دل على خلق قبيح، كما أن الشجرة تعرف بالثمر، فكذلك الخلق الطيب يعرف بالأعمال الطيبة [3].

والحكمة تتفرع إلى فروع، وأحد هذه الفروع هو السلوك الحكيم، والتزام فضائل الأخــلاق، واجتناب رذائلها ظاهرًا وباطنًا هو السلوك الأخلاقي الحكيم [4].

والداعية إذا التزم السلوك الأخلاقي الحكيم كان ذلك من أعظم طرق اكتساب الحكمة، ومن أسباب توفيق الله له في دعوته، وفي أموره كلها، واستقامته، وحسن سيرته،

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة (خلق)١/ ٢٥٢ .

(٢) انظر : مقدمة في علم الأخلاق ، د محمود حمدي زقزوق ص٣٩ .

(٣) انظر : مقدمة في علم الأخلاق ص ٤٣ .

(٤) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني ١/ ١٣ .

وأدعى لقبول دعوته، وإصلاح الأخلاق، ومحـــاربة المنكرات، إذ لا يجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي، سواء كان ذلك قبل قيامه بالدعوة أو بعده، وكثيرًا ما سمعنا أن أناسًا قاموا بدعوة الإصلاح، وخاصة إصلاح الأخلاق، وكان من أكبر العوامل في إعراض الناس عنهم، وعن دعوتهم ما يذكرونه لهم من ماض ملوّث، وخلق غير مستقيم، بل إن هذا الماضي السيئ مدعاة للشك في صدق مثل هؤلاء الدعاة، بحيث يتهمون بالتستر وراء دعوة الإصلاح؛ لأغراض خاصة، أو يتهمون بأنهم ما بدءوا بالدعوة إلى الإصلاح إلا بعد أن قضوا بعض أوقـــات أو مراحـــل أعـــمارهم، وأخذوا نصيبهم من ملذات الحياة وشهواتها، وأصبحوا في وضع أو عمر لا أمل لهم فيه بالاستمرار فيما كانوا يبلغون فيه من عرض أو مال، أو شهرة، أو جاه.

أما الداعية المستقيم في شبابه وحياته كلها، فإنه يظل أبدًا بفضل الله رافع الرأس، ناصع الجبين، ولا يجد أعداء الدعوة سبيلا إلى غمزه بماض قريب أو بعيد، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف وسيلة إلى التشهير به، أو دعوة الناس إلى الاستخفاف به وبشأنه.

ولا شك أن الله عز وجل يقبل توبة التائب المقبل عليه بصدق وإخـــلاص، ويمحو بحسناته الحاضرة سيئاته المنصرمة. والداعية إذا استقامت سيرته، وحسنت سمعته الطيبة الحميدة، وسلوكه الحكيم [1] نجح في دعوته بإذن الله تعالى.

وإذا سلك الداعية المسالك الحكيمة في سلوكه فقد سلك أعظم الطرق في اكتساب الحكمة، ومن هذه المسالك على سبيل المثال: ما يأتي:

المسلك الأول: قدوة الداعية في سلوكه.

المسلك الثاني: أصول السلوك الحـــكيم.

المسلك الثالث: وصايا الحكماء باكتساب الحكمة.

المسلك الأول قدوة الداعية في سلوكه

(١) انظر : السيرة النبوية دروس وعبر ، للدكتور مصطفى السباعي ص ٣٩ .

المسلك الأول: قدوة الداعية في سلوكه

ينبغي للداعية أن يتخـــذ في سلوكه وأعماله كلها قدوة حكيمًا، وإمامًا نبيلاً، وهو محمد بن عبد اللّه ﷺ فقد كان حسن السيرة والسلوك، بل كان أعظم خلق الله في حسن خلقه الذي دل عليه سلوكه الحكيم، ولا غرابة فقد مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [1] وعرف قومه ذلك منه، ولكن صد بعضهم عن تصديقه الكبر والجحود ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] ولهذا عندما قال ﷺ لقومه: « أرأيتكم لو أخبرتُكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ "، قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » [3] [4].

وفي حديث أبي سفيان مع هرقـــل حينـــما سأله عن أحوال النبي ﷺ وسلوكه، قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: قلت: لا... ثم قال: ماذا يأمركم به؟ قال أبو سفيان: قلت: يقول: " اعبدوا اللّه وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة.. " ثم قال هرقل لأبي سفيان في نهاية الحديث: فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه " [5].

---

(١) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٣ .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٦٨٧) ، مسلم الإيمان (٢٠٨) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣٦٣) ، أحمد (١/٣٠٧) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة تبت ، باب حدثنا يوسف ٨/ ٧٣٧ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، ١/ ١٩٤ .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان ، ١/ ٣٢ .

فهذا الرسول الكريم هو قدوة الداعية، وإمامه الذي يسير على هديه، ويلتزم أخلاقه، وسلوكه، فقد كان ﷺ حسن السيرة والسلوك الحكيم في حياته كلها، ولم يتهم بشيء مما كان يعمله قومه، فقد نشأ ﷺ في مجتمع كثرت فيه المفاسد، وعمت فيه الرذائل: فالبغاء، والاستبضاع، والزنا الجماعي، والأفرادي، ونكاح أسبق الرجال ممن مات زوجها، والاعتداء على الأعراض والأموال والدماء، كل ذلك كان شائعًا في قومه قبل الإسلام، لا ينكره أحد، ولا تحاربه جماعة، هذا بالإضافة إلى وَأْدِ البنات، وقتل الأولاد خشية الفقر أو العار، ولعب الميسر، وشرب الخمر، أمور تعد في الجاهلية من المفاخر والتباهي، وليس من شرط أن يكون المجتمع كله يرتكب هذه الجرائم، وإنما عدم إنكارها هو دليل على الرضا بها، وهذا ما يدعو إلى انتشارها إلى جانب الأفكار الأخرى.

والنبي ﷺ لم يعمل أي عمل أو يباشر أي خلق من هذه الأخلاق الرذيلة، بل قد اتصف بجميع مكارم الأخلاق بين قومه، فكان صادقًا لا يعرف الكذب، أمينًا لا يعرف الخيانة، وفيًّا لا يعرف الغدر، حتى كان معروفًا في مجتمعه بهذه الصفات، مميزًا بها عن غيره، ولا يجهل ذلك أحد ممن عرفه، ولا يساويه في ذلك أحد من خلق الله، ولا ينكر ذلك أحد، سواء كان عدوًّا أو غيره، ولا يمكن أن يتهمه خصم، فقد بعث ﷺ وناصبَهُ قومه العداء، ولكن لم يستطع واحد منهم أن يتهمه بصفة غير لائقة أو خلق يعيبه به، ولو عرفوا شيئًا من ذلك – وقد عاش بينهم أربعين عامًا – لأراحهم من التنقيب عن خصلة غير حميدة يتهمونه بها عندما يحل الموسم، ويلتقي بالناس في الحج حتى يبعدوه عنهم فعجزوا عن ذلك، ووجدوا أن كلمة " ساحر " هي أنسب الصفات التي يطلقونها عليه حيث يفرق بدعوته إلى اللّه بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والرجل وزوجته، واتهموه بالجنون؛ لأنه خالف شركهم ودعا إلى عبادة الله وحده، ولم يستطيعوا أن يأتوا بأي خلق رذيل فينسبوه إليه ﷺ وعندما سألهم ﷺ عن صدقه قالوا: " ما جربنا عليك كذبًا " [(١)] ولهذا لُقِّبَ بين قومه بـــ " محمد الأمين " [(٢)]

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب حدثنا يوسف بن موسى ٨/ ٧٣٧ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، ١/ ١٩٤ ، وتقدم تخريجه .

(٢) أحمد في المسند من حديث السائب بن عبد الله بإسناد حسن ٣/ ٤٢٥ ، قال الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي وله شاهد من حديث علي رواه الطيالسي بترتيب الشيخ عبد الرحمن البنا ٢/ ٨٦ .

فالصـــدق والأمانة من أولى الأخلاق وأحكم السلوك التي يجب على الدعاة إلى اللّه الاتصاف والتخلق بها، والصدق يكون في: القول، والنية، والعزم، والعمل.

فالصدق في القول هو أشهر أنواع الصدق، ويكون بالأخبار، فإن نقل الداعية أو غيره من المسلمين خلاف الواقع وما هو عليه فهو كاذب ومفتر، ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1].

قال ﷺ ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ﴾ [2] [3].

والصدق في النية: الإخلاص في العمل لوجه الله تعالى.

والصدق في العزم على العمل، كأن يقول المسلم: لئن عافاني اللّه لأتصدقن في سبيله بكذا، فإذا عوفي دخل الصدق بالوفاء فيما نذر به.

وقـــد ذم اللّه – عز وجـــل – عدم الصدق بالوفاء بالعهد: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[4].

والصدق في العمل: يكون بأن لا يختلف ظاهر الداعية المسلم عن باطنه [5] فما أجمل، وما أحسن، وما أحكم، وما أكرم من سار على هديه ﷺ واتبع سلوكه الحكيم، وكل سلوكه حكيم ﷺ وكيف لا يكون كذلك وهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين، متممًا

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٠٥ .

(٢) البخاري الإيمان (٣٣) ، مسلم الإيمان (٥٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣١) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١) ، أحمد (٥٣٦/٢) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق ١/ ٨٩ ، ومسلم ، في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ١/ ٨٧ .

(٤) سورة التوبة ، الآيات ٧٥ – ٧٧ .

(٥) انظر : التاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر ١/ ٣٣ .

لمكارم الأخلاق، قال ﷺ ﴿ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ﴾ [1] [2].

وسُئلت عائشة – رضي اللّه عنها – عن خلقه، فقالت: " فإن خلق نبي اللّه ﷺ كان القرآن " [3].

ولنا فيه خير أسوة، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [4]. فحريٌّ بالداعية أن يلتزم سلوكه، وبذلك يكون حكيمًا في دعوته، موافقاً للصواب بإذن الله تعالى.

المسلك الثاني: أصول السلوك الحكيم

لقد جعل اللّه ﷻ للسلوك الحكيم قواعد عظيمة، إذا التزمها الداعية إلى اللّه ﷻ كان ذلك من أسباب توفيق الله له، واكتسابه الحكمة، ومن أجمع الآيات في هذا الشأن، قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [5].

وهذه الآية من أعظم قواعد السلوك الحكيم وأصوله العظيمة، فهي جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلا دخل فيها، وهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل، أو إحسان، أو إيتاء ذي قربى، فهي مما أمر اللّه به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء، أو منكر أو بغي، فهي مما نهى الله عنه.

وبهذا يُعْلَم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من

---

(١) أحمد (٢/٣٨١) .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى بلفظه ١٠/ ١٩٢ ، وأحمد٢/ ٣٨١ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٦١٣ ، وانظر : صحيح الجامع الصغير٣ ، برقم٢٨٣٠ ، والأحاديث الصحيحة ١/ ٧٥ ، برقم ٤٥ .

(٣) مسلم ، في صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض١/ ٥١٣ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٥) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال [1].

فهذه الأوامر والنواهي جمعت فضائل الأخلاق والآداب، وأنواع التكاليف التي رسمهـــا الله وحث عليها، لما فيها من إصلاح النفوس، وصلاح حال الأمم والشعوب [2] ولهذا قال عبد اللّه بن مسعود ﷺ " أجمع آية في كتاب الله للخير والشـــر الآية التي في النحل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [3]... الآية " [4].

والداعية المسلم من أولى الناس بتطبيق هذا السلوك الحكيم، فيكون عدلًا محسنًا، واصلا لأقربائه، مبتعدًا عن الفحشاء، والمنكر، والبغي.

والعدل: ضد الجور [5] وهو إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه [6] وأنواعه ثلاثة:

(أ) العدل بين العبد وربه، وهو: إيثار حق اللّه على حظ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والامتثال للأوامر، والاجتناب للزواجر.

(ب) العـــدل بين العبد وبين نفسه: منعها عما فيه هلاكها ودمارها، وإلزامها بتقوى اللّه في السر والعلن.

(جـ) العدل بين العبد وبين الخلق: ببذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من النفس بكل وجه، ولا يكون من الداعية إلى أحد مساءة بقول أو فعل، والصبر على ما يحصل منهم من البلوى، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل ما عليه [7].

---

(١) انظر : تفسير السعدي٤/ ٢٣٣ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب٤/ ٢١٨٩ - ٢١٩١ ، وتفسير المراغي ١٤/ ١٣٠ .

(٢) انظر : تفسير المراغي ١٤/ ١٣٠ .

(٣) سورة النحل آية : ٩٠ .

(٤) أخرجه الإمام الطبري بسنده في تفسيره ٤/ ١٠٩ .

(٥) انظر : القاموس المحيط١٣٣١ .

(٦) انظر : المعجم الوسيط ٢/ ٥٨٨ .

(٧) انظر : أحكام القرآن لابن العربي٣/ ١١٧٢ ، وأحكام القرآن للقرطبي١٠/ ١٦٦ ، وفي ظلال القرآن٤/ ٢١٩٠ .

والإحسان: مصدر أحسن يحسن إحسانًا، وهو على معنيين [1]

(أ) أحدهما متعد بنفسه، كقولك: أحسنت كذا، أي: حسَّنته وكملته، وهو منقول بالهمزة، من: حسن الشيء، وهذا المعنى يدل عليه حديث جبريل: ﴿ الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [2] [3].

وهذا المعنى راجع إلى إحسان العبادة وتكميلها وتحسينها، والقيام بها كما يحب الله – تعالى على الوجه الأكمل، ومراقبة الله فيها واستحضار عظمته وجلاله: حالة الشروع فيها، وحالة الاستمرار.

(ب) والمعنى الثاني: متعد بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى فلان، أي: أوصلت إليه ما ينتفع به، وهذا إيصال المنافع بأنواعها إلى الخلق، ويدخل في ذلك حتى الإحسان إلى الحيوانات [4].

ومن قواعد السلوك الحكيم التي تشتمل على عدة من أمهات الحكم العالية [5] قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾ [6]... الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ ﴾ [7].

فبين اللّه ﷻ في هذه الوصايا الحكيمة قواعد السلوك الحكيم، وبدأه بقاعدة التوحيد؛ ليقيم على هذه القاعدة البناء الاجتماعي كله، وآداب العمل والسلوك فيه، كما تربط بهذه العروة الوثقى جميع الروابط؛ فإن جميع ما في الحياة لا يقوم بناؤه إلا بالتوحيد، وكل

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/ ١٦٧ ، وتفسير السعدي ٤/ ٢٣٢ .

(٢) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٣) مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/ ٣٧ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/ ١٦٧ .

(٥) انظر : تفسير السعدي ٤/ ٢٧٩ ، وتفسير النسفي٤/ ١٣٠ ، والرياض الناضرة للسعدي ص ٨٧ .

(٦) سورة الإسراء الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٧) سورة الإسراء آية : ٣٩ .

سلوك لا يقوم ولا يستند إلى توحيد اللّه لا تقوم له قائمة، ولا يطلق عليه سلوكا حكيمًا، بل سلوكًا جاهليًّا [1].

وهذه الوصايا في سورة الإسراء من أعظم ما تكتسب به الحكمة، قال الإمام الشوكاني: " وترتقي إلى خمسة وعشرين تكليفًا " [2].

فاشتملت هذه الوصايا على خمس وعشرين حكمة، الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة [3].

ويختم اللّه ﷻ الأوامر والنواهي في الوصايا كـــما بدأها بربطها باللّه وعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك، وبيان أن هذه المذكورات بعض الحكمة التي يهدي إليها القرآن الذي أوحاه اللّه إلى رسوله ﷺ ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [4]، وهو ختام يشبه الابتداء، فتجيء محبوكة الطَرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام الحياة، قاعدة: توحيد اللّه وعبادته وحده دون ما سواه [5].

وبهذا يعلم أن من عمل بهذه القواعد، والتزم هذا السلوك الحكيم قد سلك أعظم طرق اكتساب الحكمة؛ لأن الحكمة معرفة الحق والصواب والعمل به، ولهذا قال تعالى: بعد أن ذكر الوصايا العشر في سورة الأنعام: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [6].

---

(١) انظر : في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٠٩ ، ٢٢٢٠ .
(٢) انظر : فتح القدير للشوكاني٣/ ٢٢٩ .
(٣) انظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير٢/ ٥٩٩ .
(٤) سورة الإسراء آية : ٣٩ .
(٥) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٤/ ٢٢٢٨ .
(٦) الوصايا العشر في سورة الأنعام ، الآيات : ١٥١ - ١٥٣ .

المسلك الثالث: وصايا الحكماء باكتساب الحكمة

الحكماء الذين آتاهم الله الحكمة يوصون باكتساب أصول الحكم التي من التزمها وعمل بها بإخلاص وصدق وفقه الله لاكتساب الحكمة، ومن ذلك ما أخبر الله به عن لقمان الحكيم ووصاياه الحكيمة التي آتاه الله إياها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1]... الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

هذه وصية حكيم لابنه، فهي نصيحة مبرأة من العيب، وصاحبها قد أوتي الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وهي تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية من وصايا هذا الحكيم لابنه يقرن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمرًا، وإلى تركها إن كانت نهيًا، وهذا يدل على أن الحكمة هي: العلم بالأحكام، وحكمها، ومناسباتها، ووضع الأشياء مواضعها.

ومن فضل الله على عباده ومنته أن قص عليهم هذه الحكم حتى يعملوا بها ويكتسبوها بفضله تعالى، وهذا الحكيم أمر ابنه بأصل الدين وهو التوحيد ونهاه عن الشرك بالله، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكر الله وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتثال أوامرهما ما لم يأمرا بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما بل يحسن إليهما، وأن لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك، وأمره بمراقبة الله ﷻ وخوفه القدوم عليه، وأنه تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلا أتى بها، فصور له عظمة علم الله، ودقة شموله، وإحاطته تصويرًا يرتعش له الوجدان

---

(١) سورة لقمان الآيتان: ١٢، ١٣.

(٢) سورة لقمان آية: ١٩.

البشري، وأوصاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ما أمره بتكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، حتى يحصل الكمال لغيره بعد كـمال نفسه، ولما علم هذا الحكيم أنه لا بد أن يُبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس أمره بالصبر على ما يحصل له من المشقة والأذى؛ فإنه لا بد وأن يواجه المتاعب التي يواجهها صاحب العقيدة الصحيحة، وبين له أن ذلك من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يقف لها إلا أهل العزائم؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصبر يسهل الله بذلك كل أمر عسير، كـما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ [1].

ومع ذلك كله من الأمر بجميع الحكم السابقة لم يغفل هذا الحكيم عن وصية ابنه بالآداب السامية، فنهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك حتى لا يتطاول على الناس فيفسد بالقدوة ما يصلح بالكلام.

فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، وهذا السلوك الحكيم أن يكون مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا بها، وحقيق بمن التزم هذه الوصايا – بصدق وإخلاص ورغبة فيما عند الله – أن يؤتيه الله الحكمة، ويوفقه للصواب في القول والعمل [2].

الأسباب التي اكتسب بها لقمان الحكمة

ومما يبين أن الإنسان يكتسب الحكمة بتوفيق الله ثم بالتزامه للسلوك الحكيم – رغبة فيما عند اللّه وطلبًا لرضاه – ما ذُكِرَ من الأسباب التي اكتسب بها لقمان الحكمة بعد توفيق الله له وتسديده، ومن ذلك: أنه وقف رجل على لقمان، فقال له: أنت لقمان، أنت عبد بني النحاس؟ قال:

نعم. قال: فأنت راعي الغنم الأسود؟ قال: أما سوادي فظاهر، فـما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك. قال: يا ابن أخي إن أنت صنعت ما أقول لك

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٤٥ ، وانظر : أيضا : سورة البقرة ، الآية ١٥٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير٣/ ٤٤٤ ، وفي ظلال القرآن٥/ ٢٧٨١ ، ٢٧٩٠ ، ٢٧٨٢ ، وتفسير السعدي ٦/ ١٥٩ ، ١٦١ .

كنت كذلك، قال: وما هو؟ قال لقمان: " غَضي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، وقيامي بعـــدتي، ووفـــائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني كـــما ترى "[(١)].

وسأله آخر عن السبب الذي بلغ به الحكمة، فقال: " قدر اللّه، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني "[(٢)].

وسأله آخر، فقال: " صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني "[(٣)].

وهذه الأخلاق الكريمة، والسلوك الحكيم يزخر بها كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ وليست من قول لقمان وحده، فاتضح بذلك أن الداعية إلى الله وغيره من المسلمين إذا سلك هذه المسالك اكتسب الحكمة بعون اللّه تعالى.

المطلب الثاني العمل بالعلم المقرون بالصدق والإخلاص :

العمل بالعلم بإخلاص، وصدق، ورغبة في رضى اللّه ﷻ من أعظم المطالب التي تكتسب بها الحكمة بتوفيق اللّه وتسديده وفضله وإحسانه.

والعلم هو ما قام عليه الدليل، وهو النقل المصدق والبحث المحقق، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ علم الكتاب والسنة، والمطلوب من الإنسان هو فهم معانيهما، والعمل بما فيهما، فإن لم تكن هذه همة حافظ القرآن وطالب السنة لم يكن من أهل العلم والدين[(٤)].

ولهذا كانت الحكمة عند العرب هي العلم النافع والعمل الصالح[(٥)].

قال شيخ الإســـلام ابن تيمية – رحمه اللّه –: " قـــال غير واحـــد من السلف: الحكمة معرفة الدين والعمل به "[(٦)].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٢٤ ، وعزاه بسنده إلى ابن وهب .

(٢) البداية والنهاية ٢/ ٢٢٤ ، وعزاه لابن أبي حاتم بسنده .

(٣) أخرجه ابن جرير بإسناده في تفسيره٢١/ ٤٤ ، وانظر : البداية والنهاية٢/ ١٢٤ .

(٤) انظر : مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٣٦/ ٦ ٣٣٨ ، ٢٣/ ٥٤ .

(٥) المرجع السابق ١٩/ ١٧٠ ، وتفسير العلامة السعدي ٦/ ١٥٤ .

(٦) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٢٢ ، ٢٣ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ٨٧ .

والعلم بلا عمل حجة على صاحبه يوم القيامة، ولهذا حذر اللّه المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون، فقال ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [(١)].

ومثل من يتعلم العلم ويزداد منه ولا يعمل به مثل رجل احتطب حطبًا فحزم حزمة، ثم ذهب يحملها فعجز عنها، فضم إليها أخرى [(٢)].

والداعية لا يكون حكيمًا في دعوته ما لم يعمل بعلمه، ولهذا ينفر الناس عنه، وتزل موعظته من القلوب كما يزل القطر من الصفا؛ لأن الكلام - في الغالب - إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان [(٣)] قال الشاعر: قال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره	**هلا لنفسك كان ذا التعليم**
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	**فإذا انتهت عنه فأنت حكيم**
فهناك يقبل ما تقول ويقتدي	**بالعلم منك وينفع التعليم**
تصف الدواء لذي السقام من الضنا	**كيما يصح به وأنت سقيم**
أراك تلقح بالرشاد عقولنا	**نصحًا وأنت من الرشاد عديم**
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	**عار عليك إذا فعلت عظيم** [(٤)]

والعمل بالعلم لا بد فيه من الإخلاص، والإخلاص لا بد أن يقصد به وجه الله، ومحبته، ورضاه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى-: "حُكِيَ أن أبا حامد بلغه أن من أخلص للّه أربعين يومًا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يومًا، فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي: إنك

(١) سورة الصف ، الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) انظر : الزهد للإمام أحمد ص٨٥ .

(٣) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر٢/ ٨ .

(٤) انظر : المرجع السابق ١/ ١٩٦ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٩/ ٢٢ ، ٢٣ .

أخلصت للحكمة، لم تُخْلِصْ للّهِ " [(١)]

وذلك أن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه، أو غير ذلك من المطالب.

وقد عرف أن ذلك لم يحصل بالإخلاص لله، وإرادة وجهه، فإذا قصد أن طلب ذلك بالإخلاص للّه وإرادة وجهه كان متناقضًا؛ لأن من أراد شيئًا لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص؛ ليصير عالمًا، أو عارفًا، أو ذا حكمة، أو متشرفًا بالنسبة إليه، أو صاحب مكاشفات وتصرفات، ونحو ذلك، فهو هنا لم يرد الله، بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى، وإنما يريد الله ابتداء من ذاق حلاوة محبته وذكره [(٢)]

وقال ابن تيمية - رحمه الله-: "وقد روي: إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله- سبحانه- بقلبه ملكًا يغرس فيه آثار الحكمة كما يغرس أكار [(٣)] أحدكم الفسيل في بستانه " [(٤)]

أما من لم يعمل بالعلم، أو عمل به ولكنه لم يخلص في ذلك فهذا بعيد عن إيتاء الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا؛ ولهذا قال الشاعر: أما من لم يعمل بالعلم، أو عمل به ولكنه لم يخلص في ذلك فهذا بعيد عن إيتاء الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا؛ ولهذا قال الشاعر:

وكيف يصح أن تُدعى حكيمًا وأنت لكل ما تهوى ركوب [(٥)]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل٦/ ٦٦ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل٦/ ٦٦ ، ٦٧ بتصرف .

(٣) الأكار : الزراع . انظر : لسان العرب ، حرف الراء ، فصل الهمزة ، مادة : أكر .

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٥١٨ .

(٥) انظر : المرجع السابق ٩/ ٢٢ ، ٢٣ .

المطلب الثالث : الاستقامة :

الاستقامة: كلمة جامعة تشمل الدين كله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2]. وقال تعالى: للنبي ﷺ ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [3] .

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: « قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك! قال: " قل: آمنت باللّه، ثم استقم » [4] [5]

والمطلوب من العبد المسلم وخاصة الدعاة إلى الله: الاستقامة، وهي السداد؛ فإن لم يقدر فالمقاربة، فإن نزل عن المقاربة، فلم يبق إلا التفريط والضياع.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله "، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؛ قال: " ولا أنا، إلا أن يتغمدني اللّه برحمة منه وفضل » [6] [7].

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٣) سورة هود ، الآية ١١٢ .

(٤) مسلم الإيمان (٣٨) ، الترمذي الزهد (٢٤١٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٧٢) ، أحمد (٤١٣/٣) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٠) .

(٥) مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ١/ ٦٥ .

(٦) البخاري الرقاق (٦٠٩٨) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٠١) ، أحمد (٥١٤/٢) .

(٧) مسلم ، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله ٤/ ٢١٧٠ .

فجمع هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة، وهي: السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال، وعلم النبي ﷺ أهم لا يطيقون الاستقامة، فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقرب الإنسان من الاستقامة بحسب طاقته، كالذي يرمي إلى الهدف، فإن لم يصبه يقاربه، ومع هذا أخبرهم ﷺ أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة، فلا يعتمد أحد على عمله، ولا يعجب به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة اللّه، وعفوه، وفضله، فالاستقامة كلمة آخذة بمجامع الدين كله، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات.

والداعية إلى اللّه يجب أن يكون من أعظم الناس استقامة، وبهذا- بإذن الله تعالى- لا يُخيِّب الله سعيه، ويجعل الحكمة على لسانه، وفي أفعاله، وتصرفاته، وهو تعالى ذو الفضل والإحسان [1]

وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وبذلك يقبل قول الداعية، ويقتدى بأفعاله، فيعطى بذلك خيرًا كثيرًا، وثوابًا جزيلًا، لإخلاصه وصدق نيته، ورغبته فيما عند الله ﷻ ويحصل على أحسن قول وعمل على الإطلاق، كـــما قال ﷻ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2].

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الدعوة، ومع الاستسلام الكامل للّه وحده، والاعتزاز بالإسلام.

وبهذا يعلم أن هذه الآية اشتملت على ثلاثة شروط حتى يكون الداعية لا أحد أحكم ولا أحسن قولًا منه في الدنيا أبدًا:

الشرط الأول: دعوته إلى الله- تعالى- بأن يعبد وحده، فيطاع فلا يعصى، ويذكر

---

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم٢/ ١٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٥/ ٣٥٧ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٣ .

فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

الشرط الثاني: عمل الداعية الصالحات بأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والقيام بالمستحبات، والابتعاد عن المكروهات، فهو مع دعوته الخلق إلى اللّه يبادر هو بنفسه إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

الشرط الثالث: اعتزاز الداعية بالإسلام وانقياده لأمره شكرًا لربه؛ ولأنه على الحق الواضح المبين، فإذا قام الداعية بهذه الشروط الثلاثة، فلا أحد أحسن قولا منه [1]

ولكن قد يحصـــل للداعية ما يصـــده عن دعوته من شياطين الإنس، وشياطين الجن، فبين الله- عز وجـــل- أن المخرج من شياطين الإنس بالإحسان إليهم، ومعاملتهم باللين، والعفو عنهم، والإعراض عن جهلهم وإساءتهم.

أما شياطين الجن فلا منجى منهم إلا بالاستعاذة منهم باللّه وحده [2] قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ . [3]

ولا شك أن الداعية إذا سلك هذه المسالك الحكيمة اكتسب الحكمة بتوفيق اللّه تعالى.

---

(١) انظر : تفسير العلامة السعدي٦/ ٥٧٥ ، وتفسير الجزائري٤/ ١٢٠ .

(٢) انظر : أضواء البيان للشنقيطي٢/ ٣٤١ ، ٣٤٢ ، وتفسير السعدي٦/ ٥٢٧ ، وزاد المعاد٢/ ٤٦٢ .

(٣) سورة الأعراف ، الآيتان ١٩٩ ، ٢٠٠ وانظر سورة المؤمنون ، الآيات ٩٦ – ٩٨ ، وسورة فصلت ، الآيات ٣٤ – ٣٦ .

المطلب الرابع : الخبرات والتجارب :

التجربـــة لها الأثر العظيم في اكتساب المهارات والخبرات، وهي من أعظم طرق اكتساب الحكمة، والتجربة لا تخرج الحكمة عنِ كونها فضل الله يؤتيه من يشاء؛ فإنه المعطي الوهاب ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [1] ولكنه سبحانه جعل لكل شيء سببًا يوصل إليهَ.

والتجربة في العلم اختبار منظم لظاهرة أو ظواهر يراد ملاحظتها ملاحظة دقيقة منهجية؛ للكشف عن نتيجة ما، أو تحقيق غرض معين، وما يعمل أولا لتلافي النقص في شيء وإصلاحه [2] ويقال: جربه تجربة: اختبره، ورجـــل مجرب، كمعظم: بُلِيَ ما كان عنده، ومجرب: عرف الأمور [3] تقول: جربت الشيء تجريبًا: اختبرته مرة بعد أخرى، والاسم التجربة، والجمع التجارب [4]

وعن معاوية رضي الله عنه قال: "لا حكيم إلا ذو تجربة" [5]

ومن المعلوم أن الحكيم لا بد له من تجارب قد أحكمته، ولهذا قيل: "لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة" [6]

والمعنى: لا حليم إلا صاحب زلة قدم، أو لغزة قلم في تقريره أو تحريره. وقيل: لا حليم كاملا إلا من وقـــع في زلـــة وحصل منه الخطأ والتخجل فعفي عنه فعرف به رتبة العفو فيحلم عند عثرة غيره؛ لأنه عند ذلك يصير ثابت القدم، ولا حكيم كاملا إلا من جرب الأمور، وعلم المصالح والمفاسد؛ فإنه لا يفعل فعلا إلا عن حكمة، إذ الحكمة

---

(١) سورة النحل ، الآية ٥٣ .

(٢) المعجم الوسيط ، مادة : جرب١/ ١١٤ .

(٣) القاموس المحيط ، باب الباء ، فصل الجيم ص ٨٥ .

(٤) المصباح المنير ، مادة جرب ص٩٥ .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، موقوفا على معاوية مجزومًا به ١٠/ ٥٢٩ .

(٦) الترمذي ، كتَاب البر والصلة ، باب ما جاء في التجارب٤/ ٣٧٩ ، وأحمد في المسند٣/ ٨ .

إحكام الشيء وإصــلاحــه عن الخلل [1] والحكيم هو المتيقظ المنتبه، أو المتقن للحكمة الحافظ لها [2]

والحكمة من أثمن نتائج التمييز والتفكير، وهي زبدة العلم والاختبار، فالعلم يخطط الأسس النظرية، ثم يكتمل ويصقل بالخبرة العملية المبنية على المران والتجــارب، ولهذا كان العلماء الأحداث بسبب قلة تجارهم أنقص حكمة، وأقل رسوخًا في العلم من كبار العلماء الراسخين في العلم [3]

وبهذا يعلم أن الــداعية إلى اللّه إذا خالط الناس، وعرف عاداهم وتقاليدهم، وأخلاقهم الاجتماعية، ومواطن الضعف والقوة، سيركز على ما ينفع الناس، ويضع الأشياء في مواضعها؛ لأنه قد جربهم، فالتجارب تنمي المواهب والقدرات، وتزيد البصير بصرًا، والحليم حلمًا، وتجعل العاقل حكيمًا، وقــد تشجع الجبان، وتسخي البخيل، وقد تُليِّن قلب القاسي، وتقوِّي قلب الضعيف، ومن زادته التجارب عمى إلى عماه فهو من الحمقى الذين قد طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون [4] .

الاستفادة من تجارب الأنبياء

وأعظم الناس تجربــة، وأكملهم حكمةً: الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم صفوة البشر اصطفاهم اللّه ورباهم، ثم أرسلهم لِإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومع هذا ما بعث الله من نبي إلا رعى الغنم، كــما قال ﷺ ﴿ ما بعث اللّه نبيًّا إلا رعى الغنم "، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: "نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ﴾ [5] [6] وفي

(١) انظر : فتح الباري ١٠/ ٥٣٠ ، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي٦/ ١٨٢ .
(٢) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير٦/ ٤٢٤ .
(٣) انظر : الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية للدكتورصبحي محمصاني ص١٤٠ .
(٤) انظر : هكذا علمتني الحياة ، القسم الأول ، للدكتور مصطفى السباعي ص٤٧ .
(٥) البخاري الإجارة (٢١٤٣) ، ابن ماجه التجارات (٢١٤٩) .
(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب الإِجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ٤/ ٤٤١ .

رواية: ﴿ قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: "وهل من نبي إلا وقد رعاها؟ ﴾ [1] [2]

والحكمة من ذلك- والله أعلم- أن الله ﷻ يلهم الأنبياء قبل النبوة رعي الغنم؛ ليحصل لهم التمرين والتجربة برعيها على ما يُكلَّفُونه من القيام بأمر أمتهم؛ ولأن في مخالطتها ما يُحصِّل لهم الحلم والشفقة، كـــما قال، ﷺ ﴿ أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدةً وألين قلوبًا. الإِيمانُ يَمانٍ، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإِبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم ﴾ [3] [4] ولأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفـــع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طبائعها، وشـــدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طبائعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك؛ لكونها أضعف من غيرها؛ ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإِبل والبقر، لإِمكان ضبط الإِبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها [5]

ثم بعد رعيهم الغنم جربوا الناس، وعرفوا طبائعهم، فازدادوا تجارب إلى تجاربهم، ولهذا قال موسى ﷺ لمحمد ﷺ عندما فرضت عليه الصلاة خمسون صلاة في كل يومٍ ليلة

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٢٥) ، مسلم الأشربة (٢٠٥٠) ، أحمد (٣/٣٢٦) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب يعكفون على أصنام لهم ٦/ ٤٣٨ ، وكتاب الأطعمة ، باب الكباث ٩/ ٥٧٥ ، ومسلم في الأشربة ، باب فضيلة الأسود من الكباث ٣/ ١٦٢١ ، وهو النضيج من ثمر الأراك ، انظر . شرح النووي١٤/ ٦ .

(٣) البخاري المغازي (٤١٢٧) ، مسلم الإيمان (٥٢) ، الترمذي الفتن (٢٢٤٣) ، أحمد (٢/٣٨٠) ، مالك الجامع (١٨١٠) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ٨/ ٩٨ ، ومسلم في الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان١/ ٧١ .

(٥) انظر . فتح الباري٤/ ٤٤١ ، وشرح النووي على مسلم١٤/ ٦ .

الإسراء والمعراج: ﴿ إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني واللّه قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ﴾ [1].. " فما زال النبي يراجع ربه ويضع عنه حتى أُمِرَ بخمس صلوات كل يوم [2].

فموسى ﷺ قد جرب الناس، وعلم أن أمة محمد ﷺ أضعف من بني إسرائيل أجسادًا، وأقـــل منهم قوةً، والعادة أن ما يعجـــز عنـــه القوي فالضعيف من باب أولى [3]

الداعية بكثرة تجاربه يذداد حكمة

فالداعية بتجاربه بالسفر، ومعاشرته الجماهير، وتعرفه على عوائد الناس وعقائدهم، وأوضاعهم، ومشكلاتهم، واختلاف طبائعهم وقدراتهم، سيكون له الأثر الكبير في نجاح دعوته وابتعاده عن الوقوع في الخطأ؛ لأنه إذا وقع في خطأ في منهجه في الدعوة إلى الله، أو أموره الأخرى لا يقع فيه مرة أخرى، وإذا خُدعَ مرة لم يخدع مرة أخرى، بل يستفيد من تجاربه وخبراتـــه، ولهذا قال ﷺ ﴿ لا يُلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين ﴾ [4] [5]

وقال: ﴿ كلكم خطاء، وخير الخطائين التوابون ﴾ [1] [2].

---

(١) البخاري المناقب (٣٦٧٤) ، مسلم الإيمان (١٦٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣٤٦) ، النسائي الصلاة (٤٤٨) ، أحمد (٢١٠/٤) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ٧/ ٢٠٢ .

(٣) انظر : حاشية السندي على سنن النسائي ١/ ٢٢٠ ، وفتح الباري ١/ ٤٦٣ .

(٤) البخاري الأدب (٥٧٨٢) ، مسلم الزهد والرقائق (٢٩٩٨) ، أبو داود الأدب (٤٨٦٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٢) ، أحمد (٣٧٩/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٨١) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين١٠/ ٥٢٩ ، ومسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين٤/ ٢٢٩٥ .

(١) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٥١) ، أحمد (١٩٨/٣) ، الدارمي الرقاق (٢٧٢٧) .

(٢) الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب حدثنا هناد٤/ ٦٥٩ ، وابن ماجه في الزهد باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠ ، والدارمي في الرقاق ، باب التوبة ، ٢/ ٢١٣ ، وانظر : صحيح الترمذي ٢/ ٣٠٥ .

وإذا أراد الـــداعية أن يكتسب الحكمـــة من التجـــارب، فلا بد له - لإصـــلاح المتـــدينـــين وتوجيههم- أن يعيش معهم في مســـاجـــدهم، ومجتمعاتهم، ومجالسهم، وإذا أراد إصلاح الفلاحين والعمال عاش معهم في قراهم ومصانعهم، وإذا أراد أن يصلح المعاملات التجارية بين الناس، فعليه أن يختلط بهم في أسواقهم، ومتاجرهم، وأنديتهم، ومجالسهم، وإذا أراد أن يصلح الأوضاع السياسية، فعليه أن يختلط بالسياسيين، ويتعرف إلى تنظيماتهم، ويستمع لخطبهم، ويقرأ لهم برامجهم، ثم يتعرف إلى البيئة التي يعيشون فيها، والثقافة التي حصلوا عليها، والاتجاه الذي يندفعون نحوه؛ ليعرف كيف يخاطبهم بما لا تنفر منه نفوسهم، وكيف يسلك في إصلاحهم بما لا يدعوهم إلى محاربته عن كره نفس واندفاع عاطفي، فيحرم نفسه من الدعوة إلى الله، ويحرم الناس من علمه [1] وهذا يؤهله إلى أن يُحَدِّثَ الناس بما يعرفون، ولا يحدثهم حديثًا لا تبلغه عقولهم، قال علي ﷺ " حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله " [2]

وقال ابن مسعود ﷺ "ما أنت بِمُحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" [3]

وهكذا ينبغي أن يكوِّن الداعية من تجاربه في الحياة، ومعرفته بشؤون الناس ما يمكنه من اكتساب الحكمة، وتحقيق قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [1].

(١) انظر : السيرة النبوية دروس وعبر ، للدكتور مصطفى السباعي ، ص٤١ ، والرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ، لعبد الرحمن السعدي ، ص٨٨ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/ ٢٢٥ .

(٣) مسلمْ ، في المقدمة ، باب النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١١١ .

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

المطلب الخامس : السياسة الحكيمة :

أهمية السياسة الحكيمة في اكتساب الحكمة

إذا سلك الداعية إلى الله مسلك السياسة الحكيمة في دعوته إلى الله تعالى، فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته واكتسابه الحكمة، والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله تعالى.

والنبي ﷺ هو أُسوتنا وقدوتنا، وإمام الدعاة إلى الله، قد سلك هذا المسلك، فنفع الله به العباد، وأنقذهم به من الشرك إلى التوحيد، وكان لسياسته الحكيمة عظيم النفع والأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوّة سلطانه، ورفعة مقامه، ولم يعرف في تاريخ السياسات البشرية أن رجلا من الساسة المصلحين في أي أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم، ومَن مِن المصلحـــين المبرزين- سواء كان قائدًا محنكا، أو مربيًا حكيمًا- اجتمع لديه من رجـــاحة العقل، وأصالة الرأي، وقوة العزم، وصدق الفراسة، ما اجتمع في رسول الله-صلى الله عليه وسلم؟ ولقد برهن على وجود ذلك فيه: صحة رأيه، وصواب تدبيره، وحسن تأليفه، ومكارم أخلاقه، ﷺ [1]

فإذا قام الداعية بسلوك هذا المسلك بإخلاص، وصدق وعزيمة، اكتسب من الحكمة في الدعوة إلى الله مكتسبًا عظيمًا.

طرق السياسة الحكيمة في الدعوة إلى الله

وطرق السياسة الحكيمة في الدعوة إلى الله ﷻ كثيرة، منها ما يأتي:

١ - **تحري أوقات الفراغ، والنشاط**، والحاجة عند المدعوين حتى لا يملوا عن الاستماع ويفوتهم من الإرشاد والتعليم النافع، والنصائح الغالية الشيء الكثير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة كراهة السآمة عليهم، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ﴿ كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا ﴾ [2] [1] .

---

(١) انظر : هداية المرشدين ، للشيخ علي بن محفوظ ص٢٤ و٣١ .

(٢) البخاري العلم (٦٨) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٢١) ، الترمذي الأدب (٢٨٥٥) ، أحمد (٣٧٧/١) .

ولهذا طبق الصحابة هذه السياسة، فقد كان عبد اللّه بن مسعود يذكِّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كـما ﴿ كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا ﴾ [2] [3] .

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ﴿ يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا ﴾ [4] [5] .

٢ - **ترك الأمر الذي لا ضرر في تركه** ولا إثم، اتقاء للفتنة، فقد يجد الداعية قومًا استقر مجتمعهم وعاداتهم على أشياء لا تخالف الشريعة؛ ولكن فعل غيرها أفضل، فإذا علم الداعية أنه سيحصل فتنة إذا دعا إلى ترك هذا الأمر أو فعله فلا حرج ألا يدعو، فقد ترك النبي ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم ﷺ اجتنابًا لفتنة قوم كانوا حديثي عهد بجاهلية، فعن عائشة - رضي اللّه عنها- أن النبي ﷺ قال لها: ﴿ يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: بابا شرقيًّا، وبابًا غربيًا، فبلغت به أساس إبراهيم ﴾ [6] [7]

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٢ ، وباب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة ١/ ١٦٣ .

(٢) البخاري العلم (٧٠) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٢١) ، الترمذي الأدب (٢٨٥٥) ، أحمد (٣٧٧/١) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة ١/ ١٦٣ .

(٤) البخاري العلم (٦٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤) ، أحمد (٢٠٩/٣) .

(٥) البخاري مع الفتح كتاب العلم ، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة ١/ ١٦٢ ، ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير٣/ ١٣٥٨ .

(٦) البخاري الحج (١٥٠٩) ، مسلم الحج (١٣٣٣) ، الترمذي الحج (٨٧٥) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٠٣) ، أبو داود المناسك (٢٠٢٨) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٥٥) ، أحمد (١١٣/٦) ، مالك الحج (٨١٣) ، الدارمي المناسك (١٨٦٩) .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ٣/ ٤٣٩ ، ومسلم ، في الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها ٢/ ٩٦٩ .

وفي رواية: ﴿ إن قومــك قصرت بهم النفقة ﴾ [1]، قلت: فــما شأن بابــه مرتفعًا؟ قال: ﴿ فعل ذلك قومك لِيُدخِلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض ﴾ [2] [3].

وهذا يدل الداعية على أن المصالح إذا تعارضت، أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهو خوف فتنة بعض من أسلم قريبًــا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيمًا، فتركها ﷺ لدفع هذه المفسدة" [4] .

٣ – **تأليف القلوب بالمال والجاه** أحيانًا، فالداعية كالطبيب الذي يشخص المرض أولا، ثم يعطي العلاج على حسب نوع المرض، فإذا علم الداعية أن المدعو لم يرسخ الإيمان في قلبه رسوخًا لا تزلزله الفتن، فله أن يعطيه من المال ما يستطيعه، للاحتفاظ بالبقاء على الهداية بالإسلام، وقد شرع اللّه للمؤلفة قلوبهم نصيبًا من الزكاة، وقد كان رسول الله ﷺ يسلك هذا المسلك، فيؤثر حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال، إذا ظهر له أن الإيمان لم يرسخ؛ ولذلك أشار بقوله: ﴿ إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه

---

(١) البخاري الحج (١٥٠٧) ، مسلم الحج (١٣٣٣) ، الترمذي الحج (٨٧٥) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٠٣) ، أبو داود المناسك (٢٠٢٨) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٥٥) ، أحمد (١١٣/٦) ، مالك الحج (٨١٣) ، الدارمي المناسك (١٨٦٩) .

(٢) البخاري الحج (١٥٠٧) ، مسلم الحج (١٣٣٣) ، الترمذي الحج (٨٧٥) ، النسائي مناسك الحج (٢٩٠٣) ، أبو داود المناسك (٢٠٢٨) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٥٥) ، أحمد (١١٣/٦) ، مالك الحج (٨١٣) ، الدارمي المناسك (١٨٦٩) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ٣/ ٤٣٩ ، ومسلم ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة ٢/ ٩٧٢ .

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم٩/ ٨٩ .

خشية أن يُكبّ في النار على وجهه ﴾ [1] [2] .

وقد كان يعطي ﷺ أشراف قريش وغيرهم من المؤلفة قلوبهم، لتلافي أحقادهم؛ ولأن الهدايا تجمع القلوب، وتجعل القلوب متهيئة للنظر في صدق الدعوة، وصحة العقيدة، والاستفادة من الآيات البينات، والبراهين الواضحة [3]

وصدق ﷺ حيث قال: ﴿ تهادوا تحابوا ﴾ [4]

وللتأليف بالمال أمثلته كثيرة من هديه ﷺ [5]

والتأليف بالجاه من السياسة الحكيمة، ولهذا قال ﷺ للأنصار حينما آثر عليهم غيرهم في العطاء: ﴿ أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول اللّه ﷺ؟ فواللّه لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ﴾ [6]، فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا [7]

وفي رواية: ﴿ لو سلك الناس واديًا أو شعبًا، وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار ﴾ [8] [9] فإذا سلك الداعية هذه السياسة

---

(١) البخاري الزكاة (١٤٠٨) ، مسلم الإيمان (١٥٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٢) ، أبو داود السنة (٤٦٨٣) ، أحمد (١/١٨٢) .

(٢) البخاري مع الفتح بنحوه ، كتاب الإيمان ، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة١/ ٧٩ ، ومسلم في الإيمان ، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه١/ ١٣٢ .

(٣) انظر : هداية المرشدين ، ص٣٥ .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى٦/ ١٦٩ ، والبخاري في الأدب المُفْرَد ، ص٢٠٨ ، برقم٥٩٤ ، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير : إسناده حسن٣/ ٧٠ ، وانظر : ارواء الغليل برقم ١٦٠١ .

(٥) انظر : صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٣- ١٨٠٦ ، وانظر : مواقف الكرم للنبي في فصل (المواقف) من هذه الرسالة ، وانظر أيضًا : البخاري مع الفتح٣/ ١٣٥ ، ٦/ ٢٥٠ ، ١١/ ٢٥٨ .

(٦) البخاري المغازي (٤٠٧٦) ، مسلم الزكاة (١٠٥٩) ، أحمد (٣/١٥٨) .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم٦/ ٢٥١ ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم وتصبر من قوي إيمانه ٢/ ٧٣٤ ، ٧٣٥ .

(٨) البخاري المغازي (٤٠٧٩) ، مسلم الزكاة (١٠٥٩) ، الترمذي المناقب (٣٩٠١) ، أحمد (٣/٢٤٦) .

(٩) مسلم ، في كتاب الزكاة ، الباب السابق٢/ ٧٣٥ .

وفق للصواب والحكمة- بإذن اللّه تعالى-.

٤ - **التأليف بالعفو في موضع الانتقام**، والإحسان في مكان الإساءة، وباللين في موضع المؤاخذة، وبالصبر على الأذى، فكان يقابل الأذى بالصبر الجميل، ويقابل الحمق بالحلم والرفق، ويقابل العجلة والطيش بالأناة والتثبت.

وهذا من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الإسلام والاستقامة والثبات، وبمثل هذه المعاملة الحسنة جمع النبي ﷺ قلوب أصحابه حوله، فتفانوا في محبته والدفاع عنه، وعن دعوته بمؤازرته ومناصرته.

وقـــد مدح الله رسوله، وأمره بالعفو والصفح والاستغفار لمن تبعه من المؤمنين ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [1] ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [2] .

٥ - **عدم مواجهة الداعية أحدًا بعينه** عندما يريد أن يؤدبه أو يزجره ما دام يجد في الموعظة العامة كفاية، وهذا من السياسة البالغة في منتهى الحكمة، ولهذا كان النبي ﷺ يسلك هذا الأسلوب الحكيم، ومن ذلك قوله ﷺ « ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه، فيتنخع أمامه، أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليفعل هكذا » [3]، ووصف القاسم فتفل في ثوبه، ثم

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) البخاري الصلاة (٤٠١) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٥٠) ، النسائي الطهارة (٣٠٩) ، أبو داود الصلاة (٤٨٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٢٢) ، أحمد (٢/٢٥٠) ، الدارمي الصلاة (١٣٩٨)

.

مسح بعضه على بعض [1]

وفقد ﷺ ناسًا في بعض الصلوات، فقال: ﴿ والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجَلا يؤم الناس، ثم أخالف إلى رجالٍ [يتخلفون عنها] فأحرق عليهم بيوتهم ﴾ [2] [3] .

وقال ﷺ ﴿ ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ﴾ [4]، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: ﴿ لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم ﴾ [5] [6] .

وصنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب، فحمد اللّه، ثم قال: ﴿ ما بال أقوام يتنزهون عن شيءٍ أصنعه، فواللّه إني لأعلمهم باللّه وأشدهم له خشية ﴾ [7] [8] .

وقال: ﴿ ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج

---

(١) مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهى عن البصاق في المسجد١/ ٣٨٩ .

(٢) البخاري الأذان (٦١٨) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١) ، الترمذي الصلاة (٢١٧) ، النسائي الإمامة (٨٤٨) ، أبو داود الصلاة (٥٤٨) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٩١) ، أحمد (٥٣٧/٢) ، مالك النداء للصلاة (٢٩٢) ، الدارمي الصلاة (١٢١٢) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب وجوب صلاة الجماعة٢/ ١٢٥ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة١/ ٤٥١ . وما بين المعكوفين من رواية مسلم .

(٤) البخاري الأذان (٧١٧) ، النسائي السهو (١١٩٣) ، أبو داود الصلاة (٩١٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٤٤) ، أحمد (١٤٠/٣) ، الدارمي الصلاة (١٣٠٢) .

(٥) البخاري الأذان (٧١٧) ، النسائي السهو (١١٩٣) ، أبو داود الصلاة (٩١٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٤٤) ، أحمد (١٤٠/٣) ، الدارمي الصلاة (١٣٠٢) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، ٢/ ٢٣٣ .

(٧) البخاري الأدب (٥٧٥٠) ، مسلم الفضائل (٢٣٥٦) ، أحمد (٤٥/٦) .

(٨) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ١٠/ ٥١٣ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته ٤/ ١٨٢٩ .

النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ﴾ [1] [2] .

وبلغه شرط أهل بريرة – رضي اللّه عنها– أن الولاء لهم بعد بيعها، ثم خطب الناس فقال: ﴿ ما بال أناس يشترطون شروطًا ليست في كتاب اللّه، من اشترط شرطًا ليس في كتاب اللّه فليس له، وإن شرط مائة مرة، شرط اللّه أحق وأوثق ﴾ [3] [4]

وهذا يدل الداعية على أن من الحكمة عدم مواجهة الناس بالعتاب سترًا عليهم ورفقًا بهم، وتلطفًا. والداعية يستطيع أن يوجه العتاب عن طريق مخاطبة الجمهور إذا كان المدعو المقصود بينهم ومن جملتهم، وهذا من أحكم الأساليب [5]

٦ – إعطاء الوسائل صورة ما تصل إليه، كقوله ﷺ ﴿ من دل على خير فله مثل أجر فاعله ﴾ [6] [7]

فقد صور ﷺ الدلالة على فعل الخير في صورة الفعل نفسه.

وكقوله ﷺ ﴿ من جهز غازيًا فقد غزا ﴾ [8] [9]

وقال ﷺ ﴿ إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل: يا رسول اللّه:

---

(١) البخاري النكاح (٤٧٧٦) ، مسلم النكاح (١٤٠١) ، النسائي النكاح (٣٢١٧) ، أحمد (٣/٢٨٥) .

(٢) مسلم ، في كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه٢/ ١٠٢٠ .

(٣) البخاري العتق (٢٤٢٢) ، مسلم العتق (١٥٠٤) ، الترمذي البيوع (١٢٥٦) ، أبو داود العتق (٣٩٢٩) ، مالك العتق والولاء (١٥١٩) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب المكاتب ، باب ما يجوز من شروط المكاتب٥/ ١٨٧ ، ومسلم ، كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن أعتق٢/ ١١٤٢ .

(٥) انظر : فتح الباري١٠/ ٥١٣ .

(٦) مسلم الإمارة (١٨٩٣) ، الترمذي العلم (٢٦٧١) ، أبو داود الأدب (٥١٢٩) ، أحمد (٤/١٢٠) .

(٧) مسلم ، في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة النازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٦ .

(٨) البخاري الجهاد والسير (٢٦٨٨) ، مسلم الإمارة (١٨٩٥) ، الترمذي فضائل الجهاد (١٦٢٨) ، النسائي الجهاد (٣١٨١) ، أبو داود الجهاد (٢٥٠٩) ، ابن ماجه الجهاد (٢٧٥٩) ، أحمد (٥/١٩٣) ، الدارمي الجهاد (٢٤١٩) .

(٩) مسلم ، في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٧ .

وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه ﴾ [1] [2] .

وهذا أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل وإن لم يقصد إلى ما يحرم [3] كـــما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [4] فقد أعطى النبي ﷺ من يسب أبا الغير وأمه صورة من يسب والديه؛ لأنه تسبب في سبهما.

٧ – **أن يجيب الداعية علي السؤال الخاص** بما يتناوله وغيره حتى يكون ما أجاب به قاعدة عامة للسائل وغيره، قال عمرو بن العاص: لما جعل اللّه الإســـلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينـــك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: ﴿ مالك يا عمرو؟ ﴾ قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: ﴿ تشترط بماذا؟ ﴾ قلت: أن يغفر لي، قال: ﴿ أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله.. ﴾ [5] [6]

فأجاب ﷺ بما يفيد عدم المؤاخذة عن كل من اعتنق الإسلام، وعن كل من هاجر، وعن كل من حج حجًّا مبرورًا، وقد كان يكفيه في الجواب أن يقول: غُفِرَ لك، أو نحوها [7]

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٢٨) ، مسلم الإيمان (٩٠) ، الترمذي البر والصلة (١٩٠٢) ، أبو داود الأدب (٥١٤١) ، أحمد (٢/١٩٥) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب لا يسب الرجل والديه١٠/ ٤٠٣ .

(٣) انظر : فتح الباري١٠/ ٤٠٤ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٠٨ .

(٥) مسلم الإيمان (١٢١) ، أحمد (٤/١٩٩) .

(٦) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج١/ ١١٢ .

(٧) انظر : شرح النووي على مسلم ٢/ ١٣٨ ، وانظر : هداية المرشدين ص٣٢ .

وقال ﷺ لمن سأله عن ماء البحر: ﴿ هو الطهور ماؤه، الحل ميتته ﴾ [1] [2].

فأجاب ﷺ السائل عن الحكم الذي سأل عنه، وزاده حكمًا لم يسأل عنه، وهو حل ميتة البحر، فعندما عرف ﷺ اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر أشفق أن يشتبه عليه حكم ميتته، وقد يُبْتَلَى بها راكب البحر، فعقّب الجواب عن سؤاله ببيان حكم الميتة، وذلك من محاسن الفتوى أن يُجاء في الجواب بأكثر مما سُئِلَ عنه تتميمًا للفائدة، وإفادة لعلم غير المسئول عنه، ويتأكد عند ظهور الحاجة إلى الحكم كما هنا؛ لأن من توقف في طهورية ماء البحر فهو عن العلم بحل ميتته مع تقدم تحريم الميتة أشد توقفًا [3].

٨ – **ضرب الأمثال**، قال ﷺ ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه ﴾ [4] [5].

وقد مثل النبي ﷺ المؤمنين في تبادل الرحمة والمودة والعطف، بالجسد في روابطه العضوية، إذا مرض عضو مرضت باقي الأعضاء، فقال: ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [6] [1].

---

(١) الترمذي الطهارة (٦٩) ، النسائي المياه (٣٣٢) ، أبو داود الطهارة (٨٣) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٣٨٦) ، أحمد (٢/٣٦١) ، مالك الطهارة (٤٣) ، الدارمي الطهارة (٧٢٩) .

(٢) أبو داود ، في الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر ١/ ٢١ ، والترمذي في الطهارة ، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور١/ ١٠١ ، والنسائي في الطهارة ، باب ماء البحر١/ ٥٠ ، وابن ماجه في الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر ١/ ١٣٦ ، وانظر : صحيح النسائي ١/ ١٤ .

(٣) انظر : سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني١/ ١٨ .

(٤) البخاري المظالم والغصب (٢٣١٤) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره١/ ٥٦٥ ، ومسلم ، في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/ ١٩٩٩ .

(٦) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٤/٢٧٠) .

ومثلهم النبي ﷺ في الحديث الذي قبل هذا في التعاون على البر والتقوى والتكاتف بالبنيان يشد بعضهم بعضًا كشد البنيان [٢] .

ومن المعلوم يقينًا أن الداعية إذا سلك هذه المسالك اكتسب الحكمة بعون الله- تعالى- ووفق لهدي النبي" ﷺ في دعوته، وسدد في قوله وفعله، بتوفيق الله سبحانه.

المطلب السادس : فقه أركان الدعوة إلى الله تعالى :

لا يكون الداعية حكيما في دعوته إلى الله- تعالى- إلا بفقه وإتقان ركائز الدعوة وأسسها التي تقوم عليها، حتى يسير في دعوته على بصيرة، ولا شك أن فهم هذه الأركان يدخل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٣] فلا بد من معرفة الدَاعية لما يدعو إليه، ومن هو الداعي، وما هي الصفات والآداب التي ينبغي أن تتوفر في الداعية؟ ومن هو المدعو، وما هي الوسائل والأساليب التي تستخدم في نشر الدعوة وتبليغها؟ هذه هي أركان الدعوة: الموضوع، والداعي، والمدعو، والأساليب والوسائل.

المسلك الأول: موضوع الدعوة "ما يدعو إليه الداعية":

موضوع الدعوة: هو دين الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾ [٤] ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [٥]

وهذا ما فَصَّله حديث جبريل في ذكر أركان الإسلام: ﴿ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللّه، وأن محمدًا رسول اللّه، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم١٠/ ٤٣٨ ، ومسلم في البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/ ١٩٩٩ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٠/ ٤٥٠ ، وشرح النووي١٦/ ١٣٩ .

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٨

(٤) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

البيت إن استطعت إليه سبيلا ﴾ [1]. وأركان الإيمان: ﴿ أن تؤمن باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [2]. والإحسان: ﴿ أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾ [3] [4].

ولا شك أن الإسلام اختص بخصائص عظيمة منها:

١- الإسلام من عند الله تعالى.

٢- شامل لجميع نظم الحياة وسلوك الإنسان، ومن هذه النظم: نظام الأخلاق، ونظام المجتمع، والإفتاء، والحسبة، والحكم، والاقتصاد، والجهاد، ونظام الجريمة والعقاب، وذلك كله قائم على الرحمة، والعدل، والإحسان.

٣- عام لجميع البشرية في كل زمان ومكان: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [5].

٤- وهو من حيث الجزاء:- الثواب والعقاب الذي يصيب مُتَبعَهُ أو مخالفه- ذو جزاء أُخرويّ بالإضافة إلى جزائه الدنيوي إلا ما خصه الدَليل.

٥- والإسلام يحرص علي إبلاغ الناس أعلى مستوى ممكن من الكمال الإنساني: وهذه مثالية الإسلام، ولكنه لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام.

٦- الإسلام وسط: في عقائده، وعباداته، وأخلاقه، وأنظمته، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٤٩٩) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٣) البخاري الإيمان (٥٠) ، مسلم الإيمان (١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩١) ، ابن ماجه المقدمة (٦٤) ، أحمد (٤٢٦/٢) .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ١/ ٣٩ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .

كما يلزم الـــداعية فهم مقـــاصـــد الإسلام التي دلت عليها الشريعة الإسلامية: وهي تحقيق مصـــالح العباد ودرء المفاسد والأضرار عنهم في العاجل والآجل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه–: (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها) (٢) .

وبالجملة فإن الشريعة الإسلامية مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى: درء المفاسد عن ستة أشياء: الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والغرض، والمال.

المصلحة الثانية: جلب المصالح: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين وسد كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فالقرآن حل جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر ولم يترك جانبًا من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها (٣) .

فالداعية الحكيم هو الـــذي يدعو إلى ما تقدم من أركان الإِسلام، وأصول الإيمان، والإحسان، ويبين للناس جميع ما جاء في القرآن والسنة: من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، بالتفصيل والشرح والتوضيح (٤) .

المسلك الثاني: الداعي:

لا بُدّ للداعية من معرفة هذا الأصل بشروطه، وما هي عدة الداعية وسلاحـــه، وما هي وظيفته، وأخـــلاقـــه. وفهم ذلك من أهم المهمات للداعية. وإليك التفصيل بإيجاز:

١– وظيفة الداعيـــة:

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ، ١/ ١٤٧ .

(٣) انظر : أضواء البيان للشنقيطي ، ٣/ ٤٠٩–٤٥٧ .

(٤) انظر : فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ١/ ٣٤٢ ، وأصول الدعوة ، لعبد الكريم زيدان ، ص ٧–٢٩٣ ، والدعوة إلى الله ، للدكتور توفيق الواعي ، ص٨١ .

وظيفة الداعية إلى الله- تعالى- هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والرسل هم قدوة الدعاة إلى اللّه، وأعظمهم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾[1]. ﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ۝٦٧ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٨٧ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ۝٣٦ ﴾[4].

الأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى اللّه، فالآيات التي تأمره ﷺ بالدعوة إلى اللّه يدخل فيها المسلمون جميعًا؛ لأن الأصل في خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ دخول أمته فيه إلا ما استُثني، وليس من هذا المستثنى أمر الله تعالى بالدعوة إليه. قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[5]. وقد جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أوصاف المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾[6]. وبهذا يتضح أن المكلف بالدعوة إلى اللّه هو كل مسلم ومسلمة على قدر الطاقة، وعلى قدر العلم، ولا يختص العلماء بأصل هذا الواجب؛ لأنه واجب على الجميع كل بحسبه، وإنما يختص أهل العلم بتبليغ تفاصيل الإسلام، وأحكامه، ومعانيه الدقيقة، ومسائل الاجتهاد، نظرًا لسعة علمهم، ومعرفتهم بالمسائل، والجزئيات، والأصول، والفروع.

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٥ – ٤٦ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٦٧ .

(٣) سورة القصص ، الآية ٨٧ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٣٦ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

(٦) سورة التوبة ، الآية ٧١ .

مما يزيد الأمر وضوحًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [1] فبين سبحانه أن أتباعَ الرسول ﷺ هم الدعاة إلى اللّه، وهم أهل البصائر كـــما كان رسول الله ﷺ يدعو إلى اللّه على بصيرة وعلم ويقين [2] .

والدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة كلٌ بحسبه، وهي تؤدى على صورتين:

الصورة الأولى: فردية، يقوم بها المسلم على صفـــة فردية بحسب طاقته، وقدرته، وعلمه، كـــما قال ﷺ ﴿ من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [3] [4] .

الصورة الثانية: بصفة جماعية، فتكون فرقة متصدية لهذا الشأن، كـــما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [5].

٢ – عدة الداعية وسلاحه:

يحتاج الداعية إلى اللّه– تعالى– في أداء مهمته ووظيفته إلى عُدة وسلاح قوي، منها:

١– الفهم الدقيق المبني على العلم قبل العمل، والقائم على تدبر معاني وأحكام القران الكريم، وفهم السنة النبوية الشريفة، ويرتكز هذا الفهم على عدة أمور من أهمها.

أ– فهم الداعية العقيدة الإسلامية فهمًا صحيحًا متقنًا بالأدلة من الكتاب، والسنة

(١) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

(٢) انظر : أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ، ص٢٩٥–٣٥٦ .

(٣) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/١٠) .

(٤) مسلم ، كتاب اَلْإِيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ١/ ٦٩ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

وإجماع علماء أهل السنة والجماعة.

ب- فهم الداعي غايته في الحياة ومركزه بين البشر.

جـ- تعلقه بالآخرة، وتجافيه عن دار الغرور.

٢ - الإيمان العميق المثمر: لمحبة الله، وخوفه، ورجائه، واتباع رسوله ﷺ في كل أموره.

٣ - اتصال الداعية بالله- تعالى- في جميع أموره، وتعلقه به، وتوكله عليه، واستغاثته به، وإخلاصه له، والصدق معه في الأقوال والأفعال.

٣ - أخلاق الداعية وصفاته:

يحتاج الداعية إلى الأخلاق الحسنة والصفات الكريمة: وهي أخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه وبينها رسوله ﷺ في سنته.

ومن أهم هذه الأخلاق والصفات التي ينبغي للداعية أن يلتزمها: الصدق، والإخلاص، والدعوة إلى اللّه على بصيرة، والحلم، والرفق، واللين، والصبر، والرحمة، والعفو، والصفح، والتواضع، والوفاء، والإيثار، والشجاعة، والذكاء، والأمانة، والحياء المحمود، والكرم، والتقوى، والإرادة القوية التي تشمل قوة العزيمة، والهمة العالية، والتفاؤل، والنظام والدقة والمحافظة على الوقت، والاعتزاز بالإسلام، والمحمل بما يدعو إليه؛ ليكون قدوةً صالحةً، والزهد، والورع، والاستقامة، وإدراك الداعية لما حوله، والقصد والاعتدال، والشعور بمعية الله، والثقة بالله تعالى، والتدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم كما فعل النبي ﷺ وأمر بذلك معاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن.

كما ينبغي للداعية أن يبتعد عن كل ما يضاد هذه الأخلاق من الأخلاق القبيحة.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي للداعية أن يعتني بها، معرفة القواعد، والضوابط التي يجب مراعاتها والسير على ضوئها، حتى يكون الداعية مسددًا في دعوته. ومن ذلك: قول سفيان

الثوري [1] (لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به عالم بما ينهى عنه) [2] وقال الإمام محمد المقدسي: قال بعض السلف: (لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه) [3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه–: (فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحبًا في هذه الأحوال) [4] .

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى–: (فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأولَيان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة) [5] .

فإذا طبق الداعية ما تقدم من الصفات والأخلاق والقواعد والضوابط كان من أعظم الناس حكمة– بإذن الله تعالى–.

---

(١) هو شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ المجتهد : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ولد سنة ٩٧ هـ ، ومات سنة ١٦١هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، ٧/ ٢٢٩– ٢٧٩ .

(٢) انظر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأبي بكر الخلال ، ص٥٠ .

(٣) مختصر منهاج القاصدين ، ص ١٢٩ ، ونسب هذا القول إلى بعض السلف ابن تيمية أيضًا في الحسبة في الإسلام ، ص٨٤ .

(٤) الحسبة في الإسلام ، ص٨٤ .

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم رحمه الله تعالى ، ٣/ ١٦ .

وإجماع علماء أهل السنة والجماعة.

ب- فهم الداعي غايته في الحياة ومركزه بين البشر.

جـ- تعلقه بالآخرة، وتجافيه عن دار الغرور.

٢ - الإيمان العميق المثمر: لمحبة الله، وخوفه، ورجائه، واتباع رسوله ﷺ في كل أموره.

٣ - اتصال الداعية بالله- تعالى- في جميع أموره، وتعلقه به، وتوكله عليه، واستغاثته به، وإخلاصه له، والصدق معه في الأقوال والأفعال.

٣ - أخـــلاق الداعية وصفاته:

يحتاج الداعية إلى الأخلاق الحسنة والصفات الكريمة: وهي أخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه وبينها رسوله ﷺ في سنته.

ومن أهم هذه الأخـــلاق والصفات التي ينبغي للداعية أن يلتزمها: الصدق، والإخلاص، والدعوة إلى اللّه على بصيرة، والحلم، والرفق، واللين، والصـــبر، والرحمة، والعفو، والصفح، والتواضع، والوفاء، والإيثار، والشجـــاعـــة، والـــذكاء، والأمانة، والحياء المحمود، والكرم، والتقوى، والإرادة القوية التي تشمل قوة العزيمة، والهمة العالية، والتفـــاؤل، والنظام والدقة والمحافظة على الوقت، والاعتزاز بالإسلام، والمحمـــل بما يدعـــو إليه؛ ليكـــون قدوةً صالحـــةً، والزهد، والورع، والاستقامة، وإدراك الداعية لما حوله، والقصد والاعتدال، والشعور بمعية الله، والثقة بالله تعالى، والتدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم كـــما فعل النبي ﷺ وأمر بذلك معاذ بن جبل عندما أرسله إلى اليمن.

كما ينبغي للداعية أن يبتعد عن كل ما يضاد هذه الأخلاق من الأخلاق القبيحة.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي للداعية أن يعتني بها، معرفة القواعد، والضوابط التي يجب مراعاتها والسير على ضوئها، حتى يكون الداعية مسددًا في دعوته. ومن ذلك: قول سفيان

الثوري [1] (لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به عالم بما ينهى عنه) [2] وقال الإمام محمد المقدسي: قال بعض السلف: (لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه) [3] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه–: (فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحبًا في هذه الأحوال) [4] .

وقال ابن القيم – رحمه الله تعالى–: (فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأولَيان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة) [5] .

فإذا طبق الداعية ما تقدم من الصفات والأخلاق والقواعد والضوابط كان من أعظم الناس حكمة– بإذن الله تعالى–.

---

(١) هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ المجتهد: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد سنة ٩٧ هـ، ومات سنة ١٦١هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٧/ ٢٢٩– ٢٧٩ .

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر الخلال، ص٥٠ .

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص ١٢٩، ونسب هذا القول إلى بعض السلف ابن تيمية أيضًا في الحسبة في الإسلام، ص٨٤ .

(٤) الحسبة في الإسلام، ص٨٤ .

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم رحمه الله تعالى، ٣/ ١٦ .

المسلك الثالث: المدعو:

ينبغي للداعية أن يعلم أن الدعوة إلى الإسلام عامة لجميع البشر، بل للجن والإنس جميعًا، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وليست خاصة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة، أو زمان دون زمان، أو مكان دون مكان. ومن حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى، ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيئ الناس إليه، فقد كان النبي ﷺ يأتي إلى الناس ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في المواسم، ويذهب إلى مقابلة وملاقاة الوفود ومن يقدم.

ولا يجوز للداعية أن يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به؛ لأن من حق كل إنسان أن يُدعى.

وإذا كان من حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى ولا يستهان به، ولا يستصغر شأنه فعليه أن يستجيب.

وينبغي للداعية أن يعلم أن المدعوين أصناف وأقسام: فمنهم الملحد، ومنهم المشرك الوثني، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم المنافق، ومنهم المسلم الذي يحتاج إلى التربية والتعليم، ومنهم المسلم العاصي. ثم هم أيضًا يختلفون في قدراتهم العقلية، والعلمية، والصحية، ومراكزهم الاجتماعية: فهذا مثقف، وهذا أُمّيٌّ، وهذا رئيس وهذا مرؤوس، وهذا غني وهذا فقير، وهذا صحيح وهذا مريض، وهذا عربي وهذا أعجمي... فينبغي للداعية أن يكون كالطبيب الحاذق الحكيم الذي يشخص المرض، ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه، مراعيًا في ذلك قوة المريض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو يقطع شيئًا من أعضائه من أجل استئصال المرض طلبًا لصحة المريض [1]

(١) انظر : أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ، ص ٣٦٥-٣٩٤ .

والداعية ينبغي له أن يبدأ مع المدعوِّين بخطوات محسوسة [1] منها ما يأتي:

أ- يبدأ بنفسه فيصلحها حتى يكون القدوة الصالحة.

٢ - ثم يمضي إلى تكوين بيته وإصلاح أسرته، ليُكوِّن البيت المسلم، واللبنة المؤمنة.

٣ - ثم يتوجـــه إلى المجتمع وينشر دعوة الخير فيه، ويحارب الرذائل والمنكرات بالحكمة، ويشجع الفضائل ومكارم الأخلاق.

٤ - ثم دعوة غير المسلمين إلى منهج الحق وإلى شريعة الإِسلام ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [2].

المسلك الرابع: أساليب الدعوة ووسائل تبليغها:

الداعية يحتاج إلى فهم أساليب الدعوة ووسائل تبليغها، حتى يكون على قدر من الكفاءة لتبليغ الدعوة إلى اللّه تعالى بإحكام وإتقان وبصيرة. وذلك كالتالي:

أولًا: أساليب الدعوة:

الأسلوب: الطريق والفن: يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة [3] .

وأساليب الدعوة: هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه.

والمصادر الأساسية التي يستمد الداعية ويتعلم أساليب دعوته الحكيمة منها هي: كتاب اللّه- تعالى-، وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح: من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان من أهل العلم والإيمان.

وتقوم أساليب الدعوة الحكيمة الناجحة المؤثرة على الأساليب الآتية:

---

(١) وقد أوضحت كيفية دعوة المدعوين على اختلاف أصنافهم في الفصل الثالث والفصل الرابع من هذا الكتاب ، انظر : صفحة٣٣٣ و٥١٣ .

(٢) انظر . الدعوة إلى الله ، للدكتور توفيق الواعي ، ص٨٤ .

(٣) انظر : القاموس المحيط ، فصل السين ، باب الباء ، ص ١٢٥ ، والمصباح المنير ، مادة "سلب " ، ١/ ٢٤٨ ، والمعجم الوسيط ، مادة "سلب " ، ١/ ٤٤١ .

١- تشخيص وتحديد الداء في المدعوين، ومعرفة الدواء: فإن طبيب الأبدان الحاذق الحكيم يشخص ويعرف الداء أولًا، ثم يصف ويعين العلاج ثانيًا على حسب الداء. والداعية إلى الله- تعالى- هو طبيب الأرواح والقلوب فعليه أن يسلك هذا الأسلوب في معالجة الأرواح. والداء عند الناس قد يكون كفرًا، وقد يكون معصية، فعلى الداعية أن يعطي الدواء على حسب الداء؛ فإن دواء الكفر الإيمان بالله، وبما جاء عنه وعن رسوله ﷺ. ودواء المعاصي كبائرها وصغائرها التوبة إلى اللّه- تعالى-، والإقبال إليه، والإكثار من الطاعات المكفرة للسيئات، وهكذا لكل داء دواء.

٢ - إزالة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والإِحساس به: ولا شك أن الشبهات: هي ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعية وحقيقة ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له، أو تأخير هذه الاستجابة.

٣ - ترغيب المدعوين وتشويقهم: إلى استعمال الدواء، والاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه. وترهيبهم من ترك الدواء بكل ما يخوف ويحذر من عدم الاستجابة، أو عدم الثبات على الحق بعد قبوله.

٤ - تعهد المستجيبين من المدعوين: بالتربية والتعليم، والتوجيه؛ لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم. ومن أعظم وسائل التربية المؤثرة: الاتصال بكتاب اللّه- تعالى- تلاوة، وتدبرًا، وفهمًا، والاتصال الدائم بالسنة النبوية، وسيرة السلف الصحابة- رضي اللّه عنهم-. فعلى الداعية أن يعين المستجيبين على هذه الأمور العظيمة.

٥ - تقوم جميع الأساليب على: أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ثم استخدام القوة للمعاندين الظالمين.

ثانياً: وسائل تبليغ الدعوة إلى اللّه تعالى:

الوسيلة في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء [1] ووسائل الدعوة: هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور.

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، باب الواو مع السين ، ٥/ ١٨٥ .

ولا شك أن وسائل الدعوة على نوعين:

النوع الأول: وســـائل خارجية تتعلق باتخـــاذ الأسباب لتهيئة المجال المناسب. ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

أ- الحـــذر المبني على التوكل على اللّه- تعالى- مع الأخذ بالأسباب. ومعلوم أن الحذر أنواع من جهة ما يحذره الداعي المسلم، فهناك: حذره من الوقوع في المعاصي، والحذر من الأهل والولد، والحذر من اتباع الهوى، والحذر من المنافقين والكفار.

ب- الاستعـــانة بعد الله- تعالى- بالغير في تبليغ الدعوة، فالداعية يحرص على إيصال الدعوة إلى الناس؛ فيستعين بكل وسيلة مشروعة لتحقيق ما يحرص عليه.

جـــ- المحافظة على النظام المشروع: كحفظ الداعية تنظيم وقته وعدم إضاعته، وإذا كان الدعاة جماعة فعليهم أن يراعوا قواعد النظام التي أمر بها الإسلام، حتى تثمر جهودهم ولا تضيع، فإن القليل من العمل بنظام والدوام عليه خير من الكثير مع الفوضى والانقطاع.

النوع الثاني: وسائل تبليغ الدعوة بصورة مباشرة.

وهذه الوسائل تكون: بالقول، وبالعمل، وبسيرة الداعية التي تجعله قدوة حسنة لغيره فتجذبهم إلى الإسلام. ومن هذه الوسائل ما يأتي:

أ- التبليغ بالقول:

القول في مجال التبليغ أنواع متعـــددة منها: الخطبة، والدرس، والمحاضرة، والندوة، والمناقشة والجدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلمة الوعظية، والدعوة الفردية، والنصيحة الأخوية، والفتوى الشرعية، والكتابة: كالرسالة، والمقال، والكتاب، والكُتيِّب، والنشرة. والداعية يستعين في تبليغ دعوته بجميع الوسائل المختلفة، المشروعة، المفيدة، وقد تكون بعض الوسائل نافعة في زمن دون زمن، وفي مجتمع دون آخر، والداعية الحكيم هو الذي يختار الوسائل المناسبة لكل عصر ومصر.

ووسيلة التبليغ بالقول تُبلَّغ عن طريق الوسائل الآتية:

١ - اللقاءات العامة: كإقامة المحاضرات، والندوات، والمناقشات، والدروس في المساجد، والجامعات، والمعاهد، والمدارس، والمؤتمرات، وفي المناسبات التي يحضرها الناس بصورة جماعية كبيرة.

٢ - اللقاءات الخاصة: كالدروس الخاصة بطلاب العلم، ولا يمنع حضور غيرهم.

٣ - الدعوة الفردية: بالنصيحة الأخوية، والهدية الرمزية.

٤ - الكتابة: الرسالة، والمقال، والكتاب، والكُتيِّب، والنشرة.

٥ - وسائل الإعلام الحديثة. المسموعة، والمرئية، والمقروءة، والشخصية.

٦ - الوسائل الشخصية كالمسجلات، وشرائط التسجيل، والهاتف... فينبغي للداعية الحكيم أن يستغل هذه الوسائل ويشغلها بالحق؛ لأنه بذلك يخاطب ملايين البشر في مشارق الأرض ومغاربها، وعن طريقها تصل الدعوة إلى أقطار بعيدة وتعم أماكن كثيرة.

وينبغي أن يكون قول الداعية واضحًا بيِّنًا، خاليًا من الألفاظ التي تحمل حقًّا وباطلًا وخطأً وصوابًا، وأن يستعمل الألفاظ الشرعية المستعملة في القرآن والسنة وعند علماء المسلمين.

كما ينبغي للداعية أن يتأنى في كلامه حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه، وأن يبتعد عن التفاصح والتعاظم، والتكلف في النطق، ويبتعد عن روح الاستعلاء على المدعو واحتقاره وإظهار فضله عليه، وأن يتلطف بالقول للمدعوين، ويكون موضع الثقة بين الناس [1] .

ب- التبليغ بالعمل:

والتبليغ بالعمل هو كل فعل يؤدي إلى إزالة المنكر ونصرة الحق وإظهاره، والأصل في ذلك قوله ﷺ « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه،

(١) انظر : أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ، ص٤٥٣ و٤٥٤ ، والدعوة إلى الله تعالى للدكتور توفيق الواعي ، ص٢٦٢ و٢٦٤ .

فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإِيمان ﴾ [1] [2] والتبليغ بالعمل كما يكون بإزالة المنكر يكـــون بإقامة المعروف: كبناء المساجد، وبناء الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية، وإقامة المكتبات فيها وتزويدها بالكتب النافعة، وبناء المستشفيات الإسلامية، ودور الرعاية الاجتماعية، وطبع الكتب الإسلامية وتوزيعها، واختيار الرجل الصالح للعمل في هذه المجالات وفي المجالات المهمة. وهذا- كله- في الحقيقة دعوة صامتة إلى الله تعالى.

ج- التبليغ بالسيرة الحسنة:

من وسائل التبليغِ المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام التبليغ بالســـيرة الطيبة للداعي، وأفعاله الحميدة، وصفاته العالية، وأخلاقه الكريمة والتزامه بالإسلام ظاهرًا وباطنًا مما يجعله قدوةً طيبةً وأُسوةً حسنةً لغيره؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ من التأثير بالكلام وحده.

وأصول السيرة الحسنة التي يكون بها الداعية قدوةً طيبةً لغيره ترجع إلى أصلين عظيمين: حسن الخلق، وموافقة العمل للقول.

فحسن الخلق كلمة يندرج تحتها كثير من الصفات: كالتواضع، والوفاء بالعهد، والأمانة، وقوة العزيمة، والشجاعة، والصبر، والشكر، والحلم، والرفق، والتقوى، والحياء، والعفو والصفح، والجود والكرم، والصدق والعدل، وحفظ اللسان، والرحمة.

وموافقة القول للعمل هي أن يكون فعل الداعية موافقاً للطريق المستقيم، وسيرته تطبيقًـــا عمليًا لقوله، ولا يخالف ظاهره باطنه، فإن أمر بشيء التزمه، وإن نهى عن شيء كان أول تاركٍ له؛ ليفيد وعظه، وينفع إرشاده، ويثمر، ويقتدي به، فإن كان يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر وهو واقع فيه فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الدعوة إلى اللّه تعالى. [3]

---

(١) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/١٠) .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون النهى عن المنكر من الإيمان ، ١/ ٦٩ .

(٣) انظر أساليب الدعوة ووسائل تبليغها بالتفصيل في : أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ، ص ٣٩٥-٤٦٩ والدعوة إلى الله لتوفيق الواعي ، ص ١/ ٢٤- ٣٧٢ .

الفصل الثاني
مواقف الحكمة

الفصل الثاني مواقف الحكمة

أهمية مواقف الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى

توطئة:

لا يشك مسلم أن الدعوة بالمواقف المشرفة لها الأثر الكبير في قلوب المدعوين، والمواقف المشرفة تدفع المدعو إلى التفكر، والتأمل كثيرًا، وربما تكون نقطة التحول في حياته.

وقد كان للنبي مواقف حكيمة مشرفة في دعوته إلى اللّه، وكم كان له من المواقف المشرفة التي دخل كثير من الناس الإِسلام بفضل اللّه ثم بسببها!

والصحابة- وهم أفضل البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم مواقف حكيمـــة يتشرف ويعتز بها كل من دخل في الإسلام، وكـــذا التابعون، وتابعو التابعين.

والأئمة الأعلام لهم مواقف في دعوتهم إلى الله، سأذكر نماذج منها إن شاء الله- تعالى- في المباحث التالية:

المبحث الأول: مواقف النبي ﷺ.

المبحث الثاني: مواقف الصحابة رضى الله عنهم.

المبحث الثالث: مواقف التابعين رحمهم الله.

المبحث الرابع: مواقف أتباع التابعين رحمهم الله.

المبحث الخامس: نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور.

المبحث الأول: مواقف النبي ﷺ

توطئة:

المطلب الأول: مواقف النبي ﷺ قبل الهجرة.

المطلب الثاني: مواقف النبي ﷺ بعد الهجرة.

المبحث الأول مواقف النبي ﷺ

مكانة مواقفه ﷺ في نفس الداعية والمدعو

توطئة:

للنبي ﷺ مواقف حكيمة مشرفة، والداعية إلى اللّه حينما يقف ويتأمل المواقف التي وقفها النبي ﷺ في دعوته إلى الله يزداد حكمة، ويستفيد من هذه المواقف في دعوته، ويطبق الحكم التي يقتبسها من مواقفه ﷺ في دعوته، فالنبي ﷺ هو الأسوة التي ينبغي لكل مسلم أن يلتزمها ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [1] .

وسأذكر بعون الله- تعالى- في هذا المبحث نماذج من مواقف النبي ﷺ التي وقفها في دعوته إلى الله، ومواقفه في هذا الشأن كثيرة جدًّا لا يستطيع أحــد أن يستغرقها، ولكني سأذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر في المطالب التالية:

المطلب الأول: مواقف النبي ﷺ قبل الهجرة.

المطلب الثاني: مواقف النبي ﷺ بعد الهجرة.

(١) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

المطلب الأول : مواقف النبي ﷺ قبل الهجرة :

المسلك الأول: مواقفه ﷺ في مرحلة الدعوة السرية:

من المعلوم أن مكة كانت مركز دين العرب، وكان بها سدنة الكعبة، والقوَّام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عُسرًا وشدة عما لو كان بعيدًا عنها، فالأمر يحتاج إلى عزيمة قوية لا تزلزلها المصائب والكوارث، ويحتاج إلى موقف حكيم يحل الوضع الراهن، وتنجح الدعوة من خلاله، ولا شك أن الفضل والمنة لأحكم الحاكمين الذي ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ [1] ، فإنه سبحانه قد أعطى محمدًا ﷺ الحكمة ووفقه، وسدَّده، وأعانه.

ولهذا بدأ ﷺ بالدعوة السرية بعد أن أمره ربه- تبارك وتعالى- بإنذار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝ ﴾ [2].

ومن هنا بدأ رسول اللّه ﷺ يسلك طريق الحكمة في حل الحالة الراهنة في قريش، فوقف المواقف العظيمة التي يعجز عنها عظماء الرجال بل البشر جميعًا.

بدأ ﷺ يعرض دعوته على ألصق الناس به، وأهل بيته، وأصدقائه، ومن توسم فيهم خيرًا ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الخير والحق، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأحاول من هؤلاء جمع عُرِفُوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، فكان أول من أسلم زوج النبي ﷺ خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها-، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم مولاه زيد بن حارثه الكلبي رضي الله عنه ثم أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .

(٢) سورة المدثر الآيات ١ - ٧ .

ونشط أبو بكر في دعوة رجال كان لهم أثر عظيم في الإسلام، أمثال: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فهؤلاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ﷺ بالإضافة إلى علي، وزيد، وأبي بكر، يصبحون ثمانية، هم الذين سبقوا الناس، وهم الرعيل الأولى وطليعة الإسلام.

ودخل الناس في دين الله واحدًا بعد واحد، حتى فشا الإسلام في مكة، وتُحُدِّثَ به، وقد كان النبي ﷺ يجتمع بهم ويعلمهم ويرشدهم مختفيًا؛ لأن الدعوة لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع، وحمي نزوله بعد نزول أوائل المدثر، ولم يكن ﷺ يظهر الدعوة في مجامع قريش العامة، ولم يكن المسلمون الأوائل يتمكنون من إظهار دينهم وعبادتهم، حذرًا من تعصب قريش لجاهليتها وأوثانها، وإنما كانوا يخفون ذلك [1]

ولقد بلغ المسلمون عددًا يقرب الأربعين رجلا، وما زالت الدعوة سرًّا لم يجهر بها بين صفوف قريش؛ لأن الرسول الحكيم ﷺ يعلم أن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقع من أذى يصيب به قريش المسلمين، وكان من الضروري أن يجتمع بهم رسول اللّه ﷺ على شكل جماعات يرشدهم، ويعلمهم؛ ليكوِّن منهم القاعدة الصلبة التي يمكن أن يواجه بها أولئك الذين يقفون في وجه دعوة التوحيد، وقد اختيرت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فكان يلتقي بهم على شكل أُسَر يعلمهم أمور دينهم، وكان إلى جانب دار الأرقم - المركز الرئيسي- دور أخرى تكون مراكز فرعية حيث يذهب إليهم رسول اللّه ﷺ أحيانًا دون انتظام، أو ينتظم فيها الصحابة الذين يختارهم رسول اللّه ﷺ مثل دار سعيد بن زيد، ولكن الأرقم بن أبي الأرقم قد فاز بمنقبة عظيمة، وهي اتخاذ داره مركزًا رئيسيًا للدعوة أيام ضعفها واستخفائها، وهي أحرج أوقات مرت بها الدعوة [2]

وهكذا مرت ثلاث سنين، والدعوة لم تزل سرية وفردية، وخلال هذه الفترة

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام١/ ٢٦٤ ، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي- قسم السيرة- ص١٢٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير٣/ ٢٤-٣٧ ، وزاد المعاد ٣/ ١٩ ، ومختصر سيرته- - للإمام محمد بن عبد الوهاب ص٥٩ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ٥٧ ، وهذا الحبيب يا محب ص٩١ .

(٢) انظر : البداية والنهاية٣/ ٣١ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ٦٢ ، وهذا الحبيب يا محب ص٩٧ .

تكـــونت جماعـــة من المؤمنـــين تقوم على الأخوة، والتعاون، وتبليغ الرسالة، وتمكينها من مقامها.

وبعد أن أسلم عم النبي ﷺ حمزة بن عبد المطلب وبعض وجهاء قريش الذين لهم شأن عظيم، وقويت بهم الجماعة الإسلامية كعمر بن الخطاب – رضي اللّه عنـــه– نزل قولـــه تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦ ﴾ [1].

وهذا يدل دلالـــة واضحـــة على أن الله ﷻ قد أعطى نبيه الكريم الحكمة؛ ولهذا قام بهذه المواقف الحكيمة المشرفة التي تكون نبراسًا للداعية إلى الله يسير على مقتضاها، وخاصة في دعوة المجتمعات الوثنية الكافرة، أما المجتمعات الإسلامية فلا دليل لمن يرى سرية الدعوة في بلاد المسلمين.

أما سرية الدعوة في عهد النبي ﷺ في أول البعثة؛ فلأن الرسول ﷺ وأصحابه– رضي الله عنهم– كان لا يسمح لهم أن يقولوا: لا إلـــه إلا الله، محمد رسول الله، ولا أن يؤذنوا، أو يصلوا، ولما قويت شوكتهم أمر الله رسوله بالجهر بالدعوة فجهروا بها، ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين [2] .

المسلك الثاني: مواقفه ﷺ في مرحلة الدعوة الجهرية بمكة:

أمر الله نبيه بإنذار عشيرتـــه الأقربـــين، فقال ﷻ ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٢١٦ ﴾ [3].

فقام رسول الله ﷺ بتنفيذ أمر ربه بالجهر بالدعوة والصدع بها، وإنذار عشيرته،

(١) سورة الحجر الآيات ٩٤ – ٩٦ .

(٢) انظر : الرحيق المختوم ص ٧٥ ، والتاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر ٢/ ٦٢ ، وهذا الحبيب يا محب ص٩٩ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ – ٢١٦ .

فوقف مواقف حكيمة أظهر الله بها الدعوة الإسلامية، وبين بها حكمة النبي ﷺ وشجاعته، وإخلاصه لله رب العالمين، وقمع بها الشرك وأهله، وأذلهم إلى يوم الدين، ومن هذه المواقف الحكيمة ما يأتي:

(أ) موقفه الحكيم في صعوده على الصفا، ونداؤه العام:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: ﴿ لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [1] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيَلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا؟ نعم، ما جربنا عليك إلا صِدْقًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم أ لهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ﴾ [2] ﴾ [3]

وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أنه ﷺ ناداهم بطنًا بطنًا، ويقول لكل بطن: "أنقذوا أنفسكم من النار... "، ثم قال: "يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من اللّه شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها ﴾ [4] [5]

---

(١) سورة الشعراء آية : ٢١٤ .

(٢) سورة المسد الآيتان : ١ ، ٢ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين٨/ ٥٠١ ، ٧٣٧ ، ٦/ ٥٥١ ، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب قوله . وأنذر عشيرتك الأقربين١/ ١٩٤ ، والآيتان من سور المسد : ١-٢ .

(٤) البخاري الوصايا (٢٦٠٢) ، مسلم الإيمان (٢٠٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣١٨٥) ، النسائي الوصايا (٣٦٤٤) ، أحمد (٢/٣٦١) ، الدارمي الرقاق (٢٧٣٢) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة الشعراء ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين٨/ ٥٠١ ، ٥/ ٣٨٢ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب : وأنذر عشيرتك الأقربين١/ ١٩٢ .

وهذه الصيحة العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند اللّه تعالى، فقد دعا ﷺ قومه- في هذا الموقف العظيم- إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، ورغبهم في الجنة، وحذرهم من النار، وقد ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يضرب لصرخاتهم حسابًا؛ لأنه مرسل من الله ﷻ ولا بد أن يبلغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو خالفه أو رد دعوته جميع العالمين، وقد فعل ﷺ (١) .

استمر ﷺ يدعو إلى اللّه- تعالى- ليلا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصده عن ذلك صاد، استمر يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من: حر وعبد، وقوي وضعيف، وغني وفقير، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.

وقد تسلط عليه وعلى من اتبعه الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب لأنها لا تريد أن تفارق عبادة الأصنام والأوثان (٢) ومع ذلك لم يفتر محمد ﷺ في دعوته، ولم يترك العناية والتربية الخاصة لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، فقد كان يجتمع بالمسلمين في بيوتهم على شكل أسر بعيدة عن أعين قريش، وتتكون هذه الأسر من الأبطال الذين عقد عليهم رسول الله ﷺ الأمل بعد الله – تعالى- في حمل العبء والمهام الجسيمة لنشر الإسلام، وبذلك تكونت طبقة خاصة من المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها، منقادة لأمر ربها، طائعة لقائدها، مطبقة لكل أمر يصدر عنه برغبة وشوق

---

(١) انظر . الرحيق المختوم ص٧٨ ، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٠١ ، ١٠٢ ، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص٤٧ .

(٢) البداية والنهاية ٣/ ٤٠ .

واندفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.

وبهذه المواقف الحكيمة، والتربية الصالحة المتينة استطاع محمد ﷺ أن يؤدي الأمانة، ويبلغ الرسالة، وينصح الأمة، ويجاهد في اللّه حق جهاده، ويرسم لنا طريقًا نسير عليه في دعوتنا وعملنا وسلوكنا، فهو قدوتنا وإمامنا الذي نسير على هديه، ونستنير بحِكَمِهِ ﷺ.

فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها ورباها، فلبت الدعوة، وآمنت به، وكانت دعوته عامة للناس، وأثناء هذه الدعوة يركز على من يجد عندهم الإمكانات أو يتوقع منهم ذلك، وقد تكون من هذه العناصر نواة القاعدة الصلبة التي ثبتت عليها أركان الدعوة [(١)] .

ومع هذا الجهد المبارك العظيم لم يلجأ رسول الله ﷺ إلى الاغتيال السياسي، ولم يتخلص بالاغتيال من أفراد بأعينهم، وكان بإمكانه ذلك وبكل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلف أحد الصحابة بقتل بعض قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة المخزومي، أو العاص بن وائل السهمي، أو أبي جهل عمرو بن هشام، أو أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب، أو النضر بن الحارث، أو عقبة بن أبي معيط، أو أُبيّ بن خلف، أو أُمية بن خلف..، وهؤلاء هم من أشد الناس أذية لرسول الله-لجير، فلم يأمر أحدًا من أصحابه باغتيال أحد منهم أو غيرهم من أعداء الإِسلام؛ فإن مثل هذا الفعل قد يُودي بالجماعة الإسلامية كاملة، أو يعرقل مسيرتها مدة ليست باليسيرة، كرد فعل من أعدَاء الإِسلام الذين يتكالبون على حربه، والنبي ﷺ لم يؤمر في هذه المرحلة باغتيالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

وعلى هذا يجب أن يسير الدعاة إلى الله فوق كل أرض، وتحت كل سماء، وفي كل وقت، يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول اللّه ﷺ سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها، فطريق الدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمه

---

(١) التاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر٢/ ٦٥ .

وتصرفاته على حسب ما أرادها ﷺ [(١)] .

(ب) صموده وثباته أمام ممثلي قريش واضطهادهما:

رأت قريش أن تجرب أسلوبًا آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد ﷺ تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذره مغبة هذا التأييد والنصرة لمحمد ﷺ وتطلب منه أن يكف عنها محمدًا ودينه [(٢)] .

وكانت أساليبهم كالتالي:

١- جاءت سادات قريش إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، مِنْ: شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى نكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، وعظم عليه فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ لهم، ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فثبت النبي ﷺ على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في اللّه لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينـــه ويعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبات ويئس من موافقة النبي ﷺ لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال: لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

---

(١) انظر : التاريخ الإِسلامي لمحمود شاكر٢/ ٦٥ .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٤١ ، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١١٢ .

واللّه لــن يصــلوا إليــك بجمعهــم حــتى أُوسَّــد في التــراب دفينــا
فاصدع بأمرك مــا عليــك غضاضــة وأبشر وقر بــذاك منــك عيونــا [(١)]

٢ – **بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب**، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تتقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم وزادهم هولًا وفزعًــا تزايد عدد المسلمــين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبــالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون رسول الله ﷺ فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول اللّه ﷺ أمورًا لعله يقبل بعضها فتعطَى من أمور الدنيا ما يريد.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول اللّه ﷺ فقال: ﴿ يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة [(٢)] في العشيرة، والمكان في النسب،، إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرَّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله ﷺ "قل يا أبا الوليد أسمع "، قال: يا ابن أخي إن كنت إنــما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه... حتى إذا فرغ عتبة، ورسول اللّه ﷺ يستمع منه، قال: " أقد فرغت يا أبا الوليد؟ " قال: نعم، قال: "فاستمع مني"، قال: افعل، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ

(١) انظر . سيرة ابن هشام١/ ٢٧٨ ، وانظر . البداية والنهاية٣/ ٤٢ ، وفقه السيرة للغزالي ص١١٤ ، والرحيق المختوم ص٩٤ .

(٢) يعني . المترلة الرفيعة . انظر . المصباح المنير ، مادة "سطا " ، ص ٢٧٦ ، والقاموس المحيط ، باب الواو ، فصل السين ، ص١٦٧٠ .

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [1]. ثم مضى رسول اللّه ﷺ فيها يقرؤها عَليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك } [2] وفي رواية أخرى ﴿ أن عتبة استمع حتى جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] فقام مذعورًا، فوضع يده على فم رسول الله ﷺ يقول: أنشدك الله والرحم، وطلب منه أن يكف عنه، فرجع إلى قومه مسرعًا كأن الصواعق ستلاحقه، واقترح على قريش أدى تترك محمدًا وشأنه، وأخذ يرغبهم في ذلك ﴾ [4]

لقد تخير رسول الله ﷺ بفضل الله- تعالى-، ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي، ليعرف عتبة حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمدًا ﷺ يحمل كتابًا من الخالق إلى خلقه، يهديهم من الضلال، وينقذهم من الخبال، ومحمد ﷺ قبل غيره مكلف بتصديقه والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فإذا كان الله ﷻ يأمر الناس بالاستقامة على أمره، فمحمد ﷺ أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكًا ولا مالًا ولا جاهًا، لقد مكنه اللّه من هذا كله، فعف عنه وترفع أن يمد يديه إلى هذا الحطام الفاني؛ لأنه صادق في دعوته،

---

(١) سورة فصلت الآيات ١ - ٥ .

(٢) أخرج هذه القصة ابن إسحاق والمغازي ١/ ٣١٣ من سيرة ابن هشام ، قال الألباني : وإسناده حسن إن شاء الله . انظر فقه السيرة للغزالي ص١١٣ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٦١ ، والبداية والنهاية ٣/ ٦٢ ، والرحيق المختوم ص١٠٣ .

(٣) سورة فصلت آية : ١٣ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٣/ ٦٢ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٦٢ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، قسم السيرة ص ١٥٨ ، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١١٤ ، وهذا الحبيب يا محب ص١٠٢ .

مخلص لربه، ﷺ [(١)]

وهذا موقف من أعظم مواقف الحكمة التي أوتيها النبي ﷺ فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالًا، ولا جاهًا، ولا ملكًا، ولا نكاحًا، من أجل أن يتخلى عن دعوته، وقد اختار الكلام المناسب في الموضع المناسب، وهذا هو عين الحكمة.

٣ – قرر المشركون ألا يألوا جهدًا في محاربة الإسلام وإيذاء النبي ﷺ ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام.

ومنذ جهر النبي ﷺ بدعوته إلى الله، وبين أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عامًا، ويعبدون اللّه عامًا! إلى غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!.

واتهموا النبي ﷺ بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي ﷺ ثابت صابر محتسب يرجو من اللّه النصر لدينه، وإظهاره [(٢)] لقد نال المشركون من النبي ﷺ ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا أبو جهل يعتدي على النبي ﷺ ليعفر وجهه في التراب، ولكن اللّه حماه منه، ورد كيده في نحره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿ قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول اللّه ﷺ وهو

(١) انظر : فقه السيرة لمحمد الغزالي ، ص١١٣ .

(٢) انظر . فقه السيرة لمحمد الغزالي ص١٠٦ ، والرحيق المختوم ص٨٠ ، ٨٢ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢/ ٨٥ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، وهذا الحبيب يا محب ص١١٠ .

يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجئهم [١] منه إلا وهو ينكص على عقبيه [٢] ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار، وهولًا، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا". قال: فأنزل الله ﷻ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ ﴾ [٣]... إلى آخر السورة. ﴾ [٤]

وقد عصم الله النبي ﷺ من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر على هذا الأذى العظيم ابتغاء وجه الله- تعالى-، فضحى بنفسه وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

٤- ومما أُصيبَ به محمد ﷺ من الأذى بتحريض هذا الطاغية ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: ﴿ بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا [٥] جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم [٦] فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضىَ النبي ﷺ صلاتـــه، رفـــع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: "اللهم عليك بقريش " ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: "اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن

---

(١) ويقال أيضا : فجأهم ، أي : بغتهم . انظر : شرح النووي١٧/ ١٤٠ .

(٢) يرجع يمشي إلى ورائه . انظر : المرجع السابق ١٧/ ١٤٠ .

(٣) سورة العلق آية : ٦ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين ، باب قوله تعالى : كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىأَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ٤/ ٢١٥٤ ، وانظر : شرح النووي ١٧/ ١٤٠ .

(٥) السلا ، هو . اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان ، وهي من الآدمية : المشيمة . انظر : شرح النووي١٢/ ١٥١ .

(٦) هو عقبة بن أبي مُعيط ، كما صرح به في رواية لمسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٩ .

ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط "، وذكر السابع و لم أحفظه، فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب. بدر ﴾ [1] .

٥ – ومن أشد ما صنع به المشركون ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد اللّه بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول اللّه ﷺ؟ قال: ﴿ بينما رسول اللّه ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول اللّه ﷺ وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [2].. ﴾ [3]

وقد اشتد أذى المشركين لرسول اللّه ﷺ ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ يستنصره، ويسأل منها الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

عن خباب بن الأرت ﷺ قال: ﴿ شكونا إلى رسول اللّه ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، [وقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: "قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد[مادون عظامه من لحم أو عصب]، فما

(١) البخاري مع الفتح ، في كتاب الوضوء ، باب إذا أُلقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ١/ ٣٤٩ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين ٢/ ١٤١٨ .

(٢) سورة غافر آية : ٢٨ .

(٣) سورة غافر الآية ٢٨ . والحديث في البخاري مع الفتح ، في كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة٧ | ١٦٥ ، وكتاب التفسير ، سورة المؤمن٨/ ٥٥٣ ، وكتاب فضائل الصحابة ، باس قول النبي لا لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ٧/ ٢٢ واللفظ ملفق من كتاب المناقب وكتاب التفسير .

يصده ذلك عن دينه، واللّه ليُتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللّه والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون ﴾ [1] [2] وهكذا اشتد أذى قريش على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة اللّه، والصدع بالحق، والثبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ عادات الجاهلية وخرافاتها ووثنيتها.

٦ - **لقي النبي ﷺ أشد الأذى**، ووصل الأمر إلى تغيير اسمه ﷺ احتقارًا له ولدينه، وحسدًا وبغضًا له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراهتهم للنبي ﷺ لا يسمون باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل اللّه بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلى غيره بحمد الله تعالى [3] .

قال ﷺ ﴿ ألا تعجبون كيف يصرف اللّه عني شتم قريش، ولعنهم؟! يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد ﴾ [4] [5] .

والنبي ﷺ له خمسة أسماء ليس منها مُذَممًا [6] .

جاءت أم جميل زوجة أبي لهب - حين سمعت ما أنزل اللّه فيها وفي زوجها من القرآن- إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ملء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري الإكراه (٦٥٤٤) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٩) ، أحمد (٦/٣٩٥) .

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦١٩ ، وفي كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة ٧ | ١٦٤ ، وفي كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ١٢/ ٣١٥ ، واللفظ من كتاب الإكراه ، وما بين المعكوفين من مناقب الأنصار .

(٣) انظر : فتح الباري ٦/ ٥٥٨ .

(٤) البخاري المناقب (٣٣٤٠) ، النسائي الطلاق (٣٤٣٨) ، أحمد (٢/٣٦٩) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ٦/ ٥٥٤ .

(٦) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ٦/ ٥٥٤ .

فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر ! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، واللّه لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما واللّه إني لشاعرة، ثم قالت: فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر ! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، واللّه لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما واللّه إني لشاعرة، ثم قالت:

مـــــــــذمما عصـــــــــــينا

وأمـــــــــــــره أبينـــــــــــا

ودينـــــــــــه قلينـــــــــــا (1)

استمر المشركـــون في إلحاق الأذى برسول الله ﷺ وبأصحابه الذين أسلموا، وبعد أن زاد عدد المسلمين وكثر عددهم ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولما رأى رسول الله ﷺ ذلك، ورأى أنه في حماية اللّه ثم عمه أبي طالب، وهو لا يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب- فقد مات منهم من مات، وعذب من عذب حتى عمي وهو تحت العـــذاب- فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلًا، وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان - رضي اللّه عنهم-، ذهبوا فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان ذلك في رجب، في السنة الخامسة من البعثة، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحدًا، ثم بلغ هؤلاء المهاجرين أن قريشًا قد كفوا عن النبي ﷺ فرجعوا إلى مكة من الحبشة، وقبل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهم أن الخبر كذب، وأن قريشًا أشد ما كانوا عداوة لرسول الله ﷺ فدخـــل من دخل مكة بجوار، وكان من الداخلين ابن مسعود، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار- كابن مسعود - أو مستخفيًا، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذًى شديدًا، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحبشة مرة

---

(1) انظر : سيرة ابن هشام ١ ٣٧٨ ، ومعنى قولها : قلينا : أي أبغضنا . انظر . تفسير ابن كثير٤ ٢٣ ٥ .

ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسع عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحمة النجاشي آمنـــين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله ﷺ عام خيبر (1) .

٧ – **ولما رأت قريش انتشار الإسلام**، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشـــة، من: إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائبًا، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبد المطلب، وبني عبد مناف وأن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول اللّه ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، فانحاز بنو هاشم، وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظاهرًا لقريش على رسول الله ﷺ وعلى بني هاشم، وبني عبد المطلب.

وحُبسَ رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعَثة، وبقوا محصورين محبوسين، مضيقًا عليهم جدًّا، مقطوعًا عليهم الطعـــام والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله ﷻ فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن محمدًا قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كـــما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفرًا إلى كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر،

(1) انظر : زاد المعاد لابن القيم٣/ ٢٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، والرحيق المختوم ص٨٩ ، وهذا الحبيب يا محب ص١٢٠ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٣ ، والبداية والنهاية ٣/ ٦٦ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٢|٩٨ ، ١٠٩ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ، قسم السيرة ، ص٨٣/ ١ .

وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك [(١)] . ولما نُقِضَت الصحيفة وافق موت أبي طالب وموت خديجة وبينهما زمن يسير، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى، فازدادوا غمًّا على غم حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصرًا، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه [(٢)] .

المسلك الثالث: مواقف النبي ﷺ بعد خروجه إلى الطائف:

في شوال، من السنة العاشرة من النبوة، خرج النبي ﷺ إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإِصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مر على قبيلة دعاهم إلى الإِسلام، فلم تُجِبْه واحدة منها.

١- موقفه الحكيم في دعوته لأهل الطائف:

عندما وصل الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه ردًّا قبيحًا، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صَفَّيْنِ يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول اللّه ﷺ من الطائف إلى مكة محزونًا، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبَيْن على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما [(٣)] .

٢ - حكمته العظيمة في جوابه لملك الجبال:

---

(١) انظر : زاد المعاد٣/ ٣٠ ، وسيرة ابن هشام١/ ٣٧١ ، البداية والنهاية٣/ ٦٤ ، والتاريخ الإِسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، وتاريخ الإِسلام للذهبي- قسم السيرة ص١٢٦ ، ١٣٧ ، والرحيق المختوم ص١١٢ .

(٢) انظر : زاد المعاد ٣/ ٣١ ، والرحيق المختوم ص١١٣ .

(٣) انظر : زاد المعاد٣/ ٣١ ، والرحيق المختوم ص١٢٢ ، وهذا الحبيب ص١٣٢ ، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٥ .

عن عائشة – رضي اللّه عنها– أنها قالت لرسول اللّه ﷺ ﴿ يا رسول اللّه هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: "لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال [1] فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أسْتَفِق إلا بقرن الثعالب [2] فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني؛ فقال: إن اللّه ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد ! إن اللّه قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت [3]؟ إن شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبَيْن. فقال له رسول اللّه ﷺ "بل أرجو أن يخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئًا ﴾ [4] .

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول اللّه ﷺ تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي أمده الله به.

وفي ذلك بيان شفقته على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [5] وقوله تعالى؛ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [6]. فصلوات اللّه وسلامه عليه [7].

---

(١) ابن عبد يا ليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف . الفتح ٦/ ٣١٥ .

(٢) وهو ميقات أهل نجد ، ويقال له : قرن المنازل ، ويعرف الآن بالسيل الكبير . انظر الفتح :٦/ ١١٥ .

(٣) استفْهام ، أي : فأمرني بما شئت . انظر : فتح الباري٦/ ٣١٦ .

(٤) البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم : آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٦/ ٣١٢ ، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢٠ وما بين المعكوفين من البخاري دون مسلم . .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٧) انظر : البخاري مع الفتح٦/ ٣١٦ ، والرحيق المختوم ص١٢٤ .

وأقـــام ﷺ بنخلة أيامًا، وصمم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة اللّه الخالدة، بنشاط جديد، وجد وحماس، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؛ فَرُوِيَ عنه [(١)] أنه قال: ﴿ يا زيد، إن اللّه جاعل لما ترى فرجًا ومخرجا، وإن اللّه ناصر دينه، ومظهر نبيه ﴾ [(٢)].

٣ – حكمته في دخوله إلى مكة في جوار المطعم بن عدي:

ثم سار حتى وصل مكة فأرسل رجلًا من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخـــل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام الْمُطْعِمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدًا فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول اللّه ﷺ إلى الركن، فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته [(٣)] .

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي ﷺ في رحلته إلى الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته وعدم اليأس من استجـــابة الناس لها، وبَحَثَ عن ميدان جديد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في ميدانها الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي ﷺ كان أستاذًا في الحكمة، وذلك لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة ثقيف في الطائف وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف وفِي سيل الدماء من قدمي النبي ﷺ – وهو النبي الكريم– أكبر مثل لما يتحمله الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد.

وفي عدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة ملك الجبال في إطباق الْأَخْشَبَيْن على أهل مكة أكبر مثل لما يتحمله الداعية في صبره على من رد دعوته، وعدم

---

(١) انظر : زاد المعاد ، لابن القيم ، ٣/ ٣٣ .

(٢) مسلم الجهاد والسير (١٧٨٤) ، أحمد (٣/٢٦٨) .

(٣) انظر : زاد المعاد٣/ ٣٣ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٨ ، والبداية والنهاية٣/ ١٣٧ ، والرحيق المختوم ص ١٢٥ .

اليأسِ من هدايتهم، فربما يخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه لا يشرك به شيئا.

ومن حكمته ﷺ أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار الْمُطْعم بن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عمن يحميه من كيد أعدائه؛ ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب [1] .

٤ – من مواقفه الحكيمة في الأسواق والمواسم:

باشر النبي ﷺ دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فبدأ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى اللّه– تعالى–، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كـــما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

و لم يكتف رسول اللّه ﷺ بعرض الإسلام على القبائل فحسب، بل كان يعرضه على الأفراد أيضًا.

وكان ﷺ يرغب جميع الناس بالفلاح، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الديل، وكان جاهليًا، قال: ﴿ رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا اللّه تفلحوا"، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضئ الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عمه أبو لهب ﴾ [2] [3] .

(١) انظر : السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص٥٨ ، وهذا الحبيب يا محب ص١٣٤ .

(٢) أحمد (٣٤٢/٤) .

(٣) أخرجه أحمد٤/ ٣٤١ ، ٣/ ٤٩٢ ، وسنده حسن ، وله شاهد عند ابن حبان برقم١٦٨٣ (موارد) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي ، والحاكم في المستدرك بإسنادين ، وقال عن الإسناد الأول . صحيح على شرط الشيخين ، رواته كلهم ثقات أثبات ، ١/ ١٥ .

وقد كانت الأوس والخزرج يحجون كــما كانت تحج العرب دون اليهود، فلما رأى الأنصار أحواله ﷺ ودعوته، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود، فأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي ﷺ في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة [(١)] .

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه، مر بعقبة مِنَى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ [(٢)] .

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة ١٢ من النبوة، وكان بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلا، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، وأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء [(٣)] .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: "تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا باللّه شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروفٍ، فمن وفى منكم فأجره على اللّه، ومن أصاب منْ ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره اللّه عليه فأمره إلى اللّه: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه "

---

(١) انظر : زاد المعاد٣/ ٤٣ ، ٤٤ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٣٦ ، والرحيق المختوم ص ١٢٩ ، والبداية والنهاية٣/ ١٤٩ ، وابن هشام ٢/ ٣١ .

(٢) انظر : التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٣٧ ، وهذا الحبيب يا محب٢/ ١٤٥ ، والرحيق المختوم ص ١٣٢ ، وزاد المعاد ٣/ ٤٥ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٨ ، والبداية والنهاية ٣/ ١٤٩ .

(٣) انظر : زاد المعاد٣/ ٤٦ ، والرحيق المختوم ص١٣٩ ، والتاريخ الإسلامي٢/ ١٣٩ ، وهذا الحبيب ص ١٤٥ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٣٨ .

فبايعناه على ذلك ﴾ [1] [2] .

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء مصعب بن عمير ﷺ ليعلم المسلمين شرائع الإسلام، وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك ﷺ أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي ﷺ عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله ﷺ ثم قالوا: ﴿ يا رسول الله، علام نبايعك؟فقال: "تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في اللّه لا تخافون في اللّه لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة ﴾ [3] [4] فقاموا إليه فبايعوه.

وبعـــد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول اللّه ﷺ اثني عشر زعيمًا، يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى [5] .

وبعـــد أن تمت بيعـــة العقبة الثانية ونجح النبي ﷺ في تأسيس وطن لِلإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيرًا، وثبت لقريش أن النبي ﷺ قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من

---

(١) البخاري المناقب (٣٦٧٩) ، مسلم الحدود (١٧٠٩) ، الترمذي الحدود (١٤٣٩) ، النسائي البيعة (٤١٦٢) ، أحمد (٥/٣١٣) ، الدارمي السير (٢٤٥٣) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب وفود الأنصار إلى النبي في مكة ٧/ ٢١٩ ، وكتاب الإيمان ، باب حدثنا أبو اليمان١/ ٦٤ .

(٣) أحمد (٣/٣٢٣) .

(٤) أحمد في المسند٣/ ٣٢٢ ، والبيهقي٩/ ٩ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي٢/ ٦٢٤ ، وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٧/ ١١٧ .

(٥) انظر : سيرة ابن هشام ٢/ ٤٩ ، والبداية والنهاية٣/ ١٥٨ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٤٢ ، والرحيق المختوم ص١٤٣ .

أسلم في مكة، فأمر النبي ﷺ بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في يوم ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي ﷺ فأوحى اللّه إلى النبي ﷺ بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر عليًّا أن يبيت في فراشه تلك الليلة، فبقي المشركون ينظرون إلى عليّ من صِير الباب [(١)] وخرج رسول الله ﷺ ومر بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة [(٢)] .

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله ﷺ دليل واضح على حكمة النبي ﷺ وعلى صبره، وشجاعته، وأنه ﷺ حينما علم بأن قريشًا قد طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرة الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تآمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جبنًا، ولا فرارًا من الموت؛ ولكن يعتبر أخذًا بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي ﷺ هو قدوتهم وإمامهم [(٣)]

المطلب الثاني : مواقف النبي ﷺ بعد الهجرة :

المسلك الأول: مواقف الحكمة في الإصلاح والتأسيس:

عندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها، مختلفة في أهدافها، متفرقة في اجتماعاتها، وكانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث، وبعضها حديث موجود، وقد كانت هذه المجموعات على ثلاثة أصناف:

١- المسلمون، من: الأوس، والخزرج، والمهاجرين.

٢ - المشركون، من: الأوس، والخزرج الذين لم يدخلوا في الإسلام.

---

(١) صير الباب : هو شق الباب . انظر : المعجم الوسيط ، مادة . صار ١/ ٥٣١ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام٢/ ٩٥ ، والبداية والنهاية٣/ ١٧٥ ، وزاد المعاد٣/ ٥٤ ، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي ص٦١ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٤٨ ، وهذا الحبيب يا محب ص١٥٦ .

(٣) انظر : السيرة النبوية دروس وعبر ص٦٨ .

٣ - اليهود، وهم عدة قبائل: بنو قينقاع، وقد كانوا حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قُريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس.

وقد كان هناك خلاف مستحكم بين الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، وآخرها يوم بُعَاثٍ ولا يزال في النفوس شيء منها [(١)] .

لقد قام النبي ﷺ بحل هذه المشكلات كلها، بحكمته العظيمة، وحسن سياسته، وكان حله وإصلاحه لهذه الأوضاع، وجمعه لشمل المسلمين كالتالي:

١ - بناء المسجد والاجتماع فيه أولى عمل وحد بين القلوب:

كان أول عمل قام به ﷺ في الإصلاح والتأسيس بناء المسجد النبوي، واشترك المسلمون جميعًا في البناء، وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ وكان أول عمل تعاوني عام، وحد بين القلوب، وأظهر الهدف العام للعمل، وقد كان لكل حي في المدينة - قبل قدوم النبي ﷺ مكان يلتقون فيه، فيسمرون ويسهرون، وينشدون الأشعار، فكانت هذه الحال تدل على التفرقة والاختلاف، فعندما بُنِيَ المسجد كان مركز المسلمين جميعًا، ومكان تجمعهم، يلتقون به في كل وقت، ويسألون رسول الله ﷺ فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم [(٢)] .

وبهذا تجمعت الأندية، والتفَّت الأحياء، واقتربت القبائل، وتحابَّت البطون، وانقلبت التفرقة إلى وحدة، ولم تعد في المدينة جماعات، بل جماعة واحدة، ولم تعد زعامات، بل قائد واحد، هو رسول الله ﷺ يتلقى من ربه الأوامر والنواهي، ويعلم أمته، فأصبح المسلمون صفًّا واحدًا، وامتزجت النفوس والعقليات، وتقوت الوحدة، وتآلفت الأرواح،

---

(١) انظر . البداية والنهاية ٣/ ٢١٤ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ١١٤ ، وزاد المعاد٣/ ٦٢ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٥٩ ، والرحيق المختوم ص١٧١ ، وهذا الحبيب يا محب ص ١٧٤ ، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص١٨٨ ، البخاري مع الفتح ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٤ ، ومسلم ، كتاب الماجد ، باب بناء مسجد النبي ١/ ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٢) انظر . البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي وأصحابه ٧/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

وتعاونت الأجسام [(١)] .

و لم يكن المسجد موضعًا لأداء الصلوات الخمس فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويجتمعون فيه، وتلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها الترعات الجاهلية وحروبها وقاعدة لِإدارة جميع الشئون، وبثّ الانطلاقات، وموضعًا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.

ولهذا ما أقام رسول الله ﷺ بمكان في المدينة إلا كان أول ما يفعله بناء جد يجتمع فيه المؤمنون، فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف بين قباء والمدينة في بطن وادي (رانوناء) فلما أن وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد فيها [(٢)] .

٢ – دعوة اليهود إلى الإسلام بالقول الحكيم:

ومن قواعد الإصلاح والتأسيس التي قام بها النبي ﷺ بعد أن دخل المدينة – الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام ﷺ ودعوقم إلى الإسلام.

فعن أنس ﷺ قال. ﴿ بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؛ وما بال الولد يترع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول اللّه ﷺ "خبرني بهن آنفًا جبريل "، قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ "أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها"[قال. أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأنك رسول الله]، قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتوني عندك، [فـــأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول اللّه ﷺ "يا معشر اليهود،

(١) انظر . التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٦١ ، ١٦٢ ، والرحيق المختوم ص ١٧٩ .

(٢) انظر السيرة النبوية دروس وعبر ص ٧٤ ، وفقه السيرة ص ١٨٩ ، وهذا الحبيب يا محب ص ١٨٠ .

ويلكم اتقوا اللّه فواللَّه الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول اللّه حقًّا، وأني جئتكم بحق، فأسلموا"، قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ - قالها ثلاث مرات- فقال رسول الله لمجير: فأي رجل فيكم عبد اللّه بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج، فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالله الذي لا إلـــه إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول اللّه، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، [شرنا، وابن شرنا]، ووقعوا فيه ﴾ [1] [2] .

وهذه أول تجربة تلقاها رسول الله ﷺ من اليهود عند دخول المدينة [3] .

ومن حسن سياسته ﷺ أنه وافق على إخفاء عبد الله بن سلام حتى يسأل اليهود عن مكانته بينهم، وعندما أثنوا عليه، ورفعوا من قدره أمره بالخروج فخرج وأعلن شهادته، وأظهر ما كان يكتمه اليهود من صدق النبي ﷺ ثم ضبطهم ﷺ بالمعاهدة التي ستأتي.

٣ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كـــما قام النبي ﷺ بالبدء ببناء المسجد ودعوة اليهود إلى الإسلام، قام ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا من الرشد، والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية [4] .

آخى بينهم ﷺ في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٥١) ، أحمد (٣/٢١١) .

(٢) البخاري مع الفتح ، في كتاب أحاديث الأنبياء ٦/ ٣٦٢ ، وفي كتاب مناقب الأنصار٧/ ٢٥٠ ، ٧/ ٢٧٢ ، والألفاظ من المواضع الثلاثة ، وانظر أيضًا . البخاري مع الفتح ٨/ ١٦٥ ، والبداية والنهاية ٣/ ٢١٠ .

(٣) انظر : الرحيق المختوم ص١٧٥ ، وهذا الحبيب يا محب ص ٧٥ ، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ١٩٨ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٧٣ .

(٤) انظر : هذا الحبيب يا محب ، لأبي بكر الجزائري ص ١٧٨ .

ذوي الأرحـــام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله ﷻ ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ ﴾ [1] ردّ التّوارث إلى الرّحم دون عقد الإخوة [2] .

ذابت عصبيات الجـــاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحـــد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار؛ والمواساة، والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الإخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية [3] .

و لم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دونت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا كلامًا يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأملاك، في العسر واليسر [4] .

ومن أروع الأمثلة لذلك ما رواه البخاري في صحيحه ﴿ آخى رسول اللّه ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، فسأقسم مالي بيني وبينك نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبد الرحمن: بارك اللّه لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابـــع الغدوة ثم جاء يومًا وبه أثر صُفرة، فقال النبي ﷺ "مَهْيَم؟" [5] قال: تزوجت امرأة

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥ .

(٢) انظر : زاد المعاد ٣/ ٦٣ ، والرحيق المختوم ص١٨٠ .

(٣) انظر : فقه السيرة ٣/ ٦٣ ، والرحيق المختوم ص١٨٠ .

(٤) انظر : التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٦٥ ، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ، ص١٩٢ .

(٥) مَهْيَم : كلمة استفهام ، أي : ما حالك ، وما شأنك؟ انظر : القاموس المحيط ، باب الميم ، فصل الميم ، ص ١٤٩٩ .

من الأنصار، فقال: "ما سقت فيها؟ " قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: "أولم ولو بشاة ﴾ [1]. وهذه المؤاخـــاة حكمة فذة، وسياسة صائبة، وحل رائع لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون.

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي–صلى الله عليه وسلم – بين المهاجرين والأنصار ، ٧/ ١١٢ ، حديث رقم٣٧٨٠ ، ٣٧٨١ ، واللفظ من الموضعين ، وانظر : باب كيف آخى النبي بين أصحابه ، في الكتاب السابق نفسه .

٤ – التربية الحكيمة:

وقد كان ﷺ يتعهدهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة [(١)] فقد كان يقول ﷺ ﴿ يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ﴾ [(٢)] [(٣)] ويقول: ﴿ لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ﴾ [(٤)] [(٥)] ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ [(٦)] [(٧)].

ويقول: ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [(٨)] [(٩)].

ويقول: ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه ﴾ [(١٠)] [(١١)].

---

(١) انظر : الرحيق المختوم ص ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٠٨ ، والتاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر٢/ ١٦٥ .

(٢) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٨٥) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٥١) ، الدارمي الصلاة (١٤٦٠) .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، باب حدثنا محمد بن بشار٤| ٦٥٢ ، وقال : هذا حديث صحيح ، وابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، باب إطعام الطعام٢/ ١٠٨٣ ، والدارمي١/ ١٥٦ ، وأحمد١/ ١٦٥/ ٣٩١ وانظر : صحيح الترمذي ، ٢/ ٣٠٣ .

(٤) مسلم الإيمان (٤٦) ، أحمد (٢/٢٨٨) .

(٥) مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم إيذاء الجار ، ١/ ٦٨ .

(٦) البخاري الإيمان (١٠) ، مسلم الإيمان (٤٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٤٨١) ، أحمد (٢/١٩٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٦) .

(٧) البخاري مع الفتح ، في كتاب الإيمان ، باب أي الإسلام أفضل١/ ٥٤ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل١/ ٦٥ ، واللفظ له .

(٨) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، أحمد (٣/١٧٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

(٩) البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه١/ ٥٦ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه١/ ٦٧ .

(١٠) البخاري المظالم والغصب (٢٣١٤) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) .

(١١) البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب تشبيك الأصابع في المسجد ١/ ٥٦٥ ، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩ .

ويقول: ﴿ لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد اللّه إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه ﴾ [1] [2] .

وقال: ﴿ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ﴾ [3] [4] وقال: ﴿ تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك باللّه شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنظِروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا ﴾ [5] [6] وقال: ﴿ تعرض الأعمال في كل يوم خميسٍ واثنين فيغفر اللّه عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئٍ لا يشرك باللّه شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اركوا هذين [7] حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا ﴾ [8] وقال ﷺ ﴿ انصر

---

(١) البخاري النكاح (٤٨٤٩) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) ، الترمذي النكاح (١١٣٤) ، النسائي النكاح (٣٢٣٩) ، أبو داود البيوع (٣٤٤٣) ، ابن ماجه التجارات (٢١٧٢) ، أحمد (٢/٢٧٧) ، مالك البيوع (١٣٩١) .

(٢) مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وتحريم دمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٦ .

(٣) البخاري الأدب (٥٧٢٧) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٠) ، الترمذي البر والصلة (١٩٣٢) ، أبو داود الأدب (٤٩١١) ، أحمد (٥/٤٢٢) ، مالك الجامع (١٦٨٢) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب الهجر ، وقول الرسول لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث١٠/ ٤٩١ ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ٤/ ١٩٨٦ .

(٥) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٥) ، الترمذي البر والصلة (٢٠٢٣) ، أبو داود الأدب (٤٩١٦) ، ابن ماجه الصيام (١٧٤٠) ، أحمد (٢/٣٨٩) ، مالك الجامع (١٦٨٦) ، الدارمي الصوم (١٧٥١) .

(٦) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن الشحناء والتهاجر ٤/ ١٩٨٧ .

(٧) اركوا هذين . أي أخروا ، يقال : ركاه ، يركوه ركوا ، إذا أخره . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٢٢ .

(٨) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن الشحناء والتهاجر ، ٤/ ١٩٨٨ .

أخاك ظالما أو مظلومًا" قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوما، فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: "تحجزه أو تمنعه من الظلم فذلك نصره ﴾ [1] [2] وقــال: ﴿ حق المسلم على المسلم ست "، قيل: ما هن يا رسول اللّه؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد اللّه فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه ﴾ [3] [4] وعن البراء بن عازب قال: ﴿ أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم، وإبرار المقسم، ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشرب في الفضة- أو قال: في آنية الفضة- وعن المياثر [5] والقسي [6] وعن لبس الحرير، والديباج [7] والإستبرق ﴾ [8] .

وقال: ﴿ لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم ﴾ [9] [1] .

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٤) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر ، باب انصر أخاك ظالًما أو مظلومًا٤/ ١٩٩٨ ، بمعناه ، وأخرجه أحمد بلفظه٣/ ٩٩ ، والبخاري مع الفتح في كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالما أو مظلومًا٥/ ٩٨ ، وكتاب الإكراه ، باب يمين الرجل لصاحبه ١٢/ ٢٢٣ .

(٣) البخاري الجنائز (١١٨٣) ، مسلم السلام (٢١٦٢) ، الترمذي الأدب (٢٧٣٧) ، النسائي الجنائز (١٩٣٨) ، أبو داود الأدب (٥٠٣٠) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٤٣٥) ، أحمد (٢/٤١٢) .

(٤) البخاري مع الفتح بنحوه في كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز٣/ ١١٢ ، ومسلم في كتاب السلام ، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام ٤/ ١٧٠٥ .

(٥) المياثر : سروج من الديباج أو الحرير . الفتح ١٠/ ٢٩٣ .

(٦) ثياب مضلعة بالحرير : أي فيها خطوط منه . الفتح ١٠/ ٢٩٣ .

(٧) الديباج والإستبرق : صنفان من الحرير . انظر : فتح الباري١٠/ ٣٠٧ .

(٨) البخاري مع الفتح ، في كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز٣/ ١١٢ ، ٥/ ٩٩ ، ٩/ ٢٤٠ ، ١٠/ ٩٦ ، وانظر مواضع الحديث في البخاري مع فتح الباري ٣/ ١١٢ .

(٩) مسلم الإيمان (٥٤) ، الترمذي الاستئذان والآداب (٢٦٨٨) ، أبو داود الأدب (٥١٩٣) ، ابن ماجه المقدمة (٦٨) ، أحمد (٢/٤٧٧) .

﴿ وسئل ﷺ أي الإسلام خير؟ فقال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ﴾ [2] [3] .

ويقول: ﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾ [4] [5] .

وقال ﷺ ﴿ من لا يرحم لا يرحم ﴾ [6] [7] .

وقال: ﴿ من لا يرحم الناس لا يرحمه اللّه ﷻ ﴾ [8] [9] .

وقال ﷺ ﴿ سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفر ﴾ [10] [11] .

وسواء وصلت هذه النصوص للأنصار من النبي ﷺ مباشرة، أو سمعوا بعضها من المهاجرين الذين سمعوا من النبي ﷺ قبل الهجرة، فكل ذلك تربية منه ﷺ لأصحابه جميعًا،

---

(١) مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون١/ ٧٤ .

(٢) البخاري الإيمان (١٢) ، مسلم الإيمان (٣٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٠) ، أبو داود الأدب (٥١٩٤) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٥٣) ، أحمد (٢/١٦٩) .

(٣) البخاري مع الفتح في كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإِسلام ١/ ٥٥ ، ومسلم في الإِيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٥ .

(٤) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٤/٢٧٠) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم١٠/ ٤٣٨ ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم٤/ ٢٠٠٠ .

(٦) البخاري الأدب (٥٦٥١) ، مسلم الفضائل (٢٣١٨) ، الترمذي البر والصلة (١٩١١) ، أبو داود الأدب (٥٢١٨) ، أحمد (٢/٢٦٩) .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم١٠/ ٤٣٨ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك ٤/ ١٨٠٩ .

(٨) البخاري التوحيد (٦٩٤١) ، مسلم الفضائل (٢٣١٩) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٢) ، أحمد (٤/٣٦٠) .

(٩) مسلم ، في كتاب الفضائل ، الباب السابق ٤/ ١٨٠٩ .

(١٠) البخاري الإيمان (٤٨) ، مسلم الإيمان (٦٤) ، الترمذي البر والصلة (١٩٨٣) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٦٩) ، أحمد (١/٣٨٥) .

(١١) البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر١/ ١١٠ .

ولمن بلغته هذه النصوص إلى يوم الدين.

وغير ذلك من النصوص التي ربّى بها محمد ﷺ أصحابه فقد كان يحثهم على الإنفاق، ويذكر من فضائله ما يشوق النفوس والقلوب، وكان يحث على الاستعفاف عن المســألة، ويذكر لهم فضل الصبر والقناعة، وكان يرغبهم في العبادات بما فيها من الفضائل والأجر والثواب، وكان يربطهم بالوحي النازل من السماء ربطًا موثقًا يقرؤه عليهم ويقرؤونه؛ لتكون هذه الدراسة إشعارًا بما عليهم من حقوق الدعوة، فضلا عن ضرورة الفهم والتدبر.

وهكذا رفع ﷺ معنوياتهم، ودربهم على أعلى القيم والمثل حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني.

بمثل هذا استطاع النبي ﷺ أن يبني مجتمعًا مسلمًا أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلا بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعًا يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل اللّه وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم، فَحَرِيٌّ بالدعاة إلى الله أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه ﷺ (١) .

٥ – ميثاق المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود:

بعد أن قام رسول اللّه ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، عقد معاهدة أزاح بها كل ما كان من حزازات الجاهلية والنزعات القبلية، ولم يترك مجالًا لتقاليد الجاهلية، وقد وضع في هذه المعاهدة ميثاقًا للمهاجرين والأنصار متضمنًا موادعة اليهود بالمدينة، وهذا من أبرز الجهود التي بذلها ﷺ في الإصلاح والتأسيس.

كتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود، وعاهدهم،

---

(١) انظر : الرحيق المختوم ، ص ١٨٣ .

وأقرهم على أموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم [1] .

وهذا الميثاق في غاية الدقة، وحسن السياسة، وكـــمال الحكمة من النبي ﷺ فقد ربط بين جميع المسلمين في المدينة وبين اليهود، فأصبحوا كتلة واحدة، يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء. وهذه الخطوات الخمس: بناء المسجد، ودعوة اليهود إلى الإسلام، والمؤاخاة بين المؤمنين وتربيتهم، وكتابة الميثاق، هي التي حل بها النبي ﷺ - بفضل الله تعالى- الخلاف المستحكم بين سكان المدينة، وأزال بها جميع آثار الماضي، ووحَّد بها قلوب المسلمين، وطبق بها النظام المتقن داخل المدينة، ومن ثم انتشر هذا النظام، والدعوة إلى اللّه من هذه المدينة إلى جميع أقطار العالم [2] .

المسلك الثاني: مواقف الحكمة في حسن الإعداد للقتال، والشجاعة والبطولة:

بعد أن كوَّن النبي ﷺ مجتمعًا متماسكًا بالمدينة، وأصبح هذا المجتمع كتلة واحدة أمام من يريد العاصمة الإسلامية بسوء- وما ذلك إلا بفضل اللّه ثم بحكمة المصطفى ﷺ - قام ﷺ بالجهاد في سبيل اللّه، بالقلب واللســـان، والـــدعوة والبيان، والسيف والسنان، فقد أرسل ستّا وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعًا وعشرين غزوة [3]

ومن مواقفه الحكيمة في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١- ما فعله في غزوة بدر الكبرى:

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة ﴿ أنه ﷺ استشار الناس قبل بدء

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٢٤-٢٢٦ ، وزاد المعاد٣/ ٦٥ ، وانظر : كتابة الميثاق بين المسلمين ويهود المدينة في سيرة ابن هشام٢/ ١١٩-١٢٣ .

(٢) انظر : الرحيق المختوم ص١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٦٦ ، ٢/ ٦٩ ، ١٦٠ ، وهذا الحبيب يا محب ص ١٧٤ ، ١٧٦ .

(٣) انظر تلك البطولات الحكيمة في : البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب غزوة العشيرة ٧/ ٢٧٩ ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب عدد غزوات النبي-صلى الله عليه وسلم -٣/ ١٤٤٧ ، وشرح النووي على مسلم٢/ ١ ١٩٥ ، وفتح الباري ٧/ ٢٨٠ ، ٢٨١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٤١ ، ٥/ ٢١٦ ، ٢١٧ ، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٥ .

المعركة؛ لأنه ﷺ يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شرطَ له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد ﷺ أن يستشيرهم، فجمعهم ﷺ واستشارهم، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانيًا، فقام المِقْدَادُ فقال: "يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم استشار الناس ثالثًا، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي ﷺ يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقًّا عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوا لله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فَخضْتَهُ لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدق في اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسرَ بما سمع، ونشطه ذلك، ثم قال: "سيروا وأبشروا، فإن اللّه قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم "[1].

---

(١) سقت هذه القصة بالمعنى ، وانظر : سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣ ، وفتح الباري ٧/ ٢٨٧ ، وزاد المعاد ٣/ ١٧٣ ، والرحيق المختوم ص٢٠٠ ، وقد أخرج البخاري مواضع منها . انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب إذ تستغيثون ر بكم ٧/ ٢٨٧ ، وكتاب التفسير ٨/ ٢٧٣ ، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة . انظر : صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة بدر ٣/ ١٤٠٣ ، وانظر : التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر٢/ ١٩٤ .

ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه- تبارك وتعالى- لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر اللّه ﷻ مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: ﴿ لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه [1] "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض "، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي اللّه كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [2] ﴾ فأمده اللّه بالملائكة [3] ﴾ وقد خرج رسول الله ﷺ من العريش وهو يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [4] ﴾ [5] وقاتل ﷺ في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر ﷺ كما كانا في العريش يُجاهِدَان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا، وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعًا بين المقامين الشريفين " [6] وكان أشجع الناس الرسول ﷺ فعن علي بن أبي طالب ﷺ

---

(١) يهتف بربه ، أي : يصيح ويستغيث بالله بالدعاء . انظر : شرح النووي١٢/ ٨٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٩ .

(٣) أخرجه مسلم بلفظه ني كتاب الجهاد والسير والمغازي ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٣ ، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصرًا ، في كتاب المغازي ، باب قوله تعالى : إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . ٧/ ٢٨٧ ، وانظر . الرحيق المختوم ص ٢٠٨ .

(٤) سورة القمر آية : ٤٥ .

(٥) سورة القمر ، الآية ٤٥ . والحديث في البخاري مع الفتح ٧/ ٢٨٧ .

(٦) انظر : البداية والنهاية ٣/ ٢٧٨ .

قال: "لقد رأَيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا" [(١)] وعنه ﷺ قال: "كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه " [(٢)] .

٢ – مواقفه الحكيمة في غزوة أحـــد:

من مواقفه في الشجاعة أيضًا، وصبره على أذى قومه ما فعله ﷺ في غزوة أحد، فقد كان ﷺ يقاتل قتالا عظيمًا؛ فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول اللّه ﷺ بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبل، فكرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليًا قد خلا من الرماة فجازُوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول الله، فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكـــانت السفلي، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعًا عن رسول اللّه ﷺ [(٣)] وكان حول النبي ﷺ رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال ﷺ لما رهقوه، وقربوا منه: ﴿ "من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة"، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا فقال: "من يردهم عنا وله الجنة"، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا ﴾ [(٤)] [(٥)] وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا ونهضوا مع النبي ﷺ إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكـــر، وعمر، وعلي، والحـــارث بن الصّمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول اللّه ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٨٦ ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي٢/ ١٤٣ .

(٢) الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي٢/ ١٤٣ ، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٧٩ ، إلى النسائي .

(٣) انظر : زاد المعاد٣/ ١٩٦ ، ١٩٩ ، والرحيق المختوم ص٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤) مسلم الجهاد والسير (١٧٨٩) ، أحمد (٣/٢٨٦) .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد٣/ ١٤١٥ .

أُبَيّ بن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد لا نجوت إن نجـــا؛ فقال القوم. يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول اللّه ﷺ بتركه، فلما دنا منه تناول رسول اللّه ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مرارًا، فلما رجع عدو اللّه إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير... قال: قتلني واللّه محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك، واللّه إن بك من بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو اللّه بسرف، وهم قافلون إلى مكة "[1] وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن جرح النبي ﷺ يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي ﷺ وكُسِرَت رباعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة – عليها السلام– تغسل الدم، وعليٌّ يمسك، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيرًا فأحرقته حتى صار رمادًا، ثم ألزقته فاستمسك الدم "[2] وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، وهو نبي الله ﷺ و لم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿ كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾ [3] [1] فالأنبياء– عليهم الصلاة والسلام– وعلى رأسهم محمد ﷺ قد

(١) انظر : زاد المعاد ، لابن القيم٣/ ١٩٩ ، والرحيق المختوم ص٢٦٣ ، وروى قصة قتل النبي لأبي بن خلف : أبو الأسود عن عروة بن الزبر ، والزهري عن سعيد بن المسيب . انظر : البداية والنهاية لابن كثير٤/ ٣٢ ، وكلاهما مرسل ، والطبري٢/ ٦٧ ، وانظر . فقه السيرة لمحمد الغزالي ، ص٢٢٦ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب لبس البيضة٦/ ٩٦ ، ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٦ .

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٩٠) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٩٢) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٢٥) ، أحمد (٤٥٧/١) .

كانوا [٢] على جانب عظيم من الحلم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهـــداية والغفـــران، وعذرهم في جناياتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون [٣] قال ﷺ ﴿ "اشتد غضب اللّه على قوم فعلوا هذا برسول اللّه ﷺ "، وهـــو حينئذ يشير إلى رباعيته، "اشتد غضب اللّه على رجل يقتله رسول اللّه في سبيل اللّه ﷻ ﴾ [٤] [٥] .

وفي إصابة النبي ﷺ يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل اللّه من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي ﷺ هو القدوة قد أوذي وصبر [٦] .

٣ – ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة ما فعله في معركة حنين:

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين [٧] فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار... ثم قال: "أي عباس، ناد أصحاب السمرة" فقال عباس:- وكان رجلًا صيتًا- فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتهم حين سمعوا صوتي عَطْفَة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار... فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب حدثنا أبو اليمان ٦/ ٥١٤ ، ١٢/ ٢٨٢ ، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب غزوة أحد ٣/ ١٤١٧ ، وانظر : شرحه في الفتح ٦/ ٥٢١ ، وشرح النووي لصحيح مسلم١٢/ ١٤٨ .

(٢) انظر : شرح النووي لمسلم١٢/ ١٤٨ .

(٣) شرح النووي على مسلم١٢/ ١٥٠ بتصرف .

(٤) البخاري المغازي (٣٨٤٥) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٩٣) ، أحمد (٣١٧/٢) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد ٧/ ٣٧٢ ، ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب اشتداد كضب الله على من قتله رسول الله ٣/ ١٤١٧ .

(٦) السيرة النبوية دروس وعبر ، ص١١٦ .

(٧) كان مع النبي في هذه الغزوة ألفان منِ أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم ، وكانوا اثني عشر ألفًا . انظر : زاد المعاد ٣/ ٤٦٨ .

قتالهم، فقال ﷺ "الآن حمي الوطيس " [1] .

وظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي يعجز عنه عظماء الرجال [2] ﴿ وسئل البراء، فقال له رجل: يا أبا عمارة، أكنتم وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه ﴾ [3] وأخفاؤهم [4] حسرًا [5].
ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قومًا رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقًا [6] ما يكادون يخطئون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول اللّه ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا، واستنصر، وهو يقول:
وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا، واستنصر، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزِّل نصرك [7] .

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس [8] نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ [9] .

(١) مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ، وقد اختصرت ألفاظه ٣/ ١٣٩٨ .

(٢) انظر : الرحيق المختوم ص٤٥١ ، وهذا الحبيب يا محب ص٤٠٨ .

(٣)جمع شباب . شرح النووي لمسلم ١٢ ١١٧ .

(٤) جمع خفيف ، وهم المسارعون المستعجلون . شرح النووي لمسلم١٢/ ١١٧ .

(٥) حسرا : جمع حاسر ، أي : بغير دروع ، وقد فسره بقوله : ليس عليهم سلاح . شرح النووي لمسلم ١٢/ ١١٧ .

(٦) رشقًا : هو بفتح الراء ، وهو مصدر ، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة . انظر : شرح النووي١٢/ ١١٨ .

(٧) مسلم ، في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ، مع التصرف في بعض الكلمات٣/ ١٤٠٠ ، والبخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر ٦/ ١٠٥ ، ٨/ ٢٧ ، ٢٨ .

(٨) إذا احمر البأس : كناية عن شدة الحرب ، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة . انظر . شرح النووي١٢/ ١٢١ .

(٩) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠١ .

وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: ﴿ مررت على رسول الله ﷺ منهزمًا [(١)] وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ "لقد رأى ابن الأكوع فزعًا". فلما غشوا رسول اللّه ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال:"شاهت الوجوه ﴾ [(٢)] فـــما خلق اللّه منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ وقسم رسول اللّه ﷺ غنائمهم بين المسلمين " [(٣)]

وقـــد قال العلماء: إن ركوب النبي ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون معتمدًا يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدًا، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعته تقدمه ﷺ وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقـــد فر الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلًا على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة– رضي اللّه عنهم– بشجاعته ﷺ في جميع المواطن [(٤)] .

٤ – ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة:

ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه قال: ﴿ كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: "لم تراعوا، لم تراعوا"، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: "لقد وجدته بحرًا، أو إنه

(١) قال العلماء : قوله :"منهزمًا" حال من ابن الأكوع ، وليس النبي– – . انظر : شرح النووي ١٢/ ١٢٢ .

(٢) شاهت الوجوه ، أي : قبحت . انظر : شرح النووي١٢/ ١٢٢ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين٣/ ١٤٠٢ .

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم١٢/ ١١٤ .

لبحر ﴾ [1] [2] .

وهذا المثال وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله ﷺ وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال [3] .

قال البراء ﷺ "كنا واللّه إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ " [4] .

وقال أنس في الحديث السابق: ﴿ كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس ﴾ [5] .

وكانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل ﷺ عن كلمة "بسم اللّه الرحمن الرحيم " إلى باسمك اللهم، وعن كلمة: " محمد رسول اللّه " إلى كلمة: محمد بن عبد اللّه، وقبوله شرط سهيل على أنه لا يأتي النبي ﷺ رجل من قريش حتى ولو كان مسلمًا إلا رده إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظًا، وبلغ الغضب حدًّا لا مزيد عليه، وهو ﷺ صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحًا مبينًا. فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٨٦) ، مسلم الفضائل (٢٣٠٧) ، الترمذي الجهاد (١٦٨٧) ، أبو داود الأدب (٤٩٨٨) ، ابن ماجه الجهاد (٢٧٧٢) ، أحمد (١٤٧/٣) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باد حسن الخلق والسخاء ، وما يكره من البخل ، ١٠/ ٤٥٥ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب ، ٤/ ١٨٠٢ .

(٣) انظر : رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي في مسند أحمد١/ ٨٦ ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي٢/ ١٤٣ ، وتقدم تخريجه ص١٧٥ .

(٤) أخرجه مسلم ٣/ ١٤٠١ ، وتقدم تخريجه .

(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٨٧٥) ، مسلم الفضائل (٢٣٠٧) ، الترمذي الجهاد (١٦٨٧) ، ابن ماجه الجهاد (٢٧٧٢) ، أحمد (١٤٧/٣) .

عن أشياء لا تضره بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها [1] .

وجميع ما تقدم نماذج من شجاعته ﷺ وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كتِبَ في شجاعته ﷺ بالاستقصاء لكُتِبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى اللّه ﷻ أن يتخذوا الرسول ﷺ قدوةً في كل أحوالهم وتصرفـــاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ [2] .

---

(١) انظر وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح ٥/ ٣٢٩ ، وشرح الوثيقة في الفتح ٥/ ٣٣٣- ٣٥٢ ، ومسند أحمد ، ٤/ ٣٢٨- ٣٣١ ، وانظر . هذا الحبيب يا محب ص ٥٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

المسلك الثالث: مواقف الحكمة الفردية:

كان النبي ﷺ أحكم خلق الله، فقد كان يتألف الناس ليدخلوا في الإسلام، ويصبر على أذاهم، ويعفو عن إساءتهم، ويقابلها بالإحسان، وله ﷺ مواقف في الكرم، والجود، والعفو، والحلم، والرفق، والعدل، تظهر في النقاط الآتية:

١ – ﷺ مع ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ﴿ بعث رسول الله ﷺ خيلا قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول اللّه ﷺ فقال: "ماذا عندك يا ثمامة؟ " فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم [(١)] وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد، فقال: "ما عندك يا ثمامة " فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: "ماذا عندك يا ثمامة؟ " فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال، فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ "أطلقوا ثمامة "، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد !والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، واللّه ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول اللّه ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: [لا والله]، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها

(١) معناه : إن تقتل تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته ، وقيل : معناه نقتل من عليه دم مطلوب به ، وهو مستحق عليه فلا عتب عيك في قتله . انظر : فتح الباري ٨/ ٨٨ .

رسول الله ﷺ ﴾ [١] .

﴿ "ثم خرج رضي الله عنه إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى رسول اللّه ﷺ إنــك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل ﴾ [٢]

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجـــوعه إلى اليمامة، ومنعه عن قريش الميرة، وَنزول قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَـٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [٣] [٤] وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه، فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي، فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين [٥]

الله أكبر، ما أحكم النبي محمدًا ﷺ. وما أعظمه من موقف، فقد كان ﷺ يتألف القلوب، ويلاطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكـــذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ أن يعظموا أمر العفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبًّا في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمنّ بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه [٦]

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ٨/ ٨٧ ، ومسلم – واللفظ له إلا ما بين المعكوفين فمن البخاري– في كتاب الجهاد والسير ، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ٣/ ١٣٨٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٣١٧ . بتصرف يسير ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٨٨ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ٧٦ .

(٤) سورة المؤمنون ، الآية ٧٦ . وقال ابن حجر عن هذا الأثر : إسناده حسن . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٠٣ .

(٥) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٠٣ وهناك أبيات شعرية له تدل على تأثره بعفوه .

(٦) انظر . شرح النووي على مسلم١٢/ ٨٩ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٨٨ .

٢ – موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي أراد قتله:

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– قال: غزونا مع رسول صلى الله عليه غزوة قِبَل نجد [١] فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاه، فنزل رسول اللّه ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ ﴿ "إن رجلا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا [٢] في يده، فقال لي، من يمنعك مني؟ قال: قلت: اللّه، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت اللّه، قال: فشام السيف [٣] فها هو ذا جالس ﴾، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ [٤] الله أكبر، ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي ﷺ ثم يعصمه الله منه، ويمكِّنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا لخلق عظيم، وصـــدق الله العظيم إذ يقول للنبي ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [٥] وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير [٦] .

٣ – موقفه ﷺ مع اليهودي زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود:

كان النبي ﷺ يعفو عنـــد القدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وقـــد

---

(١) وقع في رواية البخاري التصريح باسمها " ذات الرقاع" ، انظر : البخاري مع الفتح ٧/ ٤٢٦ .

(٢) والسيف صلتا : أي مسلولا . انظر : شرح النووي ١٥/ ٤٥ .

(٣) شام السيف : أي رده في غمده . انظر : المرجع السابق١٥/ ٤٥ .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ، ٦/ ٩٦ ، ٩٧ ، وكتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع ، ٧/ ٤٢٦ ، ومسلم ، واللفظ له ، كتاب الفضائل ، باب توكله على الله– تعالى– ، وعصمة الله– تعالى– له من الناس ، ٤/ ١٧٨٦ ، ١/ ٥٧٦ ، وأحمد ٣/ ٣١١ ، ٣٦٤ . وانظر : الأخلاق الإسلامية وأسسي للميداني فقد ذكر رواية مطولة عزاها لأب بكر الإسماعيلي في صحيحه ٢/ ٣٣٥ .

(٥) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٦) انظر : فتح الباري٧/ ٤٢٨ ، وشرح النووي على مسلم ١٥/ ٤٤ ، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي : غورث بن الحارث ، بل ذكره البخاري في صحيحه برقم ٤١٣٦ .

كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار [(١)] جاء زيد بن سعنة إلى رسول اللّه ﷺ يطلبه دينا له عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطْلٌ، وشـــدّد له في القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ، ثم قال: ﴿ "أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمرٍ"، ﴾ فكان هذا سببًا لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إلـــه إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: ﴿ لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا ﴾ [(٢)] فاختبره بهذه الحادثة فوجده كـــما وُصِفَ، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر [(٣)] فقد أقام محمد ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق.

---

(١) انظر : هذا الحبيب يا محب ص ٥٢٨ ، وهداية المرشدين ص ٣٨٤ .

(٢) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة ، وعزاها إلى الطبراني ، والحاكم ، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي وابن سعد ، وغيرهم ، ثم قال ابن حجر : ورجال إسناده موثقون . . ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين . . والوليد قد صرح بالتحديث ١/ ٥٦٦ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، وعزاه إلى أب نعيم في الدلائل . البداية والنهاية ٢/ ١٣١٠ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٤٠ : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(٣) الإصابة في تمييز الصاحبة ١/ ٥٦٦ .

٤ – موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿ بينما نحن في المسجد مع رسول اللّه ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول اللّه ﷺ مَه مَه [١] قال: قال رسول الله ﷺ "لا تزرموه [٢] دعوه "، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول اللّه ﷺ دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن "، أو كما قال رسول الله ﷺ قال: فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه [٣] عليه ﴾ [٤]. وقد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: ﴿ "اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا ﴾ [٥]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿ قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: "لقد حجرت واسعًا ﴾ [٦] يريد رحمة الله [٧] وتفسر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿ دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين، ثم قال:

---

(١) مه : كلمة زجر ، وهو اسم مبني على السكون ، معناه : اسكت . وقيل : أصلها : ما هذا؟ انظر : شرح النووي ٣/ ١٩٣ .

(٢) لا تزرموه : أي لا تقطعوا عليه بوله . والإزرام : القطع . انظر : المرجع السابق ٣/ ١٩٠ .

(٣) شنه : أي صبه عليه . انظر . المرجع السابق٣/ ١٩٣ .

(٤) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها١/ ٢٣٦ ، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصرا في كتاب الوضوء باب ترك النبي والناس الأعراب حتى فرغ من بوله في المسجد ١/ ٣٢٢ ، وروايات بول الأعرابي في البخاري في عدة مواضع١/ ٢٢٣ ، ١٠/ ٤٤٩ ، ١٠/ ٥٢٥ .

(٥) البخاري الأدب (٥٦٦٤) ، الترمذي الطهارة (١٤٧) ، النسائي السهو (١٢١٦) ، أبو داود الصلاة (٨٨٢) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٢٩) ، أحمد (٢/٢٣٩) .

(٦) البخاري الأدب (٥٦٦٤) ، الترمذي الطهارة (١٤٧) ، النسائي السهو (١٢١٦) ، أبو داود الصلاة (٨٨٢) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٢٩) ، أحمد (٢/٢٣٩) .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم١٠/ ٤٣٨ .

اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا! فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقـــال: "لقد تحجّرت واسعًا"، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول اللّه ﷺ "إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلوًا من ماء، أو سجلا من ماء ﴾ [1] [2] قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه، ﴿ فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب ﴾ [3] [4] النبي ﷺ أحكم خلق اللّه، فمواقفه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه، ازداد يقينه وإيمانه بذلك.

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالًا تثير الغضب، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين؛ ولذلك قام الصحابة إليه، واستنكروا أمره، وزجروه، فنهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله.

وهذا في غاية الرفق والحلم والرحمة، يجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي ﷺ بالحكمة على هذا الأعرابي عمله، فقال له حينما قال: "اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا": ﴿ "لقد حجرت واسعًا ﴾ [5]، يريد ﷺ رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال ﷻ ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [6] فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه. وقد أثنى ﷻ على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ

(١) الترمذي الطهارة (١٤٧) ، أبو داود الطهارة (٣٨٠) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٢٩) ، أحمد (٢/٢٣٩) .

(٢) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في البول يصيب الأرض١/ ٢٧٥ ، وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر واللفظ لأحمد١٢/ ٢٤٤ ، برقم ٧٢٥٤ ، وأخرجه أحمد أيضا مطولًا ٢٠/ ١٣٤ برقم ١٠٤٥٠ ، وأبو داود مع العون٢/ ٣٩ .

(٣) ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٢٩) ، أحمد (٢/٥٠٣) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر ، وهو تكملة للحديث السابق من رواية أبي هريرة رضي الله عنه٢٠/ ١٣٤ ، برقم ١٠٥٤٠ ، وابن ماجه١/ ١٧٥ .

(٥) البخاري الأدب (٥٦٦٤) ، الترمذي الطهارة (١٤٧) ، النسائي السهو (١٢١٦) ، أبو داود الصلاة (٨٨٢) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٥٢٩) ، أحمد (٢/٥٠٣) .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٥٦ .

بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [1] وهذا الأعرابي قد دعا بخلاف ذلك فأنكر عليه النبي ﷺ بالحكمة [2]

وحينما بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه؛ لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث جزء من المسجد، فلو منعه ﷺ بعد ذلك لدار بين أمرين:

أ- إما أن يقطع عليه بوله، فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه.

٢ - وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من المسجد.

فأمر النبي ﷺ بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما [3] وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح، وما يقابلها من المفاسد، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما. يلزمه من غير تعنيف، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ولا استخفافًا، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال بعد أن فقه- كما تقدم- في رواية الإمام أحمد: فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي، فلم يسبّ، ولم يؤنّب، ولم يضرب [4] قد أثر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل [5] .

٥ – موقفه ﷺ مع معاوية بن الحكم:

---

(١) سورة الحشر الآية ١٠ .

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٣٩ .

(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري١/ ٣٢٥ ، وشرح النووي على مسلم٣/ ١٩١ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة ، باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل١/ ١٧٥ ، وتقدم تخريجه عند أحمد .

(٥) انظر : فتح الباري١/ ٣٢٥ ، وشرح النووي٣/ ١٩١ ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود٢/ ٣٩ ، وتحفة الأحوذي ، شرح سنن الترمذي١/ ٤٥٧ .

عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: ﴿ بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك اللّه! فرماني القوم بأبصـــارهم، فقلت: واثكـــل أمياه ما شأنكم تنـــظرون إليّ؟، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني [1] ولا ضربني ولا شتمني، قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنـــما هو التسبيح والتكبير وقراءة القران "، أو كما قال رسول اللّه ﷺ.

قلت: يا رســـول اللّه! إني حديث عهـــد بجـــاهلية، وقـــد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالًا يأتون الكهان، قال: "فلا تأهم ".

قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: "ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم " [2] (قال ابن الصلاح: فلا يصدنكم)، قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: "كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك " [3] قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوَانيّة [4] فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كـــما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: "ائتني بها"، فأتيته بها، فقال لها: "أين اللّه؟" قالت: في السماء، قال: "من أنا؟ " قالت: أنت رسول اللّه. قال: "أعتقها فإنها

---

(١) ما كهرني : أي ما قهرني ولا ضربني . انظر : شرح النووي٥/ ٢٠ .

(٢) قال العلماء . معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة ، ولا عتب عليكم في ذلك ، ولكن لا تمتنعوا بسببه من التصرف في أموركم . انظر : المرجع السابق٥/ ٢٢ .

(٣) اختلف العلماء في معناه ، والصحيح أن معناه : من وافق خطه فهو مباح له؛ ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يُباح ، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة ، وليس لنا يقين بها ، وقيل . إنه نُسِخَ في شرعنا- فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن فهو محرم . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، ٥/ ٢٣ .

(٤) الجوانية : موضع في شمال المدينة بقرب جبل أحد . انظر : المرجع السابق ٥/ ٢٣ .

مؤمنة ﴾ [1] وهذا الموقف من أعظم الحكم البارزة السامية التي أوتيها النبي ﷺ وقد ظهر أثر ذلك في حياة ونفس معاوية رضي الله عنه؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ولهذا قال معاوية رضي الله عنه ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه.

٦ – موقفه ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي:

من مواقف الحكمة ما فعله رسول الله ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه فقد أسلم الطفيل رضي الله عنه قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله عز وجل فأبت عليه وعصت، وأبطؤوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أن دوسًا هلكت وكفرت وعصت وأبت. فعن أبي هريرة – رضيِ الله عنه– قال: ﴿ جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول اللّه ﷺ فقال: إن دوسًا قد عصت وأبت، فادع اللّه عليهم، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة، ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: "اللهم اهد دوسًا، وائت بهم، اللهم اهد دوسًا، وائت بهم ﴾ [2] [3].

وهذا يدل على حلم النبي ﷺ وصبره وتأنيه في الدعوة إلى اللّه عز وجل؛ فإنه ﷺ لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من رد الدعوة؛ ولكنه ﷺ دعا لهم بالهداية، فاستجاب اللّه دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ١/ ٣٨١ ، وانظر شرحه في شرح مسلم للنووي ٥/ ٢٠ .

(٢) البخاري المغازي (٤١٣١) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٢٤) ، أحمد (٢/٢٤٣) .

(٣) البخاري مع الفتح ، في كتاب الجهاد ، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ٦/ ١٠٧ ، وفي كتاب المغازي ، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ٨/ ١٠١ ، وفي كتاب الدعوات ، باب الدعاء على المشركين١١/ ١٩٦ ، ومسلم ، في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطيء ٤/ ١٩٥٧ ، وأخرجه أحمد واللفظ له ٢/ ٢٤٣ ، ٤٤٨ ، وانظر : البداية والنهاية ٦/ ٣٣٧ ، ٣/ ٩٩ ، وسير ابن هشام١/ ٤٠٧ .

تسعين بيتًا من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين [1] الله أكبر! ما أعظمها من حكمة أسلم بسببها ثمانون أو تسعون أسرة. وهذا مما يوجب على الدعاة إلى اللّه ﷻ العناية بالحكمة في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل اللّه ثم معرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

٧ – موقفه ﷺ مع الشاب الذي استأذنه في الزنا:

عن أبي أمامة ﷺ قال: ﴿ إن فتًى شابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال له: " ادنه "، فدنا منه قريبًا، قال: " أتحبّه لأمّك؛ " قال: لا واللّه، جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال: " أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا والله يا رسول الله، جعلني اللّه فداءك. قال " ولا الناس يحبونه لبناتهم " قال: " أفتحبه لأختك؟ " قال: لا واللّه، جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم ". قال: " أفتحبه لعمتك؟ " قال: لا واللّه، جعلني اللّه فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم ". قال: " أفتحبه لخالتك؟ " قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم " قال: فوضع يده عليه، وقال: " اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه "، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء ﴾ [2] [3].

وهذا الموقف الحكيم العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى اللّه ﷻ أن يعتنوا بالرفق والإِحسان إلى الناس، ولا سيما من يرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم. وكما بين لنا الرسول ﷺ الرفق بفعله بينه لنا بقوله وأمرنا بالرفق في الأمر كله. فعن عائشـــة – رضي الله عنها – قالت: ﴿ دخل رهط من اليهود

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي١/ ٣٤٦ ، وزاد المعاد٣/ ٦٢٦ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٢٥ .

(٢) أحمد (٥/٢٥٧) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة٥/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، وعزاه إلى الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح ١/ ١٢٩ ، وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، برقم ٣٧٠ ج ١ .

على رسول اللّه ﷺ فقـــالوا: السامُ عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السامُ واللعنة. قالت: فقال رسول اللّه ﷺ " مهلًا يا عائشة إن اللّه يُحبّ الرفق في الأمر كله "، فقلت: يا رسول اللّه أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ " قد قلت وعليكم ﴾ [(١)] [(٢)].

وقال ﷺ ﴿ يا عائشة إن اللّه رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف، وما لا يُعطي على ما سواه ﴾ [(٣)] [(٤)].

وقال ﷺ ﴿ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلا شانه ﴾ [(٥)] [(٦)].

وبين ﷺ أن من حُرِمَ الرفق فقد حُرِمَ الخير، قال ﷺ ﴿ من يحرم الرفق يحرم الخير ﴾ [(٧)] [(٨)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير ﴾ [(٩)] [(١)] وعنه رضي الله عنه

(١) البخاري الأدب (٥٦٧٨) ، مسلم السلام (٢١٦٥) ، الترمذي الاستئذان والآداب (٢٧٠١) ، ابن ماجه الأدب (٣٦٩٨) ، أحمد (٦/١٩٩) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله ١٠/ ٤٤٩ .

(٣) البخاري استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٥٢٨) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩٣) ، الترمذي الاستئذان والآداب (٢٧٠١) ، أحمد (٦/٣٧) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق ، عن عائشة رضي اللّه عنها ، ٤/ ٢٠٠٤ .

(٥) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩٤) ، أبو داود الأدب (٤٨٠٨) ، أحمد (٦/١٧١) .

(٦) المرجع السابق ، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقًا ، ٤/ ٢٠٠٤ عن عائشة رضي اللّه عنها أيضًا .

(٧) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٩٢) ، أبو داود الأدب (٤٨٠٩) ، ابن ماجه الأدب (٣٦٨٧) ، أحمد (٤/٣٦٦) .

(٨) المرجع السابق ، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقًا عن جرير بن عبد الله٤/ ٢٠٠٣ .

(٩) الترمذي البر والصلة (٢٠١٣) ، أحمد (٦/٤٥١) .

يبلغَ به قال: ﴿ من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الخير، وليس شيء أثقل في الميزان من الخُلُق الحسن ﴾ [(٢) (٣)]. وعن عائشة – رضي اللّه عنها – أن النبي ﷺ قال لها: ﴿ إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار ﴾ [(٤) (٥)].

فقد عظّم النبي ﷺ شأن الرفق في الأمور كلها، وبين ذلك بفعله وقوله بيانًا شافيًا كافيًا؛ لكي تعمل أمّته بالرفق في أمورها كلها، وخاصة الدعاة إلى اللّه ﷻ؛ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوهم، وفي جميع تصرفاقم، وأحوالهم. وهذه الأحاديث السابقة تُبيّن فضل الرفق، والحث على التخلق له، ولغيره من الأخلاق الحسنة، وذم العنف وذم من تخلق به.

فالرفق سبب لكـــل خير؛ لأنـــه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره، وما لا يأتي من ضده [(٦)].

وقد حذر النبي ﷺ من العنف، وعن التشديد على أمته ﷺ فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول في بيتي هذا: ﴿ اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به ﴾ [(٧) (١)]

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الرفق ٤/ ٣٦٧ ، وقال حديث حسن صحيح ، وانظر : صحيح الترمذي ، ٢/ ١٩٥ .

(٢) الترمذي البر والصلة (٢٠٠٣) ، أبو داود الأدب (٤٧٩٩) ، أحمد (٦/٤٥١) .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥١ ، انظر الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٨٧٦ ، فقد ذكر له شواهد كثيرة .

(٤) أحمد (٦/١٥٩) .

(٥) أخرجه أحمد ٦/ ١٥٩ وإسناده صحيح ، انظر الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٥١٩ .

(٦) انظر شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٤٥ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ١٠/ ٤٤٩ ، وتحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ٦/ ١٥٤ .

(٧) مسلم الإمارة (١٨٢٨) ، أحمد (٦/٢٥٨) .

وكان ﷺ إذا أرسل أحدًا من أصحابه في بعض أموره أمرهم بالتيسير ونهاهم عن التنفير.

فعن أبي موسى ﷺ قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أموره قال: ﴿ بشّرُوا ولا تُنفَرُوا، ويسِّرُوا ولا تُعسِّروا ﴾ [2] [3].

وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ - رضي الله عنهما - حينما بعثهما في اليمن: ﴿ يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرَا ولا تُنفرَا، وتطاوَعَا ولا تختلفَا ﴾ [4] [5].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا ﴾ [6] [7].

في هذه الأحاديث الأمر بالتيسير والنهي عن التنفير، وقد جمع النبي ﷺ في هذه الألفاظ بين الشيء وضده، لأن الإنسان قد يفعل التيسير في وقت والتعسير في وقت، ويبشر في وقت وينفر في وقت آخر فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يصر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات؛ فإذا قال ولا تعسِّروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب. وكذا يقال في يسّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء، والنبي ﷺ قد حث في هذه الأحاديث وفي غيرها على التبشير

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد باب فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/ ١٤٥٨ .

(٢) مسلم الجهاد والسير (١٧٣٢) ، أبو داود الأدب (٤٨٣٥) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٨ .

(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٨٧٣) ، مسلم الأشربة (١٧٣٣) ، أحمد (٤/٤١٧) .

(٥) البخاري مع الفتح في كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٨/ ٦٢ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩ ، واللفظ له .

(٦) البخاري العلم (٦٩) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٣٤) ، أحمد (٣/٢٠٩) .

(٧) البخاري مع الفتح في كتاب العلم باب ما كان يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/ ١٦٣ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ٣/ ١٣٥٩ .

بفضل اللّه وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، ونهى عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وهذا فيه تأليف لمن قرب إسلامه وترك التشديد عليه، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم ينبغي أن يتدرج معهم ويُتلطّف بهم في أنواع الطاعات قليلًا قليلًا، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة، أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالبًا الازدياد منها، ومتى عُسِّرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ولا يستحليها [(1)]. وهكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج، ولهذا كان النبي ﷺ.

يتخوّل أصحابه بالموعظة في الأيام كراهة السَّآمة عليهم [(2)].

فصلوات الله وسلامه عليه فقد دل أمته على كل خير وحذرهم من كل شر، ودعا على من شق على أمته، ودعا لمن رفق بهم كما تقدم في حديث عائشة وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم [(3)].

٨ – موقفه ﷺ مع من شفع في ترك إقامة الحد:

قد كان النبي ﷺ أعدل البشر في جميع أموره وأحكامه، ومما يضرب به المثل في عدله إلى يوم القيامة قصة المخزومية التي سرقت فقطع يدها بعد أن شفع فيها أسامة، ولكن الرسول ﷺ لم يحابِ في ذلك، ولم يقبل الشفاعة في حد من حدود اللّه تعالى.

فعن عائشة – رضي الله عنها – ﴿ أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا. من يكلم فيها رسول اللّه ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول اللّه ﷺ فأُتي بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول اللّه ﷺ فقال: " أتشفع في حد من حدود الله؟ " فقال له أسامة:

(١) انظر شرح النووي على مسلم ١٢/ ٤١ بتصرف يسير وفتح الباري ١/ ١٦٣ .

(٢) انظر فتح الباري ١/ ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) انظر شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢١٣ .

استغفر لي يا رسول الله ! فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على اللّه بـــما هو أهله، فقال: " أما بعد، أيها الناس. إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ".

ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني فأرفع حاجتها إلى رسول اللّه ﷺ ﴾ [1] [2].

إن العدل خلاف الجور، وقد أمر الله ﷻ به في القول والحكم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [3] وقال: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [4].

ولا شك أن هذا الموقف الحكيم وغيره من مواقفه ﷺ مما يوجب على الدعاة تطبيقها أسوة به ﷺ [5].

٩ – موقفه ﷺ الحكيم في الكرم والجود:

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٨٨) ، مسلم الحدود (١٦٨٨) ، الترمذي الحدود (١٤٣٠) ، النسائي قطع السارق (٤٨٩٨) ، أبو داود الحدود (٤٣٧٣) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٤٧) ، أحمد (٦/١٦٢) ، الدارمي الحدود (٢٣٠٢) .

(٢) البخاري مع الفتح بنحوه مختصرًا في كتاب الحدود ، باب إقامة الحد على الشريف والوضيع ١٢/ ٨٦ ، وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ١٢/ ٨٧ ، ٦/ ٥١٣ ، ٥/ ١٩٢ ، ورواه مسلم بلفظه في كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ، والنهي عن الشفاعة في الحدود ٣/ ١٣١٥ ، وانظر : شرح النووي ١١/ ١٨٦ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢/ ٩٥ ، ٩٦ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٥٢ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٥٨ .

(٥) انظر مواقف حكيمة في هذا الشأن في : سنن أبي داود ٢/ ٢٤٢ ، والترمذي ٣/ ١٣٧ ، والنسائي ٧/ ٦٤ ، وانظر أيضًا : البخاري مع الفتح ٣/ ٢٩٢ ، ٢/ ١٤٣ ، ١١/ ٣١٢ ، ١٢/ ١١٢ ، ومسلم ٣/ ٤٥٨ ، وهذا الحبيب يا محب ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

عن أنس ﷺ قال: ﴿ ما سُئِلَ رسول الله ﷺ على الإِسلام شيئًا إلا أعطاه قال: فجاءَه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة ﴾ [1] [2].

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي جمعيه، وغزارة جوده [3].

وكان ﷺ يعطي العطاء ابتغاء مرضاة اللّه ﷻ وترغيبًا للناس في الإسلام، وتأليفًا لقلوبهم، وقد يُظهر الرجل إسلامه أولًا للدنيا ثم – بفضل الله تعالى، ثم بفضل النبي ﷺ ونور الإِسلام – لا يلبث إلا قليلًا حتى ينشرح صدره للإِسلام بحقيقة الإِيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها [4].

ولهذا شواهد كثيرة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه ﴿ أن النبي ﷺ غزا غزوة الفتح – فتح مكة – ثم خرج ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين، فنصر اللّه دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول اللّه ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي ﴾ [5] [6].

---

(١) مسلم الفضائل (٢٣١٢) ، أحمد (٣/٢٨٤) .

(٢) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله شيئًا قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦ .

(٣) انظر أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا عبدان ١/ ٣٠ ، وكتاب الأدب باب حسن الخلق وما يكره من البخل ١٠/ ٤٥٥ ، وكتاب الرقاق ، باب قول النبي لو أن عندي مثل أحد ذهبًا ١١/ ٢٦٤ ، ١١/ ٣٠٣ ، وكتاب الكفالة ، باب من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع ٤/ ٤٧٤ ، وكتاب التمني ، باب تمني الخير ، وقول النبي لو كان لي أحدًا ذهبًا ١٣/ ١٧ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله شيئًا قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ ، وكتاب الزكاة ، باب من سأل بفحش وغلظة ٢/ ٧٣٠ ، وباب وتغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ٢/ ٦٨٧ .

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم ١٥/ ٧٢ .

(٥) مسلم الفضائل (٢٣١٣) ، الترمذي الزكاة (٦٦٦) ، أحمد (٦/٤٦٥) .

(٦) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل شيئًا قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦ .

وقال أنس ﷺ ﴿ إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها ﴾ [(١)] [(٢)].

وإذا رأى ﷺ الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان ﷺ يجزل له في العطاء، قال ﷺ ﴿ إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يُكبَّ في النار على وجهه ﴾ [(٣)] [(٤)].

ولذلك كان ﷺ ﴿ يعطي رجالًا من قريش المائة من الإبل ﴾ [(٥)] [(٦)].

ومن مواقفه الحكيمة العظيمة في ذلك ما فعله ﷺ مع المرأة المشركة صاحبة المزادتين، فإنه ﷺ بعد أن أسقى أصحابه من مزادتيها، ورجعت المزادتان أشد ملاءة منها حين ابتدأ فيها ﴿ قال لأصحابه: " اجمعوا لها "، فجمعوا لها – من بين عجوة ودقيقة وسويقة – حتى جمعوا لها طعامًا كثيرًا وجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها: " اذهبي فأطعمي هذا عيالك، تعلمين واللّه ما رزأناك [(٧)].

من مائك شيئًا، ولكن اللّه هو الذي أسقانا ﴾.

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها فقالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا، فهدى اللّه ذلك الصرم [(٨)] بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا [(١)].

---

(١) مسلم الفضائل (٢٣١٢) ، أحمد (٣/٢٨٤) .

(٢) المرجع السابق ، في الكتاب والباب المشار إليهما آنفًا ٤/ ١٨٠٦ .

(٣) البخاري الزكاة (١٤٠٨) ، مسلم الإيمان (١٥٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٢) ، أبو داود السنة (٤٦٨٣) ، أحمد (١/١٨٢) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الزكاة ، باب قوله تعالى : (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) ٣/ ٣٤٠ ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء من يخاف على إيمانه ٣/ ٧٣٣ .

(٥) البخاري فرض الخمس (٢٩٧٨) ، مسلم الزكاة (١٠٥٩) ، أحمد (٣/١٦٦) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم ٦/ ٢٤٩ .

(٧) أي : لم ننقص من مائك شيئًا انظر : فتح الباري ١/ ٤٥٣ .

(٨) الصرم : أبيات مجتمعة من الناس . انظر : فتح الباري ١/ ٤٥٣ .

وفي رواية: فكـــان المسلمون بعـــد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه، فقالت يومًا لقومها: ما أرى أن هؤلاء القـــوم يدعونكم عمدًا، فهل لكــــم في الإِسلام؛ فأطاعوها، فدخلوا في الإِسلام [٢].

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة أمران:

الأمر الأول: ما رأتـــه من أخذ النبي ﷺ وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئًا، وهذا من معجزات النبي ﷺ التي تدل على صدق رسالته.

الأمر الثاني: كرم النبي ﷺ حينما أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعامًا كثيرًا.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها، لأن المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار النبي ﷺ على سبيل الاستئلاف لهم، حتى كان ذلك سببًا لإِسلامهم [٣].

وهذه الأمثلة التي سقتها ما هي إلا قطرة من بحر من كرم النبي ﷺ فما أحوجنا، وما أولى جميع الدعاة إلى الله ﷻ إلى الاقتداء بالنبي ﷺ والاقتباس من نوره وهديه في دعوته وفي أموره كلها، والله المستعان.

١٠ – مواقف النبي ﷺ مع زعيم المنافقين عبد اللّه بن أُبَيّ:

قدم النبي ﷺ المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على تمليك عبد الله بن أُبي، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، ليُتَوِّجوه ثم يملِّكوه عليهم، فجاءهم الله – تعالى – برسول اللّه ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإِسلام امتلأ قلبه حقدًا وعداوة وبغضًا، ورأى أن رسول اللّه ﷺ قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨٠ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ١/ ٤٧٦ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب التيمم ، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء ١/ ٤٤٨ .

(٣) انظر : فتح الباري ١/ ٤٥٣ .

الإِسلام، دخل فيه كارهًا، مصرًا على النفاق والحقد والعداوة [1] ولم يأل جهدًا في الصدّ عن الإِسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذب عن اليهود ومساعدتهم.

وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإِسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبي ﷺ يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يُظهر الإِسلام، ولأن له أعوانًا من المنافقين، هو رئيسهم وهم تبع له، فكان ﷺ يحسن إليه بالمقال والفعال، ويقابل إساءته بالعفو والإِحسان في عدة مواقف، منها على سبيل المثال ما يأتي:

(أ) شفاعته لليهود (بنو قينقاع) عندما نقضوا العهد:

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين [2] فسار إليهم رسول اللّه ﷺ يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهـرًا من الهجـرة، وحـاصرهم خمسـة عشر يومًـا، وتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وقذف اللّه في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول اللّه ﷺ فأمر بهم فَكُتِّفُوا، وكانوا سبعمائة مقاتل، فقام إلى النبي ﷺ عبد الله بن أُبي حين أمكنه اللّه منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأبطأ عليه رسول اللّه ﷺ فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يديه في جيب درع النبي ﷺ وقال: واللّه لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاثمائة دارع [3] قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ له [4] وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٦ ، والبداية والنهاية ٤/ ١٥٧ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٧ ، والبداية والنهابة ٤/ ٤ ، والرحيق المختوم ص ٢٢٨ ، وهذا الحبيب ص ٢٤٦ .

(٣) الحاسر : هو الذي لا درع له ، والدارع : هو لابس الدرع . انظر : المعجم الوسيط ، مادة " حسر " ، ١/ ١٧٢ ، ومادة " درع " ١/ ٢٨٠ .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٤ .

وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات اللّه وسلامه عليه [(١)].

(ب) ما فعله مع النبي ﷺ يوم أحد:

خرج النبي ﷺ إلى معركة أحد، فلما صار بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر – رضي الله عنهما – فوبّخهم، وحضهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل اللّه أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكـــم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبهم [(٢)].

فلم يعاقبه رسول الله ﷺ على هذا الجرم العظيم، وتخذيل المسلمين.

(جـــ) صده الرسولَ ﷺ عن الدعوة إلى اللّه تعالى:

﴿ ركب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة، فمر بعدوّ اللّه عبد الله بن أُبي وحوله رجال من قومه، فنزل ﷺ فسلم ثم جلس قليلًا، فتلا القرآن، ودعا إلى اللّه ﷻ وذكَّر بالله، وحذر وبشر وأنذر، وعندما فرغ ﷺ من مقالته، قال له عبد اللّه بن أُبي: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقًّا فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغته [(٣)] ولا تأته في مجلسه بما يكره منه ﴾ [(٤)] فلم يؤاخذه ﷺ وعفا عنه وصفح.

(د) تثبيته بني النضـــير:

عندما نقض يهود بني النضير العهد هَمِّهم بقتل النبي ﷺ بعث إليهم محمد بن مسلمـــة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق – وعلى رأسهم عبد اللّه بن أُبي – أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قُوتلتم قاتلنـــا معكم، وإن أُخرجتم خرجنـــا معكـــم، فقويت عزيمة اليهود، ونابذوا رسول اللّه ﷺ بنقض العهد، فخرج إليهم حتى

(١) انظر : زاد المعاد ٣/ ١٢٦ ، ١٩٠ .

(٢) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ١٩٤ ، وسيرة ابن هشام ٣/ ٨ ، ٣/ ٥٧ ، والبداية والنهاية ٤/ ٥١ .

(٣) أي : لا تكثر عليه به وتتردد به عليه ، أو لا تعذبه به . انظر : القاموس المحيط ، باب التاء ، فصل الغين ، ص ٢٠٠ ، والمعجم الوسيط ، مادة " غتَّ " ، ٢/ ٦٤٤ .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨ ، ٢١٩ .

نزل بهم وحاصرهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأجلاهم النبي ﷺ وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام [(١)].

وترك النبي ﷺ عبد الله بن أُبي فلم يُعاقبه على ذلك.

(هـ) كيده وغدره للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين في غزوة المريسيع:

في هذه الغزوة قام عبد الله بن أُبي بعـــدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه، منها:

١ – دبر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولى كبره عبد اللّه بن أُبي ابن سلول [(٢)].

٢ – وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أُبي: ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴾ [(٣)] [(٤)].

٣ – وفِي هذه الغزوة قال عدو الله: ﴿ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ ﴾ [(٥)] [(٦)].

وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي ﷺ نار الفتنة، وقـــطع دابر الشر – بفضل الله ثم بصبره – على عبد الله ابن أُبي، وتحمله له، والإحسان

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٢ ، والبداية والنهاية ٤/ ٧٥ ، وزاد المعاد ٣/ ١٢٧ .

(٢) انظر قصة الإفك في البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ٧/ ٤٣١ ، وكتاب التفسير ، سورة النور ، باب لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوه قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيم . ٨/ ٤٥٢ ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب حديث الإفك ٤/ ٢٩/ ٢١ ، وزاد المعاد ٣/ ٢٥٦ – ٢٦٨ .

(٣) سورة المنافقون آية : ٨ .

(٤) سورة المنافقون ، الآية ٨ . وانظر البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة المنافقون ، باب سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّه لَهُمْ إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . ٨/ ٦٤٨ ، ٦٥٢ ، وفي كتاب المناقب ، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية ٦/ ٥٤٦ ، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ٤/ ١٩٩٨ ، وانظر : سيرة ابن هشام ٣/ ٣٣٤ .

(٥) سورة المنافقون آية : ٧ .

(٦) سورة المنافقون ، الآية ٧ . والحديث في البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة المنافقون ، باب قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّه ، ٨/ ٦٤٨ ، ومسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/ ٢١٤٠ .

إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأن هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرهم على الـــدعوة الإسلامية؛ ولأنه يظهر إسلامه، ولهذا قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب – حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق –: ﴿ دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه ﴾ [1] [2].

فلو قتله رسول الله ﷺ لكـــان ذلك منفـــرًا للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبد اللّه بن أُبي مسلم، ومن ثم سيقول الناس: إن محمدًا يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاسد، وتتعطل المصالح. فظهرت حكمة النبي ﷺ وصبره على بعض المفاسد خوفًا من أن تترتب على ذلـــك مفســـدة أعظم؛ ولتقـــوى شوكـــة الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر، واللّه يتولى السرائر.

وقد ظهرت الحكمة لعمر بعد ذلك في عدم قتل عبد الله بن أبي فقال: " قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري " [3].

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم اقتداء بنبيهم ﷺ.

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٦٢٢) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣١٥) ، أحمد (٣/٣٩٣) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة المنافقون ، باب سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، ٨/ ٦٤٨ ، ٨/ ٦٥٢ ، ٦/ ٥٤٦ ، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ٤/ ١٩٩٨ .

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، ٤/ ١٨٥ . وانظر شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٣٩ ، وهذا الحبيب يا محب ص ٣٣٦ .

المبحث الثاني: مواقف الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثاني مواقف الصحابة رضي الله عنهم

توطئة:

كــما كان للنبي ﷺ مواقف حكيمة، فإن للصحابة مواقف مشرفة، تزخر بالحكمة؛ لأنهم تلقوا الحكم العالية من النبي ﷺ.

وسأشير – إن شاء الله تعالى – إلى مواقف بعض الصحابة على سبيل المثال لا الحصر في المطالب التالية:

المطلب الأول: مواقف أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه.

المطلب الثاني: مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاروق رضي الله عنه.

المطلب الثالث: مواقف عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المطلب الرابع: مواقف علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه.

المطلب الخامس: مواقف مصعب بن عمير رضي الله عنه.

المطلب السادس: موقف ضمام بن ثعلبة رضي اللّه عنه.

المطلب السابع: موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه.

المطلب الثامن: موقف الحسن بن علي رضي اللّه عنهما.

المطلب التاسع: مواقف جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الأول: من مواقف أبي بكر الصديق ﷺ

له ﷺ مواقف حكيمة تدل على عظم شأنه وصدقه مع الله ﷻ ومن هذه " المواقف على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ – دفاعه عن النبي ﷺ والقيام بنصرته:

عن عروة بن الزبير ﷺ قال: قلت لعبد اللّه بن عمرو بن العاص: أخـــبرني بأشد ما صنع المشركون برسول اللّه ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول اللّه ﷺ وقال: ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ [(١)] [(٢)].

وهو أشجع الصحابة – رضي اللّه عنهم –، فقد رُوِي عن علي ﷺ أنه خطب، فقال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين ! قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس ! قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر. إنه لما كان يوم بدر، جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع الرسول ﷺ لئلّا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلَّا أَهْوى إليه، فهذا أشجع الناس.

قال علي ﷺ ولقد رأيت رسول اللّه ﷺ وأخذته قريش، فهذا يحاده، وهذا يتلتله [(٣)] وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم، ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ [(٤)]، ثم رفع علي بردة كانت عليه، ثم بكى حتى اخضلت لحيته، ثم قَال

---

(١) سورة غافر آية : ٢٨ .

(٢) سورة غافر ، الآية ٢٨ . والحديث في البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة ٧/ ١٦٥ ، ٧/ ٢٢ ، ٨/ ٥٥٣ ، وتقدم تخريجه ، ص ١٥٠ .

(٣) يتلتله : يزعزعه ويزلزله . انظر : مختار الصحاح ، مادة : تلل ، ص ٣٣ ، والمعجم الوسيط ١/ ٨٧ .

(٤) سورة غافر آية : ٢٨ .

علي: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم. ثم قال: ألا تجيبوني؛ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه [1].

٢ – تصديقه للنبي ﷺ والحرص على حمايته:

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

﴿ لما كذبني قريش قمت في الحجر، فجلّى اللّه لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ﴾ [2] [3].

وقد افتتن ناس كثير عقب الإسراء، فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له قصة الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، فقال أبو بكر: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال: نعم، إني أصـــدقـــه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء، فسُمّي بذلك الصديق [4].

وقد كان ﷺ يحرص على حماية النبي ﷺ أشد الحرص، فقد ذكر رجال على عهد عمر ﷺ فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر، فقال: واللّه لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول اللّه ﷺ فقال: ﴿ يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة خلفي، وساعة بين يدي؟ ﴾

---

(١) ذكره ابن كثير ، وعزاه إلى البزار ، انظر : البداية والنهاية ٣/ ٢٧٢ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٧ : وفيه من لم أعرفه ، ولكن لبعض هذا المتن شواهد في الأحاديث الصحيحة انظرها في صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، ٣/ ١٣٨٣ ، والبخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب قوله تعالى : إذ تستغيثون ربكم . . . ٧/ ٢٨٧ ، وكتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر ٧/ ٢٢ ، ٧/ ١٦٥ ، وانظر : حياة الصحابة للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي ١/ ٥٤٠ ، وحلية الأولياء ١/ ٣٢ ، وانظر : تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي ص ٣٧ .

(٢) البخاري المناقب (٣٦٧٣) ، مسلم الإيمان (١٧٠) ، الترمذي تفسير القرآن (٣١٣٣) ، أحمد (٣/٣٧٧) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث الإسراء ٧/ ١٩٦ .

(٤) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ١٩٩ ، وعزاه إلى البيهقي في الدلائل .

فقال: يا رسول اللّه، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فقال: ﴿ يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني ﴾؟ " قال: نعم، والذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول اللّه حتى أستبرئ لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكـــر أنه لم يستبرئ الجحرة [1] فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر [2].

وعندما دخل أبو بكر الغار مع النبي ﷺ صار يخاف عليه من قريش حينما رآهم، فقال رضي الله عنه وأرضاه: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ﴿ يا أبا بكر، ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما، لا تحزن فإن اللّه معنا ﴾ [3] [4].

ولهذا قال ﷺ ﴿ إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخُوَّة الإِسلام ومودَّته ﴾ [5] [6].

وقـــال: ﴿ لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد

---

(١) الجحرة . مفردها : جحر ، وهو المكان الذي تحفره السباع والهوام لأنفسها . انظر : المعجم الوسيط . مادة (جحر) ١/ ١٨٠ .

(٢) الحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح لولا إرسال فيه ووافقه الذهبي ٣/ ٦ ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ١٨٠ ، وعزاه إلى البيهقي ، وانظر : حياة الصحابة ١/ ٣٣٩ ، وحلية الأولياء ١/ ٣٣ .

(٣) البخاري المناقب (٣٧٠٧) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٣٨١) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٩٦) ، أحمد (٤/١) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ٧/ ٨ ، وكتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي وأصحابه ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق٤/ ١٨٥٤ .

(٥) البخاري الصلاة (٤٥٤) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٣٨٢) ، الترمذي المناقب (٣٦٦٠) ، أحمد (١٨/٣) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر ، ٧/ ١٢ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر الصديق ٤/ ١٨٥٤ .

اتخذ اللّه ﷻ صاحبكم خليلًا ﴾ [1] [2].

٣ – إنفاقه ماله في سبيل الله تعالى:

عندما أسلم أبو بكر ﷺ كان من أثرى أثرياء قريش، فكانت عنده أموال كثيرة، وقد كان في منزله يوم أسلم أربعون ألف درهم أو دينار، فاستخدم أمواله كلها في طاعة اللّه، ومن ذلك ما يأتي.

(أ) إنفاق المال في إعتاق الرّقاب:

أعتق ﷺ رقابًا كثيرة، حُفِظَ منهم سبع رقاب: بلال، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، والهندية وبنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، وجارية بني مؤمل، وأم عبيس، رضي الله عن الجميع.

وقد كانت هذه الرّقاب يُعذّب معظمها على إسلامها، فأنقذها الله بأبي بكر الصديق ﷺ وأخذ ﷺ ينفق أمواله في خدمة الإسلام والمسلمين [3].

(ب) أخذه جميع ماله يوم الهجرة لإنفاقه على رسول اللّه ﷺ

حمل الباقي من ماله عندما هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، ولم يبق لأهله شيئًا، فعن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها – قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر معه ماله كله، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بـــماله مع نفسه، قالت: قلت: كلَّا يا أبت، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، قالت: فأخذت أحجارًا فجعلتها في كوة [4] في البيت – كان أبي يجعل فيها ماله – ثم جعلت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يا أبت يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٥٦) ، أحمد (١/٢٧٠) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوت النبي لو كنت متخذًا خليلًا : ٧/ ١٧ ، ومسلم واللفظ له ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي بكر الصديق ٤/ ١٨٥٥ .

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٤٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٠ ، والبداية والنهاية ٣/ ٥٨ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨ .

(٤) الكوة : ثقب في الحائط . انظر : القاموس المحيط : باب الواو ، فصل الكاف ، ص ١٧١٣ .

عليه، فقال: لا بأس، إن ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ، قالت: " ولا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكن أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك " [1].

(جـ) تصدُّقه بماله كله في غزوة تبوك:

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ﴿ أمرنا رسول اللّه ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ " ما أبقيت لأهلك؟ " قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول اللّه ﷺ " ما أبقيت لأهلك؟ " قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا ﴾ [2] [3].

وأبو بكر رضي الله عنه أولى الأمة بقوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [4].

٤ – موقف أبي بكر عقب وفاة النبي ﷺ [5].

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٣٥٠ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٥٩ . ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع ، وعزاه للطبراني أيضًا ، وانظر أيضًا . البداية والنهاية ٣/ ١٧٩ ، وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص ٣٩ ، وحياة الصحابة للكاندهلوي ٢/ ١٦٤ .

(٢) الترمذي المناقب (٣٦٧٥) ، أبو داود الزكاة (١٦٧٨) ، الدارمي الزكاة (١٦٦٠) .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥/ ٦١٤ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود في الزكاة ، باب الرخصة في ذلك – أي الرخصة في إخراج المال كله – ٢/ ١٢٩ ، والدارمي في الزكاة ، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده ١/ ٤٣٢٩ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ١/ ٤١٤ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٢ .

(٤) سورة الليل ، الآيات ١٧ – ٢١ . وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٢ .

(٥) انظر له مواقف حكيمة في البخاري مع الفتح في كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية ٧/ ١٤٩ وأبي نعيم في الحلية ١/ ٣١ ، وأحمد في الزهد بمعناه ص ١٦٤ ، وانظر : حياة الصحابة ٢/ ٦١١ ، ٦١٢ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ١/ ٣٠ ، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٤/ ١٧٢ ، برقم ٤٣٩٥ ، وانظر أيضًا . فتح الباري ٧/ ١٤ ، فقد ذكر لأبي بكر عجائب في الورع .

أُصيب المسلمون يوم وفاة الرسول ﷺ بمصيبة عظيمة، وهزّة عنيفة أفقدت الكثير منهم صوابهم، حتى أن عمر أنكر موت النبي ﷺ وخرج الناس وخطبهم، وقال: واللّه ما مات رسول اللّه ﷺ وليبعثنه اللّه فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم.

وأقبل أبو بكر ﷺ على فرس من مسكنه بالسُّنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يُكلّم الناس حتى دخل على عائشة – رضي الله عنها – فتيمم رسول اللّه ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمـــع اللّه عليه موتتين، أما الموتة التي كُتِبَتْ عليك فقد متها [(١)] ثم خرج أبو بكر – وعمر يُكّلم الناس – فقال: أيها الحالف على رسْلِك، وقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فلما تكلم أبو بكر أقبل الناس إليه وتركوا عمر، فجلس عمر ﷺ فحمد اللّه أبو بكر وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان منكم يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت، قال الله – تعالى -: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٢)] وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [(٣)].

فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر ﷺ وقال عمر. واللّه ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاهـــا فعقـــرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات.

وقـــال الراوي: " فتلقاها الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها، ونشج الناس يبكون " [(١)].

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه ٣/ ١١٣ ، وكتاب المغازي ، باب مرض النبي ووفاته ، ٨/ ١٤٥ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٣٠

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٤ .

(١) انظر : البخاري مع الفتح ، وقد صغت هذه الألفاظ من مواضع متفرقة منه ، من كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه ، ٣/ ١١٣ ، وكتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلًا ، ٧/ ١٩ ، وكتاب المغازي ، باب

إن المصيبـــة عظيمة، والأمر كبير، والحادث جليل، والخلاف واقع؛ ولكن أبا بكر ﷺ - بفضل اللّه تعالى - حل الخلاف، وألف بين القلوب وثبّتها، ولا يقدر على هذا إلا من أُوتي قلبًا ثابتًا، وشجاعة فائقة، وعقلاً راجحًا، وحكمة بالغة، ﷺ وأرضاه.

وفي اليوم الثاني - يوم الثلاثاء - خطب أبو بكر الناس، وبين، عليهم، وما لهم، فقام - ﷺ وأرضاه - فحمد الله وأثنى بالـــذي هو أهله، ثم قال: أيها الناس، فإني قد وُلِّيتُ عليكم وليست بخيركم، فإن أحسنت فأعينُوني، وإن أسأت فَقَوِّمُوني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه [1] حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قطّ إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم اللّه [2].

وقوله ﷺ ولِّيتُ عليكم ولست بخيركم: من باب التّواضع، وإلا فإن الصحابة كلهم مُجمِعُون على أنه أفضلهم وخيرهم، رضي الله عنهم أجمعين [3].

٥ - موقفه ﷺ في إنفاذ جيش أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -:

ظهرت حكمة الصديق ﷺ أثناء تنفيذ جيش أسامة زيد - رضي الله عنهما - من عدة وجوه:

(أ) **تنفيذه بعث أسامة** ﷺ على الرغم من شدة الأحوال ومعارضة بعض الصحابة، وذلك امتثالًا لأمر النبي ﷺ.

مرض النبي ووفاته ، ٨/ ١٤٥ ، وانظر : البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٤١ ، ٢٤٢ ، وحلية الأولياء ١/ ٢٩ .

(١) والمعنى : حتى أرُدَّ عليه حقه . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، باب الراء مع الواو ، ٢/ ٢٧٣ . وانظر : التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٥٧ ، وفي البداية والنهاية قال : حتى أزيح علته إن شاء الله ، ٥/ ٢٤٨ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٠ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ ، قال : وهذا إسناد صحيح .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ .

بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - في مرضه الذي توفي فيه [1] وندب الناس إلى غزو الروم، وكان تجهيز جيش أسامة قبل وفاة النبي ﷺ بيومين، وكان ذلك يوم السبت، وقد كان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ ثم اشتد به مرضه، فأمر بإنفاذ جيش أسامة، وتوفي ﷺ فَعَظُم الخطب، واشتد الحال، وظهر النفاق بالمدينة، وارتدت أحياء من العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من دفع الزكاة، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق؛ وثبتت ثقيف بالطائف على الإسلام لم يرتدوا.

وعندما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على أبي بكر الصديق ألَّا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جُهِّز بسببه في حال السلامة.

وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فامتنع الصديق من ذلك، وأَبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال كلمته العظيمة الحكيمة: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا والسّباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، لأُجَهِّزَنّ جيش أسامة، وأمر الحرس أن يكونوا حول المدينة.

(ب) **ثم إن بعض الناس** أشار على أبي بكر أن يولي أمر الجيش رجلًا أقدم سنًّا من أسامة؛ فغضب رضي الله عنه لذلك؛ لأن الرسول ﷺ هوَ الذي أَمَّرَ أسامة على هذا الجيش، فلا يريد رضي الله عنه أن يغير شيئًا فعله رسول الله ﷺ.

(جـ) **وخرج أبو بكر** رضي الله عنه يشيع الجيش ويودع أسامة وجيشه، وأبو بكر يسير على قدميه، وأسامة راكبًا، فقال له أسامة: يا خليفة رسول اللّه، إما أن تركب، وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: والله لست براكب ولست بنازل، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

---

(١) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -٨/ ١٥١ - ١٥٢ .

(د) **واستأذن أبو بكر** ﷺ من أسامة لعمر بن الخطاب وقد كان عمر من ضمن الجنود في جيش أسامة، فَأَذِنَ أسامة لعمر بن الخطاب - رضي الله عن الجميع - وأرضاهم.

فكان خروج أسامة إلى الروم بأرض الشام في ذلك الوقت من أكبر المصالح، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أُرعبوا منهم وأخذهم الخوف والفزع، وقالوا: ما خرج هؤلاء القوم إلا وبهم شديدة، وسنتركهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم وبقوا أربعين يومًا - وقيل سبعين يومًا - ثم أتوا سالمين غانمين، وعندما رجعوا جهزهم أبو بكر مع الجيش لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة [1].

اللّه أكبر ما أعظم هذا الموقف، وما أحكمه! فقد ظهرت حكمته وشجاعته وطاعته لرسول الله ﷺ وهي سبب النصر والفلاح، وبتنفيذ هذا الجيش أدخل اللّه الرُّعب في قلوب المرتدين، واليهود، والنصارى وهذا كله بفضل اللّه، ثم بامتثال أمر رسول الله ﷺ بإنفاذ جيش أسامة زيد ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [2].

وهذا مما يؤكد على كل مسلم أن يعتني بأمر رسول اللّه ﷺ ويبتعد عن نهيه، وذلك كله هو مدار السعادة والفلاح، والفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.

٦ - موقف أبي بكر ﷺ مع أهل الردة ومانعي الزكاة:

عندمـــا توفي رسول اللّه ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من العرب، وظهر النفاق، وقد كان أهل الردة على قسمين:

---

(١) انظر : تاريخ الإمام الطبري ٢/ ٢٤٦ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٢٦ ، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي - عهد الخلفاء الراشدين ص ١٩ ، والبداية والنهاية ٦/ ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، وفتح الباري ٨/ ١٥٢ ، وتاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ص ٧٤ ، وحياة الصحابة للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي ١/ ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٦٤ .

(٢) سورة النور ، الآية ٦٣ .

القسم الأول: ارتدوا عن الدين، ونابذوا الملّة، وهذه الفرقة طائفتان:

(أ) **مُدّعُو النبوة وأتباعهم.**

(ب) **والطائفة الأخرى** ارتدوا عن الدين، وتركوا الصلاة والزكاة، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية.

القسم الثاني: هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، فأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها.

وهذا القسم هو الذي وقع فيه الخلاف، فثبت أبو بكر ﵁ ثم وافقه جميع الصحابة على قتال جميع المرتدين ومانعي الزكاة ﷺ فعن أبي هريرة ﵁ قال: لما توفي رسول اللّه ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللّه ﷺ ﴿ أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا اللّه، فمن قال: لا إله إلا اللّه فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقّه، وحسابه على اللّه ﴾ [1]؟ فقال أبو بكر: واللّه لُأقَاتِلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عِقَالًا [2] كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما إلا أن رأيت اللّه ﷻ قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت الحق [3].

وفي رواية: أن أبا بكر ﵁ قال: " واللّه لأُقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، واللّه لو منعوني عَناقًا [1].

---

(١) البخاري الزكاة (١٣٣٥) ، مسلم الإيمان (٢٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٧) ، النسائي الجهاد (٣٠٩٢) ، أبو داود الزكاة (١٥٥٦) ، أحمد (١/١٩) .

(٢) العِقال : هو الحبل الذي يعقل به البعير ، والعناق : هي السخلة من الغنم . انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٢٨٠ ، ٣/ ٣١١ .

(٣) مسلم بلفظه في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١/ ٥١ ، والبخاري مع الفتح في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ٣/ ٢٦٢ ، ١٢/ ٢٧٥ ، ١٣/ ٢٥٠ ، ٣/ ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(١) انظر : هامش (١) من هذه الصفحة .

يؤدونها إلى رسول اللّه ﷺ لقاتلتهم على منعها... " [1].

وفي هذا الموقف الحكيم لأبي بكر أدلّ دليل على شجاعته رضي الله عنه وتقدّمه في الشجاعة والعلم على غيره، فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم الذي هو أكبر نعمة أنعم الله – تعالى – بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ واستنبط رضي الله عنه من العلم بحكمته، ودقيق نظر ورصانة فكره، ما لم يُشاركه في الابتداء به غيره، فلهذا وغيره مما أكرمه الله، أجمع أهل العلم بالحق على أنه أفضل أمة محمد ﷺ [2].

فرضي الله عن أبي بكر وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد خير الجزاء؛ فإنه قد قام بما يجب عليه نحوها، من ترسيخ معاني الإسلام في قلوب ونفوس وحياة أمة محمد ﷺ وأمرها بالثّبات على دين الله الذي جاء به النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص، وطبق ذلك تطبيقًا عمليًا على نفسه، وعلى جميع من بايعه، وقاتل من أنكر شيئًا من ذلك، فقد أعزّ اللّه به الإسلام والمسلمين، وخذل به أعداء اللّه وأعداء الدين، ولهذا لم ينقص الدين في حياته كما قال رضي الله عنه لعمر بن الخطاب حينما أشكل عليه قتال مانعي الزكاة: إنه قد انقطع الوحي وتمّ الدّين، أفينقص وأنا حي؟ والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، أليس قد قال رسول الله ﷺ " إلا بحقها "، ومن حقها: إيتاء الزكاة، والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدهم بنفسي " [3].

وصدق رضي الله عنه فقد حفظ الله به الدين، ولم ينقص وهو حي، ولهذا كانت خلافته مليئة بالأعمال الجليلة التي تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها على الرغم من قصر مدة خلافته رضي الله عنه فهي لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وهذا يدل على حكمة أبي بكر العظيمة ووعيه التام بالإسلام، وعزيمته الثابتة الراسخة كالجبال الرَّوَاسِي، وإيمانه الذي لو وُزِنَ وإيمان الأمة

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ٣/ ٢٦٢ ، ١٢/ ٢٧٥ ، ١٣/ ٢٥٠ ، ورواية العناق عند البخاري دون مسلم ، وما ذهب إليه أبو بكر قد ثبت عن النبي من حديث عبد الله بن عمر –بن عمر – ، حيث جاء فيه ذكر الشهادتين ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة . وقد أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . . . ١/ ٥٣ ، وأبو داود في كتاب الزكاة ٢/ ٩٣ ، والترمذي في الإيمان ، باب ما جاء بني الإسلام على خمس ٥/ ٣ ، والنسائي في الزكاة ، باب عقوبة مانع الزكاة ٥/ ١٤ .

(٢) انظر : شرح النووي على مسلم ١/ ٢١١ .

(٣) انظر : تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٦٨ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٧٥ ، وحياة الصحابة ١/ ٤٣٤ .

كلها [١] لرجح إيمان أبي بكر بإيمان أمة محمد ﷺ ولهذا يعدّ ﷺ هو الذي أرسى الدعائم بعد وفاة النبي ﷺ وأثبت المفاهيم، فرضي اللّه عنه وأرضاه [٢].

المطلب الثاني: من مواقف عمر بن الخطاب ﷺ :

موقفه في إظهار إسلامه وهجرته

لعمر ﷺ مواقف مشرفة حكيمة كثيرة جدًّا، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ – موقفه في إظهار إسلامه وهجرته:

عندما أسلم عمر ﷺ على يد النبي ﷺ أراد أن يعلم قريش بإسلامه، فسأل عن أنقلهم للحديث، لينقل خبر إسلامه إلى قريش، فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، فذهب عمر ﷺ إلى جميل، وقال له: أعلمت يا جميل أنّي قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ فقام جميل بن معمر يجر رداءه مُسرعًا حتى قام على باب المسجد، ثم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ، فقال عمر وهو واقف خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إلــه إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ فثار عليه قريش من أنديتهم حول باب الكعبة، وقاتلهم وقاتلوه، واستمر القتال بينهم وبينه في هذا الموقف حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وقد تعب عمر ﷺ فقعد وقاموا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف باللّه أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم، أو لتركتموها لنا، وبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلّة حبرة، وقميص مُوشــح، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكــم؟ قالوا: صبأ عمر، فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجل ! قال عبد اللّه بن عمر: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه، قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك، – جزاه الله خيرًا؟ – قال يا بُنَي ذاك العاص بن وائل – لا جزاه الله

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٩ .

(٢) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣ ، والتاريخ الإِسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٦١ .

خيرًا – [(١)].

وبإسلام عمر وإظهاره إسلامه ﷺ أعزّ اللّه به الإسلام، وفرّق به بين الحق والباطل، فسُمِّي الفاروق ﷺ وأظهر الصحابة صَلاتهم حول الكعبة، وقريش ينظرون إليهم [(٢)].

قال عبد اللّه بن مسعود ﷺ " ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر " [(٣)].

وقال ﷺ أيضًا: " كان إسلام عمر فتحًا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نُصلّي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي " [(٤)].

وقد كان عمر ﷺ يتعرّض لرؤوس الكفر، ويعلن أمامهم إسلامه، بل يذهب إلى بيوتهم ويطرق أبوابهم ليخبرهم بأنه قد أسلم، لعلّهم يقومُون بشيء ضدّه فيُصيبه ما يُصيب إخوانه المسلمين، ويستطيع في الوقت نفسه أن ينتقم من تلك الرؤوس، ولم يُرد عمر أن يكون هو في نعمة وعافية وراحة، والمسلمون في إيذاء وتعذيب، فعندما أعلن إسلامه، وبدأت قريش تقاتله وثب على عتبة بن ربيعة فبرك عليه، وأدخل أصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحى الناس عن عمر، وقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى تراجع الناس عنه [(١)] وعندما اشتد أذى المشركين على المسلمين، وأذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة من مكـــة إلى المدينة، وابتدأت وفود المسلمين متجهة إلى

(١) انظر : سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وقال هذا إسناد جيد قوي ٣/ ٨٢ ، وانظر بعض القصة في البخاري مع الفتح ٧/ ١٧٧ ، وانظر قصة إسلام عمر في البداية والنهاية ٣/ ٧٩/ ٨١ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٦٤ – ٣٧١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٩ – ١١٥ ، وفتح الباري ٧/ ٤٨ ، ومناقب عمر لابن الجوزي ص ١٢ – ١٨ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢١ – ١٢٥ .

(٢) انظر : مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٨ ، ١٩ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٣ – ١١٥ . والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢٤ ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/ ٤٤ .

(٣) البخاري مع الفتح ، في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر ٧/ ٤١ ، ومناقب الأنصار ٧/ ١٧٧ .

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري ، ٧/ ٤٨ ، وعزاه إلى الطبراني وابن أبي شيبة ، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ، ص ١١٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد " رجاله رجال الصحيح إلا أن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود ، ٩/ ٦٢ ، وانظر : البداية والنهاية ، ٣/ ٧٩ .

(١) انظر : التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢٥ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ٢/ ٢٢ ، ٢٣ .

المدينة وكلها مختفية في هجرتها وانتقالها، إلا هجرة عمر بن الخطاب ﷺ فقد رُوِي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهمًا، وأتى الكعبة، وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى ركعتـــين، ثم أتى حلقهم، ثم وقف على الحلق واحـــدة واحدة، فقال: شاهت الوجوه، من أراد أن تَثْكَله أمه وييتم ولده، وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد [1].

٢ – موقفه الحكيم في تثبيته الناس على بيعة أبي بكر ﷺ

عقب وفاة النبي ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلّم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر. لا والله لا نفعل، منـــا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا، وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة. فقـــال عمر: بل نبايعك أنتَ، فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس [2].

فرضي الله عن عمر وأرضاه، فإنه عندما ارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللَّغَطُ، وخشي عمر الاختلاف، ومن أخطر الأمور التي خشيها عمر أن يُبْدَأ بالبيعة لأحد الأنصار فتحدث الفتنة العظيمة؛ لأنه ليس من اليسير أن يبايع أحد بعد البدء بالبيعة لأحد الأنصار، فأسرع عمر ﷺ إخمادًا للفتنة، فقال لأبي بكر: ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، وبايعه

(١) انظر : تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص ١١٥ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٢٥ ، وأعلام المسلمين ٢/ ٢٥ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي لو كنت متخذًا خليلًا ٧/ ٢٠ .

المهاجرون، ثم الأنصار [1].

وعندما كان يوم الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدها في كتاب اللّه، ولا كانت عهدًا عهده إلي رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى أن رسول اللّه ﷺ سيُدَبّر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن اللّه قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة [2].

فكان عمر رضي الله عنه يذود ويقوي، ويشجع الناس على بيعة أبي بكر حتى جمعهم اللّه عليه، وأنقذهم اللّه من الاختلاف والفرقة والفتنة.

فهذا الموقف الذي وقفه عمر مع الناس من أجل جمعهم على إمامة أبي بكر، موقف عظيم من أعظم مواقف الحكمة التي ينبغي أن تسجل بـــماء الذهب من مواقف عمر الحكيمة.

٣ – موقفه الحكيم في إصلاح الأهل قبل الناس:

كان عمر رضي الله عنه مع أهله قويًّا، فكـــان إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم ونجاحهم وفلاحهم، بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره، فعن سالم بن عبد اللّه بن عمر، قال: " كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم باللّه لا أجد أحدًا منكم فعله إلا أضعفت عليه

---

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٣٢ ، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٣٩ ، والبداية والنهاية ٥/ ٢٤٦ ، ٦/ ٣٠١ ، وحياة الصحابة ٢/ ١١ ، وتاريخ الخلفاء ص٥١ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٠ ، والبداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ ، ٦/ ٣٠١ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٥٧ .

العقوبة " [1].

وهذا من أعظم مواقف الحكمة؛ لأن الناس ينظرون إلى الداعية ومدى تطبيقه العملي والقولي لما يدعو إليه، كما ينظرون إلى تطبيقه ذلك على أهله ومن تحت يده.

٤ – موقفه الحكيم في دعوته بتواضعه لله تعالى:

كان عمر – رضي الله عنه وأرضاه – مع قوته في دين الله، وشجاعته، وشدته، على أعداء الله، وهيبة الناس له، وفرار الشياطين منه، كان مع ذلك كلّه متواضعًا، وقَّافًا عند حدود الله، وقد كان يقول: أحبّ الناس إلَي من أهدى إلي عيوبي [2] ومن ذلك ما يلي:

(أ) **عندما مرَّ بالجابية على** طريق إيلياء وجلس عندهم، قيل له: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئًا غير هذا – يعنون قميصه المرقع – وركبت برذونًا [3] لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير اللّه بديلًا.

ثم سار عمر من الجـــابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته، فأتوه ببرذون فجعل يهملج به، فقال لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علّم الله من علّمَك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذونًا قبله ولا بعده [4].

(ب) **ولما قدم عمر بن الخطاب** رضي الله عنه الشام عرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره، ونزع خُفَّيه، وأمسكهما بيده، وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم

---

(١) انظر : تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري ٢/ ٦٨ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٣١ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٤٠٤ ، وأعلام المسلمين للبيطار ٢/ ٥٤ . .

(٢) انظر : مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٤ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٥٩ .

(٣) البرذون : الدابة ، ويطلق على غير العرب من الخيل والبغال . انظر : القاموس المحيط ، باب النون ، فصل الباء ص ١٥٢٢ ، والمعجم الوسيط ، مادة : برذن ١/ ٤٨ ، ومختار الصحاح ، مادة (برذن) ص ١٨ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٧/ ٥٧ ، ٧/ ٦٠ ، ٧/ ١٣٥ ، ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٠ ، ١٥١ .

صنعًا عظيمًا عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، فصك عمر في صدره، وقال: أَوَّه، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم اللّه بالإِسلام، فمهما تَطلُبوا العزة بغيره يُذلّكم اللّه [(١)].

وله مواقف حكيمة في دعوته إلى الله – تعالى –، لا يتسع المقام لذكرها [(٢)].

وهذه المواقف العظيمة يبين فيها للناس بقوله وفعله أن العزة والرفعة والتمكين لا تأتي عن طريق الكبر، والغطرسة، والإِعجاب بالنفس أو الجاه أو السلطان، وإنما يأتي ذلك كله لمن تمسك بالإِسلام، ولهذا قال لأبي عبيدة في الخبر السابق: " إنكم كنتم أذلّ الناس، وأحقرَ الناس، وأقلّ الناس، فأعزّكم اللّه بالإِسلام، فمهما تطلبوا العزة من غيره يذلّكم الله ".

رضي اللّه عن الفاروق وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد خيرَ الجزاء، فقد قام بالأعمال العظيمة، وسلك مسلك الحكمة التي من أُوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا، ونفّذ وصية رسول الله ﷺ في المشركين، من: يهود، ونصَارى، ومجوس، وغيرهم من المشركين، حيث قال ﷺ قُبيَل موته: ﴿ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ﴾ [(٣)] [(٤)].

فطهَّر ﷺ جزيرة العرب من المشركين، ولم يترك أحدًا منهم فيها، طبقًا لأمر رسول

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٦٠ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٥٩ ، ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٥٠ .

(٢) ومن حرصه على التواضع أنه كان يدرب نفسه عليه ، ولذلك إذا أنكر نفسه أدبها وجازاها وخاطبها يخوفها بالله ، فعن أنس قال كنت مع عمر ، فدخل حائطًا لحاجته فسمعته يقول : – وبيني وبينه جدار الحائط – : " عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بخ بخ ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب ، أو ليعذبنك " . وقيل : إنه حمل قربة على عاتقه فقيل له في ذلك ، فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعًا إلى منزله ، فيعاد أياما ليس به مرض إلا الخوف من الله . انظر : البداية والنهاية ٧/ ١٣٥ . وانظر مواقف له أخرى في : تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٣٠ ، ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٦٩ ، والبداية والنهاية ٣/ ١٣٥ ، وحياة الصحابة للعلامة الكاندهلوي ٢/ ٩٧ .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٨٨٨) ، مسلم الوصية (١٦٣٧) ، أحمد (١/٢٢٢) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الجزية والموادعة ، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٦/ ٢٧١ .

الله ﷺ.

المطلب الثالث مواقف عثمان بن عفان ﷺ

لعثمان ﷺ مواقف حكيمة كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ – إنفاقه الأموال العظيمة الكثيرة في سبيل الله تعالى

كان عثمان ﷺ – من الأغنياء الذين أغناهم اللّه ﷻ وكان صاحب تجارة وأموال طائلة؛ ولكنه استخدم هذه الأموال في طاعة الله ﷻ ابتغاء مرضاته وما عنده، وصار سبّاقًا لكل خير، ينفق ولا يخشى الفقر.

ومما أنفقه ﷺ من نفقاته الكثيرة على سبيل المثال ما يأتي:

(أ) **عندما قدم النبي** ﷺ المدينة المنورة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمـــدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ ﴿ من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ﴾ [١] [٢].

وقال ﷺ ﴿ من حفر بئر رومة فله الجنة ﴾ [٣] [٤] وقـــد كانت رومة قبل قدوم النبي ﷺ المدينة لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال له النبي ﷺ ﴿ تبيعنيها بعين في الجنة؟ " فقال: يا رسول اللّه ! ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: " نعم "، قال: قد جعلتها للمسلمين ﴾ [٥].

---

(١) الترمذي المناقب (٣٧٠٣) ، النسائي الأحباس (٣٦٠٨) .

(٢) النسائي في كتاب الوصايا ، باب وقف المساجد ٦/ ٢٣٥ ، وانظر : صحيح النسائي ٢/ ٧٦٦ ، وأخرجه الترمذي في المناقب ، باب مناقب عثمان٥/ ٦٢٧ ، وانظر : صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٩ ، وتحفة الأحوذي ١٠/ ١٩٦ ، وفتح الباري ٧/ ٥٤ .

(٣) النسائي الأحباس (٣٦٠٨) ، أحمد (٧٠/١) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الوصايا ، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا ، ٥/ ٤٠٧ ، ٧/ ٥٢ ، ٨/ ١١١ ، وانظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥١ .

(٥) ذكره ابن حجر في فتح الباري ٥/ ٤٠٧ ، وعزاه بسنده إلى البغوي في الصحابة ، وانظر : تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ١٠/ ١٩٦ .

وقيل: كانت رومة ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها، فاشتراها عثمان بن عفان من اليهودي بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل [1].

(ب) **بعد أن بنى رسول الله ﷺ** مسجده في المدينة فصار المسلمون يجتمعون فيه ليصلوا الصلوات الخمس، ويحضروا خطب النبي ﷺ التي يُصدر إليهم فيهـــا أوامره ونواهيه، ويتعلمون في المسجد أمور دينهم، وينطلقون منـــه إلى الغزوات ثم يعودون بعدها، ولذلك ضاق المسجد بالناس، فرغب النبي ﷺ من بعض الصحابة أن يشتري بقعة بجانب المسجد، لكي تزاد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال ﷺ ﴿ من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟ ﴾ [2]، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من صلب ماله. [3].

بخمسة وعشرين ألف درهم، أو بعشرين ألفًا، ثم أضيفت للمسجد [4].

ووسع على المسلمين رضي الله عنه وأرضاه [5].

(جـــ) **عندما أراد رسول اللّه ﷺ** الرحيل إلى غزوة تبوك حثّ الصحابة الأغنياء على البذل لتجهيز جيش العسرة الذي أعده رسول اللّه ﷺ لغزو الروم، فأنفق أهل الأموال من صحابة رسول الله ﷺ كل على حسب طاقته وجهده.

أما عثمان بن عفان فقد أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فقد ثبت أنه أنفق في هذه الغزوة ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجاء بألف دينار فنثرها في حجر النبي ﷺ

---

(١) انظر : تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي ١٠/ ١٩٠ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ٣/ ٣٩ ، وفتح الباري ٥/ ٤٠٨ .

(٢) النسائي الأحباس (٣٦٠٨) ، أحمد (١/٧٠) .

(٣) الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان٥/ ٦٢٧ ، وانظر : صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٩ ، وأخرجه النسائي ، كتاب الوصايا ، باب وقف المساجد ٦/ ٢٣٥ .

(٤) النسائي ، كتاب الوصايا ، باب وقف المساجد ٦/ ٢٣٤ ، وانظر : صحيح النسائي ٢/ ٧٦٦ .

(٥) انظر : فتح الباري ٥/ ٤٠٨ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ٣/ ٤١ .

فأخذ النبي ﷺ يُقلّبها في حجره ويقول: ﴿ ما ضرّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم ﴾ [1] قالها مرارًا [2].

وهذه نفقة عظيمة جدًّا تدلّ على صدق عثمان وقوة إيمانه، ورغبته فيما عند الله – تعالى –، وإيثار الآخرة على الدنيا، – فرضي اللّه عنه وأرضاه –، فقد حصل على الثواب العظيم والجزاء الذي ليس بعده جزاء. ﴿ من جهز جيش العسرة فله الجنة ﴾ [3] [4].

٢ – موقفه العظيم في جمع الأمة على قراءة واحدة، وحسم الاختلاف:

كان من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها عثمان جمع شمل أمة محمد ﷺ على قراءة واحدة، فقد كان من مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة، أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في غزوة أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان، مع أهل العراق، وقد اجتمع في هذه الغزوة خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وأُبي بن كعب، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على عبد الله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خَطَّأ الآخر أو كَفّره، فأدّى ذلك إلى اختلاف شديد وانتشار في الكلام السيئ بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع

---

(١) الترمذي المناقب (٣٧٠١) ، أحمد (٥/٦٣) .

(٢) الترمذي ، في كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان٥/ ٦٢٦ ، والحاكم – واللفظ له – وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ١٠٢ ، وانظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٥٤ ، ٥/ ٤٥٨ ، ٨/ ١١١ ، وسيرة ابن هشام ٤/ ١٧٢ ، والبداية والنهاية ٥/ ٤ ، ٧/ ٢٠١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥١ ، وحياة الصحابة ٢/ ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وانظر : صحيح الترمذي ٣/ ٢٠٨ ، ٢١٠ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ٢٢٣ ، ٢/ ٣٥٣ .

(٣) الترمذي المناقب (٣٧٠١) ، أحمد (٥/٦٣) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الوصايا ، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا ، ٥/ ٤٠٧ ، وتقدم تخريجه ، وانظر البداية والنهاية ٧/ ٢٠١ .

عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كفّ المنازعة، ودفع الاختلاف، فأرسل عثمان إلى حفصة – رضي الله عنها – يستدعي بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين.

وعندما جاءت الصحف أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق من الآفاق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (1).

وكانت المصاحف الأئمة سبعة كالتالي:

أرسل مصحفً إلى مكة، ومصحفًا إلى الشام، ومصحفًا إلى اليمن، ومصحفَا إلى البحرين، ومصحفًا إلى البصرة، ومصحفًا إلى الكوفة، وأقر بالمدينة مصحفًا، وهذه المصاحف كلها بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمر عثمان وزمانه وإمارته، وحرق ما سوى هذه المصاحف مما بأيدي الناس مما يخالف هذه المصاحف السبعة، وأجمع الصحابة على ذلك عند الشورى بالرسم، وعند التلقي فاجتمع شمل الأمة على هذه المصاحف ولله الحمد والمنة (2).

فحصل الاجتماع والائتلاف، وزال الاختلاف والفرقة، واجتمعت القلوب بفضل الله — تعالى –، ثم بفضل حكمة عثمان ﷺ وأرضاه.

---

(1) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، ٩/ ١٠ ، ١١ ، وكتاب التفسير ، باب لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، ٨/ ٣٤٤ ، والبداية والنهاية ٧/ ٢١٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٧ .

(2) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١٧ ، وفتح الباري ٩/ ٢٠ . والفرق بين جمع أبي بكر ، وجمع عثمان ، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء ، بذهاب حَمَلَتِهِ؛ لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض ، فخشي من الفتنة والهلاك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد . انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/ ٢١ ، وتاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي ص ٧٧ .

عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كفّ المنازعة، ودفع الاختلاف، فأرسل عثمان إلى حفصة – رضي الله عنها – يستدعي بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين.

وعندما جاءت الصحف أمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق من الآفاق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق [1].

وكانت المصاحف الأئمة سبعة كالتالي:

أرسل مصحفاً إلى مكة، ومصحفًا إلى الشام، ومصحفًا إلى اليمن، ومصحفًا إلى البحرين، ومصحفًا إلى البصرة، ومصحفًا إلى الكوفة، وأقر بالمدينة مصحفًا، وهذه المصاحف كلها بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمر عثمان وزمانه وإمارته، وحرق ما سوى هذه المصاحف مما بأيدي الناس مما يخالف هذه المصاحف السبعة، وأجمع الصحابة على ذلك عند الشورى بالرسم، وعند التلقي فاجتمع شمل الأمة على هذه المصاحف ولله الحمد والمنة [2].

فحصل الاجتماع والائتلاف، وزال الاختلاف والفرقة، واجتمعت القلوب بفضل الله — تعالى –، ثم بفضل حكمة عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، ٩/ ١٠ ، ١١ ، وكتاب التفسير ، باب لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، ٨/ ٣٤٤ ، والبداية والنهاية ٧/ ٢١٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٧ .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١٧ ، وفتح الباري ٩/ ٢٠ . والفرق بين جمع أبي بكر ، وجمع عثمان ، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء ، بذهاب حَمَلَتِهِ؛ لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد ، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض ، فخشي من الفتنة والهلاك ، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد . انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/ ٢١ ، وتاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي ص ٧٧ .

المطلب الرابع مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من أسلم من الصبيان، كما أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، فكان علي رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإِسلام، وله مواقف كثيرة مُشرِّفة يعتز بها كل مسلم، ويرتفع رأسه بذلك، ولا يتسع المقام لذكرها، وسأقتصر على أربعة مواقف من مواقفه – رضي اللّه عنـــه – البـــطولية الحكيمة، التي وقفها رضي الله عنه ابتغاء مرضاة اللّه – تعالى – والدار الآخرة، وهذه المواقف كالتالي [1]

١ – موقفه رضي الله عنه في تقديم نفسه فداء للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته:

عندما اجتمع قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم والتخلص منه، أعلم اللّه نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر علي بن أبي طالب الشاب البطل أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربّصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يُفرِّقون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجال وشجعانهم بفضل الله – تعالى –، فرضي الله عن علي وأرضاه.

وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقيم بمكة أيامًا حتى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة [2].

٢ – موقفه في بدر مع رؤوس الكفر:

عندما تراجع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم الكبيرة يوجد ذكر علي بن أبي طالب مقرونًا بها، فتارة يحمل اللواء، وتارة يفرق جموع الأعداء، وتارة يفتح الحصون المستعصية ويهدم الأصنام، فهو بطل معلم.

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٢٣ .

(٢) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٦ .

عندما تواجه الجيشان في معركة بدر الكبرى، والتقى الفريقان، وحضر الخصمان بين يدي الرحمن، واستغاث بربه سيد الأنبياء، وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء، وكاشف البلاء، وقبل اشتباك المعركة والتحامها خرج من جيش المشركين عتبة بن ربيعة – يريد أن يظهر شجاعته – فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصّفين دعوا إلى البراز، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عوف بن الحارث، ومعوذ بن الحارث – ابنا عفراء – وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ما لنا بكم من حاجة، ونادى مناديهم: يا محمد، أَخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقيل: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما دنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا أكفاء كرام، فبارز عبيدة – وكان أسن القوم – عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فقتل علي الوليد فورًا، وقتل حمزة شيبة في الحال، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، فَكَرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فأكملا قتله، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما – رضي الله عنهم –. وكان ذلك – بإذن الله تعالى – بداية النصر وتشجيع المسلمين، وخذلان ورعب في قلوب المشركين [(١)].

روى البخاري عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: " أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿ ۞ هَـٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [(٢)].

قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة " [(٣)].

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ بتصرف ، وفتح الباري ٧/ ٢٩٩ ، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٧٩ ، وقصة المبارزة أخرجها أحمد ١/ ١١٧ ، وأبو داود ٣/ ٥٢ برقم ٢٦٦٥ في الجهاد ، باب المبارزة من حديث علي ، وإسناده قوي ، وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ٢/ ٥٠٧ .

(٢) سورة الحج ، الآية ١٩ . وانظر : البخاري مع الفتح ٧/ ٩٦ .

(٣) البخاري مع الفتح ، في كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل ٧/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وفي كتاب التفسير ، باب هذان خصمان اختصموا في ربهم ٩/ ٤٤٣ ، وانظر أيضًا : البداية والنهاية ٣/ ٢٧٣ ، وأعلام المسلمين لخالد البيطار ص ٦٢ .

فرضي اللّه عن جميع الصحابة وأرضاهم، فإنهم كانوا لا تأخذهم في اللّه لومة لائم، قال اللّه – عز وجـــل –: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [1].

٣ – موقف علي رضي الله عنه في يوم الأحزاب (يوم الخندق):

في سنة خمس من الهجرة كانت غزوة الخندق في شهر شوال.

وكـــان سبب هذه الغزوة أن جماعة من اليهود خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فتعاهدوا على حرب النبي ﷺ ثم خرج هؤلاء الجماعة من اليهود حتى جاءوا قبائل غطفان فدعوهم لذلك فأجابوهم ثم طافوا في قبائل العرب فاستجاب لهم من استجاب، ونقضت بنو قريظة العهد امتثالًا لأمر حي بن أخطب عندما حرض كعب بن أسد القرظي على رسول الله ﷺ ولما سمع رسول الله ﷺ بهم وبما أجمعوا عليه من الأمر ضرب الخندق على المدينة بمشورة سلمان الفارسي فحفروا الخندق بينهم وبين العدو، وجعلوا جبل سلع من خلف ظهورهم، وقد صار المحاربون لرسول الله ﷺ خمسة أصناف هم: المشركون من أهل مكة، والمشركون من قبائل العرب، واليهود من خارج المدينة، وبنو قريظة، والمنافقون، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف، والمسلمون مع النبي ﷺ ثلاثة آلاف، وقد حاصروا النبي ﷺ شهرًا، و لم يكن بينهم قتال، لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد وُدٍّ العامري أقبلوا فجالت بهم خيولهم، فنظروا إلى مكان ضيق من الخندق فاقتحموه، ثم جالت بهم خيولهم في السبخة بين الخندق وسلع، ودعوا إلى البراز [2].

وهذا هو موضع الشاهد لموقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

(٢) انظر : زاد المعاد ٣/ ٢٦٩ – ٢٧٦ ، وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٩ – ٢٥٢ ، والبداية والنهاية ٤/ ٩٢ – ١١٦ .

قال عمرو بن عبد ودّ في هذا الموقف: من يُبارز؟ فقام علي بن أبي طالب، فقال: أنا لها يا رسول الله ! فقال: " إنه عمرو، اجلس "، ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنّبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إلي رجلًا؟ فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله! فقال: " اجلس " ثم نادى الثالثة... فقام علي ﵁ فقال: يا رسول الله أنا، فقال: " إنه عمرو "، فقال: وإن كان عمرًا ! فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه علي حتى أتى إليه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، وقال علي: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النّزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك. قال له علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي وسل سيفه كأنه شعلة نار، فاستقبله علي بالترس، فشق السيف الترس، فضربه علي على حبل عاتقه، فسقط وثار الغبار، وسمع المسلمون التكبير، فعرفوا أن عليًّا قتله.

وقال علي ﵁ :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه	**ونصرت رب محمد بصوابي**
فصدرت حين تركته متجدلًا	**كالجذع بين دكادك وروابي**

وبعد هذه المبارزة انهزم الباقون، وخرجت خيولهم حتى اقتحمت الخندق [(1)].

وهكذا ظهرت الشجاعة العظيمة الحكيمة، ومن عظم هذه الحكمة أن علي بن أبي طالب ﵁ دعا عمرًا إلى الله فأبى ذلك، فدعاه إلى النزال فنزل، فقتله ﵁ فكان ذلك من أسباب نصر المسلمين بإذن الله تعالى [(2)].

فظهرت حكمة علي ﵁ في هذا الموقف من عدّة وجوه، منها:

(1) انظر : البداية والنهاية ٤/ ١٠٦ ، وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٠ ، وزاد المعاد ٣/ ٢٧٢ ، وانظر أيضًا شجاعة علي في حياة الصحابة للعلامة الكاندهلوي ١/ ٥٤١ - ٥٤٦ .

(2) انظر : غزوة الخندق كاملة في زاد المعاد ٣/ ٢٦٩ - ٢٧٦ ، وسيرة ابن هشام ٣/ ٢٢٩ - ٢٥٢ ، والبداية والنهاية ٤/ ٩٢ - ١١٦ .

(أ) استئذانه النبي ﷺ في المبارزة.

(ب) تذكيره لعمرو بن عبد ودّ ما عاهد عليه اللّه من قبول ما يعرض عليه من الخصال من قريش.

(جـ) وعند إقرار عمرو بما عاهد اتخذ علي ذلك مدخلًا، فقال: إني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

(د) وعندما " امتنع من قبول هذه الدعوة دعاه إلى النزال، فلم ينزل فاستفزه ليغضبه، فلما نزل قتله ﷺ فانهزم المشركون بفضل الله، ثم بدخول الرعب في قلوبهم بهذا الموقف الحكيم.

٤ – موقف علي ﷺ في غزوة خيبر:

في السنة السابعة للهجرة سار رسول الله ﷺ إلى خيبر، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يقربهم حتى يُصبح، فلما أصبح صبح خيبر بكرة، فخرج أهلها بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ قالوا: محمد واللّه، محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ ﴿ اللّه أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ﴾ [(١) (٢)].

وعندما رأى أهل خيبر الجيش رجعوا هاربين إلى حصونهم، وخرج ملكهم مَرْحَب يرفع سيفه مرة ويضعه أخرى، ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع، فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شـــاكي الســـلاح بطـــل مغـــامر

(١) البخاري الصلاة (٣٦٤) ، مسلم النكاح (١٣٦٥) ، الترمذي السير (١٥٥٠) ، النسائي النكاح (٣٣٨٠) ، أحمد (٣/٢٤٦) ، مالك الجهاد (١٠٢٠) .

(٢) البخاري مع الفتح ، المغازي ، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٦٧ ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة خيبر ٣/ ١٤٢٧ ، وانظر : زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٣١٦ .

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يضربه من أسفله، فرجع سيفه على نفسه فمات شهيدًا [1].

ثم قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: ﴿ لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح اللّه على يديه، يحبّ اللّه ورسوله، ويحبّه اللّه ورسوله ﴾ [2]، فبات الناس يدوكون [3] ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبحَ الناسُ غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: ﴿ أين علي بن أبي طالب؟ " قيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: " فأرسلوا إليه "، فأُتِي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلامِ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللّه فيه، فوالله لأن يهدي اللّه بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ﴾ [4] [5].

وبدأ علي رضي الله عنه وأخذ الراية، وخرج مرحب فقال:

قـــد علمـــت خيـــبر أني مرحـــب   شـــاكي الســـلاح بطـــل مجـــرب
إذا الحـــــروب أقبلـــــت تلـــــهب

فقال علي:

أنـــا الـــذي سمـــتني أمـــي حيـــدر [6]   كليـــث غابـــات كريـــه المنظـــره
أوفـــيهم بالصـــاع كيـــل الســـندر [7]

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، من حديث سلمة بن الأكوع ٣/ ١٤٤٠، ١٤٤١، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٣١٩.

(٢) البخاري المغازي (٣٩٧٣)، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، أحمد (٥/٣٣٣).

(٣) يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون في ذلك. انظر: يشرح النووي ١٢/ ١٧٨.

(٤) البخاري المناقب (٣٤٩٨)، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، أحمد (٥/٣٣٣).

(٥) البخاري مع الفتح، في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٧٦، وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي ٧/ ٧٠، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ٤/ ١٨٧١، ٣/ ١٤٤١.

(٦) حيدرة: اسم للأسد وكان علي – رضي الله عنه – قد سمي أسدا في أول ولادته، وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسدا يقتله، فذكره بذلك ليخيفه ويضعف نفسه. شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ١٨٥.

(٧) معناه: أقتل الأعداء قتلا واسعا ذريعا، وقيل: السندرة مكيال واسع. انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ١٨٥.

فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه [1].

فرضي اللّه عن علي وأرضاه، فقد قام بهذه البطولة النادرة بعد حصار النبي ﷺ لأهل خيبر قريبًا من عشرين يومًا، ثم يسّر الله فتحها على يد علي رضي الله عنه فخرج الناس من حصونهم يسعون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة، وسبى الذّرية، وكان في السبي صفية، ثم صارت إلى النبي ﷺ فأعتقها، وجعل عتقها صداقها، فأصبحت أُمًّا للمؤمنين [2] وعلي رضي الله عنه له مواقف أخرى كثيرة، تظهر فيها الحكمة العظيمة، ولكن المقامَ لا يتّسع إلا لما ذكر من المواقف السابقة، وهكذا يفعل من يرجو الله واليوم والآخر، فإن الإِنسان إذا كان همّه للّه، وقلبه معلّق باللّه، عمل كل ما يحبّه مولاه تبارك وتعالى.

وقد ظهرت حكمة علي رضي الله عنه في هذا الموقف من عدّة وجوه، منها:

(أ) قوله: " أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ "؛ فإنه رضي الله عنه استفسر من النبي ﷺ قبل القتال، إلى أي مدى يستمر القتال، وهذا من أعظم الحكمة؛ لأن الداعية لا بد له من وضوح الهدف والغاية، وأن يكون على بصيرة من أمره.

(ب) وقوله: " أنا الذي سمتني أمي حيدرة "، وهذا فيه تذكير لمرحب؛ لأنه قد رأى في المنام أن أسدًا يقتله، فذكّره علي رضي الله عنه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه، حتى يستولي على قتله.

(ج) وقوله: " أوفيهم بالصاع كيل السندرة "، هذا فيه إرهاب وإخبار لمرحب أن علي بن أبي طالب يقتل الأعداء قتلًا واسعًا ذريعًا.

(د) ثم ختم هذه الحكم بقتل مرحب، فهزم اللّه به الأعداء، ونصر المسلمين عليهم نصرًا مُؤزّرًا، فله الحمد أولًا وآخرًا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة ذي قرد وغيرها مطولا ٣/ ١٤٤١ ، وانظر : زاد المعاد ٣/ ٣٢١ ، وحياة الصحابة ١/ ٥٤٤ .

(٢) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٦٩ ، وانظر : البداية والنهاية ٤/ ١٨١ ، ١٩١ ، وابن هشام ٣/ ٣٧٨ – ٣٨٨ ، وانظر : ترجمة علي بن أب طالب كاملة في الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥٠٧ – ٥١٠ ، والبداية والنهاية ٧/ ٢٢٢ – ٢٢٤ ، وانظر : شجاعة علي أيضًا في حياة الصحابة للكاندهلوي ١/ ٥٤١ – ٥٤٦ .

المطلب الخامس : مواقف مصعب بن عمير ﷺ :

بعد بيعة العقبة الأولى في سنة إحدى عشرة من البعثة أرسل رسول اللّه ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول داعية وأول سفير في يثرب، ليعلم المسلمين فيها شرائع الإِسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإِسلام بين المشركين. واختار رسول اللّه ﷺ لهذا العمل العظيم مصعب بن عمير العبدري رضي اللّه عنه.

وعندما وصل مصعب إلى يثرب نزل على أسعد بن زرارة، ابن خالة سعد بن معاذ، وأخذ مصعب يؤدي مهمته في الدعوة إلى اللّه تعالى.

ومن أروع ما يُروَى من نجاحه وحكمته في الدعوة أن أسعد بن زرارة خرج به يومًا إلى دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، فدخل به حائط بني ظفر على بئر يقال لها: بئر مرق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، فسمع بهما أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وهما يومئذ سيدا بني عبد الأشهل، وكانا مشركين، فقال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا، ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته، وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق اللّه فيه، فقال مصعب: إن يجلس أكلّمه.

وجـــاء أسيد فوقف عليهما مُتَشَتِّمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا، تُسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره؛ فقال: أنصفت، ثم ركز حربته، وجلس إليهما.

فكلمه مصعب بالإِسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: واللهِ لعرفنا في وجهه الإِسلام قبل أن يتكلّم، في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا هذا الدين؟ قالا له: تغتسل، وتُطهّر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تُصلي، فقام واغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما:

إن ورائي رجلًا إن يتبعكـــما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، وهو سعد بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، واحتال أسيد على سعد من أجل أن يذهب إلى مصعب، لكي يحدث له ما حدث له، فقام سعد بن معاذ مغضبًا وأخذ الحربة، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتمًا لهما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب: جاءك واللّه سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك ما تخلّف عنك منهم اثنان.

قال مصعب لسعـــد: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإِسلام، وقرأ عليه القرآن. قالا: فعرفنا واللّه في وجهه الإِسلام قبل أن يتكلم؛ لإِشراقه وتَسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام واغتسل وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلًا قالوا: نحلف باللّه لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة.

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإِسلام حتى لم

تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية، وخطمة، ووائل، وواقف، وهم من الأوس بن حارثة، فإنهم أطاعوا أبا قيس الشاعر، وهو ابن الأسلت، واسمه صيفي، فوقف بهم عن الإِسلام حتى كان بعد الخندق [1].

وهذه الاستجـــابة العظيمة بفضل اللّه ثم بفضل مصعب بن عمير رضي الله عنه فقد ضُرِبَ به المثل في حكمته وحُسن دعوته وصبره وحلمه ورفقه وأناته عند سماع التهديد من قبل أسيد وسعد - رضي اللّه عنهم -، فأثر هذا الموقف الحكيم عليهما وأسلما، وأسلم - بفضل اللّه ثم بإسلامهما - هذا الجمع الغفير في يوم واحد، فرضي اللّه عن مصعب، ورضي عن صاحبه أسعد، فقد أنقذ الله بهما مدينة كاملة، وللّه الحمد والمنة.

المطلب السادس : موقف ضمام بن ثعلبة مع قبيلة بني سعد :

بعث بنو سعد ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول اللّه ﷺ فقدم المدينة، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول اللّه ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام جلدًا، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: « أيكم محمد؟ فقال الصحابة: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ " قد أجبتك "، فقال الرجل للنبي ﷺ إني سائلك فمُشدّد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: " سل عما بدا لك ". فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: " صدق ". قال: فمن خلق السماء؟ قال: " اللّه ". قال: فمن خلق الأرض؟ قال: " اللّه ". قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: " اللّه ". قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: " نعم ". قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: " صدق ". قال: فبالذي أرسلك، آللّه أمرك بهذا؟ قال: " نعم ". قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٥٢ ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٣ ، والرحيق المختوم ص ١٤٠ ، وهذا الحبيب يا محب ص ١٤٥ ، وانظر : الإِصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٢١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ١٤٥ ، وحياة الصحابة للعلامة الكاندهلوي ١/ ١٨٧ - ١٨٩ .

أموالنا. قال: " صدق ". قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: " نعم ". قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال: " صدق ". قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: " نعم ". قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلًا. قال: " صدق ". قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: " نعم ". ثم ولّى، وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص عنهن، فقال النبي ﷺ " لئن صدق ليدخلن الجنة " [1] [2].

فأتى ضمام بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلّم به أن قال: بئست اللات والعزى. فقالوا: مه ضمام ! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون. فقال: ويلكم، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولًا، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه. قال الراوي: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلمًا، وما سُمِعَ بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة [3].

وهذا يدل على حكمة ضمام بن ثعلبة، فإنه سأل النبي ﷺ أولًا عن صانع المخلوقات من هو؟ ثم أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولًا لخالق هذه المخلوقات، ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله. وهذا ترتيب يحتاج إلى حكمة عظيمة، وعقل رصين، وهو من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقه وترتيبه [4].

---

(١) البخاري العلم (٦٣) ، النسائي الصيام (٢٠٩٢) ، أبو داود الصلاة (٤٨٦) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٠٢) ، أحمد (١٦٨/٣) .

(٢) انظر : البخاري مع الفتح في كتاب العلم ، باب ما جاء في العلم ١/ ١٤٨ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب السؤال عن أركان الإسلام ١/ ٤١ ، وأحمد في المسند ٣/ ١٤٣ ، ٣/ ١٩٣ ، والألفاظ من هذه المواضع كلها .

(٣) انظر البداية والنهاية ٥/ ٦٠ ، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٢ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢١٠ .

(٤) انظر : شرح مسلم على النووي ١/ ١٧٠ ، وفتح الباري ١/ ١٤٩ .

و لم يقتصر على هذا، بل جاء بأمر آخر يدل على حكمته وصدقه في قوله، فإنه عرض على قومه الإِسلام، وبين لهم بطلان اللات والعزى، وأنهما لا يضران ولا ينفعان، وغرس الإِيمان في قلوبهم بأن اللّه هو الضارّ النافع، وأن ما سواه عاجزٌ عن ذلك، وحمل إليهم جميع ما سمع من رسول الله ﷺ فأسلموا في لحظة واحدة قبل الليل.

وهذا يدل على حكمة ضمام في دعوته قومه إلى اللّه – تعالى –، فقد استخدم معهم هذا الموقف الحكيم وهذا الأسلوب الناجح المسدّد، وهذا فضل عظيم لضمام ولمن وفقه اللّه بالدعوة إلى اللّه بالحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

المطلب السابع : موقف سعد بن معاذ في حكمه في بني قريظة :

كانت بنو قريظة أشدّ اليهود عداوة لرسول الله ﷺ وقد نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، وتحزّبوا مع الأحزاب، ونالوا من رسول الله ﷺ بالسبّ ونقض العهد.

وبعد أن هُزِمَ الأحزاب رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، قالت عائشة – رضي الله عنها –: فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام – وهو ينفض رأسه من الغبار – فقال: قد وضعت السلاح؛ واللّه ما وضعته، اخرج إليهم، فقال النبي ﷺ ﴿ فأين؟ ﴾ فأشار إلى بني قريظة [(١)].

فخرج إليهم رسول اللّه ﷺ وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة، وهم في حصونهم، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقامت إليه الأوس، فقالوا: يا رسول اللّه! قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم، فقال: ﴿ ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ ﴾ قالوا: بلى. قال: ﴿ فذلك إلى سعد بن معاذ ﴾. قالوا: قد رضينا. فأرسل إلى سعد بن معاذ [(٢)] وكان في المدينة لم يخرج معهم

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي من الأحزاب ٧/ ٤١١ .

(٢) انظر : زاد المعاد ٣/ ١٣٤ .

لجرح كان قد أُصيب به يوم الخندق، رماه رجل من قريش في الأكحل، فضرب النبي ﷺ له خيمة في المسجد ليعوده من قريب " [1].

وقد قال سعد عندما أصيب بالجرح: " اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها؛ فإنه لا قوم أحبّ إلي من أن أجاهدهم فيك، آذوا نبيك وكذبوه وأخرجوه، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها في شهادة، ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة " [2].

ووصل من أرسل رسول اللّه ﷺ إلى سعد، فأُركِبَ على حمار، وجاء إلى رسول اللّه ﷺ وجعل بعض الأوس يقول لسعد وهو في طريقه إلى رسول اللّه ﷺ يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول اللّه ﷺ إنما ولّاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فلما انتهى سعد إلى رسول اللّه ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ ﴿ قوموا إلى سيدكم ﴾ [3] فلما أنزلوه، قالوا: يا سعد، إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجْلالًا له. فقال رسول اللّه ﷺ ﴿ نعم ﴾ [4]. قال سعد: فإني أحكم فيهم: أن تُقْتَل الرجال، وتُقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء. فقال

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي من الأحزاب ٧/ ٤١١ ، وانظر ترجمة سعد بن معاذ في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٩ .

(٢) سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق ، ورجاله ثقات ٣/ ٢٤٤ ، وأحمد ٦/ ١٤١ ، وانظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٢٨٢ .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٨٧٨) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٦٨) ، أبو داود الأدب (٥٢١٥) ، أحمد (٣/٢٢) .

(٤) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٩٢٤) ، مسلم الحيض (٣٣٢) ، النسائي الغسل والتيمم (٤٢٧) ، أبو داود الطهارة (٣١٤) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٦٤٢) ، أحمد (٦/١٨٨) ، الدارمي الطهارة (٧٧٣) .

رسول اللّه ﷺ ﴿ لقد حكمت فيهم بحكم اللّه من فوق سبعة أرقعة ﴾ [1].

فلما حكم فيهم بذلك أمر رسول اللّه ﷺ بقتل كل من جرت عليه الموسى منهم، ومن لم ينبت ألحق بالذرية [2] فحفر لهم خنادق في سوق المدينة، وضربت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة [3].

وقد سأل الله سعد الشهادة إن كان الله قد وضع الحرب بين النبي ﷺ وبين قريش، وانفجر جرحه رضي الله عنه ومات شهيدًا [4].

الله أكبر! ما أعظم هذا الرجل وما أحكمه! فقد رَغِبَ في الشهادة، ولكنه سأل الله أن يبقيه إن كان اللّه لم يضع الحرب بين رسول اللّه ﷺ وبين قريش، وكذلك سأل الله عز وجل أن لا يميته حتى يقرّ عينه من بني قريظة، فاستجاب اللّه له، وجعله الذي يحكم فيهم بحكمه، وعندما قال له بعض الأوس: أحسن في مواليك يا أبا عمرو، قال كلمته الحكيمة: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

وصدق رضي الله عنه فقد حكم فيهم بحكم اللّه - تعالى - فقُتِلُوا، وأمكن الله المسلمين من أموالهم ونسائهم وذراريهم، فكان ذلك فتحًا ونصرًا للمسلمين على أعداء الله ورسوله، فرضي الله عنه وأرضاه.

ومن فضل اللّه عليه أن منّ عليه بالشهادة، وقال النبي ﷺ يوم موته: ﴿ اهتز عرش

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٥٩ ، وفي البخاري مع الفتح في كتاب المغازي - باب مرجع النبي من الأحزاب ٧/ ٤١١ ، قال : " قضيت فيهم بحكم الله . . . " ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهله للحكم ، ٣/ ١٣٨٩ .

(٢) أبو داود ، كتاب الحدود ، باب الغلام يصيب الحد ، ٤/ ١٤١ ، والترمذي ، كتاب السير ، باب ما جاء في النزول على الحكم ، ٤/ ١٤٥ ، والنسائي ، كتاب الطلاق ، باب متى يقع طلاق الصبي ، ٦/ ١٥٥ ، وابن ماجه ، كتاب الحدود ، باب من لا يجب عليه الحد ، ٢/ ٨٤٩ ، وسنده حسن .

(٣) زاد المعاد ٣/ ١٣٥ ، وانظر : سيرة ابن هشام ٣/ ٢٥٩ ، والبداية والنهاية ٤/ ١٢٢ ، وفتح الباري ٧/ ٤١٤ ، وانظر : صحيح الترمذي ، ٢/ ١١٤ .

(٤) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي من الأحزاب ٧/ ٤١٢ .

الرحمن لموت سعد بن معاذ ﷺ [(1) (2)].

وقد ظهرت حكمته ﷺ في هذا الموقف الحكيم في النقاط التالية:

١ – رغبته في نصرة رسول الله ﷺ وجهاد أعداء اللّه تعالى.

٢ – ردّه الحكيم المسدّد على قومه عندما راجعوه في بني قريظة.

٣ – أخذه عهد اللّه وميثاقه على قومه أن يقبلوا حكمه، وهذا مما يضبطهم، ويحل الأزمة.

٤ – إعراضه عن رسول اللّه ﷺ عند أخذ العهد إجلالًا له وإكرامًا.

٥ – حكمه بحكم اللّه من فوق سبع سماوات، ولهذا أمر رسول اللّه ﷺ بإنفاذه، – فرضي اللّه عنه وأرضاه –، فقد أعز اللّه بحكمته المسلمين وأذل الكافرين.

---

(١) البخاري المناقب (٣٥٩٢) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٦٦) ، الترمذي المناقب (٣٨٤٨) ، ابن ماجه المقدمة (١٥٨) ، أحمد (٣/٣٢٧) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، مناقب سعد بن معاذ ٧/ ١٢٣ ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل سعد بن معاذ٤/ ١٩١٥ .

المطلب الثامن : موقف الحسن بن علي رضي الله عنهما :

الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – ابن بنت رسول الله ﷺ وهو أحد علماء الصحابة وحلمائهم، وذوي رأيهم، وسيد المسلمين [1] وهو حبيب رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال لحَسنٍ: ﴿ اللهم إني أحبه فأحبه، وأحبب من يحبه ﴾ [2] [3].

وقال أبو بكرة ﷺ رأيت رسول الله ﷺ على المنبر – والحسن بن علي إلى جنبه – وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: ﴿ إن ابني هذا سيد، ولعل اللّه أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ﴾ [4] [5].

وقد تحقّق ما قاله رسول الله ﷺ فإنه عندما قُتِلَ علي بن أبي طالب ﷺ وبايع الناس الحسن بن علي – رضي الله عنهما –، وكانت كتائب الحسن كالجبال – كما ذكره البخاري في صحيحه [6] – فأراد الحسن أن يحقن دماء المسلمين، يجمعهم على إمام واحد يلم شملهم، فتنازل لمعاوية بن أبي سفيان، خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين [7] – رضي اللّه عن جميع أصحاب رسول اللّه ﷺ أجمعين – فكان هذا الموقف الذي وقفه الحسن من أعظم مواقف الحكمة، ومن أبرز الأدلة الواضحة على زهد الحسن في الدنيا

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٦ .

(٢) البخاري اللباس (٥٥٤٥) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٢١) ، ابن ماجه المقدمة (١٤٢) ، أحمد (٣٣١/٢) .

(٣) البخاري مع الفتح في كتاب البيوع ، باب ما ذكر في الأسواق ٤/ ٣٣٩ ، ومسلم ، واللفظ له ، في كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل الحسن والحسين ٤/ ١٨٨٢ .

(٤) البخاري الصلح (٢٥٥٧) ، الترمذي المناقب (٣٧٧٣) ، النسائي الجمعة (١٤١٠) ، أبو داود السنة (٤٦٦٢) ، أحمد (٥١/٥) .

(٥) البخاري مع الفتح ، في كتاب الصلح ، باب قول النبي للحسن بن علي – رضي الله عنها – إن ابني هذا سيد ٥/ ٣٠٧ ، ٦/ ٦٢٨ ، ٧/ ٩٤ ، ١٣/ ٦١ ، ولفظه من كتاب الصلح .

(٦) البخاري مع الفتح في كتاب الصلح ، باب قول النبي للحسن : إن ابني هذا سيد ٥/ ٣٠٦ .

(٧) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ٢٠ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤ .

الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء أمة محمد ﷺ فقد ترك الخلافة والملك، لا لِقِلَّة ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله؛ لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة [1].

وسمي هذا العام الذي تنازل الحسن رضي الله عنه فيه لمعاوية: عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية رضي اللّه عنهما [2] والمقصود أن موقف الحسن موقف حكيم عظيم سديد؛ لأنه حقن به دماء وأموال وأعراض أمة محمد ﷺ. فرضي الله عنه وأرضاه، وجزاه عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

المطلب التاسع : مواقف جماعة من الصحابة :

الصحابة – رضي الله عنهم – لهم مواقف كثيرة جدًّا لا يستطيع أحد أن يحصرها؛ لأنهم – رضي اللّه عنهم – باعوا أنفسهم، وأموالهم وحياتهم للّه، ابتغاء مرضاته، وخوفًا من عقابه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة. ومن درس حياتهم، ونظر إلى تطبيقهم للإِسلام قولًا، وعملًا، واعتقادًا ازداد إيمانه، وأحبهم؛ فيحصل له بذلك محبة اللّه تعالى.

١ – **فهذا بلال بن رباح** رضي الله عنه كان يعذبه أمية بن خلف على توحيده وإيمانه بالله – تعالى –. وقد عذبه أشد العذاب، ومن ذلك أن أمية كان يُخرجُ بلالًا إذا حميت الشمس في الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحدٌ أَحدٌ، فمر به أبو بكر فاشتراه. وهذه الكلمة التي زعزعت كيان أمية بن خلف [3].

٢ – **وهذا عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سُميّة – رضي اللّه عنهم** – يُعذبون أشدّ العذاب من أجل إيمانهم باللّه – تعالى –، فلم يردهم ذلك العذاب عن دينهم، لأنهم

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٦٦ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٨/ ١٦ .

(٣) انظر الإِصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٦٥ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٤٧ .

صدقوا مع اللّه فصدقهم اللّه – تعالى – ولهذا قيل لهم: ﴿ صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة ﴾ [1] فرضي الله عنهم وأرضاهم [2].

٣ – وهذا صُهيب الرومي ﷺ أراد الهجرة فمنعه كفار قريش أن يُهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرّد من ماله كله ويدفعه إليهم تركوه وما أراد، فأعطاهم ماله ونجى بدينه مهاجرًا إلى الله ورسوله وأنزل الله ﷻ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [3] فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له: ربحَ البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية [4].

٤ – وهذا عبد اللّه بن عبد الأسد أبو سلمة وزوجته أم سلمة – رضي اللّه عنهما – يصبران على البلاء العظيم ويقفان الموقف الحكيم الذي يدل على صدقهما مع الله [5].

كان أبو سلمة أول من هاجر من مكة إلى المدينة، قبل العقبة الثانية بسنة تقريبًا. بعد أن رجع أبو سلمة وزوجته أم سلمة من الهجرة إلى الحبشة آذته قريش، وعلم بإسلام من أسلم من الأنصار، فقرر الهجرة إلى المدينة – فرارًا بدينه – فحمل زوجته أم سلمة، وابنه سلمة وقاد بهما راحلته وخرج متجهًا إلى المدينة وقبل أن يخرج من مكة لحقه رجال من بني مخزوم فقالوا له: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيتك صاحبتك هذه عَلامَ نتركك تسير

---

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ٣٨٨ وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٩٣ ، وقال رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وانظر الإصابة ٢/ ٥١٢ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠٦ والإصابة ٢/ ٥١٢ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠٧ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٧ – ٢٦ ، والإصابة ٢/ ١٩٥ .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء ١/ ١٥٠ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٣٣٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٩٠ .

بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوا الراحلة وعليها أم سلمة وابنه سلمة، وغضب لذلك رجال من بني عبد الأسد وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذب بنو مخزوم وبنو عبد الأسد الطفل حتى خُلِعَت يده، وأخذه بنو عبد الأسد وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم، وانطلق أبو سلمة إلى المدينة هاربًا بدينه. قالت أم سلمة: ففرقوا بيني وبين زوجي وبيني وبين ابني فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي، وذلك سنة أو قريبًا منها حتى مر بي رجل من بني عمي – أحد بني المغيرة – فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها، وبينها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: وردّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فارتحلت ببعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله.. " (1).

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف وما أحكمه: فقد ترك أبو سلمة زوجته وابنه، وماله، وهاجر بنفسه تاركًا نصفه وراءه من أجل دينه ويتجاذب بنو عبد الأسد وبنو المغيرة ابن أم سلمة، ويخلعوا يده وهى تنظر، وتحبس من أجل دينها، وتبكي كل يوم في الأبطح سنة أو قريبًا منها، إنه موقف عظيم وبلاء كبير أسفر عن قوة الإيمان والصدق مع الله فنسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، ورضي الله عن أبي سلمة وزوجته وأرضاهما، فقد جاهدا في الله، وأُوذيا في الله، وصبرا في الله، والله المستعان.

٥ – وعندما ينظر الإنسان في موقف عبد الله بن حذافة بن قيس ﷺ عندما حاول ملك الروم أن يصدَّه عن دينه – يرى الموقف الحكيم، والرجل العظيم!

وجه عمر بن الخطاب ﷺ جيشًا إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تتنصَّر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت

(1) انظر : سيرة ابن هشام ٢/ ٧٧ ، والبداية والنهاية ٣/ ١٦٩ ، والرحيق المختوم ص ١٥٠ ، وهذا الحبيب يا محب ، ص ١٥١ .

عن دين محمد ﷺ طرفة عين، قال: إذًا أقتلك. قال: أنت وذاك، فأُمِرَ به فصُلِبَ وقال للرّماة: ارموه قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى ولم يجزع، فأنزله، وأمر بقدر فصُبَّ فيها ماء وأُغلي عليه حتى احترقت، ودعا بأسيرَيْنِ من المسلمين، فأمر بأحدهما، فأُلقي فيها فإذا عظامه تلوح، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، فأمر بإلقائه في القدر إن لم يتنصّر، فلما ذهبوا به بكى، فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه قد جزع، فقال: ردوه، فقال: ما أبكاك؟ قال: قلت هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله، فتعجب الطاغية فقال له: هل لك أن تُقبّل رأسي وأُخلِّي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبّل رأسه، فخلّى عنهم، وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره. فقال عمر: حقٌّ على كلِّ مسلم أن يُقَبِّلَ رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأُ. فقبل رأسه[1].

هذا موقف عظيم حكيم، فإن عبد الله ؓ ثبت على دينه، ولم يقبل سواه، ولو أعطى ملك كسرى ومثله معه، وملك العرب جميعًا، ثم لصدقه مع الله لم يجزع من الرّماة عندما رموه وهو مصلوب، ولم يجزع من القِدْرِ والماء المغلي وقد رأى من يُلقى في النار من الأسرى وعظامه تلوح، ومع ذلك تمنى أن يكون له عدد شعره من الأنفس تعذب في الله ومن أجل الله، وعندما رأى أن المصلحة عامة لجميع الأسرى قبَّل رأس الطاغية، لكي يخرج المسلمين من الأسر، وهذا من أعظم الحكم العظيمة. فرضي الله عن عبد الله بن حُذافة وأرضاه.

٦ – ومن هذه المواقف العظيمة التي تدل على قوة الإيمان والرغبة فيما عند الله والدار الآخرة ما فعله الصحابي الجليل: خبيب بن عدي بن عامر ؓ عندما أسرته كفار قريش وعذبته فثبت حتى قُتلَ شهيدًا ؓ.

قالت بعض بنات الحارث بن عامر: والله ما رأيت أسيرًا قطُّ خيرًا من خبيب والله لقد وجدته يومًا يأكل قِطفًا من عنبٍ في يده وإنه لَمُوثَقٌ بالحديد وما بمكة من ثمرة. وكانت

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ١٤، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٦٩.

تقول: إنه لرزق رَزقه الله خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيبٌ: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدت. ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بَدَدًا، ولا تبقِ منهم أحدًا ثم أنشأ يقول:

فلستُ أُبـالي حـين أقتـلُ مسـلمًا ... على أي جنـب كـان لله مصـرعي

وذلـك في ذات الإلـه وإن يشـأ ... يُبارك علـى أوْصـال شِـلو ممـزّع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو سن لكلِّ مسلم قُتِلَ صبرًا الصلاة [1].

٧ – **وهذا سعد بن أبي وقّاص** ﷺ تَعْرض أمه عليه أن يكفر بدين محمد ﷺ وحلفت أن لا تكلمه، ولا تأكل ولا تشرب حتى تَموت فيعيّر بها، فيقال: يا قاتل أمه، وقالت له: زعمت أن الله وصّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال سعد: لا تفعلي يا أُمّه إني لا أدع ديني هذا لشيء. فبقيت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب، فلما رأى سعد بن أبي وقاص ذلك منها قال لها: يا أمَّه تعلمين والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني إن شئتِ فكلي أو لا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت [2].

قال سعد ﷺ نزلت هذه الآية في: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ [3] وقد جعل اللّه سعدًا مستجاب الدعوة لدعوة النبي ﷺ ﴿ اللهم استجب لسعد إذا دعاك ﴾ [4] [1]. ولم يقتصر الأمر

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد؛ باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل ، ٦/ ١٦٦ ، وكتاب المغازي ، باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي ، ٧/ ٣٠٨ ، ٧/ ٣٧٨ ، ١٣/ ٣٨١ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١/ ٢٤٦ .

(٢) انظر : صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص ٤/ ١٨٧٧ مختصرًا بمعناه ، وأحمد ١/ ١٨١ – ١٨٢ ، والترمذي ٥/ ٣٤١ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١/ ١٠٩ .

(٣) سورة لقمان ، الآية ١٥ .

(٤) الترمذي المناقب (٣٧٥١) .

على الرجال بل للنساء مواقف حكيمة.

٨ – ومن ذلك ما فعلته رملة بنت أبي سفيان أم حبيبة، أم المؤمنين – رضي اللّه عنهما –، وذلك أن أباها قدم من مكة إلى المدينة يريد أن يزيد في الهدنة بينه وبين الرسول ﷺ فلما دخل على بنته أم حبيبة – رضي الله عنها – وذهب ليجلس على فراش رسول اللّه ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول اللّه ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: واللّه لقد أصابك يا بنية بعدي شر [٢] قلت: والله لم يصبها إلا قوة الإيمان ومحبة اللّه ورسوله ﷺ فقدَّمت محبة اللّه ورسوله على محبة والدها المشرك ولم ترضَ أن يجلس المشرك على فراش رسول الله ﷺ فرضي الله عن أم المؤمنين، فإنها لم تأخذها في الله لومة لائم، وهذا من أعظم الحكم.

والصحابة – رضي الله عنهم جميعًا – رجالًا ونساءً، كانت أعمالهم وحياتهم، ومماتهم لله لا يريدون، ولا يرغبون إلا ما يرضيه – تعالى – حتى ولو كان ذلك ببذل أحبّ الأشياء إليهم.

٩ – ومما يدل على ذلك ما فعله أنس بن النضر الأنصاري عم أنس بن مالك رضي الله عنهما.

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليريَنّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني المسلمين – وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل. قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة: من بين ضربة بسيف وطعنة برمح، ورمية بسهم وقد مَثّلوا به، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟

---

(١) الترمذي في كتاب المناقب ، باب مناقب سعد بن أبي وقاص/ ٦٤٩ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٣/ ٤٩٨ ، وسند . صحيح . انظر : سير أعلام النبلاء ١/ ١١١ .

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٠٦ وعزاه بإسناده إلى ابن سعد . وانظر أيضًا التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣/ ١٣٥ .

ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [1]. قال فكنا نقول: نزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه. [2]

١٠ - كما يدل على رغبتهم فيما عند الله ما فعل عُمير بنُ الحُمَام في بدر حينما سمع الرسول ﷺ يقول لأصحابه: « قوموا إلى جَنَّة عرضُهَا السّماوات والأرضُ " فقال: يا رسول اللّه جنة عرضها السّماوات والأرض؟ قال: " نعم ". قال: بخ بخ [3] فقال ﷺ " ما يحملك على قولك بخ بخ؟ "، قال: لا واللّه يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: " فإنك من أهلها "، فأخرج تمرات من قرنه [4] فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتَل حتى قتل » [5].

وهذه النماذج تدل على صبر الصحابة وحكمتهم العظيمة، وصدقهم مع الله ورغبتهم فيما عنده سبحانه - من الثواب وزهدهم في الدنيا.

والصحابـــة - رضي الله عنهم - لهم مواقف حكيمة كثيرة لا تُحْصَى، ولكن ما ذكرته هنا من مواقفهم ما هو إلا بعض الأمثلة اليسيرة من المواقف الحكيمة التي تدل على حكمتهم ويستفيد منها الدعاة إلى الله - تعالى -. وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا. واللّه المستعان.

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب الجهاد باب قول اللّه مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّه عَلَيْه فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَه وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا . ٦/ ٢١ ، ٧/ ٣٥٤ . وانظر : البخاري مع الفتح ٨/ ٥١٨ ، والبداية والنهاية ٤/ ٣١ - ٣٤ ، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧٤ ، وهذا الحبيب يا محب ص ٢٦٩ .

(٣) كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه في الخير . انظر : شرح النووي ١٣/ ٤٥

(٤) أي جعبة النشاب . انظر : شرح النووي ١٣/ ٤٦ .

(٥) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ٣/ ١٥١٠ .

المبحث الثالث: مواقف التابعين

المبحث الثالث مواقف التابعين

توطئة:

التابعون هم من القرون المفضلة بنص النبي ﷺ فعن عبد الله بن سمعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ﴾ [1] [2].

وللتابعين مواقف حكيمة يستفيد منها الدعاة إلى اللّه تعالى، وسأذكر – بعون الله تعالى – نماذج منها على سبيل المثال في المطالب التالية:

المطلب الأول: مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: مواقف الحسن بن يسار البصري رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: مواقف عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

المطلب الرابع: مواقف أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى.

المطلب الأول: من مواقف سعيد بن المسيب رحمه الله:

لسعيد بن المسيب [3] مواقف حكيمة تدل على علمه وحكمته ورغبته فيما عند الله تعالى [4].

---

(١) البخاري الشهادات (٢٥٠٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٨٥٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢) ، أحمد (١/٤٣٤) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ٥/ ٢٥٩ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم . . . ٤/ ١٩٦٤ ، وفي رواية من حديث عمران بن حصين " ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن " . البخاري مع الفتح ، كتاب الشهادات ، الباب السابق ٥/ ٢٥٨ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٦٢ .

(٣) سعيد بن المسيب ، هو سيد التابعين على الإطلاق في زمانه ، وعالم أهل المدينة ، ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب وقيل لأربع مضين منها ، وتوفي سنة ٩٤ هـ وله ٧٥ سنة رحمه الله . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٤/ ٢١٧ – ٢٤٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٩٩ .

(٤) ومن مواقفه الحكيمة التي كان بها قدوة حسنة لغيره من الدعاة ، زواجه ابنته فاطمة لرجل فقير ، ومنعها من الزواج بابن الخليفة ، فقد خطب عبد الملك بن مروان ابنته لابنه الوليد ، فمنع من ذلك ، وزوجها تلميذه كثير بن المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي على درهمين ، وساعده بعشرين ألف ، وهذا يدل على كمال إيمان

ومن هذه المواقف الحكيمة التي صدع فيها بالحق في دعوته إلى الله ولم تأخذه في الله لومة لائم ما فعله مع الحجاج بن يوسف الثقفي [(١)] عندما أساء صلاته.

١ – صلى الحجاج مرة بجنب سعيد بن المسيب – قبل أن يلي شيئًا من أمور المسلمين – فجعل يرفع قبل الإمام، ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه، وبقي يقول الذّكر بعد الصلاة، والحجّاج ما زال ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه يؤنبه ويؤدبه بالكلام، فلم يقل له الحجّاج شيئًا حتى صار نائبًا على الحجاز وعندما أتى المدينة نائبًا عليها، فلما دخل المسجد قصد مجلس سعيد بن المسيب حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم. قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيرًا، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى [(٢)].

٢ – قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد صلّى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفًّا من حصى فحصبته بها. قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة [(٣)].

وهذا من أعظم المواقف الحكيمة لسعيد بن المسيب – رحمه الله –؛ فإن الحكمة وضع كل شيء في موضعه، وقد تنفع الشدة والقوة إذا كانت الحكمة تقتضي ذلك، فسعيد رأى أن من الحكمة استخدام هذا الأسلوب مع الحجاج؛ ليحسن صلاته، فنفع اللّه بذلك الحجاج كما ذكر هو عن نفسه، وأنه ما زال يحسن الصلاة بعد ذلك، فرحم الله سعيد بن المسيب، وجزاه خير الجزاء.

سعيد بن المسيب ، واهتمامه بالباقي ، والنفور من المناصب المزيفة ، واختياره الزوج الصالح لابنته ، انظر هذه القصة الحكيمة في : سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٣٣ ، وطبقات ابن سعد ٥/ ١٣٨ ، وحلية الأولياء ٢/ ١٦٧ ، والبداية والنهاية ٩/ ١٠٠ .

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولي العراق والمشرق عشرين سنة ، وتوفي سنة ٩٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٩/ ١١٩ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٢٢٦ .

(٣) انظر : الطبقات لابن سعد ٥/ ١٢٩ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ١٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢٦ .

المطلب الثاني : من مواقف الحسن البصري رحمه الله :

للحسن البصري [(١)] – رحمه الله – مواقف حكيمة في دعوته إلى الله ﷻ ومنها على سبيل المثال ما يلي:

١ – موقفه مع الحجاج بن يوسف الثقفي:

من حكمة الحسن أنه لا يرى الخروج على الأئمة العُصاة من المسلمين، فقد جاء جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام،... وفعل وفعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فـما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم اللّه وهو خير الحاكمين، وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعًا [(٢)] ولهذا كان الحسن يقول: لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط [(٣)].

ومع ذلك كله فقد أراد الحجاج أن يقتل الحسن البصري مرارًا، ولكن اللّه عصمه منه. بعث الحجاج إلى الحسن مرة – وقد همّ به – فجاء الحسن إليه، فلما قام بين يديه قال: يا حجاج، كم بينك وبين آدم من أب؟ قال: كثير. قال: فأين هم؟ قال: ماتوا. فنكس الحجاج رأسه، وخرج الحسن [(٤)].

وهذا من حكمة الحسنِ في دعوته إلى الله، فإن الخروج على الأئمة المسلمين – ولو

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد مولى الأنصار ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين – رضي الله عنها – ، وأبو الحسن يسار من سبي ميسان – وهي بين البصرة وواسط – سكن المدينة ، وأعتقَ وتزوج بها في خلافة عمر ، فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمروتوفي الحسن سنة ١١٠ هـ وكان عمره ٨٨ سنة – رحمه الله – . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٤/ ٥٦٣ – ٥٨٧ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٢٣١ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٦٣ – ١٦٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ١٣٥ .

(٣) انظر : طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٤ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٩/ ١٣٥ .

كانوا فسّاقًا – يسبب شرًّا كثيرًا، وفتنة عظيمة، وإزهاقًا للأرواح، وفسادًا كبيرًا، فَسدَّ الحسن الباب أمام هذه المفاسد.

٢ – موقف الحسن مع عمر بن هبيرة:

عندما ولي عمر بن هبيرة [١]. العراق أرسل إلى الحسن فقدم إليه، فقال له: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك [٢] ينفذ كتبًا أعرف أن في إنفاذها الهلكة، واستفتاه ماذا يصنع أمام هذه الكتب؟ فقال الحسن: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن يترل بك ملك من ملائكة الله – تعالى – فظ غليظ، لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قمرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله ﷻ يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الـــدنيا وهي مقبلة أشدّ إدبارًا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقامًا خوفكه الله – تعالى –، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٣] يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه، فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته [٤].

وهذا يدل على حكمة الحسن – رحمه الله – وما له في النفوس من مكانة وتقدير، فقد جهر بالحق في هذا الموقف ولم تأخذه في الله لومة لائم. وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله – تعالى –، ولكن لا بد من الحكمة، وبالتي هي أحسن، فإن ذلك أدعى لقبول الدعوة، والله المستعان.

---

(١) هو عمر بن هبيرة بن معاوية بن سُكَين ، الأمير أبو المثنى أمير العراقيين ، مات سنة ١٠٧ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٢ .

(٢) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة ، استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان ، بعد عمر بن عبد العزيز ، ولد سنة ٧١ هـ . وكانت خلافته أربعة أعوام ، توفي سنة ١٠٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٠ – ١٥٢ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ١٤ .

(٤) انظر : حلية الأولياء ٢/ ١٤٩ .

٣ – موقفه مع القراء:

خرج الحسن من عند ابن هبيرة يومًا فإذا هو بالقراء على الباب [(١)] فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم [(٢)] نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجزرتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله [(٣)] والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد [(٤)].

وهذا الموقف حكيم عظيم؛ لأن الداعية إلى الله ينبغي أن يستغني عن الناس وعن أموالهم وصدقاتهم، وخاصة الأكابر والسلاطين، فلا يقف على أبوابهم ولا يسألهم، حتى يكون لدعوته ولعلمه الأثر في نفوسهم وفي نفوس غيرهم، ولهذا وجه الحسن القراء لذلك؛ لأن من استغنى بالله افتقر الناس إليه [(٥)].

المطلب الثالث : مواقف عمر بن عبد العزيز :

مواقفه الحكيمة قبل الخلافة

يرى كثير من العلماء أن عمر بن عبد العزيز [(٦)] من المجددين على رأس المائة الأولى،

(١) لسائل أن يسأل : كيف يخرج الحسن من عند ابن هبيرة ويلوم القراء على وقوفهم ببابه رغبة في الدخول عليه؟ ويجاب على ذلك أن الحسن لم يدخل على ابن هبيرة ليسأله مالًا أو شيئًا من أمور الدنيا ، إنما ذلك لله ومن أجل الله والدعوة إليه ، والذي قبحه الحسن هو الرغبة في الدنيا والطمع في أموال الأمراء والسلاطين ، أما من دخل عليهم ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويخوفهم بالله ، فإن هذا من أعظم الجهاد وأفضله .

(٢) كل شيء عرضته فقد فرطحته . وفرطح الشيء : بسطه ووسعه . ورأس مفرطح : عريض . انظر : المعجم الوسيط ، مادة (فرطح) ٢/ ٦٨٤ .

(٣) لعل الحسن استخدم أسلوب الشدة مع القراء لأنهم أقدموا على شيء لا ينبغي لهم الإقدام عليه على الرغم من معرفتهم حقيقته وأنه لا ينبغي لطلاب العلم والدعاة إلى الله فعله . والحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، ومن ذلك استخدام أسلوب القوة والشدة والغلظة في مواضعها .

(٤) انظر : حلية الأولياء ٢/ ١٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٦ .

(٥) انظر : حلية الأولياء ٢/ ١٧٣ ، والبداية والنهاية ٩/ ١٠٠ .

(٦) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولد سنة ٦٣ هـ ، وقيل ٦١ هـ ، أرسله والده إلى المدينة يتفقه في الدين ، فلما توفي والده أخذه عمه عبد الملك بن مروان ، وزوجه بنته فاطمة ، وعندما ولي الوليد بن عبد الملك ولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ٨٦ هـ

لقوله - ﷺ - ﴿ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدّد لها دينها ﴾ [1] [2] وعلى هذا كان - رحمه الله - أول المجددين [3] وله - رحمه الله - مواقف كثيرة حكيمة في دعوته إلى الله، منها ما يلي:

(أ) من مواقفه الحكيمة قبل الخلافة:

له - رحمه الله - مواقف كثيرة قبل الخلافة مع الخلفاء منها:

١ - **أقبل سليمان بن عبد الملك** [4] إلى جيشه ومعه عمر بن عبد العزيز، وفي ذلك المعسكـــر: الخيول والجـــمال والبغال والأثقال والرجال، فقال سليمان: ما تقول يا عمر في هذا؟ فقال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضًا، وأنت المسئول عن ذلك كله، فلما اقتربا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها، ونعب نعبةً، فقال له سليمان: ما هذا يا عمر؟ فقال: لا أدري. فقال: ما ظنك أنه يقول؟ قال عمر: كأنه يقول: من أين جاءت وأين يُذهَبُ بها؟ فقال له سليمان: ما أعجبك؟ فقال عمر: أعجب ممن عرف الله فعصاه، ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها [5] وهذه كلمات حكيمة في الدعوة إلى الله موجّهَة إلى خليفة المسلمين، استغل عمر توجيهها إليه في الفرصة المناسبة، ملتزمًا طريق الحكمة في ذلك كله.

٢ - **وحجّ سليمان بن عبد الملك** ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برق ورعد،

إلى ٩٣ هـــ ، ثم قدم الشام ، وبقي بها حتى ولي الخلافة في ١٠/ ٢ ٩٩ هـــ فأصلح الله به العباد والبلاد ، ثم مات مسمومًا في ٢٥/ ٧ ١٠١ هـــ . انظر : البداية والنهاية ٩/ ٩٢ - ٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٢ .

(١) أبو داود الملاحم (٤٢٩١) .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة ٤/ ١٠٩ ، والحاكم ٤/ ٥٢٢ ، وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ١٥٠ برقم ٥٩٩ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٩/ ٢٠٧ ، وعون المعبود ١١/ ٣٨٧ .

(٤) سليمان بن عبد الملك بن مروان ، بويع بالخلافة بعد أخيه الوليد ، له أعمال جليلة ، وتوفي عاشر صفر ، سنة ٩٩ هـــ . سير أعلام النبلاء ٥/ ١١١ .

(٥) انظر : مناقب عمر ، لابن الجوزي ، ص ٥٢ ، والبداية والنهاية ٩/ ١٩٥ .

حتى كادت تنخلع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضحك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدق بها. فقال عمر: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم [(١)].

الله أكـــبر ما أحكم هذا الموقف وأعظمه! فقد استطاع عمر بن عبد العزيز بعون الله – تعالى – ثم بحكمته أن يؤثر على سليمان حتى جلس ورد المظالم.

٣ – ومن أعظم مواقفه الحكيمة مع سليمان بن عبد الملك أن سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا ولينا ما قد ترى، و لم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العـــامة فمر به، فكان من ذلك أن عمر أمر بعزل عمال الحجاج، وأقيمت الصلاة في أوقاتها بعد ما كانت أميتت عن وقتها، مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، فقد قيل: إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يُحصِي عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غدًا خصماؤك، فبكى سليمان بكاءً شديدًا [(٢)] فرحم الله عمر، فقد كان حكيمًا في مواعظه وترقيقه للقلوب، وربطها بخالقها، وتخويفها من عقابه، وترغيبها في ثوابه، ويستخدم ذلك في الوقت المناسب، في الحال المناسب.

وله – رحمه الله – مواقف كثيرة مع الخلفاء، ولولا الإطالة لذكرتها [(٣)].

مواقفه بعد أن ولي الخلافة

(ب) مواقفه بعد أن ولي الخلافة:

---

(١) انظر : مناقب عمر ، لابن الجوزي ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢١ .

(٢) انظر : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي ص ٥٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢١ .

(٣) انظر بقية مواقفه مع الولاة في مناقب عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي ص ٤٦ – ٥٣ ، والبداية والنهاية ٩/ ١٩٥ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١١٤ – ١٤٧ .

بعد أن مات معاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة ستين للهجرة النبوية، بدأ الظلم، واتسع الخرق والخلاف بين العلماء والخلفاء، فصار بعض الناس في وادٍ، وبعض حكامهم في وادٍ آخرَ، ثم ازدادت الأحوال سوءًا بتسلُّم بعض الولاة الظلمة الحكم أمثال الحجاج، وصاروا يجمعون الأموال وينفقونها في غير حلها بلا حساب ولا نظام، وقد كان الشاعر يدخل على الخليفة أو الوالي فيمدحه، فيكيل له بلا حساب، وقد كان سليمان بن عبد الملك أمثل الخلفاء [1].

وعندما تسلَّم عمر بن عبد العزيز الخلافة قام بالمواقف الحكيمة لإنقاذ الأمة مما حل بها، فكانت مواقفه الحكيمة لإصلاح ما فسد من أمور الناس كالتالي:

١ - بدأ بالتغيير مع نفسه، فغير طريق حياته حتى أنكره من عرفه من قبل، فعندما رجع من قبر سليمان أُوتي بمراكب الخلافة: البراذين والخيل والبغال، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مَراكب الخلافة. فقال: ما لي ولها، نَحُّوها عنِّي، قربوا مني بغلتي، فقُرِّبت إليه بغلته، وأمر بمراكب الخلافة أن تُباع ويجعل ثمنها في بيت مال المسلمين، وقال: تكفيني بغلتي هذه الشهباء [2].

وكان دخله قبل الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله إلا أربعمائة دينار في كل سنة، ونظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه، حتى إنه ردّ فصّ خاتم في يده إلى بيت المال، وقال: هذا مما أعطانيه الوليد بن عبد الملك من غير حقه [3].

٢ - بعد أن بدأ بنفسه بدأ بأهله، فسأل زوجته فاطمة بنت عبد الملك عن الجوهر الذي عندها، من أين صار إليها؟ فقالت: أعطانيه أمير المؤمنين، فقال: إما أن ترديه إلى بيت المال، وإما أن تأذنيني في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت، قالت:

---

(١) انظر : البداية والنهاية ٨/ ١٤٦ - ٣٤٥ ، ٩/ ٢ - ١٧٧ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٥ .

(٢) انظر : مناقب عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزي ص ٦٢ ، ٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٦ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٣١ .

(٣) انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١ - ٣٤٤ ، ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٣٢ ، والبداية والنهاية ٩/ ٢٠٨ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٢٨ .

لا، بل أختارك على أضعافه لو كان لي، فوضعته في بيت المال [(١)].

٣ – بعد أن أصلح عمر نفسه وأهله، بدأ بإصلاح أوضاع بني أمية، فأخذ ما بأيديهم من المظالم وردها إلى أهلها، وإلى بيت المال إن لم يكن لها أهل، وسمى أموالهم مظالم، وأمر مناديه أن يُنادي في الناس: من كانت له مظلمة فليرفعها، وجاء كل من كانت له مظلمة فجعل يرد المظالم مظلمة مظلمة [(٢)] وأخذ جميع الأموال التي أخذها بنو مروان بغير استحقاق، فوضعها في بيت مال المسلمين [(٣)].

٤ – كتب إلى الولاة على الأمصار الإِسلامية يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، ويخوفهم من عقابه، ويرغبهم في ثوابه، ويزهدهم في الدنيا، ويضرب لهم الأمثال بمن مضى ممن كان قبلهم من الخلفاء والولاة، وأنهم قد ذهبوا إلى ما قدموا من أعمال، فمنهم الرابح، ومنهم الخاسر، وأمرهم بالعدل مع الرعية، ونهاهم عن الظلم، وأمرهم برد جميع المظالم إلى أهلها، وعزل بعضهم عن الولاية وَوَلَّى من هو أصلح منه، واستدعى بعضهم إلى الحضور لديه ليحاسبه على جوره وظلمه، وحذر الولاة من أخذ الرشوة والهدية من الرعية [(٤)] وأمر الولاة بوضع الجزية عمن أسلم من اليهود والنصارى، حيث كان بنو أمية لا يضعون الجزية عمن أسلم، فأسلم بذلك خلق كثير، ومن هؤلاء أهل خراسان، فقد أسلم منهم أربعة آلاف في وقت قصير بسبب هذه الحكمة العظيمة [(٥)].

---

(١) انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٩٣ ، وسيرة عمر لابن الجوزي ، ص ١٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ، ٥/ ١٢٩ ، والبداية والنهاية ، ٩/ ٢٠٨ .

(٢) انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١ – ٣٤٤ ، ومناقب عمر لابن الجوزي ، ص ١٢٥ – ١٢٧ ، والبداية والنهاية ، ٩/ ٢٠٠ – ٢١٣ .

(٣) انظر : مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، ص ١٣٣ – ١٤١ ، وطبقات ابن سعد ، ٥/ ٣٤١ – ٣٤٤ ، والبداية والنهاية ، ٩/ ٢١٣ ، وسير أعلام النبلاء ، ٥/ ١٢٩ .

(٤) انظر : مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ، ١٣٣ – ١٤١ ، وطبقات ابن سعد ، ٥/ ٣٤١ – ٣٤٤ ، والبداية والنهاية ، ٩/ ٢١٣ ، وسير أعلام النبلاء ، ٥/ ١٢٩ .

(٥) انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤١ – ٣٤٤ ، وسيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٠ – ١٢٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، وسير أعلام النبلاء ، ٥/ ١٢٦ – ١٣٧ ، ٥/ ١٤٧ ، والبداية والنهاية ، ٩/ ١٨٨ .

٥ – من أعظم مواقفه الحكيمة في إصلاح الأوضاع في الدولة الأموية ما أحياه في النفوس من خوف الله ومراقبته، وغرس ذلك في نفوس الناس، ومن ذلك أنه في يوم الجمعة يخطب الناس، فبكى يومًا، وبكى الناس معه حتى ارتج المسجد بالبكاء، وصار لحيطانه صوت بالبكاء [١].

٦ – فقَّه الناس في دين الله، وغرس في قلوبهم حب الكتاب والسنة، وكان يرسل المرشدين إلى البادية؛ لِيُفقِّهوا الناس في الدين [٢].

٧ – لم يكتف عمر بن عبد العزيز بالخطوات الحكيمة السابقة في إصلاح أوضاع المسلمين في الدولة الأموية، بل اهتم بأمور غير المسلمين، فأرسل الدعاة إلى الله ﷻ؛ ليبلغوا الناس دعوة الإِسلام، ومن ذلك أنه أرسل إلى أفريقيا مجموعة من الدعاة، فأسلم على أيديهم أمم هائلة من البربر وغيرهم.

وبتوفيق الله ثم بهذه الخطوات الحكيمة السبع، ظهرت مواقف عمر الحكيمة في إصلاح الأمة وتجديد الدين، ونفع الله به البلاد والعباد، وأنقذ الله به من الظلم [٣].

المطلب الرابع : من مواقف أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله :

الإِمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت [٤] له مواقف حكيمة كثيرة [٥] منها موقفه العظيم الحكيم مع الملحدين في دعوتهم إلى الله – تعالى –، وأنه رب كل شيء ومليكه.

يذكر أنه اجتمع طائفة من الملاحدة بأبي حنيفة – رحمه الله – فقالوا: ما الدلالة على

---

(١) انظر : سيرة عمر لابن الجوزي ص ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٧ ، ١٣٨ ، والبداية والنهاية ٩/ ٢٠٤ .

(٢) انظر : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ص ٩٢ .

(٣) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٣٨ ، والتاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر ٤/ ٢٤٦ .

(٤) هو الإِمام النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي ، أحد أئمة الإِسلام والسادة الأعلام ، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ، توفي – رحمه الله – سنة ١٥٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠ ، والبداية والنهاية ١٠/ ١٠٧ .

(٥) انظر : نماذج من مواقف أبي حنيفة الحكيمة في سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٢ ، وأعلام المسلمين – أبو حنيفة ، لوهبي سليمان غاوجي ٥/ ٣٥٥ ، ٥/ ١٢١ ، ٣٥٤ .

وجود الصانع؛ فقال: دعوني، فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها، فقالوا له: مجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: إن هذا لا يصدقه عاقل. فقال لهم: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوَّار السيَّار يجري، وتحدث هذه الحوادث من غير محدث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟ فرجعوا على أنفسهم بالملام [1] وهذا من أعظم مواقف الحكمة في الدعوة إلى الله، فقد استدل على الخالق بوجود المخلوق، فليس هناك من مخلوق إلا وله خالق ومدبر وهو الله عز وجل كما أنه ليس هناك من صنعة إلا ولها صانع، ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم.

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣/ ١٢٧ ، والرياض الناضرة للسعدي ص ٢٥٨ .

المبحث الرابع: مواقف أتباع التابعين

توطئة:

المطلب الأول: مواقف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: مواقف الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

المبحث الرابع مواقف أتباع التابعين

توطئة:

أتباع التابعين هم من القرون المفضلة التي امتدحها رسول الله ﷺ بقوله: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.. ﴾ [1] [2]. ولتابعي التابعين مواقف حكيمة في دعوتهم إلى الله - تعالى -، وسأذكر منها - بعون الله - نماذج في المطالب التالية:

المطلب الأول: مواقف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: مواقف الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

المطب الأول: من مواقف الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى:

للإمام مالك [3] - رحمه الله - مواقف حكيمة مشرفة، منها على سبيل المثال ما يلي:

١ - من أعظم مواقف الحكمة التي وقفها: موقفه مع من سأله عن الاستواء. فقد جاء إليه رجل وقال: يا أبا عبد الله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [4] كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء [1] ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: " الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك

---

(١) البخاري الشهادات (٢٥٠٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٨٥٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢) ، أحمد (١/٤٣٤) .

(٢) البخاري مع الفتح ٥/ ٢٥٩ ، ومسلم ٤/ ١٩٦٤ ، وتقدم تخريجه .

(٣) الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو ، إمام دار الهجرة ، ولد سنة ٩٣ هـ عام موت أنس بن مالك بن النضر ، خادم رسول الله وطلب العلم بصدق وإخلاص ، فكان أحد الأئمة الأربعة ، فنفع الله به المسلمين ، وتوفي عام ١٧٩ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٩ - ١٣٥ ، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٤ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥ .

(٤) سورة طه ، الآية ٥ .

(١) العرق إثر الحمى ، أو عرق يغسل الجلد كثرة . انظر : المعجم الوسيط ، مادة (رحض) ١/ ٣٣٤ .

صاحب بدعة " وأمر به فأُخْرِجَ [(١)].

وهذا موقف حكيم مُسدّد؛ لأنه أجاب بالإِجابة الصحيحة بعد التأمل والتفكـــر، فكانت هذه الإِجابة قاعدة ثابتة لأهل السنة والجماعة، تُجْرَى عليها صفـــات الله – تعالى – كلها، فالكيف للصفة مجهول لنا لا نعرف كيفيتها؛ لأن الله لم يخبرنا بالكيفية، والصفة معلومة بدليلها من الكتاب والسنة الصحيحة أو بأحدهما، والإِيمان بالصفة – التي تثبت بالدليل – واجب، والسؤال عن كيفية الصفة بدعة، وليس المراد بنفي الكيفية تفويض المعنى المراد من الصفات، بل كل صفة من صفات الله – تعالى – تدل على معنى حقيقي نؤمن به ونثبته لله كـــما يليق بجلاله [(٢)].

٢ – **من مواقفه الحكيمة ما ردّ به على بعض** العُبَّاد حينما كتب إليه يعظه ويحضه على الانفراد والعزلة عن الناس، ويحضه على العمل، فكتب إليه مالـــك: " إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فربّ رجل فُتحَ له في الصلاة ولم يُفتَحْ له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتحَ لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر " [(٣)].

وهذا الرد الحكيم المسدد مما يدل على فقه الإمام مالك وحكمته، فإن نشر العلم خير أعمال البر، وأفضل من نوافل الصلاة والصوم والصدقة وغير ذلك من نوافل العبادات، لقوله ﷺ ﴿ من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله ﴾ [(١)] [(٢)].

وقوله ﷺ ﴿ فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر

(١) أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٥ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٨/ ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٦ ، ٥/ ١٤٤ .

(٢) انظر : فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥ – ١٢١ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ١١٤ .

(١) مسلم الإمارة (١٨٩٣) ، الترمذي العلم (٢٦٧١) ، أبو داود الأدب (٥١٢٩) ، أحمد (٤/١٢٠) .

(٢) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ٣/ ١٥٠٦ .

النعم ﷺ [(١) (٢)].

فرحم الله مالكًا فقد نطق بالحكمة، وطبق ما كان يقوله ويُرغِّبُ فيه الناس، فكان هو أولى به حيث قال: " بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة " [(٣)].

ولهذا قال الإمام الذهبي [(٤)] " إلى فقه مالك المنتهى، فعامة آرائه مسددة " [(٥)].

ولكن الإمام مالكًا قد أنصف حينما رسم للناس قاعدة يسيرون عليها، حيث قال: " كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ " [(٦)].

وهذا كلام حكيم وعظيم يدل على أن جميع الناس ليسوا معصومين من الخطأ، إنما الذي قد عُصِمَ في تبليغ الشريعة هو محمد ﷺ.

٣ - **والإمام مالك كان يصدع بالحق** ولا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ذلك قول الإمام الشافعي: " كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه " [(١)].

وهذا الكلام من الدعوة إلى الله بالحكمة؛ لأن من الناس من يحتاجون إلى الغلظة أحيانًا، ولا يخرج ذلك عن الحكمة؛ لأن الله - تعالى - وهو أحكم الحاكمين - قال لأحكم الناس أجمعين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ

(١) البخاري المناقب (٣٤٩٨) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، أبو داود العلم (٣٦٦١) ، أحمد (٥/٣٣٣) .

(٢) البخاري مع الفتح ٧/ ٤٧٦ ، ومسلم ٤/ ١٨٧١ ، وتقدم تخريجه .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ١٠٩ .

(٤) هو الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ولد - رحمه الله - في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣ هـ ، بدأ بطلب العلم مبكرًا ، ورحل في طلبه ، وبرع فيه ، ثم عمي قبل موته بأربع سنين أو أكثر بماء نزل في عينيه ، وتوفي - رحمه الله - ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة قبل نصف الليل سنة ٧٤٨ هـ ، وله آثار علمية بلغت نحوًا من ٢١٥ مؤلفًا - رحمه الله - . انظر : البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٥ ، ومقدمة سير أعلام النبلاء ١/ ١٢ - ١٤٠ .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء ٨/ ٩٢ .

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٩٣ .

(١) انظر : حلية الأولياء ٦/ ٣٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٩٩ .

عَلَيْهِمْ ﴾ [1] وقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [2].

وللإمام مالك مواقف حكيمة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها [3].

المطلب الثاني : من مواقف الإمام الشافعي رحمه الله :

للإمام الشافعي [4] رحمه الله – مواقف حكيمة تدل على حكمته وصدقه وإخلاصه، ومن مواقفه – رحمه الله تعالى –.

موقفه مع أهل الكلام ودفاعه عن علم الكتاب والسنة:

وقف الشافعي – رحمه الله – موقفًا حكيمًا مسددًا مع أهل الكلام [5] فقال – رحمه الله تعالى –: " حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر، يُنادى عليهم ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٩ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٣) انظر : مواقف له حكيمة في : حلية الأولياء ٦/ ٣٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ، ٨/ ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، وانظر : مواقفه مع بني أمية وحكمه في طلاق المكره وعدم وقوعه في سير أعلام النبلاء ٨/ ٨٠ ، ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن السائب ، يلتقي مع النبي في عبد مناف ، ولد في غزة ، وقيل : بعسقلان ، سنة ١٥٠ هـ ، ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين ، فنشأ بها وقرأ القرآن ، ورحل إلى مالك في المدينة وعرض عليه الموطأ بعد حفظه له ، ثم رجع إلى مكة ، ورحل إلى اليمن ، ثم حمل إلى العراق سنة ١٨٤ هـ ، ثم عاد إلى مكة ثلاث مرات ، ثم رحل من العراق إلى مصر ، وبقي بها حتى توفي سنة ٢٠٤ هـ . انظر : البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١ .

(٥) العلم بالدين علمان : العلم بالأمور الخبرية الاعتقادية ، كالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأخبار الأنبياء ، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم ، ويدخل في ذلك الجنة والنار . . . والجدال في هذا القسم بالعقل يسمى : كلامًا . الثاني : الأمور العملية من أعمال الجوارح والقلوب كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات ، وهذا من جهة كونه علمًا واعتقادًا أو خبرًا صادقًا أو كاذبًا يدخل في القسم الأول ، ومن جهة كونه مأمورًا به أو منهيًّا عنه يدخل في القسم الثاني . انظر : فتاوى ابن تيمية ١١/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ١٩/ ١٣٤ . فالجدال في علم العقائد يسمى كلامًا ، والسلف الصالح حينما يذمون علماء الكلام فهم يريدون من يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام ، وهذا هو الذي ذمه الشافعي – رحمه الله – . انظر : فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٤٦٠ ، ٤٦١ .

وأقبل على علم الكلام " [1].

وقال: " مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط، وتشريدهم في البلاد " [2].

وقال: " حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ " [3].

وغرس الشافعي في نفوس الناس بغض الكلام وأهله، وحب الكتاب والسنة والتمسك بهما، قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي [4] قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث [5] كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي – رحمه الله –: قصر الليث – رحمه الله –، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب [6].

وجاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي – وهو في مصر – فسأله عن مسألة من الكلام فقال له الشافعي: أتدري أين أنت؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قال: لا. قال: هل تكلّم فيه الصحابة؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجمًا في السماء؟ قال: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خُلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فأخطأ فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم

(١) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٢٩ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥٤ ، وفتاوى ابن تيمية ١٦/ ٤٧٣ .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ .

(٣) قدم صبيغ بن عسل الحنظلي المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر ، وقال : من أنت؟ قال : أنا عبد الله صبيغ . قال : وأنا عبد الله عمر ، فضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ، فقد ذهب الذي كنت أجده في رأسي . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ١٩٨ .

(٤) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة ، شيخ البخاري ، أبو موسى الصدفي ، ولد سنة ١٧٠هـ ، وتوفي سنة ٢٦٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤٨ .

(٥) هو الليث بن عاصم بن كليب ، الإمام القدوة العابد المصري ، ولد سنة ١١٥ هـ ، وتوفي سنة ٢١١ هـ انظر : تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٩ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ١٨٨ .

(٦) أي : والسنة . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥١٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٣ .

خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا " هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله – تعالى -: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [1] فاسْتَدَلّ بالمخلوق على الخالق، ولا تَتكلف علم ما لم يبلغه عقلك.

فتاب الرجل [2] على يد الشافعي من علم الكلام، وأقبل على فقه الكتاب والسنة [3] وكان يقول بعد التوبة: " أنا خلق من أخلاق الشافعي " [4].

وقد أصبح هذا الرجل " المزني " عَلَمًا من أعلام الإسلام في فقه الشافعي.

فهذه المواقف الحكيمة في الدفاع عن الكتاب والسنة، وذم الكلام وأهله، والرد عليهم بأسلوب الحكمة، يدل دلالة واضحة على حكمة الشافعي رحمه الله.

ومما يدل على حكمته أيضًا أن الله تفضّل عليه وهدى على يديه كثيرًا من أهل الكلام فتركوا باطلهم، وأقبلوا إلى علم الكتاب والسنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

المطلب الثالث : من مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

للإمام أحمد [1] –رحمه الله– مواقف حكيمة تدل على حكمته وصدقه مع الله،

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) وهذا الرجل الذي تاب من علم الكلام على يد الشافعي ، هو المزني ، الإمام العلامة علم الزهاد ، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني المصري ، تلميذ الشافعي ، ولد سنة ١٧٥ هـ ، وله المختصر في الفقه ، وقد شرحه عدة من العلماء ، توفي – رحمه الله – سنة ٢٦٤ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ٤٩٢ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٢ .

(٤) انظر : المرجع السابق ١٢/ ٤٩٢ .

(١) الإمام حقًّا ، وشيخ الإسلام صدقًا ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه ، وبدأ بطلب العلم ، وحج سنة ١٨٧هـ ، ثم رحل إلى صنعاء ليأخذ العلم عن عبد الرزاق صاحب المصنف ، ثم عاد إلى بغداد ، وواصل طلب العلم والتعليم ، وتوفي يوم الجمعة ١٢/ ٤ ٢٤١هـ ، وحضر جنازته ألف ألف وخمسمائة ألف . انظر : سير أعلام

وإخلاصه، ومن مواقفه رحمه الله تعالى:

موقفه الحكيم الذي حفظ الله به القرآن الحكيم:

كان الناس أمة واحدة، ودينهم قائمًا، حتى ظهرت الخوارج، وكفَّرَتْ سادات الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب، وفي آواخر زمن الصحابة ظهرت القدرية، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة، والجهمية والمشبهة بخراسان في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها؛ لأن الخلفاء والملوك والولاة لم يكن لهم دور في إظهار البدع والدعوة إليها، إلى ظهور المأمون [1] فاستجلب كتب الأوائل، وعرَّب حكمة اليونان، ورفع الجهمية والمعتزلة والشيعة رؤوسهم، وأظهر المأمون عام ٢١٢هـ القول بخلق القرآن، وحمل الأمة على القول بذلك، ثم امتحن العلماء وعذبهم عام ٢١٨هـ [2] .

وفي آخر حياته قبل موته بأشهر خرج إلى طرطوس لغزو الروم، وكتب إلى نائبه ببغداد يأمره أن يدعو الناس ويلزمهم بالقول بخلق القران، فألزم الناس بذلك، وبعث بجماعة من أهل الحديث إلى المأمون، فامتحنهم بخلق القران، فأجابو وأظهروا موافقته وهم كارهون، فردهم إلى بغداد، وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء ففعل نائبه ذلك، وأحضر خلقًا كثيرًا من أئمة الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم، ودعاهم إلى القول بخلق القرآن عن أمر المأمون، وذكر لهم موافقة أولئك المحدِّثين له على ذلك، فأجاب منهم جماعة [1] وما زال يُهدّد من امتنع منهم بالضرب وقطع الأرزاق، حتى أجابوه إلى ذلك

النبلاء ١١/ ١٧٧ ، ١١/ ٣٤٠ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥ ، ١٠/ ٣٤٢ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١/ ٦٢ .

(١) المأمون ، هو عبد الله بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠هـ ، وبويع بالخلافة في ٢٥ محرم عام ١٩٨هـ ، وكان داعية للقول بخلق القران فقصمه الله بدعوة الإمام أحمد ، وتوفي في ٢٥ محرم ، سنة ٢١٨هـ . انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٣٦ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٦ ، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٥/ ١٩٧-٢٠٠ .

(١) انظر : البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢ ، ٣٣١ .

كلهم أجمعون إلا أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح [(١)] ولا شك أن أكثر المحدثين الذين أجابوا إلى ذلك تأولوا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [(٢)].

ثم قُيِّد الإمام أحمد ومحمد بن نوح بالحديد، وحملا إلى المأمون، وعندما وصلا إلى جيش الخليفة ونزلا دونه بمرحلة جاء خادم من الجيش وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه، ويقول للإمام أحمد: يعز علي يا أبا عبد الله أن المأمون قد سل سيفًا لم يسله قبل ذلك، ويقسم لئن لم تُجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنَّك بذلك السيف، فجثى الإمام أحمد على ركبتيه، ورمق بطرفه إلى السماء، وقال: اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤونته. فجاء الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل، ففرح أحمد، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة، وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد [(٣)] وأن الأمر شديد، فُرِّد أحمد ومحمد إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، ومات محمد بن نوح في الطريق، فصلى عليه أحمد [(٤)] ووصل أحمد إلى بغداد في رمضان سنة ٢١٨هـ وأُودع السجن نحوًا من ثمانية وعشرين شهرًا، وقيل أكثر من ثلاثين شهرًا، وقد كان في هذه المدة يصلي بأهل السجن والقيود في رجليه [(١)] وكان المعتصم يوجه إليه من يناظره في السجن فيفوز عليهم الإمام أحمد بحجته ودليله، فيُزَاد في قيوده، ثم طلب المعتصم حضوره لديه، فَحُمِلَ على دابة

(١) محمد بن نوح ، قال عنه أحمد : ما رأيت أحدًا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يقتدى بك ، قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله . . فمات وصليت عليه ودفنته . انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٢ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .

(٣) أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك المعتزلي ، ولد سنة ١٦٠هـ ، ولي قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للواثق ، وأعلن مذهب المعتزلة ، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ، وأن الله لا يُرى في الآخرة ، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين ، وحُرِمَ لذة الطعام والشراب والنكاح ، وغير ذلك ، توفي يوم السبت لسبع بقين من محرم سنة ٢٤٠هـ . انظر : البداية والنهاية ١٠/ ٣١٩-٣٢٢ .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٢ .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٢ .

وعليه الأقياد، ما معه من يمسكه إلا الله، وكاد أن يسقط على وجهه لثقل القيود، ولكن الله سلَّم، ثم دخل على المعتصم وأحمد بن أبي دؤاد حاضر عنده، وقد جمع خلْقًا كثيرًا من أصحابه [(١)] ثم قال المعتصم لأعوانه: ناظروه، فقيل له: ما تقول في القرآن؛ فقال أحمد: ما تقول في علم الله؛ فسكت المناظر له، فقال أحمد: من زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله. فقالوا: يا أمير المؤمنين كَفَرَ وكَفَّرنا.

فقال بعضهم: أليس قال الله: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [(٢)] والقرآن أليس شيئا؟

فقال أحمد: قال الله: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [(٣)] فدمرت كل شيء إلا ما أراد الله.

قال أحمد: فكان يتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فيقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضالّ مُضِلّ مبتدع، فيقول المعتصم: كلِّموه، ناظروه، فيكلمني هذا فأرد عليه، ويكلمني هذا فأرد عليه، فإذا انقطعوا قال المعتصم: ويحك يا أحمد ما تقول؛ فأقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ حتى أقول به. فيقول أحمد بن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟ [(٤)] فقال أحمد: وهل يقوم الإسلام إلا بهما؛ وجرت مناظرات طويلة.

قال أحمد: لقد احتجوا علي بشيء ما يقوى قلبي ولا ينطلق لساني أن أحكيه، أنكروا الآثار، وما ظننتهم على هذا حتى سمعته، وجعلوا يرغون، يقول الخصم كذا وكذا، فاحتججت عليهم بالقرآن: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ [(١)] أفهذا منكر عندكم؟ فقالوا: شبَّه يا أمير المؤمنين، شبَّه. وطال المجلس، وقام المعتصم ورُدَّ أحمد إلى حبس في البيت، ثم وجه إليه من يبيت معه ويناظره، ثم أُحضِرَ أحمد في اليوم الثاني

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٤٣ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٢ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٢

(٣) سورة الأحقاف ، الآية ٢٥

(٤) يعني القرآن والسنة!! .

(١) سورة مريم ، الآية ٤٢ .

وناظروه إلى قرب الزوال، ثم قام المعتصم ورد أحمد إلى مكانه، وفي اليوم الثالث جيء به فناظروه، وفي هذه الأيام كلها يعلو صوته صوقم، وتغلب حجته حجتهم، فغلبهم بالحجة والبرهان (1) حتى قال عنه صاحب شرطة المعتصم (2) ما رأيت أحدًا لم يداخل السلطان، ولا خالط الملوك كان أثبت قلبًا من أحمد يومئذ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذبان (3).

وطالت المناظرة، فغضب المعتصم وقال لأحمد: لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واسحبوه، خلِّعوه، فأُخِذَ وسُحِبَ وخُلِّع وجُرِّدَ، ووقف به بين الجمهور؛ لجلده وتعذيبه، فقال أحمد: "يا أمير المؤمنين، اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك ".

فلما رأى المعتصم ثباته وتصميمه وصلابته فكأنه أمسك حتى أغراه أحمد بن أبي داؤد، وقال: "يا أمير المؤمنين، إن تركته قيل: قد ترك مذهب المأمون، وسخط قوله "، فهاجه ذلك على ضربه، ثم بدأ الجلادون يضربون، فيتقدم الرجل منهم فيجلده سوطين، والمعتصم يقول: شد قطع الله يدك.

وأُغمِيَ على أحمد، وذهب عقله مرارًا، ويعيدون الضرب ولم يحس بالضرب، وجاء المعتصم إليه ثلاث مرات وهو يُجْلَد يدعوه إلى القول بخلق القران، فيمتنع، ويعيدون الضرب، ثم أمر المعتصم بإطلاقه، بعد أن ضُرِبَ نيفًا وثلاثين سوطًا، وقيل ثمانين سوطًا، ولكنه كان ضربًا مبرحًا، ولم يشعر الإمام أحمد إلا وهو في حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رجليه، ثم أمر المعتصم بإطلاقه إلى أهله، وكان ذلك في ٢٥ رمضان سنة ٢٢١هـ، ووصل إلى بيته (1) وجاء إليه طبيب في بيته فقال: قد رأيت من ضُرِبَ ألف سوط، ما رأيت ضربًا مثل هذا، وجعل يعالجه ويقطع اللحم الميت من جسده، وأحمد

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٤-٢٥٠ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٣ .

(٢) صاحب شرطة المعتصم ، هو : محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وهو أخو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، نائب المأمون على بغداد . انظر : البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٢ ، ١٠/ ٣٣١ ، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٠ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٤٠ .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٠-٢٥٤ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٢-٣٣٥ .

صابر، ويجهر بحمد الله، وبقي أثر الضرب في ظهره حتى مات - رحمه الله- [1] وجعل كل من آذاه في حل بعد أن شفاه الله إلا أهل البدع، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2] .

وبعد أن توفي المعتصم، وولي الخلافة الواثق [3] فأظهر ما أظهر والده من القول بخلق القرآن، ثم جاءت رسالة إسحاق بن إبراهيم إلى أحمد، يقول فيها: "إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد، ولا تساكني بأرض ولا مدينة أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله".

فاختفى أحمد -رحمه الله- بقية حياة الواثق في غير منزله، ثم عاد إلى منزله عندما طفئ خبره، ولم يزل مختفيًا في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق [4] ثم ولي المتوكل [5] الخلافة فأظهر الله السنة، وفرج عن الناس، وقمع البدع وأهلها، ونصر أهل السنة [1]

وكتب الإمام أحمد رسالة عظيمة إلى المتوكل، وبيَّن فيها الرد على من قال بخَلْق القرآن، واستدل على أن القران كلام الله بالبراهين القطعية من الكتاب والسنة والآثار عن

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٦ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٥ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

(٣) هو الواثق بالله هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٩٦هـ ، وبويع بالخلافة بعد المعتصم في ربيع الأول ٢٢٧هـ ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٦ .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٤ .

(٥) المتوكل على الله ، هو جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، ولد سنة ٢٠٧هـ ، وبويع بالخلافة بعد أخيه الواثق في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ ، ونصر الله به الحق وأهل السنة ، وقمع به أهل الباطل وبدعهم ، ثم قتله ابنه محمد بمعاونة بعض أعداء الإسلام في شوال سنة ٢٤٧هـ ، فرحمه الله وغفر له . انظر : البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٩ .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٦٨-٢٨٠ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٣٨-٣٤٠ .

الصحابة، ودعا للمتوكل بالتوفيق وحسن العاقبة [(١)]

الله أكبر! ما أعظم هذه المواقف الحكيمة نحو كتاب الله -تعالى- فإن الناس كلهم في الظاهر قد وافقوا المأمون على القول بخلق القرآن راغبين وراهبين، ولم يبق مُنكِرٌ لذلك إلا أحمد ومحمد بن نوح، ثم مات ابن نوح، وبقي أحمد وحده، فثبت واستعان بالله، فأثبت للناس أن القرآن كلام الله بقوله ومناظرته وفعله، وصبره على العذاب في عهد المأمون، ثم المعتصم [(٢)] ثم الواثق، ولولا الله وحده ثم الإمام أحمد لساد القول بخلق القرآن بين المسلمين، وخاصة عامة الناس، ولكن الناس ينظرون إلى أحمد وثباته وحججه وبراهينه، فثبتوا على القول بأن القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، وإن لم يظهروا ذلك للدولة، ولكن يعتقدون ذلك بقلوبهم، فحفظ الله كتابه، وأظهر الحق على يد الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- بهذه المواقف الحكيمة.

---

(١) انظر : نص الرسالة في سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٨١-٢٨٦ ، وهي من أعظم الرد على من قال بخلق القرآن ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٠ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧- ٣٥٨ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥- ٣٤٢ .

(٢) المعتصم : هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٨٠هـ ، وأمه أم ولد ، بويع في عهد المأمون في ١٤/ ٧ ٢١٨هـ ، وامتحن الناس بخلق القرآن ، وشدد على الإمام أحمد وضربه بالسياط ، وكتب إلى الأمصار يأمرهم بالقول بخلق القرآن ، وبقي القول بخلق القرآن حتى أزاله المتوكل بعد ١٤ عامًا . مات المعتصم في ١١/ ٣ ٢٢٤هـ ، وله ٤٧ سنة وسبعة أشهر . انظر : سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠٦ .

المبحث الخامس: نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور

تمهيد:

المطلب الأول: مواقف الإمام منذر بن سعيد البلُّوطي رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني: مواقف سلطان العلماء: العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

المطلب الرابع: مواقف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

المبحث الخامس : نماذج من مواقف الحكمة عبر العصور

تمهيد:

بعد أن انقرضت القرون المُفضَّلة التي امتدحها رسول الله ﷺ بقوله: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يَلُونهم ﴾ [1].... الحديث [2] بعد ذلك جاء أناس يشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم الضعف والخور، والبدع والخرافات، والصد عن دين الله، ولكن– ولله الحمد والمنة– لا يزال حفظ الله لهذا الدين قائمًا، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾ [3] وتكفل الله باستمرار الحفظ إلى قيام الساعة، ولهذا قال ﷺ ﴿ لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس ﴾ [4] [5] .

وبيَّن ﷺ أن الله يبعث لأمته على رأس كل قرن من يجدد لها دينها، ويبين لها أحكام الكتاب والسنة، فقال ﷺ ﴿ إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ﴾ [6] [7] وسأتناول– إن شاء الله– في هذا المبحث نماذج من أبطال الرجال وحكمائهم، وأبين بعض مواقفهم التي تظهر فيها الحكمة في الدعوة إلى الله– تعالى– في المطالب التالية:

---

(١) البخاري الشهادات (٢٥٠٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٨٥٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢) ، أحمد (١/٤٣٤) .

(٢) البخاري مع الفتح ٥/ ٢٥٩ ، ومسلم ٤/ ١٩٦٤ ، وتقدم تخريجه .

(٣) سورة الحجر ، الآية ٩

(٤) البخاري العلم (٧١) ، مسلم الإمارة (١٠٣٧) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢١) ، أحمد (٤/٩٩) .

(٥) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الإمارة ، باب قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ٣/ ١٥٢٣ ، والبخاري مع الفتح– كتاب المناقب ، باب حدثنا محمد بن المثنى ٦/ ٦٣٢ .

(٦) أبو داود الملاحم (٤٢٩١) .

(٧) أبو داود ٤/ ١٠٩ ، والحاكم ٤/ ٥٢٢ ، وتقدم تخريجه ص٢٧٢ .

المطلب الأول: مواقف إمام علماء الأندلس: منذر بن سعيد البلُّوطي رحمه الله.

المطلب الثاني: مواقف سلطان العلماء: العز عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله.

المطلب الثالث: مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

المطلب الرابع: مواقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

المطلب الأول: مواقف الإمام منذر بن سعيد البلُّوطي:

منذر بن سعيد [(١)] البلُّوطي له مواقف حكيمة في دعوته إلى الله –تعالى– تدلُّ على حكمته، وفضله، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ومن هذه المواقف الحكيمة على سبيل المثال ما يأتي:

١ – موقفه الحكيم مع سلطان الأندلس:

دخل المنذر بن سعيد يومًا على الناصر لدين الله [(٢)] وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها، حيث ساق إليها أنهارًا، نقب لها الجبل، وأنشأها مدوَّرةً، وعدة أبراجها ثلاث مئة بُرج، شرفاتها من حجر واحد، وقسَّمها أثلاثًا: فالثلث المسند إلى الجبل قصورهُ، والثلث الثاني دور المماليك والخدم، والثلث الثالث بساتين تحت القصور. وعمل مجلسًا

---

(١) هو : منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النَّفْزي القربطي ، أبو الحاكم البلُّوطي ، قاضي قضاة الأندلس في عصره ، كان إمامًا عالمًا فصيحًا ، خطيبًا بليغًا مفوهًا ، شاعرًا أديبًا ، فقيهًا محققًا ، كثير الفضل ، جامعًا لصنوف من الخير والتقوى والزهد ، و لم تحفظ عليه قضية جور مدة ولايته ، وله كتب في القرآن والسنة على أهل الأهواء ، وله اختيارات ، ومن تصانيفه : كتاب "الإنباه عن الأحكام من كتاب الله" وكتاب "الإبانة عن حقائق أصول الديانة " ، واستسقى غير مرة ، فأنزل الله المطر ، وخطب يومًا فأعجبته نفسه ، فقال : (حتى متى أعِظُ ولا أتعِظُ ، وأزجر ولا أزدجر ، أدلُّ على الطريق المستدلين ، وأبقى مُقيمًا مع الحائِرين ، كلا إن هذا لَهُو البلاء المبين . اللهم فرَغِّبْني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكفَّلْتَ لي به) ، وذكر أنه ولد –رحمه الله– سنة ٢٦٥هـ ، وقد توفى انسلاخ ذي الحجة ، سنة ٣٥٥هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ، ١٦/ ١٧٣–١٧٨ ، والبداية والنهاية ، ١١/ ٢٨٨ ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لعبد الحي بن العماد الحنبلي ، ٣/ ١٧ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، ٧/ ٨٢ ، والأعلام لخير الدين الزِرِكْلي ، ٧/ ٢٩٤ ، وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، لعبد الله بن محمد الأزدي بن الفارض ، ٢/ ١٤٢ .

(٢) سلطان الأندلس عبد الرحمن بن محمد المدعو : أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، قام بغزوات عديدة ، وفتح سبعين حصنًا ، توفي في رمضان ٣٥٠هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، ٨/ ٢٦٥ ، ١٥/ ٥٦٢ .

مُشرفًا على البساتين، صَفّحَ عُمُدَه بالذهب، ورصَّعه بالياقوت، واللؤلؤ، وفرشه بمنقوش الرخام، وصنع قدَّامه بحرةً مستديرة ملأها زئبقًا، فكان النور ينعكس منه إلى المجلس، وقعد في هذه القبة المزخرفة بالذهب والبناء البديع الذي لم يسبق إليه، وجلس عنده جماعة من الأعيان رؤوس دولته وأمراؤه، فقال لهم: هل بلغكم أن أحدًا بنى مثل هذا البناء؟ فقال له الجماعة: لم نرَ ولم نسمع بمثله، وجعل جميع من حضر يثنون على ذلك البناء ويمدحونه وأثنوا وبالغوا، ومنذر بن سعيد القاضي ساكت مطرق لا يتكلم. فالتفت إليه الملك وقال: ما تقول أنت يا أبا الحكم؟ فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته، وقال: والله ما كنت أظن يا أمير المؤمنين أن الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة، ولا أنك تمكِّنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضَّلك به على كثير من الناس، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين. فقال له الخليفة: انظر ما تقول وكيف أنزلني منازل الكافرين؟ فقال: قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١) فنكس الناصر رأسه طويلًا، وبكى، ثم قال: جزاك الله عنَّا خيرًا وعن المسلمين، وأكثر في المسلمين مثلك، الذي قلت هو الحق ثم قام عن المجلس وأمر بنقض سقف القبة، ونزع الذهب والجواهر (٢) .

الله أكبر ما أحكمه من موقف نُزِعَ بسببه الذهب والجواهر، وغُيِّر به المنكر، وتأثر به الخليفة!.

وقد خطب منذر بن سعيد خطبة عظيمة في يوم الجمعة عندما حضر الناصر في جامع

(١) سورة الزخرف ، الآيات ٣٣ – ٣٥ .

(٢) انظر : الكامل لابن الأثير ، ٧/ ٨٢ ، والبداية والنهاية ، ١١/ ٢٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ، ٨/ ٢٦٧-٢٦٨ و ١٦/ ١٧٧ .

الزهــراء[1] فأدخــل في خطبته قولــه- تعالى-: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾[2] واسترسل يقول: ولا تقولوا: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾ ﴾[3] .

وقد قيل: إن الناس ضجوا بالبكاء وتأثر الخليفة بهذه الخطبة.

فرحم الله المنذر ما أحكمه!: وجزاه الله خيرًا.

٢ – موقفه الحكيم في تأثيره على الناس:

أصاب الناس قحط في بعض السنين، فأمر القاضي: منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فصام أيامًا وتأهب. وقيل: إن عبد الرحمن الناصر هو الذي أمره بالاستسقاء للناس، فلما جاءته الرسالة قال للرسول: كيف تركت الملك؟ فقال: تركته أخشع ما يكون، وأكثره دعاءً وتضرعًا، ففرح منذر بن سعيد بذلك وأمر غلامه أن يحمل ما يَقِيهم من المطر، وقال. سُقِيتم والله إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء. ثم قال لغلامه: نادِ في الناس بالصلاة فجاء الناس إلى محل الاستسقاء، ثم خرج القاضي منذر، راجلًا، متخشعًا، ثم وصل المصلي وقام ليخطب، والناس ينظرون إليه يسمعون ما يقول، فلما رأى الحال بكى، وافتتح خطبته بقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[4] ثم أعادها مرارًا فضج الناس بالبكاء والنحيب والتوبة والإنابة،

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ، ١٦/ ١٧٧ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات ١٢٨-١٣٥ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٧٧ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٥٤ .

وقال: استغفروا ربكم، وتوبوا إليه، وتقربوا بالأعمال الصالحات لديه، فجأرُوا بالدعاء والتضرع، وخطب فأبلغ، فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم [(١)]

وأخبار هذا القاضي كثيرة حسنة جدًّا، ومنها: أنه استسقى مرةً فقال يهتف بالخلق: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ ﴾ [(٢)] فهذا الموقف من أعظم المواقف الإيمانية الحكيمة؟ لأن الداعية إذا صدق مع الله- تعالى- وتأثر بما يدعو إليه، تأثر الناس في الغالب؟ ولهذا صدق منذر ففتح الله له قلوب الناس، واستجاب الله لهم فأنزل عليهم الغيث بفضله وكرمه.

فحري بالدعاة إلى الله- تعالى- أن يسلكوا مسالك الحكمة في دعوهم إلى الله تعالى.

المطلب الثاني : مواقف سلطان العلماء العز بن عبد السلام :

العز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء [(٣)] له مواقف حكيمة كثيرة في دعوته إلى الله -تعالى-، فقد أزال بإنكاره الحكيم كثيرًا من المنكرات، وباشر تبطيل بعضها بنفسه، ومن ذلك: إبطاله كثيرًا من البدع المنتشرة: كصلاة الرغائب، وصلاة ليلة النصف من شعبان، وبدعة دق المنبر بالسيف [(٤)] وحكمته في بيع الملوك الأرقاء وصرف ثمنهم في بيت مال المسلمين [(٥)] وذوده الحكيم عن أموال المسلمين، ومن ذلك أن السلطان وعساكره-

---

(١) انظر : الكامل لابن الأثير ، ٧/ ٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ، ٦/ ١٧٦ ، والبداية والنهاية ، ١١/ ٢٨٩ .

(٢) سورة فاطر ، الآية ١٥-١٦ .

(٣) هو : عبد العزيز بن عبد السلام ، بن أبي القاسم ، الشافعي ، له مصنفات حسان ، جمع علومًا كثيرةً ، وأفاد الطلبة ، وولي خطابة دمشق ، ثم سافر إلى مصر ودرّس بها وخطب ، وحكم ، وأعز الله به الإسلام والمسلمين ، فلقبه شيخ الإسلام ابن دقيق العيد -تلميذه- بسلطان العلماء ، وسيرته -رحمه الله- مملوءةً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصح للملوك والسلاطين ، فلم تأخذه في الله لومة لائم . ولد -رحمه الله- سنة ٥٧٧هـ ، أو ٥٧٨هـ ، وتوفي -رحمه الله- في عاشر جمادى الأولى ، سنة ٦٦٠هـ ، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله . انظر : البداية والنهاية ، ١٣/ ٢٣٥ ، وطبقات الشافية لعبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، ٥/ ٨٠-١٠٢ ، والأعلام لخير الدين الزركلي ، ٤/ ٢١

(٤) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ، ٥/ ٨٠

(٥) انظر : المرجع السابق ، ٥/ ٨٤ ، وصفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، لسليم بن عيد الهلالي ، ص٣١ .

عندما دهمت التتار البلاد عقب وقعة بغداد- استشاروا الشيخ فقال: اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر، فقال السلطان: إن المال في خزانتي قليل وأنا أريد أن أقترض من التجار، فقال الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام وضربته سكةً ونقدًا، وفرقته في الجيش، ولم يقم بكفايتهم ذلك الوقت اطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا. فأحضر السلطان والعسكر ما عندهم من ذلك وامتثلوا أمره فانتصروا بإذن الله تعالى [1] .

ومن أعظم مواقفه الحكيمة التي تجلت حكمته فيها في دعوته إلى الله -تعالى- موقفه مع سلطان الديار المصرية: أيوب بن الكامل [2] فقد دخل سلطان العلماء مرةً إلى هذا السلطان في يوم عيد، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه وقد خرج على قومه في زينته، وأخذت الأمراء تُقبِّل الأرض بين يديه، والعز بن عبد السلام يرى هذا الموكب العظيم، فالتفت -رحمه الله- إلى السلطان، وناداه: يا أيوب ! ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوىء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟! فقال: هل جرى هذا؟ فقال العز: نعم الخانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون. فقال السلطان أيوب: يا سيدي! أنا ما عملته هذا في زمان أبي. فقال العز: أنت من الذين يقولون: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [3] فرسم السلطان بإبطال تلك الخانة ومنع بيع الخمور. ورجع العز منتصرًا مسرورًا؟ لتغيير هذا المنكر، وقال له بعض تلاميذه (الباجي): يا سيدي كيف الحال؟ فقال العز بن عبد السلام: يا بني رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه؟ لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. فقال له: يا سيدي! أما خفته؟ فقال. والله يا بني لقد استحضرت هيبة الله -تعالى- فصار

---

(١) انظر . طبقات الشافعية ، ٥/ ٨٣ .

(٢) هو الملك الصالح أيوب ، ابن السلطان الملك الكامل محمد بن العادل ، ولد سنة ٦٠٣ بالقاهرة ، وتوفي في ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـــ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، ٢٣/ ١٨٧-١٩٢

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٢٢

السلطان قدَّامي كالقط! [(١)]

الله أكبر ما أحكم هذا الموقف الذي بسببه أُزيلت أمّ المنكرات، وأم الخبائث، مع ما أُزيل معها من المنكرات الأخرى، وانتشار الخير بين الناس.

- فرحم الله العز بن عبد السلام، وجزاه الله خيرًا، ورفع درجته.

المطلب الثالث : من مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

خطواته الحكيمة في إصلاح الأمة والدفاع عن الكتاب والسنة

منذ نهاية القرن الرابع الهجري بدأت عوامل الضعف والانحلال تدب في كيان الأمة الإسلامية، وتوالت عليهم المحن والنكبات، فتعرضوا لموجات التتار من الشرق، والحروب الصليبية من الغرب، وبقيت بلاد الشام حوالي قرنين من الزمان تحت حكم الأوربيين، فاحتل الصليبيون دمشق وما جاورها سنة ٤٩١هـ، وبيت المقدس سنة ٤٩٢هـ، وظلت الحرب مستمرة بين المسلمين والإفرنج مدة طويلة، ثم احتل الإفرنج مدينة دمياط بمصر، وخرج التتار من أطراف الصين، فاحتلوا بلاد تركستان، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند، وبخارى، وغيرهما، ثم عبرت طائفة منهم إلى خراسان، وإلى حد العراق، ثم تمكن التتار عام ٦٥٧هـ أو ٦٥٦هـ من احتلال بغداد، وبذلك سقطت هيبة الخلافة الإسلامية، وانتهت الخلافة العباسية، وبعد ذلك احتل التتار بلاد الشام، ثم جاء بعد ذلك دور المماليك في القيادة الإسلامية [(٢)] .

ومن هذا يعلم أن شيخ الإسلام [(٣)] ظهر في عصر قد اضطربت فيه السياسة والحكم

---

(١) طبقات الشافعية ، ٥/ ٨١- ٨٢ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٠/ ٣١٧ ، و ١١/ ٩٨ ، ١٢/ ١٥٥ ، ١٢/ ١٥٦-٣٣٢ ، ١٣/ ١-٢٢٧ ، ١٤/ ٢-١٧٣ ، والتاريخ الإسلامي ، لمحمود شاكر ٦/ ٥-٣٤٥ ، ٧/ ١١-٣٢١ ، وشيخ الإسلام أحمد تقي الدين : جهاده ودعوته ، للشيخ أحمد القطان ومحمد الزين ص ٨ .

(٣) هو شيخ الإسلام وحافظ الدنيا المجتهد في الأحكام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي ، ولد بحران يوم الاثنين ١٠/ ٣ ٦٦١هـ ، وتوفي -رحمه الله- ليلة الاثنين ٢٠ من ذي القعدة ٧٢٨هـ ، انظر : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، ص١٤ ، والبداية والنهاية ، ١٤/ ١٣٥ .

وظهرت فيه انحرافات في العادات والتقاليد والسلوك والحياة، واشتدت فيه غربة الإسلام، وتفرقت كلمة المسلمين، وظهرت الفرق المخالفة لما كان عليه السلف الصالح في العقائد والفروع، وخيّم الجمود الفكري والتقليد الأعمى، فأثر في الجو العلمي، وظهرت فرق الشيعة، والصُّوفية المنحرفة والقبورية، ونفاة الصفات: كالجهمية والمعتزلة والقدرية، وطغى علم الكلام والفلسفة حتى حلَّا محلّ الكتاب والسنة لدى الأكثرية من المتعلمين في الاستدلال، هذا كله في داخل المجتمع الإسلامي في ذلك العصر، مع تكالب أعدائه من الخارج، فحصل من البلاء ما الله به عليم [(١)]

في هذا الجو المعتم عاش شيخ الإسلام، فكيف يعمل حتى يصلح هذه المفاسد ويظهر النور في هذه الظلمات؟ ما هو الموقف الحكيم الذي سلكه حتى أنار الله به الطريق لهذا المجتمع وألزمهم بالكتاب والسنة والإجماع وعقيدة السلف الصالح الصافية النقية؟

وبالنظر في ذلك نجد أن الشيخ -رحمه الله- وقف مواقف حكيمة لإظهار علم الكتاب والسنة، وقمع أهل البدع والأهواء.

ومن مواقفه في رفع وإزالة هذا البلاء الواقع ما يلي:

١- عنايته بالعلم قبل العمل:

عندما علم شيخ الإسلام أنه لا يزيل هذه الظلمات إلا نور علم الكتاب والسنة، بدأ بطلب العلم النافع، فتعلَّم وتفقَّه، وهذا مما يدل على حكمته، لأنه لا حكيم إلا بالعلم النافع، وفاقد الشيء لا يُعطيه.

٢- بث النور ونشر العلم ونفع الأمة:

بعد أن تسلَّح بسلاح علم الكتاب والسنة بدأ يبث النور بنشر العلم في هذا المجتمع المعتم، ويؤسس أركانًا من تلاميذه حتى يستفيد الناس، وكان يحضر المحافل ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يُحار منه أعيان البلد في العلم والمواقف الحكيمة في دعوته إلى الله.

مواقفه الحكيمة مع قازان وقوات التتار

---

(١) انظر : من مشاهير المجددين في الإسلام للدكتور صالح بن فوزان ، ص٥٢ .

٣ – مواقفه الحكيمة مع قازان وقوات التتار:

لم يقتصر الشيخ تقي الدين على طلب العلم النافع وتعليمه للناس، وترسيخ العقيدة في أذهانهم، وحثِّهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، بل قد قام بتطبيق ما يدعو إليه، ويرغب في ثوابه من الجهاد في سبيل الله –تعالى–، فقد هجم التتار على دمشق، وكانت حينئذ ولاية تابعة لسلطان المماليك في مصر، فجهَّز السلطان جيشًا ليرد التتار عن بلاد الشام، فكانت الوقعة بين الجيش وقوات " قازان " في ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩هـ، ولكن كانت الغلبة لجيشي التتار، وعادت عساكر السلطان إلى مصر، ودخل التتار إلى دمشق، وعاثوا في الأرض فسادًا، وحينئذ اجتمع الشيخ تقي الدين بأعيان البلد، واتفقوا على السير إلى قازان في يوم الاثنين الثالث من ربيع الثاني سنة ٦٩٩هـ [(١)] والتحدث إليه، فلما وصلوا إلى قازان قائد التتار في بلدة النبك، المجاورة لدمشق، قابله الشيخ، وطلب منه الأمان لأهل دمشق، ورد الأسرى من المسلمين وأهل الذمة، ثم تكلم معه كلام الأبطال الشجعان، فأنزل الله الرعب في قلب السلطان، وسأل: من هذا الشيخ؟ فإني لم أرَ مثله، ولا أثبت قلبًا منه، ولا أوقع منه حديثًا في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادًا لأحد منه، فأُخْبِر بما له وما هو عليه من العلم والعمل، ثم قال له الشيخ بواسطة الترجمان: "إنك تزعم أنك مسلم، ومعك قاض، وإمام وشيخ، ومؤذنون، فغزوتنا، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملا الذي عملت عاهدا فوَفَّيَا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، وجُرْت".

ثم قدم لهم قازان طعامًا فأكلوا، ولم يأكل ابن تيمية، فسئل عن ذلك؟ قال: كيف آكل من طعامكم، وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، فطلب منه قازان الدعاء، فقال في دعائه: "اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا؟ وليكون الدين كلّه لك، فانصره وأيده، وملّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياءً وسمعةً وطلبًا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا، وليذلِّ الإسلام وأهله، فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره "، وقازان يرفع يديه ويؤمن على دعائه. وقد خاف

(١) انظر : البداية والنهاية ١٤/ ٧ ، ١٤/ ١٠ ، ١٤/ ١٤

الناس على الشيخ القتل في هذا الموقف، ولكن الله أنزل الرعب في قلوب أعدائه [1]

وقد أجابه قازان إلى حقن دماء المسلمين، وبلغه ما أراد، ورد عليه الأسرى من المسلمين، فلم يقبل الشيخ حتى ردَّ جميع الأسرى من المسلمين ومن أهل الذمة من اليهود والنصارى، ثم رجع الشيخ مكرَّمًا معززًا، قد وفَّقه الله ونصره لحسن قصده وإخلاصه في نيته، فنفع الله به المسلمين وأعزَّهم ونصرهم [2] .

و لم يكن هذا الموقف هو الوحيد، بل له مواقف حكيمة ظهرت فيها شجاعته، منها حثّه السلطان على الجهاد، وذلك أنه ركب إلى مصر يطلب من السلطان أن يُرسل جيوشًا، أو يتخلى عن الشام ويولّي عليه ابن تيمية غيره، فأجابه السلطان وأرسل الجيوش، وذلك سنة ٧٠٠هـ ثم رجع الشيخ من مصر إلى الشام، ووصل في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ٧٠٠هـ، وحثَّ جميع الناس على الجهاد في سبيل الله، فوصلت الجيوش، ورجع جيش التتار، وعبر الفرات [3] وكفى الله المؤمنين القتال.

و لم يقتصر ابن تيمية على ما سبق، بل له مواقف أخرى تدل على بطولته وحكمته، فقد جاء التتار بجموعهم مرة أخرى بعد أن عبروا الفرات، فجاءُوا سنة ٧٠٢هـ وهجموا على الديار الشامية، فقام ابن تيمية وحثَّ سلطان مصر على الجهاد ورغَّب فيه، وحثَّ الناس أيضا ورغَّبهم في الجهاد في سبيل الله، ووعدهم بالنصر من الله ﷻ وكان يحلف بالله العظيم: إنكم في هذه الكرَّة منصورون. فيقول له الأمراء ومن معهم: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا. وكان يتأول قوله تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ ﴾ [4] وقد كان الله عند حسن ظنِّه به؟ فإنه كان يحلف لهذه الآية، وثقة بالله- تعالى- وأنه لا يخلف وعده، ثم

(١) البداية والنهاية ١٤/ ٨٩ ، وانظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، لمحمد البيطار ص٢٣-٢٥ .

(٢) انظر : الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لعمر بن علي البزار ، ص٧١-٧٤ .

(٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٥ ، ١٦

(٤) سورة الحج ، الآية ٦٠

التقى المسلمون بالتتار في يوم السبت الثاني من رمضان سنة ٧٠٢هـــ في وقعة "شقحب "، فامتد القتال من عصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد، واشترك ابن تيمية في المعركة بلسانه ويديه وسيفه، وبكل ما يملك من قوة وبلاغة في تثبيت الأمراء والجنود وجميع الجيش، وقد كان السلطان يقول لابن تيمية في هذه المعركة: يا خالد بن الوليد فيقول ابن تيمية: قل يا ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ﴾ [(١)] واشتدت المعركة، وحلف ابن تيمية للناس بالله الذي لا إله إلا هو إنكم لمنصورون، وأمر الناس بالإفطار، وأفطر هو أمامهم، ثم أنزل الله النصر على المسلمين، ثم هرب التتار، واقتحموا الجبال والتلول والآكام، وصاروا يتساقطون في الأودية، وهربوا ليلًا، وغرق منهم خلق كثير في الفرات بسبب الظلام، وعاد الشيخ ومن معه إلى دمشق في اليوم الخامس من رمضان سنة ٧٠٢هـــ، وقد نصرهم الله تعالى [(٢)]

وله مواقف بطولية فذة حكيمة مع السلاطين، تدل على صدقه وإخلاصه وشجاعته في الحق [(٣)] وقد ظهرت حكمة ابن تيمية – رحمه الله تعالى– أثناء لقائه مع التتار وقائدهم في النقاط الآتية:

١ – **طلبه الأمان لأهل دمشق** على دمائهم وأعراضهم وأموالهم، فأجابه قازان إلى ذلك.

٢ – **إصراره على رد جميع الأسرى** من المسلمين وأهل الذمة.

٣ – **جرأته وشجاعته** في الكلام مع قازان حتى أنزل الله الرعب في قلبه.

٤ – **تذكيره لقازان بنقضه للعهد**، ولا سيما وهو يدعي الإسلام.

---

(١) سورة الفاتحة ، الآيتان ٤ ، ٥ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ١٤/ ٢٢-٢٦ ، وأوراق مجموعة من حياة ابن تيمية ص٣٣ .

(٣) انظر موقفه مع الملك الناصر لدين الله في حياة ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار ص٢٥ ، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص٧٤ . وللشيخ مواقف أخرى في جهاده مع الباطنية سنة ٧٠٥هـــ في ثاني محرم ، فقد خرج إليهم مع نائب السلطان ، فهزمهم الله ، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا . انظر : ابن تيمية : جهاده ودعوته ، للقطان ص٥٠ .

٥ – **عدم أكله من الطعام الذي قدَّمه قازان**؛ لأنه من أغنام الناس المنتهبة، وقد أوقد عليه بما قطع من أشجارهم.

٦ – **دعاؤه الذي دلَّ على حكمته** وعدله ونصرته لدين الله تعالى.

٧ – **حثِّه سلطان المسلمين على الجهاد** في سبيل الله –تعالى–، أو يتخلَّى عن الشام، ويولِّي غيره ممن يحمي حوزة الدِّين ويذبّ عن أعراض المسلمين وأموالهم.

٨ – **حثه الناس على الجهاد وإقسامه** بأن الله سيترل النصر على المسلمين، وهذا يدل على ثقته بالله –تعالى– وبوعده وأنه لا يخلف الميعاد، ولهذا ازداد المسلمون شجاعةً وإقدامًا، فأنزل الله النصر، وهزم أعداء المسلمين.

٩ – **مشاركته الفعلية في الدفاع** عن المسلمين بلسانه ويده وسيفه.

١٠ – **قوله لسلطان المسلمين** حينما قال له عند اشتداد المعركة: "يا خالد بن الوليد "، فقال ابن تيمية: قل: يا ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝ ﴾ [(١)]

فرحم الله ابن تيمية وغفر له.

وهكذا ينبغي لكل داعية إلى الله أن يظهر من عمله ما يصدق قوله، رغبة فيما عند الله والدار الآخرة، وبذلك يفتح الله له قلوب العباد وأسماعهم، وتظهر دعوته إلى الله، ويظهر أثرها، وأثر إخلاص صاحبها مع الله عز وجل.

مناظراته الحكيمة التي أعز الله بها الإسلام

٤ – مناظراته الحكيمة:

من مواقفه الحكيمة مناظراته التي غلب فيها أخصامه وأعجزهم، وانقادوا له طوعًا أو كرهًا، فقد كان شيخ الإسلام على عقيدة السلف الصالح، ويعض على هذه العقيدة بالنواجذ، ويبذل جهده ووقته، وفكره في إرجاع جميع الطوائف المنحرفة إلى هذه العقيدة، ويرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٤ – ٥ .

أولها، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة ودوائها قديمًا وحديثًا.

وكان الشيخ -رحمه الله- شديد الانتصار لمذهب السلف والدفاع عنه بالحجج النقليّة والعقليّة، وقد عقدت له مناظرات في مصر والشام، كان معظمها يحوم حول هذه القضية [1] ومن هذه المناظرات على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

(أ) **المناظرة الأولى: في العقيدة الواسطية** التي كتبها لرضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي، حينما طلب منه بإلحاح أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته في مدينة واسط، فكتبها الشيخ، وانتشرت بين الناس، مما أدى إلى ثورة كثير من علماء الجهمية والاتحادية والرافضة، وغيرهم من ذوي الأحقاد، فسعى هؤلاء إلى السلطان في البلاد المصرية، فكتب السلطان إلى نائبه على بلاد الشام يأمره بجمع قُضاة المذاهب الأربعة، وغيرهم من نوابهم، والمفتين، والمشايخ، وعندما وصل الكتاب إلى أمير الشام جمع قضاة المذاهب الأربعة والعلماء، والشيخ تقي الدين في قصر الولاية بدمشق، وذلك يوم الاثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥هـ، ثم بدأ المجلس وقراءة العقيدة الواسطية من أولها، ومناقشة الشيخ ومناظرته بحضور الأمير، فناظرهم الشيخ، ورد عليهم، وبيّن لهم مذهب السلف الصالح، وأن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة وإجماع السلف، وصار يناظر أصحاب المذاهب، فكان أعلم بمذاهبهم منهم، وأعجزهم أمام الأمير، ثم انتهى المجلس الأول.

واجتمعوا للمجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة الثاني عشر من رجب سنة ٧٠٥هـ، وقد أحضر قضاة المذاهب الأربعة، معهم صفي الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلامًا كثيرًا، ولكن ساقيته لاطمت بحرًا عميقًا، ثم استلم من ناظره عقبه، فكان كالبحر الزاخر، حتى إن هؤلاء القضاة والعلماء عجزوا عن مناظرته؟ لأنه كان يرد عليهم بالكتاب والسنة والآثار عن السلف الصالح، وكان يلزمهم بالكتاب والسنة، ويدعوهم إلى التمسك بمذهب السلف الصالح، ويبين لهم أنه لم يضع هذه العقيدة

(١) انظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، لمحمد بهجة البيطار ص٢٧

من ذات نفسه، وليس لأحد أن يشرِّع للناس ما لم يأذن به الله، وإنما العقيدة تؤخذ من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف هذه الأمة، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ وجب على كل مسلم أن يُثبته لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، وما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ وجب نفيه عنه، لأنه تعالى أعلم بنفسه.

وانتهى هذا المجلس بعجز المجلس أمام الأمير عن ابن تيمية، فخرج الشيخ والناس يحملون له الشمع إلى مترله على عادقم في ذلك.

ثم عُقِد المجلس الثالث في اليوم السابع من شعبان سنة ٧٠٥هـ في القصر، واجتمع الجماعة كلهم على الرضى بالعقيدة الواسطية، وأخذ بعضهم يمدح الشيخ ويُثْنِي عليه، وكان هذا كله أمام رئيس المجلس نائب السلطان (١)

فأظهر الله الحق، وأبطل الباطل، وظهرت حكمة ابن تيمية أمام الجميع، فجزاه الله خير الجزاء.

(ب) المناظرة الثانية التي أعز الله بها أهل السنة وخذل بها أهل البدع والخرافات، وذلك أن الطائفة الأحمدية البطائحية (٢) كانوا يخالفون الشيخ تقي الدين في عقيدة السلف الصالح، وكان يأمرهم باتِّباع الكتاب والسنة، وينكر عليهم فعلهم وأحوالهم الشيطانية.

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة ٧٠٥هـ حضر هؤلاء المبتدعة في جموع هائلة إلى قصر نائب دمشق، يسألون نائب السلطان أن يكفَّ عنهم الشيخ ابن تيمية ومذهبه السلفي، وعندما رآهم الناس اجتمع عليهم جمٌّ غفير، ولكن الأمير لم يقبل منهم

---

(١) انظر المناظرة مطولة بالتفصيل في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/ ١٦٠-٢٠١ ، وحياة ابن تيمية ، لمحمد بهجة البيطار ص٢٧ ، والبداية والنهاية -بألفاظ مختصرة ومفيدة- ١٤/ ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) البطائحية : الطائفة المعروفة بالرفاعية ، نسبة إلى البطائح التي سكنها الشيخ أحمد الرفاعي ، ويقال لها أيضا : الرفاعية والأحمدية ، نسبة إلى لقبه أو اسمه : أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد ، المعروف بابن الرفاعي وكان رجلًا صالحًا فقيهًا شافعيًا ، ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية ، والترول في التنانير وهي نشتعل فيطفئونها . . . انظر : وفيات الأعيان ١/ ٧١ .

إلا بحضور الشيخ ومناظرته، فأرسل إليه ووصل، وسأله الأمير، فأخبره ابن تيمية أن هؤلاء من أهل البدع، وقد أفسدوا من دين المسلمين ما الله به عليم، وذكر له جميع ما يعرف عنهم، وأنه ينهاهم عن البدع وهم يأتون بأحوال شيطانية، ومنها دخولهم النار، واستعد الشيخ أنهم إن دخلوا النار في هذا اليوم فسيدخل معهم، ومن احترق فعليه لعنة الله، ولكن بعد غسل الأجسام بالخل والماء الحار؟ لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج، فإذا غسلت الأجسام بطلت الحيلة، وحضر شيوخهم الأكابر يطلبون من الأمير الإصلاح، والعفو عن الماضي والتوبة، واتباع الكتاب والسنة، فقبل منهم ابن تيمية، ولكن عارض شيخ آخر من الصوفية، فناظره ابن تيمية فغلبه أمام الجموع الغفيرة.

وتحداهم ابن تيمية في مشارق الأرض ومغاربها بأي شيء يصنعونه في النار من حيلهم فسيصنع مثلهم بشرط الغسل.

ولحكمة ابن تيمية قال: يكفي في ذلك قنديل يوقد داخل أصبع المناظر منهم وابن تيمية بعد الغسل، وعندما سمع الصوفية ذلك انهزموا أمام الجموع، وأقروا بالتزام الكتاب والسنة، وطلب ابن تيمية من الأمير أن يضرب عنق من خالف منهم الكتاب والسنة، فأعلن الأمير ذلك للناس، وأن من خالف الكتاب والسنة ضَرِب عنقه، وطلب الصوفية من الشيخ الكتب الصحيحة، فبذلت لهم، وتفرق الجميع على التوبة [(١)] وسُمِعَ الناسُ يقولون: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [(٢)] وهذا موقف حكيم يدل على حكمة الشيخ ابن تيمية وإخلاصه وصدقه مع الله، ولهذا تاب على يديه

(١) انظر : هذه المناظرة مطولة في مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٤٤٥-٤٧٥ ، وقد سقتها بالمعنى ، وانظر مناظرات أخرى في مواقف حكيمة أخرى مفيدة جدًّا ، في مجموع الفتاوى ١١/ ١٣٥-١٥٦ ، ومناظرة في العقيدة الحموية التي كتبها الشيخ سنة ٦٩٨هـ لأهل حماة في البداية والنهاية ١٤/ ٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .

هذا الجم الغفير، جعله الله في موازين حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذا ما يطمع فيه الداعية المخلص.

٥ – مواقفه في إصلاح أهل السجون:

ومن مواقفه الحكيمة ما فعله في السجون من أعمال حكيمة جبارة، وجهود مشكورة مُسدّدة، نفع الله بها الناس، وأنقذهم بها من الضلال إلى الهدى.

ومن هذه المواقف الحكيمة ما يأتي:

(أ) **عندما سجن في سجن القضاة بمصر**، في الثامن عشر من شوال سنة ٧٠٧هـ أخذ يعلم السُّجناء ويرشدهم ويعظهم بالأساليب الحكيمة، فهدى الله على يديه خلقًا كثيرًا، وقد كانت تأتيه الفتاوى المشكلة فيكتب عليها بما يُحَيِّر العقول من الكتاب والسنة.

(**ب–**) **وسجن في الإسكندرية** في أول يوم من ربيع الأول سنة ٧٠٩هـ فنزل بها ببرج متسع، فوجد بها منكرات عظيمة، فنفع الله به أهل الإسكندرية، فقد بيَّن لهم الحق وحذرهم من البدع والمنكرات.

(**ج**) **وسجن في قلعة دمشق مرات**، وآخر ذلك في ستة عشر من شوال سنة ٧٢٦هـ ففرح بذلك وقال: أنا كنت منتظرًا لذلك، وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة، وأقبل في هذه المدة على التلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين، وكتب في مسألة زيارة القبور البدعية، وبيَّن الزيارة الشرعية.

وكان –رحمه الله– داعيةً عظيمًا حكيمًا أينما كان، ولهذا كان لا يهمّه الإفراج عنه من السجن ما دام باستطاعته نشر العلم بقلمه ولسانه، ولهذا كان يقول: "ما يصنع أعدائي بي؟! إن جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي لا تفارقني، إن حَبْسِي خَلْوَة، وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة".

(**د**) **ومن أعظم ما يدل على حكمة** ابن تيمية وقوَّته في الحق وثباته عليه ما فعله في آخر حياته في سجن قلعة دمشق من كتابته بالفحم.

ففي التاسع من جمادى الآخرة سنة ٧٢٨هـ مُنِعَ الشيخ من جميع أدوات الكتابة،

وأرسلت جميع مسوداته وأوراقه إلى المكتبة العادلية، وكان ذلك في نحو ستين مجلدًا، فصار يكتب بالفحم، وقد كان ذلك له صدمة عنيفة آلمته كثيرًا، ولكنه ثبت واستخدم الفحم، وهذا يدل على قوة عزيمته، مع أنه ختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين مرة، ولكنه بعد هذه الصدمة لم يبق إلا يسيرًا، حيث مات رحمه الله يوم الاثنين في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ[1].

وبفضل الله -تعالى-، ثم بهذه الخطوات الحكيمة أنار ابن تيمية الأرض التي مشى عليها أمة محمد ﷺ فقد نشر علم الكتاب والسنة، وجاهد بلسانه ويده، وناظر وغلب جميع أخصامه، وعمل أعماله الحكيمة في السجون فحولها -بفضل الله- من بيئة فاسدة إلى بيئة صالحة مؤمنة، فجزاه الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

المطلب الرابع : مواقف الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

كانت حالة المسلمين قُبَيْل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [2] -رحمه الله- حالة لا يرضاها مؤمن، حيث كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد خاصة، وفي غيرها من بلاد المسلمين عامة.

لقد كان في بلدان نجد من الشرك الأكبر والأصغر ما الله به عليم، حيث عدل الناس إلى عبادة الأولياء والصالحين والمجانين: أحيائهم وأمواتهم، يستغيثون بهم في النوازل والحوادث، ويستعينون بهم على قضاء الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، وعبدوا القباب والأحجار والأشجار والغيران، واشتهر في نجد: السحرة والكهنة والعرافون،

(١) انظر : البداية والنهاية ١٤/ ٣٧-٩٧ ، ١٢٣-١٤٠ ، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص٧٣ ، وحياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار ص٣٤ ، ٣٥ ، وشيخ الإسلام جهوده ودعوته لأحمد القطان ومحمد الزين ص٧٠ .

(٢) هو شيخ الإسلام ، الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي ، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن قبل العاشرة من عمره ، ودرس على والده ، ثم حج وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف ، ثم زار المدينة ، وأخذ عن بعض علمائها ، ثم رجع إلى نجد وقصد البصرة ، وأخذ عن بعض علمائها ، ثم رجع إلى الأحساء وأخذ عن بعض علمائها ، ثم رجع إلى نجد ، ودعا إلى التوحيد الخالص فنفع الله به العباد ، وأنقذهم به من الشرك . توفي -رحمه الله- سنة ١٢٠٦هـ انظر : تاريخ نجد لحسين بن غنام ، ص٧٥ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون ، ١/ ٢٧ .

وسؤالهم وتصديقهم [١]

وكان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب ﷺ في قرية الجبيلة، يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوائب، وقضاء الحاجات.

وكانوا يزعمون أن في قريوة في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها، وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفًا ورهبةً، فتقرّبوا إليهم وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله! وكانوا يأتون في شعيب غبيرًا من المنكر ما لا يعهد مثله، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذب محض وبهتان مثَّله لهم إبليس، وفي أسفل الدرعية غار كانوا يرسلون إليه اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا، وكان عندهم رجل من الأولياء -في زعمهم- اسمه تاج، سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور، وتوجهوا إليه بالدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر.

وانتشر الشرك في الحرمين الشريفين، وفي الطائف، وجدة، ومصر، واليمن [٢]

فكيف يعمل محمد بن عبد الوهاب في إزالة هذه العظائم، وما هو موقفه الحكيم لتغيير هذه الشركيات والخرافات؟!

خطواته الحكيمة في إصلاح الأمة وتبديد الظلام:

عندما رأى الشيخ هذه المنكرات علم أنه لا يزيلها إلا قوة عظيمة، وعلم مبني على فَهْم الكتاب والسنة، وعند ذلك عمل الخطوات الحكيمة التالية:

١ – عنايته بالتوحيد وتطبيقه:

من أعظم خطواته الحكيمة أنه بدأ يتعلم التوحيد بأدلته من الكتاب والسنة، وطلب

---

(١) انظر : تاريخ نجد ، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ، للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١/ ١٠–٧٢ ، وعنوان المجد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر ، ١/ ١٩ ، والإمام محمد بن عبد الوهاب : دعوته وسيرته للعلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ص١٢ .

(٢) انظر : تاريخ نجد ، للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١/ ١٠–٧٨ ، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ١/ ١٩–٣٠ .

العلم النافع؛ لأنه السلاح الفتاك بهذه الشركيات [1] .

(١) انظر : بحوث الشيخ محمد بن عبد الوهاب لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٢٦٤ ، ١/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، والإمام محمد بن عبد الوهاب سيرته ودعوته لعبد العزيز بن عبد الله بن باز ص١٦ ، ١٨ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون ، للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البسام ١/ ٣١-٣٣ .

٢ - بدأ بدعوته في عشيرته:

بعد أن تسلح بسلاح العلم النافع ومعرفة أحوال الناس بدأ بدعوته في عشيرته في بلدة العيينة، وواصل طلب العلم، ورحل في طلبه، ثم رجع إلى حريملاء، وذلك -والله أعلم- سنة ١١٤٠هـ، لأن والده انتقل إليها سنة ١١٣٩هـ وأخذ يسلك طريق الحكمة في إزالة الشِّركِيات في الأقوال والأفعال، وتوفي والده سنة ١١٥٣هـ، فجهر بالدعوة وازداد نشاطه، وجلس للتدريس والإفادة وتقرير العقيدة وتثبيتها في نفوس أهل حريملاء، ونشر شرائع الإسلام وكاتب العلماء والأمراء، فكثر طلابه؟ ولكنه لم يجد قوة السلطان لدعم دعوة التوحيد [(١)] فسلك طريق الحكمة للبحث عن ذلك.

٣ - بحثه عن دعم قوة الدعوة بالسلطان:

عندما جرب الشيخ أهل حريملاء، ولم يرَ هناك من يقتلع أصول الشركيات، ولا من يحمي الداعية والدعوة حتى تنجح، ولا يمكن أن يُصلح هذه المجتمعات إلا معاول تهدمها، وأيدي سلطة تقلعها؟ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن [(٢)] ولذلك خرج الشيخ من حريملاء إلى العيينة، ونزل على أمير العيينة فأكرمه، وعرض عليه الشيخ دعوة التوحيد فقبلها، ونصر الشيخ ودعوته، وألزم الخاصة والعامة بامتثال أمر الله -تعالى-، فأعلن الشيخ دعوته، وهدم القباب على القبور، وقطع الأشجار، وكسر الأحجار التي يقصدها الناس بالعبادة، ولم يبق شجر، ولا حجر، ولا قُبّة على قبر، ولا وثن يعبد في البلاد التي تحت عثمان بن معمر، وأقيم حدّ الزنا، وعلت كلمة الحق.

ثم إن عثمان تخلى عن نصرة الشيخ بأمر من أمير الأحساء، فهاجر الشيخ إلى الدرعية، وعرض دعوته على محمد بن سعود فرحب به، وقبل دعوته، واستعدّ بنصره

---

(١) انظر : بحوث الشيخ لجامعة الإمام محمد بن سعود ١/ ٢٦٤ ، ١/ ١٠٤ ، ١٠٥

(٢) انظر : المرجع السابق ، ١/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٦٤

وما يدعو إليه، وذلك سنة ١١٥٨هـ [(١)] .

٤- غَرْس التوحيد في قلوب الناس وتصحيح عقيدهم:

بعد أن حقق الشيخ أمنيته العظيمة من وجود ما يدعّمه من قوة السلطان ووجود الأعوان، لقول عثمان ﷺ "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ".

وبعد أن رأى الأنصار والطلاب يفدون إليه في الدرعية، أخذ يغرس في نفوسهم أعظم سلاح، وأعظم قوة ينتصر بها على أعدائه: ألا وهي قوة التوحيد الخالص، والإيمان الكامل، لعلمه -رحمه الله- أن نصرة الحق تحتاج إلى إيمان قوي مبني على فَهْم الكتاب الكريم والسنة المطهّرة، كما تحتاج إلى دعم سلطان وسيف وسنان، يقمع به كل مارد شيطان [(٢)]

وهذا من أعظم مواقف الحكمة، فإنه عندما دخل الدرعية وجد أهلها في غاية الجهل، وقد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر كغيرهم، والتهاون بالصلاة والزكاة ورفض شعائر الإسلام، فجعل يتخولهم بالتعليم والموعظة الحسنة، ويُفهمهم معنى لا إله إلا الله، ويشرح لهم معنى الألوهية، وأن الإله هو الذي تُألِّهه القلوب: محبةً وخوفًا ورجاءً، وأن الإسلام هو الاستسلام لأمر الله -تعالى-، والانقياد له، والإذعان بالعبادة، والخضوع، والذل والإنابة، والتوكل، والرغبة، والرهبة. ويعلمهم أصول الدين والإسلام، وقواعده، ومعرفة نبيّهم، ونسبه، ومبعثه، وما دعا إليه، وهي لا إله إلا الله، وما تضمنته، وأنهم مبعوثون بعد الموت.

وأخذ على ذلك ما يقارب سنتين -بعد قدومه إلى الدرعية- وهو يغرس هذه الدعائم [(٣)] .

ومن أعظم ما غرس في نفوس المهاجرين إلى الدرعية من البلدان المجاورة والأنصار من

---

(١) انظر : عنوان المجد ١/ ٢١-٢٤ ، وتاريخ نجد لابن غنام ٧٨-٨١ ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته لأحمد بن حجر آل بو طامي ص٢٢ .

(٢) انظر بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٢١٨ ، ١/ ٢٥٨ .

(٣) انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، لابن بشر ١/ ٢٦ ، وتاريخ نجد "روضة الأفكار والأفهام . . . للعلامة المؤرخ حسين بن غنام ١/ ٨١ .

أهل الدرعية: هو تدريسه لهم جميعًا كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وغرسه في أذهانهم، وكان آل سعود: الأمير محمد وأبناؤه يحضرون دروس الشيخ صباحًا ومساءً، في المسجد، وفي البيت، والمجامع الخاصة، فأثمر ذلك قوة الإيمان في نفوس الدولة الجديدة من الأمير إلى أصغر واحد من المهاجرين والأنصار [1]

وعندما قام الشيخ بهذا الموقف العظيم الحكيم، واستقر في قلوبهم معرفة التوحيد وضده من الشرك بعد الجهالة والضلالة والعمى والظلام الدامس، بعد ذلك أُشْرِب حب الشيخ وما جاء به من التوحيد في قلوبهم، والتحم رابط المحبة في الله بين أهل الدرعية والمهاجرين إليهم فآووهم، وأصبحت هذه القوة قوة ضاربة قد رُبِّيت على التوحيد، والرغبة فيما عند الله، والدار الآخرة، ودُعِّمَت بقوة السلطان والسيف، والسنان، والحجّة والبرهان، وقُوّة البيان.

وحينئذ أصبح صاحب الدعوة لا يخشى إلا الله وحده سبحانه.

٥ – خطواته الحكيمة في الرجوع بالناس إلى الكتاب والسنة:

علم الشيخ أن الناس لا يصلحهم ولا يردهم إلى الحق الواضح والتوحيد الخالص إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [2] وتيقن أن الله سينصره إن هو قام بذلك: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [3] .

وعند ذلك سلك المسالك الآتية:

(أ) **جعل القواعد الأربع** التي قرر بها توحيد العبادة (**توحيد الألوهية**)، فبيَّن أن الله – تعالى– خلق الجن والإنس ليعبدوه وحده، والعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما

---

(١) انظر : إمام التوحيد؛ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الدعوة والدولة ، لأحمد القطان ومحمد الزين ص٤٥ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٩

(٣) سورة غافر ، الآية ٥١ .

أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة، ثم أوضح ذلك بهذه القواعد:

القاعدة الأولى: العلم بأن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله الخالق الرازق المدبر، و لم يدخلهم ذلك في الإسلام، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] .

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم إلا لطلب القربة والشفاعة، ومع ذلك حكم الله بكفرهم... ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [2] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [3] .

القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ و لم يفرق بينهم فدل ذلك على أن عبادة غير الله باطلة مهما تنوعت واختلفت.

القاعدة الرابعة: أن الشيخ حكم على مشركي زمانه أنهم أشد وأغلظ شركا من الأولين؟ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زمانه شركهم في الرخاء والشدة ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا

(١) سورة يونس ، الآية ٣١ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٣

(٣) سورة يونس ، الآية ١٨ .

هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] وهذا من المواقف الحكيمة والاستنباطات السديدة [2]

(ب) **بيَّن للناس وأرشدهم إلى ما به الفلاح والنجاح**، وجعل ذلك في أربع مسائل تسهل على كل مسلم فيحفظها، ويفهم معانيها، وفهمها من مقتضى الإسلام، وهي كالتالي:

المسألة الأولى: **العلم**، ثم بيَّن المراد به بأنه معرفة الله، ومعرفة النبي ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

المسألة الثانية: **العمل بالعلم**.

المسألة الثالثة: **الدعوة إليه**.

المسألة الرابعة: **الصبر على الأذى فيه**، وساق على ذلك أدلة من الكتاب الكريم [3]

(ج) **أرشد الناس، وبين لهم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة** أن يتعلم ثلاث مسائل، !العمل بهن:

المسألة الأولى: **أن الله خلق العباد ورزقهم**، ولم يتركهم هملًا؛ بل أرسل إليهم رسولًا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملَك مقرب، ولا نبي مرسل.

المسألة الثالثة: **أن من أطاع الرسول ﷺ ووحد الله** لا تجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٦٥ .

(٢) انظر : القواعد الأربع في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقائد ص١٩٧ ، مطبوعات الجامعة ، وانظر : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٣٣١ .

(٣) انظر : هذه المسائل الأربع مع أدلتها في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ص١٨٥ ، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ٣١٧ .

وذكر لكل مسألة دليلًا صريحًا [(١)]

(د) **بين الأصول الثلاثة** التي يجب على كل مسلم معرفتها، وهي: معرفة الله، والنبي ﷺ ودين الإسلام، بالأدلة من الكتاب والسنة لكل جزئية من هذه الأصول.

وقد جعل الأصل الثالث -وهو معرفة الدين- ثلاث مراتب: **الإسلام، والإيمان، والإحسان**، وبين أركان كل مرتبة من هذه المراتب، ومعاني ذلك كله، واستدل بالأدلة من الكتاب والسنة [(٢)] .

ثم صاغ هذه الأصول الثلاثة عن طريق السؤال والجواب، لتلقين عامة الناس لكي يرسخ الإيمان الكامل والعقيدة الصحيحة في قلوبهم [(٣)] .

(هـ) **لم يغفل الشيخ الفروع والاعتناء بالفقه**، بل قد أدى له جملة من الاهتمام، وقد ألزم نفسه -رحمه الله- أن يسير في دعوته على هدي الكتاب والسنة واعتنى بالقواعد الجامعة للأحكام، فوضع أربع قواعد تدور عليها جميع الأحكام، فقال رحمه الله:

"هذه أربع قواعد من الدين التي تدور عليها الأحكام، وهي من أعظم ما أنعم الله -تعالى- به على محمد ﷺ وأمته، حيث جعل دينهم دينًا كاملًا وافيًا، أكمل وأكثر علمًا من جميع الأديان، ومع ذلك جمعه لهم -سبحانه وتعالى- في ألفاظ قليلة، وهذا مما ينبغي التفطن له قبل معرفة القواعد الأربع... " [(٤)] .

واستدل على أن الله جمع ذلك للنبي ﷺ بقوله ﷺ ﴿ وأعطيت جوامع

(١) انظر : هذه المسائل الثلاث مع أدلتها في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ، ص٣٨٦ ، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لجامعة الإمام محمد بن سعود ١/ ٣١٥ .

(٢) انظر : الأصول الثلاثة مدعومة بالأدلة القطعية في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ص١٨٧ .

(٣) انظر تلقين العقيدة للعامة في القسم الأول من مؤلفات الشيخ في العقيدة والآداب الإسلامية ص٣٧٠ ، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/ ٣٤٦ .

(٤) انظر : القواعد الأربع في القسم الثاني من مؤلفات الشيخ ، الفقه ، المجلد الثاني ص٣ ، وبحوث أسبوع الشيخ ١/ ٢٢٦ ، ١/ ٢٧٢-٢٧٤ .

الكلم ﴾ [1] [2] وهو أن الله ﷻ جمع له المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة.

ثم ذكر القواعد التي تدور عليها جميع أحكام الدين:

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [3] .

القاعدة الثانية: أن كل شيء سكت عنه الشرع فهو عفو، لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه أو يكرهه، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [4] .

وقال ﷺ ﴿ وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها ﴾ [5]

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ، كالرافضة والخوارج، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ [6]

والواجب على المسلم اتباع المحكم، وإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ

(١) البخاري التعبير (٦٦١١) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٣) ، النسائي الجهاد (٣٠٨٩) ، أحمد (٤١٢/٢) .

(٢) البخاري مع الفتح في كتاب التعبير ، باب رؤيا الليل ١٢/ ٣٩٠ ، برقم ٦٩٩٨ ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١/ ٣٧١ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٣٣ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١٠١ .

(٥) أخرجه الدارقطني ٤/ ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، وقال النووي في الأربعين : حديث حسن .

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٧ .

مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ [1]

القاعدة الرابعة: أن النبي ﷺ ذكر أن ﴿ الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات ﴾ [2] [3] فمن لم يفطن لهذه القاعدة، وأراد أن يتكلم على مسألة مشتبهة بكلام فاصل فقد ضل وأضل.

فهذه ثلاث قواعد ذكرها الله في كتابه، والرابعة ذكرها النبي ﷺ وهذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب الذي يسمى علم السلوك، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام والأحكام، الذي يسمى علم الفقه، أو في علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين [4] .

ومما سبق يتضح للقارئ أن أهم الأصول التي أحياها الشيخ ودعا إليها واهتم بنشرها أكثر من غيرها كالتالي:

(أ) الرجوع بالإسلام وأهله إلى ما كان عليه الصدر الأول؟ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو التزام الكتاب والسنة لإجماع الأمة.

(ب) تخليص التوحيد مما شابه من الشرك، والوثنية [1]

(ج) إنكار التوسل الممنوع شرعًا؛ بالأنبياء والأولياء والصالحين، وتبيين التوسل

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٢) البخاري البيوع (١٩٤٦) ، مسلم المساقاة (١٥٩٩) ، الترمذي البيوع (١٢٠٥) ، النسائي البيوع (٤٤٥٣) ، أبو داود البيوع (٣٣٢٩) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٤) ، أحمد (٤/٢٧٠) ، الدارمي البيوع (٢٥٣١) .

(٣) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان ، باب من استبرأ لدينه ، ١/ ١٢٦ ، وكتاب البيوع ، باب الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما متشابهات ، ٤/ ٢٩٠ ، ومسلم ، كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، ٣/ ١٢١٩ ، وانظر : شرح النووي ١١/ ٢٧

(٤) انظر : هذه القواعد مع أدلتها بالتفصيل والأمثلة في القسم الثاني من مؤلفات الشيخ في الفقه ، المجلد الثاني ص٣ ، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ٢٢٦ ، ٢٧٢ .

(١) والتوحيد ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . والشرك شركان : أكبر يخرج من الملة ، وأصغر ، وخفي .

المطلوب والمسنون، وهو التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وبالأعمال الصالحة التي قام بها الداعي نفسه، وبطلب الدعاء من المسلم الصالح الحي القادر الحاضر.

(د) طرح البدع والخرافات والشعوذة وغيرها من المنكرات [1]

وبهذا كله أسس الشيخ مجتمعًا موحدًا مخلصًا قويًا في إيمانه وعقيدته [2] وما ذلك إلا بفضل الله وحده ثم بحكمة هذا الشيخ الجليل التي نفع الله بها العباد في هذه الجزيرة وغيرها.

٦ – كتابته الرسائل بأساليب الحكمة والبيان:

لم يغفل الشيخ تبليغ التوحيد بالقلم والرسائل، بل اعتنى بذلك كثيرًا، فقد قضى السنتين الأوليين من إقامته في الدرعية في مكاتبة العلماء والرؤساء والبلدان والقبائل المختلفة، بالإضافة إلى العناية بالتربية والتعليم والتوجيه وغرس الفضائل التي سبق بيانها.

وبدأ بأهل نجد، وكاتب أمراءها وعلماءها، فكاتب علماء الرياض وأميرها دهام بن دواس، وكاتب علماء الخرج وأمراءها وعلماء بلاد الجنوب، والقصيم، وحائل، والوشم، وسدير، والأحساء، وعلماء الحرمين الشريفين، وغير ذلك.

ولم يغفل البلدان الخارجية، فقد كتب لعلماء الشام، ومصر، والعراق، والهند، واليمن، وغير ذلك من البلدان، ولم يزل يكاتب الناس ويقيم عليهم الحجج، ويذكِّرهم ما وقع فيه أكثر الخلق من الشرك والبدع [1]

---

(١) ويمكن التفصيل في الأصول التي اعتنى بها الشيخ ودعا إليها أكثر من غيرها كالتالي : ١- توحيد العبادة . ٢- التوسل الجائز والمحرم . ٣- منعه شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة . ٤- منع البناء على القبور وإسراجها وكسوتها . ٥- توحيد الأسماء والصفات . ٦- إنكار البدع جميعها .

(٢) انظر : بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢/ ٣٠٣ ، ٢/ ٣١٧ ، ١/ ٣١١ ، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، القسم الأول : العقيدة والآداب الإسلامية ص٩ ، ٢٦٠ ، والشيخ محمد عبد الوهاب : عقيدته ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه؛ للعلامة أحمد بن حجر آل بو طامي ص٤٣-٤٧ .

(١) انظر : تاريخ نجد؛ لابن غنام ١/ ٨٢ ، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ١/ ٢٦ ، والإمام محمد بن عبد الوهاب : دعوته وسيرته ، لابن باز ، ص١٩ ، ٢٤ ، ٢٧ .

واصل الشيخ ليله ونهاره في نشر الدعوة، والوعظ والتدريس، وكتابة الرسائل العلمية المدعومة بالأدلة من الكتاب والسنة، وبالحجة والبرهان، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ولم يبدأ أحدًا بالعدوان، ورعًا منه، وأملًا في أن يهدي الله الضالين، إلى أن حكموا عليه وعلى أتباعه بالكفر، وأباحوا دماءهم وأموالهم، ولم يُثْبِتُوا دعواهم بحجّة من كتاب ولا سنة، مع رفضهم لعقيدة التوحيد، وعدم قبولها، ونصرهم الشرك وأهله [(١)]

٧ – آخر مواقف الحكمة: الجهاد بالسيف والسنان:

بعد أن بدأ أعداء التوحيد بتكفير الشيخ وإهدار دمه ومن تبعه، وبعد أن بين لهم الشيخ نواقض الإسلام بأدلتها من الكتاب والسنة [(٢)] فأعرضوا عن ذلك كله وكذبوا به، ورفضوا التوحيد، وحينئذ يكون آخر الطب الكي، فأمر الشيخ بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله، ولم يَنْقَدْ لشرع الله، ولم تنفع فيه الآيات البينات.

واستمرت الحروب سنين عديدة، وكان النصر –بإذن الله– حليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، فكانت القرى والعشائر تسقط واحدة تلو الأخرى بيده، فنشر الله الدعوة وأظهرها ونصرها، وقمع الباطل وأذل أهله الذين عارضوا التوحيد.

ثم توفي الشيخ –رحمه الله– يوم الاثنين آخر شهر شوال، سنة ١٢٠٦هـ، وله من العمر نحو ٩٢ سنة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء [(١)] فقد أنقذ الله بمواقفه الحكيمة هذه الجزيرة وما جاورها من الشرك، وبدل الظلام، وأنار البلاد بنور التوحيد الخالص.

وهكذا ينبغي لكل داعية يرجو الله واليوم الآخر أن يكون حكيمًا في مواقفه، ناصرًا

---

(١) انظر : الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية لأحمد بن حجر ، ص٢٦ ، وروضة الأفكار لابن غنام ١/ ٨٣ .

(٢) انظر : نواقض الإسلام في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ في : الرسائل الشخصية ص١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ .

(١) انظر : روضة الأفكار لابن غنام ١/ ٨٤ ، وعنوان المجد لابن بشر ١/ ٢٧ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون ١/ ٤٠ ، ٤٣ .

لدين الله، صابرًا محتسبًا مخلصًا، وبذلك يربح ويفوز في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

الفصل الثالث

حكمة القول مع المدعوِّين

تمهيد: إنزال الناس منازلهم.

المبحث الأول: حكمة القول مع الملحدين.

المبحث الثاني: حكمة القول مع الوثنيين.

المبحث الثالث: حكمة القول مع أهل الكتاب.

المبحث الرابع: حكمة القول مع المسلمين.

الفصل الثالث حكمة القول مع المدعوِّين

تمهيد: إنزال الناس منازلهم:

الداعية الحكيم هو الذي يدرس الواقع، وأحوال الناس، ومعتقداهم، وينزل الناس منازلهم، ثم يدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم وطبائعهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والاجتماعي، والوسائل التي يؤتون من جهتها، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله" [1] .

وذُكِرَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ﴿ أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنْزِلَ الناس منازلهم ﴾ [2] [3] وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" [4] .

وقد بيَّن النبي ﷺ ذلك للدعاة إلى الله عز وجل فقال لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن – داعيًا ومعلمًا وقاضيًا–: ﴿ إنك تأتي قومًا أهل كتاب ﴾ [5]... " الحديث [6]

فبين ﷺ لمعاذ عقيدة القوم الذين سوف يقدم عليهم حتى يعرف حالهم، ويستعد لهم، ويقدم لهم ما يناسبهم، وما يصلح أحوالهم.

وقال ﷺ لعائشة –رضي الله عنها–: ﴿ يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم بكفر

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/ ٢٢٥ .

(٢) أبو داود الأدب (٤٨٤٢) .

(٣) مسلم ، في المقدمة ، مع شرح النووي ، ١/ ٥٥ ، وسنن أبي داود مع العون ، ١٣/ ١٩١ .

(٤) مسلم ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/ ١١ .

(٥) البخاري الزكاة (١٤٢٥) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (١/٢٣٣) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب الزكاة ، باب : لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٣/ ٣٢٢ ، واللفظ له ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وشرائع الإسلام ١/ ٥٠ .

لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين: باب يدخل الناس، وباب يخرجون ﴾ [(١)] [(٢)] .

فترك ﷺ هذه المصلحة، لأمن الوقوع في المفاسد [(٣)]

فدراسة البيئة والمكان الذي تبلغ فيه الدعوة أمر مهم جدًّا، فإن الداعية يحتاج في دعوته إلى معرفة أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال ومواطن الانحراف معرفة جيدة، ويحتاج إلى معرفة لغتهم، ولهجتهم، وعاداتهم، والإحاطة بمشكلاتهم ونزعاتهم الخلقية، وثقافتهم، ومستواهم الجدلي، والشبه التي انتشرت في مجتمعهم، ومذاهبهم [(٤)] .

والداعية الحكيم يكون مدركًا لما حوله، مقدرًا للظروف التي يدعو فيها، مراعيًا لحاجات الناس ومشاعرهم، وكل أحوالهم.

والداعية إلى الله -تعالى- لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه ولا مسددًا في قوله وفعله حتى يعرف من يدعوهم، وهل هذا المجتمع من المسلمين العصاة، أو من المسلمين الذين انتشرت فيهم البدع والخرافات؟ هل هذا المجتمع من أهل الكتاب؟ فإذا كانوا منهم، فهل هم من اليهود أم من النصارى؟ هل هذا المجتمع من الملحدين الطبيعيين والماديين والدهريين؟ أم من الوثنيين المشركين.

فإذا عرف الداعية هذا كله، فكيف يدعو كل فئة من هذه الفئات بالحكمة؟ وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار

---

(١) البخاري العلم (١٢٦) ، مسلم الحج (١٣٣٣) ، الترمذي الحج (٨٧٥) ، النسائي مناسك الحج (٢٩١٠) ، أبو داود المناسك (٢٠٢٨) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٥٥) ، أحمد (١٧٦/٦) ، مالك الحج (٨١٣) ، الدارمي المناسك (١٨٦٩) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب العلم ، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ١/ ٢٢٤ .

(٣) قال ابن حجر -رحمه الله تعالى- يستفاد منه ترك المصلحة؛ لأمن الوقوع في المفسدة ، وترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه . انظر : فتح الباري ١/ ٢٢٥ .

(٤) انظر : شرح الإمام النووي على مسلم ١/ ٧٦ ، ١٩٧ ، وفتح الباري ١/ ٢٢٥ ، وكيف يدعو الداعية لعبد الله ناصح علوان ص٧ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ١٥٥ ، وزاد الداعية إلى الله للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٧ .

الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهكذا، فالداعية الحكيم كالطبيب الحكيم الذي يشخص المرض، ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه، مراعيًا في ذلك: قوة المريض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو يقطع شيئا من أعضائه، من أجل استئصال المرض طلبًا لصحة المريض، وهكذا الداعية الحكيم يعرف أمراض المجتمع، ويحدد الداء، ويعرف الدواء، وينظر ما هي الشبه والعوائق فيزيلها، ثم يقدم المادة المناسبة بدءًا بأمور العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة.

وبناء على ما تقدم يكون من الحكمة تقسيم هذا الفصل إلى مباحث حسب أحوال الناس، وبيان كيفية دعوتهم بالحكمة القولية كالتالي:

المبحث الأول: حكمة القول مع الملحدين.

المبحث الثاني: حكمة القول مع الوثنيين.

المبحث الثالث: حكمة القول مع أهل الكتاب.

المبحث الرابع: حكمة القول مع المسلمين.

المبحث الأول: حكمة القول مع الملحدين

تمهيد:

المطلب الأول: الأدلة الفطرية.

المطلب الثاني: البراهين والأدلة العقلية.

المطلب الثالث: الأدلة الحسية المشاهدة.

المطلب الرابع: الأدلة الشرعية.

المبحث الأول حكمة القول مع الملحدين

تمهيد:

الإلحاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمِراء، يقال: لحد في الدين لحدًا، وألحدَ إلحادًا، لمن مال وعدل وماري وجادل وظلم [1]

واللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؟ لأنه قد أميل عن وسط القبر إلى جانبه [2]

والإلحاد: هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط الله والمعاكس لحكمه يسمى ملحدًا [3]

والمراد بالملحدين في هذا المبحث: هو المعنى المصطلح عليه في هذا العصر، وهم: من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة –وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمتها الإنسان– من أثر التطور الذاتي للمادة [4]

وسأتناول في هذا المبحث –بعون الله تعالى– كيفية حكمة القول في الدعوة إلى الله مع هؤلاء الملحدين الماديين الطبيعيين والدهريين في المطالب التالية:

المطلب الأول: الأدلة الفطرية على وجود الله تعالى وربوبيته.

المطلب الثاني: البراهين والأدلة العقلية.

المطلب الثالث: الأدلة الحسية المشاهدة.

المطلب الرابع: الأدلة الشرعية.

---

(١) انظر القاموس المحيط ، فصل اللام باب الدال ص١٠٤ ، والمعجم الوسيط مادة "لحد" ٢/ ٨١٧ ، ومختار الصحاح ، مادة "لحد" ص٢٤٧ ، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٥١٨ ، ٢/ ٢٦٨ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٤/ ٢٣٦ .

(٣) انظر : الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ، للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ، ص٤٠ .

(٤) انظر : كواشف زيوف المذاهب المعاصرة ، لعبد الرحمن الميداني ، ص٤٠٩ .

المطلب الأول: الأدلة الفطرية:

الفطر: الشق، والجمع منه فطور [١] قال تعالى: ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ﴾ [٢] وفطر الله العالم. أوجده ابتداءً [٣] وفطر الخلق: خلقهم وبدأهم [٤] ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [٥] والفطرة: الخلقة التي خلق عليها كل موجود أول خلقه [٦] والخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، والدين [٧] والطبيعة السليمة التي لم تُشَبْ بِعَيْب [٨] قال الرسول ﷺ ﴿ ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء [٩] هل تحسون فيها من جدعاء؟ ﴾ [١٠] ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [١١] .

فمن حكمة القول مع الملحدين أن يستخدم الداعية إلى الله -تعالى- في دعوته لهم

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة: فطر ٢/ ٦٩٤، ومختار الصحاح مادة: فطر ص٢١٢ .

(٢) سورة الملك، الآية ٣

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مادة فطر ٢/ ٦٩٤

(٤) انظر: القاموس المحيط، فصل الفاء، باب الراء ص٥٨٧

(٥) سورة الأنعام، الآية ٧٩

(٦) انظر: المعجم الوسيط، مادة فطر ٢/ ٦٩٤ .

(٧) القاموس المحيط، فصل الفاء، باب الراء ص٥٨٧ .

(٨) انظر: المعجم الوسيط، مادة فطر ٢/ ٦٩٤

(٩) يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئًا من العيب، لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلًا، فخرج عن الأصل وهو تشبيه واقع ووجه واضح. انظر: فتح الباري ٣/ ٢٤٩ .

(١٠) البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ٣/ ٢١٩، وأخرجه في عدة مواضع انظرها: ٣/ ٢١٩، ٢٤٩، ٨/ ٥١٢، ١١/ ٤٩٣، وأخرجه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/ ٢٠٤٧

(١١) سورة الروم، الآية ٣٠ .

الأدلة الفطرية، فيوضح ويبين لهم أن المولود يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنها من يعدل؛ لآفة من آفات الشر والتقليد.. وكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحدًا إلا وهو يقر بأن له صانعًا وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره [(١)] .

والمقصود بفطرة الله التي فطر الناس عليها: فطرة الإسلام [(٢)] والسلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة؛ فإن حقيقة الإسلام هو الاستسلام لله وحده.

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثل ذلك فقال: ﴿ كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ﴾ [(٣)].

فأوضح أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ [(٤)].

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالى-: ﴿ إني خلقت عبادي حُنَفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتَالَتْهُم عن دينهم، وحرَّمَت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا ﴾ [(٥)] [(٦)].

وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية الفطرة مع الحق بمثل يوضح ذلك، فقال: "ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تَهَوُّدٍ وتنصّر وتمجّس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك كل ذي حس سليم يحب الحلو، إلا أن يعرض في طبيعته

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/ ٤٥٧ ، وفتح الباري ٣/ ٢٤٨-٢٥٠ .

(٢) وقد جزم بذلك البخاري فقال : والفطرة الإسلام . انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، باب لا تبديل لخلق الله ٨/ ٥١٢

(٣) البخاري الجنائز (١٢٩٢) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٢/٢٧٥) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

(٤) انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٢٤٥ ، وفتح الباري ٤/ ٢٤٥ .

(٥) مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥) ، أحمد (٤/١٦٢) .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/ ٢١٩٧ .

فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مُرًّا" [1]

وليس المراد بقوله ﷺ ﴿ يولد على الفطرة ﴾ [2] أنه خرج من بطن أمه يعلم الدين ويعتقد الإسلام بالفعل؟ لأن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [3] .

ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته، وقبوله وإرادته للحق، وإقراره بالربوبية، فلو خلّي من غير معارض ومن غير مغيِّر لما كان إلا مسلمًا و لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه صارف، ومن ثم شُبِّهت الفطرة باللبن، فهي تستلزم معرفة الله ومحبته وتوحيده [4] .

ويدل على ذلك رواية مسلم: ﴿ ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه ﴾ [5] [6] .

وقد أخبر الله ﷻ أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾ الآية [1] .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن كل إنسان قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٧٥ ، والفتاوى لابن تيمية ٤/ ٢٤٧ .

(٢) البخاري الجنائز (١٢٩٢) ، مسلم القدر (٢٦٥٨) ، الترمذي القدر (٢١٣٨) ، أبو داود السنة (٤٧١٤) ، أحمد (٢/٢٧٥) ، مالك الجنائز (٥٦٩) .

(٣) سورة النحل ، الآية ٧٨ .

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم ١٦/ ٢٠٨ ، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ٢٤٧ ، ١٦/ ٣٤٤ ، ٤/ ٢٤٩ ، وفتح الباري ٣/ ٢٤٨- ٢٥٠ .

(٥) مسلم القدر (٢٦٥٨) .

(٦) مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى : كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٠٤٨ .

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

أو تعليم [1].

ومما يبين ذلك ويوضحه أن العاقل إذا رجع إلى نفسه وعقله أدنى رجوع عرف افتقاره إلى الخالق –تعالى– في تكوينه وبقائه وتقلبه في أحواله [2] وإذا نظر إلى الخلائق علم فقرهم كلهم إلى الخالق في كل شيء؛ فقراء إليه في الخلق والإيجاد، وفي البقاء والرزق والإمداد، وفقراء إليه في جلب المنافع ودفع المضار.

فانظر إلى حالة الناس إذا كربتهم الشدائد، ووقعوا في المهالك، وأشرفوا على الأخطار، كيف تجد قلوبهم معلقة بالله، وأصواتهم مرتفعة بسؤاله، وأفئدتهم تنظر إلى إغاثته، لا تلتفت يمنةً ولا يسرةً إلا إليه [3].

ومما يزيد ذلك وضوحًا أن الخلق متى شاهدوا شيئًا من الحوادث المتجددة كالرعد والصواعق، والبرق والزلازل، والبراكين المتفجرة الثائرة، والريح الشديدة، وانهمار الأمطار الغزيرة، وفيضانات الأنهار، واضطراب الأمواج في البحار والمحيطات، متى شاهدوا ذلك دعوا الله وسألوه، وافتقروا إليه، لأنهم يعلمون أن هذه الحوادث المتجددة لم تتجدّد بنفسها، بل لها محدث أحدثها، وإن كانوا يعلمون هذا في سائر المحدثات؛ لكن ما اعتادوا حدوثه صار مألوفًا لهم، بخلاف المتجدّد، ولو لم يكن إلا خلق الإنسان، فإنه من أعظم الآيات، فكل يعلم أنه لم يحدث نفسه، ولا أبواه أحدثاه، ولا أحد من البشر أحدثه، ويعلم أنه لا بد له من خالق خلقه، وأن هذا الخالق موجود، حي، عليم، قدير، سميع، بصير، حكيم، حفيظ [1] ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [2] وقال –سبحانه– تذكيرًا لهذا

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٢ ، ٣/ ٤٣٣ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٨٧ ، وجامع الرسائل لابن تيمية ١/ ١١ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٢/ ٣٣٧ .

(٢) انظر . كتاب الداعي إلى الإسلام لعبد الرحمن الأنباري ص٢١١ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ١١٣ .

(٣) انظر : الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ص٢٥١ ، ٢٥٢ .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٢١ .

الإنسان الجاحد: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [1]

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [2] .

فبين هذا أن الناس إذا غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء، لعلمهم الفطري أن الله الذي يكشف الشدائد، ولا ملجأ منه إلا إليه، فيسألونه بلسان المقال ولسان الحال، فهل هذه الأمور تحصل إلا لأن الخليقة مفطورة على الاعتراف بربوبية الله ووحدانيته، وأنه النافع الضار وملكوت كل شيء بيده، إلا من فسدت فطرته بالعقائد الفاسدة [3].

المطلب الثاني : البراهين والأدلة العقلية

إذا كان الماديون والطبيعيون والدهريون يتظاهرون بإنكار وجود الله –تعالى–، فإن من الحكمة في دعوة هؤلاء إلى الله –تعالى– أن تقدم لهم البراهين والأدلة العقلية القطعية في المسالك الآتية:

المسلك الأول: التقسيم العقلي الحكيم.

المسلك الثاني: العدم لا يخلق شيئا.

المسلك الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة.

المسلك الرابع: الصدفة العمياء لا تملك حياة.

المسلك الخامس: المناظرات العقلية الحكيمة.

المسلك السادس: مبدأ السببية.

المسلك السابع: التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع.

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٦٧

(٢) سورة النحل ، الآية ٥٣ .

(٣) انظر : الرياض الناضرة ص٢٥٢ ، وعقيدة المسلمين للبليهي ١/ ٧٠ ، وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن عثيمين ص١٥ .

المسلك الأول: التقسيم العقلي الحكيم:

يُستدل على كل من أنكر وجود الله -تعالى- وربوبيته بأمر لا يمكنهم إلا التسليم للحق والانقياد له، أو الخروج عن موجب العقل إلى الجنون والفطر المنحرفة، فيقال لكل من أنكر ذلك:

الأمور الممكن تقسيمها في العقل ثلاثة لا رابع لها:

١ - **إما أن توجد هذه المخلوقات** بنفسها صدفة من غير محدث ولا خالق خلقها، فهذا محال ممتنع تجزم العقول ببطلانه ضرورة، وتعلم يقينًا أن من ظن ذلك فهو إلى الجنون أقرب منه إلى العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير موجد ولا محدث، فلا بد لكل حادث من محدث، ولا سبيل إلى إنكار ذلك، فإن وجود الشيء من غير موجد محال وباطل بالمشاهدة والحس والفطرة السليمة.

٢ - **وإما أن كون هذه المخلوقات** الباهرة هي المحدثة الخالقة لنفسها، فهذا أيضا محال ممتنع بضرورة العقل، وكل عاقل يجزم أن الشيء لا يحدث نفسه ولا يخلقه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟!

فإذا بطل هذان القسمان عقلًا وفطرةً وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث:

٣ - **وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها**: علويها وسفليها، وهذه الحوادث لا بد لها من محدث ينتهي إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله العظيم الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبّر للأمور كلها [(١)] ولهذا ذكر الله -تعالى- هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي فقال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(٢)] ولذلك تأثر جبير بن مطعم بسماعها من النبي ﷺ تأثرًا عظيمًا، قال رضي الله عنه « سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ٦٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ١١٣، والرياض الناضرة للسعدي ص٢٤٧، وتفسير السعدي ٧/ ١٩٥، وأضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٣٦٨، وشرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح عثيمين ص١٥.

(٢) سورة الطور، الآية ٣٥

بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧ ﴾ (١) كاد قلبي أن يطير" (٢) "وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي ﴾ (٣).

فالمخلوق لا بد له من خالق، والمصنوع لا بد له من صانع، والمفعول لا بد له من فاعل، وهذه قضايا بدهية جلية واضحة، يشترك في العلم بها جميع العُقلاء، وهي أعظم القضايا العقلية، فمن ارتاب فيها أو شك في دلالتها فقد برهن على ضلاله، واختلال عقله (٤).

المسلك الثاني: العدم لا يخلق شيئا:

من القواعد العقلية التي ينبغي للداعية إلى الله أن لا يغفلها في دعوته مع الملحدين قاعدة: العدم لا يخلق شيئا، فالعدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئا، لأنه غير موجود.

وإذا تأمل العاقل في المخلوقات التي تولد في كل يوم، من إنسان وحيوان، وتفكر في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار، وليل ونهار، وما يجري في كل حين من حركات منتظمة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، إذا تأمل العاقل في هذا وغيره من التغيرات المحكمة التي تجري في الوجود في كل لحظة، فإن العقل يجزم بأن هذا كله ليس من صنع العدم، وإنما هو من صنع الخالق الموجود سبحانه وتعالى (٥).

---

(١) سورة الطور ، الآيات ٣٥ – ٣٧ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة الطور ، باب حدثنا عبد الله بن يوسف ٨/ ٦٠٣ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب حدثني خليفة ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ٧/ ٣٢٣ .

(٤) انظر : الرياض الناضرة لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ص٢٤٧ ، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم؛ للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص١٣٨ .

(٥) انظر : حاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب ، بقلم عبد الرحمن بن قاسم ص٢٩ ، والإيمان للزنداني مع مجموعة من العلماء ص٢١ ، وكتاب التوحيد للزنداني ١/ ٢١ .

المسلك الثالث: الطبيعة الصماء لا تملك قدرة، وفاقد الشيء لا يعطيه:

من المعلوم عند جميع العقلاء أن الذي لا يملك مالًا لا يسأل الناس منه المال، والجاهل لا يأتي منه العلم؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فمن زعم أن الطبيعة [1] خلقته أو خلقت شيئا فقد خالف العقل وحارب الحق، لأن الكون يشهد أن خالقه حكيم عليم خبير، هاد رزَّاق، حافظ رحيم، واحد أحد، والطبيعة الجامدة لا تملك مثقال ذرة من ذلك.

ومن العجيب أن كل من زعم أن الطبيعة تخلق شيئًا فقد خالف مقتضى العقول؛ لأن الطبيعة لا تملك خبرة، ولهم خبرة، ولا تملك إرادة، ولهم إرادة، ولا تملك علمًا، ولهم علم! أمَا علموا أن فاقد الشيء لا يُعطيه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ ﴾ [2] فلا بد أن يكون الخالق كاملًا كمالًا مطلقًا، بحيث يكون:

١- مستغنيًا عن غيره.

٢- ويكون أولًا ليس له بداية.

٣- وآخرًا ليس له نهاية.

٤- لا يحدّه زمان.

٥- لا يحده مكان.

٦- قادرًا على كل شيء.

٧- عالمًا بكل شيء، ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وهذه الخصائص لا يمكن أن تكون إلا لله الكامل من كل الوجوه، وبذلك يسقط -

---

(١) الطبيعة عند الماديين بمعنى المادة ، والمادة بمعنى الطبيعة ، وهي هذه المخلوقات بما هي عليه من صفات . انظر : موقف الإسلام من نظرية ماركس ، لأحمد العوايشه ص١٢٨ ، والإيمان للزنداني ص٣٦ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٧٣

بحمد الله تعالى- قول الماديين؛ لأن المادة لا تتصف بشيء من ذلك [1].

المسلك الرابع: الصدفة العمياء لا تملك حياة:

يعتقد الملحدون بالصدفة [2] وهي أن جميع الأشياء والمخلوقات تم تكوينها على ما هي عليه بطريق الصدفة، والمقابلة، وليس ذلك بطريق القصد والإرادة والتدبير.

ومن حكمة القول مع هؤلاء أن يُقال لهم: من أين حصل لهذا العَالَم هذا النظام العجيب، والترتيب الحكيم الذي حارت فيه العقول؟ كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والمصادفة ومجرد البخت؟ وكيف اجتمعت تلك الأجزاء على اختلاف أشكالها، وتباين مواردها وقواعدها، وكيف حفظت وبقيت على تآلفها، وكيف تجدّدت المرة بعد المرة؟!

إن مثل من يقول أو يعتقد أن هذا النظام والإبداع والإتقان وُجِدَ بطريق الصدفة لا غير، كمثل من وضع حروف الهجاء: أ، ب، ت...، في صندوق ثم جعل يحركه طمعًا منه أن تتألف هذه الحروف من تلقاء نفسها، فيتركب منها قصيدة بليغة، أو كتاب دقيق في الهندسة، أليس ذلك من السفه المبين ونقص العقل؟! فإنه لو داوم على تحريك هذا الصندوق السنين والدهور لم يحصل إلا على حروف.

ومثله كمن يقول: إن رجلًا أعمى غرزت له إبرةً في لوحة، وأُعطِي ألف إبرة، وقيل له: ارم هذه الإبر واحدة بعد الثانية، لتدخل الإبرة الأولى في ثقب الإبرة المغروسة في اللوحة، وتدخل الإبرة الثانية في ثقب الأولى، والثالثة في ثقب الثانية، وهكذا بطريق الصدفة، حتى دخلت كل الإبر في بعضها بطريق الصدفة، فهل عاقل يصدق بهذه العملية والتي قبلها؟ لا يمكن أن يُصدّق عاقل بهذا، لأنه من قبيل المستحيل الذي لا تقبله العقول ولا تُقرّه، فكيف يُصدّق عاقل أن الكون كله بما فيه من إبداع وتنظيم في كل ذرة من

---

(١) انظر . موقف الإسلام من نظرية ماركس ، لأحمد العوايشه ص١٢٥ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ومذكرة في العقيدة الإسلامية للدكتور ناصر بن عقيل الطريفي ص٩ .

(٢) الصدفة في اللغة : يقال : صادفه مصادفة : لقيه ووجده من غير موعد ولا توقع . انظر : المعجم الوسيط ، مادة : صدف ٢/ ٥١٠ .

ذراته وُجِدَ بطريق الصدفة؟

إن مخلوقًا يُصدّق بهذه التخيلات لمجنون قطعًا، لا تصلح نسبته إلى العُقلاء، ولا يُذكر في عدادهم أبدًا ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [1].

وهذا فيه دلالة عقلية قاطعة على أن الله هو الخالق لكل شيء، وأن الصدفة لا وجود لها ولا تصرف في مخلوقات الله -تعالى-، وبهذا تبطل شبه أهل الإلحاد والعناد الذين قالوا بالصدفة، ولله الحمد [2].

المسلك الخامس: المناظرات العقلية الحكيمة:

من الحكمة في دعوة الملحدين والطبيعيين الماديين أن يناظروا بالمناظرات العقلية الحكيمة التي توضح لهم الحق، وتجعلهم يسلمون ويقرون بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل.

ومن المناظرات التي أفحم بها المسلمون الملحدين ما ذُكِر عن أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- أنه اجتمع بطائفة من الملحدين وناظرهم فغلبهم، ورجعوا على أنفسهم بالملام، وقيل: إنهم رجعوا إلى الحق وأسلَمُوا على يديه [3] .

المسلك السادس: مبدأ السببية:

إن الواقع والعقول السليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يُشاهد أن حادثًا حدث من غير سبب، أو أن شيئًا وُجِد من غير موجد، حتى أصبح هذا المعنى بحكم الواقع لا يتصور العقل خلافه، ولا يأبى الإقرار به إلا عقل مفقود أو مريض كشأن المعتوهين، أو عقل قاصر كشأن الطفل الذي يكسر الإناء ثم يقول: إنه انكسر بنفسه [1].

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ١٠ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٩ ، والإسلام يتحدى ، لوحيد الدين خان ص٦٥ ، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص٣٤ ، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص١٤٢ .

(٣) سبقت هذه المناظرة بتمامها في مواقف أبي حنيفة ، ص٢٨٨ ، وانظر : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢٧ ، والرياض الناضرة لسعدي ص٢٥٨ ، وعقيدة المسلمين للبليهي ١/ ١٢٣ ، ومنهاج الجدل ص١٣٩ .

(١) انظر : موقف الإسلام من نظرية ماركس ص٢٨٤-٢٨٨ .

ولذلك أدرك الأعرابي هذه السببية عندما سُئِل: ما الدليل على وجود الرب؟ فقال: سبحان الله، إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبِحار ذات أمواج، ليل داج، وهار ساج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير [1].

فكل مخلوق لا بد له من خالق، وكل أثر لا بد له من مؤثر، وكل محدث لا بد له من محدث، وهذا هو قياس الشمول.

أما قياس التمثيل فكقول: هذا محدث فيحتاج إلى محدث [2].

وبناء على هذه القاعدة فعالمنا هذا، من أرض وسماوات، وإنسان وحيوان، وليل وهار، وشمس وقمر، لا بد له من محدث، ثم إن هذا العالم لا يبقى إلا بسبب يحفظه ويبقيه، كما أنه لم يحدث إلا بسبب أحدثه، وهذا لا يقدر عليه إلا الله الواحد القهار [3] .

المسلك السابع: التفكر في المصنوع يدل على بعض صفات الصانع:

من القواعد التي يُردّ بها على الملحدِين قاعدة التفكر في المصنوع يدلّ على بعض صفات الصانع؛ لأن كل شيء يوجد في المصنوع يدل على قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصانع.

ومن هنا نعلم أن التفكر في المخلوق يدل على بعض صفات الخالق.

إذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله -تعالى- وربوبيته: تفكر في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، فكسيت العظام لحمًا، حتى صرت بشرًا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما يضطرك هذا التفكر والنظر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما

---

(١) انظر : الرياض الناضرة ص٢٥٨ ، ومنهاج الجدل في القرآن الكريم ص١٣٩ ، وموقف الإسلام من نظرية ماركس ص٢٨٨ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٧٣ ، ١٢١-١٢٧ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٢١ ، ومذكرة في العقدة الإسلامية للدكتور ناصر الطريفي ص٩ .

خلقه وصنعه وأتقنه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم على النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان على أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعًا وبصرًا وعقلًا وقوىً باطنةً وظاهرةً، وينموها هذه التنمية العجيبة، ويركبوها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء هذا الترتيب المحكم، فهل في اقتدارهم وفي استطاعتهم وعلومهم أن يصلوا إلى ذلك ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

ولا شك أن العاقل المنصف إذا تفكّر في ذلك دلّه وأوصله إلى الاعتراف بعظمة الخالق، وقدرة القادر، وحكمة الحكيم، وخبرة الخبير، وعلم العليم.

وهذا دليل عقلي تضطر فيه العقول الصحيحة إلى معرفة ربها وعبوديته[2] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[3] ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الواقعة ، الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٨/ ٧٠-٧٣/ ٣ ٣٣٣ ، ١/ ٢٥٩ ، والرياض الناضرة للسعدي ص٢٤٨-٢٥٧ ، والإيمان لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص٢٢ ، وعقيدة المسلمين ١/ ١٠٩ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيات ١٢-١٤

(٤) سورة الذريات ، الآية ٢١ .

المطلب الثالث : الأدلة الحسية المشاهدة

من الأدلة التي تدل على وجود الله -تعالى- وربوبيته وأنه الخالق لكل شيء المستحق للعبادة، الأدلة التي يسمعها الناس ويشاهدونها ويلمسونها، وهي على نوعين:

النوع الأول: إجابة الله -تعالى- للدعوات في جميع الأوقات، فلا يُحصي الخلق ما يُعطيه الله للسائلين، وما يُجيب به أدعية الداعين، ويرفع، كرب المكروبين، فتحصل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم، والطمع في فضله والرجاء لرحمته، وهذا برهان مشاهد محسوس، لا ينكره إلا مكابر [1] .

فكم خرج المؤمنون يطلبون -بقلوب وَجِلة تائبة- من ربهم أن يسقيهم الغيث، فكانت الإجابة على الفور في كثير من الأحيان، فيأتي الغيث إلى المدينة أو القرية التي خرجت تدعو ربها، والقرى أو المدن التي بجوارها لا يأتيها شيء، وكم رأى المضطرون تفريجا لحالة الكرب بدعائهم [2] ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [3] وعلى هذا يشهد مئات الملايين من المسلمين، ومن رأى هذه الإجابات من المنصفين في مشارق الأرض ومغاربها.

فمن الذي سمع دعاء المستغيثين فأجابهم فأنشأ السحاب وأنزل المطر؟! هل هو وثن لا يقدر على فعل شيء؟! أم طبيعة صماء لا تملك إرادةً ولا تدبيرًا، أم أن العدم الذي أنشأ وصمم، وأوجد وكوَّن، وقدّر وأتقن، وسمع فأجاب، وهو العدم الذي لا وجود له؟!!

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها ربًّا حكيمًا قادرًا سميعًا بصيرًا مجيبًا [4] فعن أنس رضي الله عنه ﴿ أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ يخطب، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادع الله أن يُغيثنا، فرفع

(١) انظر : الرياض الناضرة ص٢٥٣ : وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١٧ .

(٢) انظر : الإيمان ، لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص٤٠ ، والرياض الناضرة ص٢٥١

(٣) سورة النمل ، الآية ٦٢

(٤) انظر : كتاب التوحيد ، لعبد المجيد الزنداني ١/ ٤٣

رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا". قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنَّا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر"، فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس ﴾ [1] [2].

وهذا الحديث الآية من آيات الله تدل على وجوده، وأنه القادر على كل شيء، وقد حصل هذا للمسلمين كثيرًا، ولهذا قال الشاعر:

وكم أصاب المسلمين من جفاف	**فنفروا ثقالهم مع الخفاف**
وطلبوا من الإله الفرجا	**فحققوا الفوز ونالوا المخرجا**
فهل طبيعة أجابت أم وثن	**أم أنه السميع كشاف المحن** [3]

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صدق مع الله، وأتى بشروط الإجابة.

النوع الثاني: معجزات الأنبياء الحسّية، وهي آيات يشاهدها الناس أو يسمعون بها، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله -تعالى- تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم.

ومن أمثلة ذلك: الآية موسى ﷺ حين أمره الله -تعالى- أن يضرب بعصاه البحر،

---

(١) البخاري الجمعة (٩٦٨) ، مسلم صلاة الاستسقاء (٨٩٧) ، النسائي الاستسقاء (١٥١٨) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ٢/ ٥٠٧ ، وانظر : البخاري مع الفتح ٢/ ٥٠١ ، ٢/ ٥٠٨ ، وأخرجه مسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٢ .

(٣) هذه الأبيات لعبد الرحمن قاضي ، انظر : الإيمان لعبد المجيد الزنداني ص٤٠ .

المطلب الثالث : الأدلة الحسية المشاهدة

من الأدلة التي تدل على وجود الله -تعالى- وربوبيته وأنه الخالق لكل شيء المستحق للعبادة، الأدلة التي يسمعها الناس ويشاهدونها ويلمسونها، وهي على نوعين:

النوع الأول: إجابة الله -تعالى- للدعوات في جميع الأوقات، فلا يُحصي الخلق ما يُعطيه الله للسائلين، وما يُجيب به أدعية الداعين، ويرفع، كرب المكروبين، فتحصل المطالب الكثيرة بأسباب دعاء بعض العباد لربهم، والطمع في فضله والرجاء لرحمته، وهذا برهان مشاهد محسوس، لا ينكره إلا مكابر [1] .

فكم خرج المؤمنون يطلبون -بقلوب وَجِلة تائبة- من ربهم أن يسقيهم الغيث، فكانت الإجابة على الفور في كثير من الأحيان، فيأتي الغيث إلى المدينة أو القرية التي خرجت تدعو ربها، والقرى أو المدن التي بجوارها لا يأتيها شيء، وكم رأى المضطرون تفريجا لحالة الكرب بدعائهم [2] ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [3] وعلى هذا يشهد مئات الملايين من المسلمين، ومن رأى هذه الإجابات من المنصفين في مشارق الأرض ومغاربها.

فمن الذي سمع دعاء المستغيثين فأجابهم فأنشأ السحاب وأنزل المطر؟! هل هو وثن لا يقدر على فعل شيء؟! أم طبيعة صماء لا تملك إرادةً ولا تدبيرًا، أم أن العدم الذي أنشأ وصمم، وأوجد وكوَّن، وقدّر وأتقن، وسمع فأجاب، وهو العدم الذي لا وجود له؟!!

والحقيقة أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن لها ربًّا حكيمًا قادرًا سميعًا بصيرًا مجيبًا [4] فعن أنس رضي الله عنه ﴿ أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ يخطب، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادع الله أن يُغيثنا، فرفع

---

(١) انظر : الرياض الناضرة ص٢٥٣ : وشرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١٧ .

(٢) انظر : الإيمان ، لعبد المجيد الزنداني مع مجموعة من العلماء ص٤٠ ، والرياض الناضرة ص٢٥١

(٣) سورة النمل ، الآية ٦٢

(٤) انظر : كتاب التوحيد ، لعبد المجيد الزنداني ١/ ٤٣

رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا". قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنَّا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: "اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر"، فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس ﴾ [1] [2].

وهذا الحديث الآية من آيات الله تدل على وجوده، وأنه القادر على كل شيء، وقد حصل هذا للمسلمين كثيرًا، ولهذا قال الشاعر:

وكم أصاب المسلمين من جفاف ... فنفروا ثقالهم مع الخفاف

وطلبوا من الإله الفرجا ... فحققوا الفوز ونالوا المخرجا

فهل طبيعة أجابت أم وثن ... أم أنه السميع كشاف المحن [3]

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا لمن صدق مع الله، وأتى بشروط الإجابة.

النوع الثاني: معجزات الأنبياء الحسّية، وهي آيات يشاهدها الناس أو يسمعون بها، وهي من أعظم البراهين القاطعة على وجود مرسلهم؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله -تعالى- تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم.

ومن أمثلة ذلك: الآية موسى ﷺ حين أمره الله -تعالى- أن يضرب بعصاه البحر،

---

(١) البخاري الجمعة (٩٦٨) ، مسلم صلاة الاستسقاء (٨٩٧) ، النسائي الاستسقاء (١٥١٨) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ٢/ ٥٠٧ ، وانظر : البخاري مع الفتح ٢/ ٥٠١ ، ٢/ ٥٠٨ ، وأخرجه مسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٢ .

(٣) هذه الأبيات لعبد الرحمن قاضي ، انظر : الإيمان لعبد المجيد الزنداني ص٤٠ .

فضربه فانفلق اثني عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (1).

ومن آيات عيسى ﷺ أنه كان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (2) ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ ﴾ (3) .

ومن آيات محمد ﷺ انشقاق القمر، فقد طلبت منه قريش آيةً، فأشار إلى القمر، فانفلق فرقتين، فرآه الناس حقيقة في عهده ﷺ قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ (4).

وهذه الآيات المحسوسة تدل دلالة قاطعة على وجود الله –تعالى– (5).

المطلب الرابع : الأدلة الشرعية :

طريق الهداية الكاملة هو ما جاء عن الله –تعالى–، أو عن رسله عليهم الصلاة والسلام، وهي تجمع بين الأدلة النقلية والعقلية، وهي من أعظم الأدلة التي تهدي لمعرفة الله –تعالى– والإيمان به ﷻ وتبعث المهتدي بها إلى العمل المزكي للنفس، والمهيئ له إلى سعادة الدارين، بخلاف الهداية العقلية وحدها، فإنها –وإن أنقذت صاحبها من القلق النفسي والحيرة الفكرية– لا تزكّي نفسه، ولا تُقوّم أخلاقه، ولا تهيئه لسعادة الدّارين، ولا تخرجه من دائرة الكفر حتى يؤمن بالأدلة الشرعية ويعمل بمقتضاها (6).

والكتب السماوية كلها تنطق بأن الله هو الخالق لكل شيء، المستحق للعبادة، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد، دليل على أنها من ربّ حكيم عليم بمصالح

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ٦٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٤٩

(٣) سورة المائدة ، الآية ١١٠ .

(٤) سورة القمر ، الآيتان ١ ، ٢ .

(٥) انظر : شرح أصول الإيمان ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١٨ .

(٦) انظر : عقيدة المؤمن ، لأبي بكر جابر الجزائري ص٣٩ ، ٤٩ ، ٦٣ .

خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها، دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به [1].

ودلالة القرآن الكريم نوعان:

(أ) خبر الله الصادق، فما أخبر الله -تعالى- به، أو أخبر به رسوله ﷺ فهو حق وصدق [2] ولا يمكن أن يكون في ذلك شيء مُناقضٌ لدليل عقلي ولا سمعي [3] لأن ما أثبته السمع الصحيح لم ينفه العقل الصريح [4] والمعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل ولا يناقضه [5] وكل ما عارض الشرع من العقليات ليس دليلًا صحيحًا [6].

(ب) دلالة القرآن بضرب الأمثال، وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب، فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية؛ لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها وأثبتها، وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل [7] كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ [8].

ويمكن أن أقتصر في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الله -تعالى-، وأنه رب كل شيء ومليكه ومدبّره، ويستلزم ذلك أنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه على ذكر

---

(١) انظر : شرح أصول الإيمان ، لمحمد بن صالح العثيمين ص١٧ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٧١

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) ١/ ١٧٢-١٨٠

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩ .

(٥) انظر : المرجع السابق ٦/ ٥

(٦) انظر : درء تعارض العقل والنقل ، ٥/ ٢٧٩ .

(٧) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦/ ٧١ ، ٧٢ .

(٨) سورة البقرة ، الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

طريقين [1] .

الطريق الأول: توجيه الله -تعالى- الأنظار والقلوب إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول، فقد بيّن -سبحانه- في كتابه الآيات الكونية الباهرة الدالة على وجوده -سبحانه- وكمال قدرته، وعظيم تدبيره، وإتقان صنعه، ومن ذلك عجائب خلق الإنسان وعناية الله به، وبيانه - سبحانه- ما في عالم الحيوان من خلقه وتكوينه، وأجهزته، وتنويعه، وعالم النبات، وما فيه من غرائب وعجائب وسُنن تُحار فيها العقول، والرياح السيارة، وأعظم من ذلك كله توجيه الأنظار إلى خلق السماوات والأرض، والليل والنهار، وما في ذلك من آيات تدل على عظمة الخالق [2] قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [3].

والقرآن الكريم يزخر بالأدلة على هذا النوع.

الطريق الثاني: معجزات الأنبياء، **عليهم الصلاة والسلام**، فقد أيد الله الرسل -عليهم الصلاة والسلام- بالمعجزات الباهرة للعقول، والخارقة لسنن الكون وقوانين الحياة، ليستدلوا بها على صدق نبوتهم، وإثبات رسالتهم، فإذا ثبتت نبوة الرسل بقيام المعجزات علم أن هناك مرسلًا أرسلهم؛ لأن ثبوت الرسالة يستلزم ثبوت الْمُرسِل، والعلم بالإضافة يستلزم العلم بالمضاف إليه، فالمعجزات نفسها يعلم بها صدق الرسول المتضمن لإثبات من أرسله، والآيات الباهرات التي يستدل بها على إثبات الخالق تدل المعجزة كدلالتها

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٥٤ ، ٧/ ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٩/ ٤٠ ، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٣٧٧-٣٨٠ ، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص٦٣ ، والرياض الناضرة للسعدي ص٢٥٣-٢٦٧

(٢) انظر : معالم الدعوة في القصص القرآني للدكتور عبد الوهاب بن لطف الديلمي ١/ ٢٥١ ، ومناهج الجدل ص١٤٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٦٤ .

وأعظم [1].

المبحث الثاني: حكمة القول مع الوثنيين

تمهيد:

المطلب الأول: الحجج العقلية على إثبات ألوهية الله.

المطلب الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال الحكيمة.

المطلب الرابع: الكمال المطلق لإله الحق وحده.

المطلب الخامس: التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

المطلب السادس: الغلو في الصالحين سبب شرك البشر.

المطلب السابع: الشفاعة المثبتة والمنفية.

المطلب الثامن: الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده.

المطلب التاسع: البعث بعد الموت.

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٧/ ٣٠٢-٣٠٧ ، وفتاوى شيخ الإسلام ١١/ ٣٧٧ . وخلاصة ما ذكر ابن تيمية في إثبات وجود الله -تعالى- كالتالي : ١- الاستدلال بآيات الله في الكون . ٢- أدلة الفطرة ، فإن الخلق مفطورون على الإقرار بالخالق . ٣- الاستدلال على الله بالله ، فإنه عرفنا نفسه فعرفناه . ٤- الاستدلال بمعجزات الرسل . ٥- إجماع الأمم وأصحاب العقول والفطر السليمة . ٦- المقاييس العقلية . انظر : فتاوى شيخ الإسلام ٣٦/ ٢١-٢٣ ، وستجد جميع الإحالات إلى المواضع التي ذكرها ابن تيمية في فتاواه .

المبحث الثاني حكمة القول مع الوثنيين

تمهيد:

الوثني: من يتدين بعبادة الوثن [1] يقال: رجل وثَنِي، وقوم وثنيُّون، وامرأة وثنيَّة، ونساء وثنيّات [2] واسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله. سواء كان ذلك المعبود قبرًا، أو مشهدًا، أو صورةً، أو غير ذلك [3].

وكل من دعا نبيًّا أو وليًّا أو ملَكًا أو جنيًّا، أو صرف له شيئًا من العبادة فقد اتخذه إلهًا من دون الله [4] وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر الذي قال الله –تعالى– فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [5] والمشركون يُدعَوْن إلى الله –تعالى– بالحكمة القولية على حسب عقولهم وأفهامهم.

وسأبيّن ذلك –بإذن الله تعالى– في المطالب التالية:

---

(١) الوثن : الصنم ، والجمع وُثُنٌ وأوثان وهو التمثال يُعبد ، سواء كان من خشب ، أو حجر ، أو نحاس ، أو فضة أو غير ذلك . وقد كان الوثنيون يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله –تعالى– ، كما بين –سبحانه– ذلك عنهم بقوله : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . [سورة الزمر ، الآية ٣] . انظر : القاموس المحيط ، باب النون ، فصل الواو ، ص١٥٩٧ ، وباب الميم فصل الصاد ص١٤٦٠ ، والمعجم الوسيط مادة (وثن) ٢/ ١٠١٢ ، ومادة (صنم) ١/ ٥٢٦ ، والمصباح المنير ، مادة (وثن) ص٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ومادة (صنم) ص٣٤٩ ، ومختار الصحاح ، مادة (وثن) ص٢٩٥ ، ومادة (صنم) ص١٥٦ .

(٢) انظر : المعجم الوسيط ، مادة (وثن) ٢/ ١٠١٢ ، والمصباح المنير ، مادة (وثن) ص٦٤٨ . قال ابن الأثير : الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض ، أو من خشب ، أو حجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد . والصنم . الصورة بلا جثة ، ومنهم من لم يفرق بينهما ، وأطلقهما على المعنيَيْن . انظر . النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٥١ ، ٣/ ٥٦ . ثم قال : وقد يطلق الوثن على غير الصورة ، ومنه حديث عدي بن حاتم قال : أتيت النبي وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال لي : "يا عدي اطرح عنك هذا الوثن" أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ، باب سورة التوبة ، ٥/ ٢٧٨ ، برقم٣٠٩٥ ، وانظر : صحيح الترمذي ٣/ ٥٦ .

(٣) انظر : فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ص٢٤٤ .

(٤) انظر : فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، ص٢٤٢ .

(٥) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

المطلب الأول: الحجج والبراهين العقلية القطعية على إثبات ألوهية الله تعالى.

المطلب الثاني: ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه.

المطلب الثالث: ضرب الأمثال الحكيمة.

المطلب الرابع: الكمال المطلق للإله المستحق للعبادة وحده.

المطلب الخامس: التوحيد دعوة جميع الرسل، عليهم الصلاة والسلام.

المطلب السادس: الغلو في الصالحين سبب كفر بني آدم.

المطلب السابع: الشفاعة المثبتة والمنفية.

المطلب الثامن: الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده.

المطلب التاسع: البعث بعد الموت.

المطلب الأول : الحجج العقلية على إثبات ألوهية الله :

من البراهين القطعية التي ينبغي للدعاة إلى الله تبيينها وتوضيحها لمن اتّخذ من دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

فقد أنكر –سبحانه– على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجارًا أو خشبًا، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرون على شيء؟ من ذلك" ولو كان في السماوات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؟ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فرض وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئًا والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة!؛ وذلك:

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيات ٢١-٢٣ .

لأنه يستحيل وجود مرادهما معًا، وهو من أبطل الباطل، فإنه لو وجد مرادهما جميعًا للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيًّا ميتًا، متحركًا ساكنًا.

وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

وإن وُجِد مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإله القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول.

واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده من غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو الله الخالق الإله الواحد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر -سبحانه- دليل التمانع في قوله ﷻ ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1].

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ [2]. وكل ذلك مسخر ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم -يدل على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه [3].

المطلب الثاني : ضعف جميع المعبودات من دون الله من كل الوجوه :

من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عبد من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئًا من ضر أو نفع، أو

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٩١ ، ٩٢ .

(٢) سورة الملك ، الآية ٣ .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٣٧-٣٨٢ ، ١/ ٣٥-٣٧ ، وتفسير البغوي ٣/ ٢٤١ ، ٣١٦ ، وابن كثير ٣/ ٢٥٥ ، ١٧٦ ، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٠٢ ، ٤٩٦ ، وتفسير عبد الرحمن السعدي ٥/ ٢٢٠ ، ٣٧٤ ، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ٣/ ٩٩ ، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص١٥٨-١٦١ .

حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسئل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا [1].

وقد بيّن الله ﷻ ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال - سبحانه-: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [2] ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [3].

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [4].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٨٣ ، ٢١٩ ، ٢٧٧ ، ٤١٧ ، ٣/ ٤٧ ، ٢١١ ، ٣١٠ ، وتفسير السعدي ٢/ ٣٢٧ ، ٤٢٠ ، ٣/ ٢٩٠ ، ٤٥١ ، ٥/ ٢٧٩ ، ٤٥٧ ، ٦/ ١٥٣ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٤٨٢ ، ٣/ ١٠١ ، ٣٢٢ ، ٥٩٨ ، ٥/ ٤٤ ، ٦/ ٢٦٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٦

(٣) سورة الأعراف ، الآيات ١٩١-١٩٨ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٥٦ .

ومن المعلوم يقينًا أن ما يعبده المشركون من دون الله من؛ الأنبياء أو الصالحين أو الملائكة أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْب من ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف يُعْبَد مَن هذه حاله؟ [(١)] قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [(٢)].

وقد أوضح وبين سبحانه أن ما عُبِد من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له [(٣)] قال ﷻ ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ [(٤)].

المطلب الثالث : ضرب الأمثال الحكيمة :

ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يرد به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم فسأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود كالتالي:

١ – قال الله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ

---

(١) انظر . تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨ ، وتفسير السعدي ٤/ ٢٩١ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٥٧ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧ ، وتفسير السعدي ٦/ ٢٧٤ .

(٤) سورة سبأ ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [1].

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تُعبَد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله -تعالى- في بطلان الشرك وتجهيل أهله [2]

٢ - ومن أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [3].

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتًا وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء، فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفًا إلى

---

(١) سورة الحج ، الآيتان ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) انظر : أمثال القرآن لابن القيم ص٤٧ ، والتفسير القيم لابن القيم ص٣٦٨ ، وتفسير البغوي ٣/ ٢٩٨ ، وابن كثير ٣/ ٢٣٦ ، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٧٠ ، وتفسير السعدي ٥/ ٣٢٦ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآيات ٤١-٤٣ .

ضعفهم [1].

٣ - ومن أبلغ الأمثال التي تبين أن المشرك قد تشتت شمله واحتار في أمره، ما بينه تعالى بقوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلاًۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2].

فهذا مثل ضربه الله -تعالى- للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب: كلا، لا يستويان أبدًا [3]

المطلب الرابع : الكمال المطلق للإله الحق المستحق للعبادة وحده :

بعد أن عرفنا صفات الآلهة الباطلة، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرهما ضرًا ولا نفعًا، فهي لا تستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيء، والإحاطة بكل شيء، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذْكَر فلا يُنسَى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٤٦٨ ، وأمثال القرآن لابن القيم ص٢١ ، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٠٤ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٢٩ .

(٣) انظر البغوي ٤/ ٧٨ ، وابن كثير ٤/ ٥٢ ، والتفسير القيم ص٤٢٣ ، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٦٢ ، وتفسير السعدي ٦/ ٤٦٨ ، وتفسير الجزائري ٤/ ٤٣ .

يُشرك معه غيره [(١)].

وصفات الكمال المطلق لله -تعالى- لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال.

١ - **المتفرد بالألوهية:** لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبدًا، القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السماوات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ [(٢)].

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السماوات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دل على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾ الآية [(٣)].

٢ - **وهو الإله الذي خضع كل شيء لسلطانه**، فانقادت له المخلوقات بأسرها:

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٢٣٧، ٣/ ٧١، ٢/ ٨٨، ٣٧٢، وابن كثير ١/ ٣٠٩، ٢/ ٥٧٢. ٣/ ٤٢، ٢/ ١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠، ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، وتفسير السعدي ١/ ٣١٣، ٧/ ٦٨٦، ٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٩٧، ٤/ ٢٠٤، ٦/ ٣٦٤، ١/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢، وأضواء البيان ٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٧١.

(٢) سورة مريم، الآيتان ٩٣، ٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

جماداتها وحيواناتها، وإنسها وجنها وملائكتها ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

٣ – **وهو الإله الذي بيده النفع والضر**، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقًا لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد الله ذلك، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2].

٤ – **وهو القادر على كل شيء**، ولا يعجزه شيء، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

٥ – **إحاطة علمه بكل شيء**، شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[4] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾[5] ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[6] ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[7]

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٣ .

(٢) سورة يونس ، الآية ١٠٧ .

(٣) سورة يس ، الآية ٨٢ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٤ ، ٢/ ١٣٨ ، والسعدي ٢/ ٣٥٦ ، ٢/ ٣٧٢ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٥

(٦) سورة يونس ، الآية ٦١

(٧) سورة الأنعام ، الآية ٥٩

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإله المستحق للعبادة.

(١) سورة الأنفال ، الآية ٧٥ .

المطلب الخامس : التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام :

يجب أن يبلغ كل من أشرك بالله -تعالى- أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- دَعَوْا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجة قد قامت على جميع الأمم، وما من أمة إلا بعث الله فيهم رسولًا، وكلهم يَدْعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له [(١)] قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [(٢)] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٣)] وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [(٤)].

فبين سبحانه في هذه الآيات عن طريق العموم أن جميع الرسل دعوا إلى "لا إله إلا الله"، وخلع جميع المعبودات من دون الله [(٥)] وفصَّل ذلك في مواضع أخرى من كتابه، كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [(٦)] ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ ﴾ [(٧)] ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٧ ، والسعدي ٤/ ٢٠٢ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٦٨ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٣٦

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢٥

(٤) سورة الزخرف ، الآية ٤٥ .

(٥) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٢٦٨ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ٥٩

(٧) سورة الأعراف ، الآية ٦٥

ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [1] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [2] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3].

وهذا بلاغ مبين من الله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فالداعية إلى الله -تعالى- يقوم بإيصال هذه الحكم القولية إلى الناس، ويبين لهم ذلك، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٧٣

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٨٥

(٣) سورة المائدة ، الآية ٧٢ .

المطلب السادس : الغلو في الصالحين سبب شرك البشر:

من أعظم الحكم القولية في دعوة من تعلق بغير الله -تعالى- أن يبين لهم أن الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله -تعالى-، فقد كان الناس منذ أُهبِط آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام" [(١)].

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث الله نوحًا ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهى عن عبادة ما سواه [(٢)] وردَّ عليه قومه: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٣)].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلم عُبِدَت" [(٤)].

وهذا سببه الغلو في الصالحين، فإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبور، ويُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه الستور، ويطاف به، ويُسَلِّم ويُقبِّل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا، ثم ينقلهم إلي أن من نهى عن ذلك فقد تَنَقَّص

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب التاريخ ، ٢/ ٥٤٦ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٠١ ، وعزاه إلى البخاري ، وانظر : فتح الباري ٦/ ٣٧٢ .

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٦ .

(٣) سورة نوح ، الآية ٢٣ .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة نوح ، ٨/ ٦٦٧ ، برقم ٤٩٢٠ .

أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون [1].

ولهذا حذر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله -تعالى-، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [2] ولهذا حذر رسول الله ﷺ عن الإطراء فقال: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله » [3] [4] وقال: « إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » [5] [6].

وحذر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم، ولهذا لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة -رضي الله عنهما- لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بَنَوْا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" [7].

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: « لعنة الله على اليهود

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٩/ ٦٢ ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٢٤٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٧١

(٣) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٦١) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : واذكر في الكتاب مريم . . . ٦/ ٤٧٨ ، ١٢/ ١٤٤ ، وانظر شرحه في الفتح ١٢/ ١٤٩ .

(٥) النسائي مناسك الحج (٣٠٥٩) ، ابن ماجه المناسك (٣٠٢٩) ، أحمد (٢١٥/١) .

(٦) النسائي ، كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى ٥/ ٢٦٨ ، وابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ٢/ ١٠٠٨ ، وأحمد ١/ ٣٤٧ .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٣ ، ٣/ ٢٠٨ ، ٧/ ١٨٧ ، وأخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . ١/ ٣٧٥ .

والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [1]. قالت عائشة – رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا [2].

وقال قبل أن يموت بخمس: ﴿ ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك ﴾ [3] [4].

وحذر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثنًا يُعبد في دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: ﴿ اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [5] [6].

ولعن ﷺ من اتخذ المساجد على القبور؛ لينفِّر عن هذا الفعل، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: ﴿ لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ﴾ [7] [8].

---

(١) البخاري الصلاة (٤٢٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١) ، النسائي المساجد (٧٠٣) ، أحمد (١٤٦/٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٠٣) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو اليمان ١/ ٥٣٢ ، ٣/ ٢٠٠ ، ٦/ ٤٩٤ ، ٧/ ١٨٦ ، ٨/ ١٤٠ ، ١٠/ ٢٧٧ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ١/ ٣٧٧ .

(٣) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢) .

(٤) مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٧ .

(٥) مالك النداء للصلاة (٤١٦) .

(٦) الموطأ للإمام مالك ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة ١/ ١٧٢ ، وهو عنده مرسل ، ولفظ أحمد ٢/ ٢٤٦ : " اللهم لا تجعل قبري وثنًا ، ولعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣١٧ ، وانظر : فتح المجيد ص١٥٠ .

(٧) الترمذي الصلاة (٣٢٠) ، النسائي الجنائز (٢٠٤٣) ، أبو داود الجنائز (٣٢٣٦) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٧٥) ، أحمد (٣٣٧/١) .

(٨) النسائي ، كتاب الجنائز ، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٤/ ٩٤ ، وأبو داود ، كتاب الجنائز ، باب في زيارة النساء القبور ٣/ ٢١٨ ، والترمذي ، كتاب الصلاة ، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا ٢/

و لم يترك ﷺ بابًا من أبواب الشرك التي تُوَصِّل إليه إلا سَدَّه [1] قال ﷺ ﴿ لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها ﴾ [2] [3].

وقد بين ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيدًا عن قبره أو قريبًا، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيدًا: ﴿ لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ﴾ [4] [5].

وقال ﷺ ﴿ إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام ﴾ [6] [7].

وإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدًا، فغيره أولى بالنهي كائنًا ما كان [8].

وقد كان ﷺ يطهر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي

---

١٣٦ ، وابن ماجه في الجنائز ، باب النهي عن زيارة النساء للقبور ١/ ٥٠٢ ، وأحمد ١/ ٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٢/ ٣٣٧ ، ٣/ ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، والحاكم ١/ ٣٧٤ ، وانظر ما نقله صاحب فتح المجيد في تصحيح الحديث عن ابن تيمية ص٢٧٦ .

(١) انظر : فتح المجيد ص٢٨١ .

(٢) مسلم الجنائز (٩٧٢) ، الترمذي الجنائز (١٠٥٠) ، النسائي القبلة (٧٦٠) ، أبو داود الجنائز (٣٢٢٩) ، أحمد (١٣٥/٤) .

(٣) مسلم ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٢/ ٦٦٨ .

(٤) أبو داود المناسك (٢٠٤٢) ، أحمد (٣٦٧/٢) .

(٥) أبو داود ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ٢/ ٢١٨ بإسناد حسن ، وأحمد ٢/ ٣٥٧ ، وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ١/ ٣٨٣ .

(٦) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٩) ، الترمذي الدعوات (٣٦٠٠) ، أحمد (٢٥٢/٢) .

(٧) النسائي في السهو ، باب السلام على النبي ٣/ ٤٣ ، وأحمد ١/ ٤٥٢ ، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي برقم ٢١ ، ص٢٤ ، وسنده صحيح .

(٨) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم ٦/ ١٦٥- ١٧٤ .

طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته" [(١)].

وكما سد ﷺ كل باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ ﴿ لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى ﴾ [(٢)] [(٣)].

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة – رضي الله عنهم– من قول النبي ﷺ ولهذا عندما أبو هريرة رضي الله عنه إلى الطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول. ﴿ لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ﴾ [(٤)] [(٥)].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل ينهى عن ذلك" [(٦)].

فتبين أن زيارة القبور نوعان:

<u>**النوع الأول:** زيارة</u> شرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم كما يقصد الصلاة

---

(١) مسلم ، كتاب الجنائز ، الأمر بتسوية القبر ١/ ٦٦٦ .

(٢) البخاري الحج (١٧٦٥) ، مسلم الحج (٨٢٧) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/ ٦٣ ، ومسلم بلفظه ، كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/ ٩٧٦ .

(٤) النسائي الجمعة (١٤٣٠) .

(٥) النسائي ، كتاب الجمعة ، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ٣/ ١١٤ ، ومالك في الموطأ ، كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ١/ ١٠٩ ، وأحمد في المسند ٦/ ٧ ، ٣٩٧ ، وانظر : فتح المجيد ص٢٨٩ ، وصحيح النسائي ، ١/ ٣٠٩ .

(٦) انظر : فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٤ .

على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة، ولتذكر الموت، بشرط عدم شدِّ الرحال؟ ولا تباع سنة النبي ﷺ.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية [1] وهذا النوع ثلاثة أنواع:

١ – من يسأل الميت حاجته، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام.

٢ – من سأل الله –تعالى– بالميت، كمن يقول: أتوسل إليك بنبيك، أو بحق الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو لا يُخْرِج عن الإسلام كما يخرج الأول.

٣– من يظن أن الدعاء عند القبور مُستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع [2].

فإذا سلك الداعية هذه المسالك في دعوة الوثنيين بالحكمة القولية وُفِّق بإذن الله تعالى.

المطلب السابع : الشفاعة المثبتة والمنفية :

الشفاعة لغة: يقال: شفع الشيء: ضم مثله إليه، فجعل الوتر شفعا [3].

واصطلاحا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة [4].

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلق بغير الله –تعالى– ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [5].

ويمكن أن يرد على من طلب الشفاعة من غير الله– تعالى– بالأقوال الحكيمة الآتية:

أولا: ليس المخلوق كالخالق، فكل من قال: إن الأنبياء، والصالحين، والملائكة أو

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٣ ، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٣

(٢) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٦/ ١٦٥-١٧٤ .

(٣) انظر : القاموس المحيط ، باب العين ، فصل الشين ص ٩٤٧ ، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٨٥ ، والمعجم الوسيط ١/ ٤٨٧ .

(٤) انظر : شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين ص ٨٠ .

(٥) سورة الزمر ، الآية ٤٤ .

غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاه عظيم، ومقامات عالية، فهم يشفعون لنا عنده كـــما يتقرب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاقم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء، المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوقم، فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

١ – إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

٢ – أو يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته، فلابد له من أعوان؛ لذله وعجزه.

٣ – أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبه من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمته في قضاء حوائج رعيته.

والله –عز وجـــل– ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكا لهم، وقد يكون معاونا لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

(أ) تارة لحاجتهم إليه.

(ب) وتارة لخوفهم منه.

(ج) وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله ﷻ لا يرجو أحدا ولا يخافه، ولا يحتاج إليه [1]؛ ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلقات بغيره، وبين بطلاها، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ [2].

فقد سدت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سد

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ١/ ١٢٦– ١٢٩ .

(٢) سورة سبأ ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكا لمالكها، أو ظهيرا، أو وزيرا، أو معاونا له، أو وجيها ذا حرمة وقـــدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك، وانقطعت مواده [(1)].

ثانيا: الشفاعة شفاعتان:

(أ) شفاعة مثبتة: وهي التي تطلب من الله ولها شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، لقوله تعالى:... ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [(2)].

الشرط الثاني: رضا الله عن الشافع والمشفوع له؛ لقوله تعالى.... ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [(3)] ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [(4)].

(ب) الشفاعة المنفية: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والشفاعة بغير إذنه ورضاه، والشفاعة للكفار: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [(5)] ويستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف عذاب أبي طالب [(6)].

ثالثا: الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع، فلم يكن النبي ﷺ ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين،

---

(١) انظر : التفسير القيم ، لابن القيم ص ٤٠٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢٨ .

(٤) سورة طه ، الآية ١٠٩ .

(٥) سورة المدثر ، الآية ٤٨ .

(٦) انظر : البخاري مع الفتح ، مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ٧/ ١٧٣ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذابا ، برقم ٢١١ ، ١/ ١٩٥ .

ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد لله رب العالمين [1].

المطلب الثامن : الإله الحق سخر جميع ما في الكون لعباده :

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله -تعالى- لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [2] وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بين سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولا: على وجه الإجمال:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [3] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ الآية [4].

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [5].

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسية والمعنوية، فجميع ما في السماوات والأرض قد سخر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السماوات والأرض، وما

---

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ١/ ١١٢ ، ١٥٨ ، ١٤/ ٣٩٩- ٤١٤ ، ١/ ١٠٨- ١٦٥ ، ١٤/ ٣٨٠ ، ٤٠٩ ، ١/ ١٦٠- ١٦٦ ، ١٩٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٥/ ١٤٧ ، وأضواء البيان ١/ ١٣٧ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٥٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .

(٤) سورة لقمان ، الآية ٢٠ .

(٥) سورة الجاثية ، الآية ١٣ .

أودع فيهما من: الشمس والقمر والكواكب، والثوابت والسيارات، والجبال والبحار والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دال على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريبا ولا شكا على أن الله هو الحق، وأن ما يدعى من دونه هو الباطل [1] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [2].

ثانيا: على وجه التفصيل:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3].

وقال ﷻ بعد أن ذكر نعما كثيرة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

---

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٥٩، ٣/ ٧٢، وابن كثير ٣/ ٤٥١، ٤/ ١٤٩، والشوكاني ١/ ٦٠، ٤/ ٤٢٠، والسعدي ١/ ٦٩، ٦/ ١٦١، ٧/ ٢١، وفي ظلال القرآن ١/ ٥٣، ٥/ ٢٧٩٢، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٢٥-٢٥٣.

(٢) سورة الحج، الآية ٦٢، وانظر: سورة لقمان، الآية ٣٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات ٣٢-٣٤.

﴿ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨ ﴾ [1].

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئا منها؟

ومن المعلوم قطعا أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها؟ [2].

ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئا؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

المطلب التاسع : البعث بعد الموت :

استبعد المشركون والملحدون إعادة الأجساد بعد موتها، إذا تقطعت الأوصال، وتمزقت الأجساد، وبليت العظائم وتفتت وتفرقت في أجزاء الأرض، وتحلل الجسد إلى ذرات ترابية، وربما أكلته السباع، فصار غذاء لها واختلط بأجزائها [3].

ومن الحكمة القولية في دعوة هؤلاء إلى الإيمان بالبعث أن تسلك معهم المسالك التالية:

المسلك الأول: الأدلة العقليـــة.

المسلك الثاني: الأدلة الحســـية.

المسلك الثالث: الأدلة الشرعية.

المسلك الأول: الأدلة العقلية:

أولا: حكمة الله – تعالى – وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

لقد شاء الله ﷻ أن يجعل الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار وعمل، فأرسل الرسل،

---

(١) سورة النحل ، الآيات ١٤-١٨ ، وانظر : الآيات ٣-١٢ من السورة نفسها .

(٢) انظر : فتح القدير ٣/ ١٥٤ ، ٣/ ١١٠ ، وأضواء البيان ٣/ ٢٥٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٨ ، ٤/ ٢٢٢ ، ومناهج الجدل ص٣١١ ، ومعالم الدعوة ١/ ١٩٨ .

وأنزل الكتب، وأمر بعبادته وحده، وجعل دارا أخرى، وذلك من مقتضيات ملكه وحكمته وعدله؛ ليثيب المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته، و لم يخلق الخلق عبثا، و لم يتركهم هملا، قال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [(١)] ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ ﴾ [(٢)] ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤ ﴾ [(٣)].

وهو ﷻ لا يساوي بين الخبيث والطيب، والمحسن والمسيء، والكافر والمؤمن، وقد أنكر على من ظن ذلك [(٤)] فقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ ﴾ [(٥)] ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦ ﴾ [(٦)].

ثانيا: القادر على إيجاد الخلق قادر على إعادته، وهو أهون عليه.

الشيء إذا لم يكن ثم كان ثم أعدم فإن إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أفناه، وقد رد الله –سبحانه– على من أنكر البعث بهذا فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ

---

(١) سورة الملك ، الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ١١٥ .

(٣) سورة يونس ، الآية ٤ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٨ ، والسعدي ٦/ ١٨٥ ، وأضواء البيان ٧/ ٣٠ .

(٥) سورة الجاثية ، الآية ٢١ .

(٦) سورة القلم ، الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [(١)] ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٢)].

وغير ذلك من الأدلة القطعية التي تدل على أن من خلق الخلائق وابتدع خلقهم على غير مثال سابق قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى، وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى [(٣)].

ثالثا: الخالق لما هو أعظم قادر على خلق ما هو أصغر بلا شك:

من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، فخلقه لهذه المخلوقات العظيمة وقدرته عليها من أعظم البراهين على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من خلق الأعظم الأكبر لا شك في قدرته الكاملة على خلق الأيسر الأضعف الأصغر، وهو أولى بالقدرة والإمكـــان من الأعظم [(٤)] قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٥)].

رابعا: اليقظة بعد النوم:

النوم يعتبر موتا مصغرا، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضا، وكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان وعملية الاستيقاظ تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما [(٦)] قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [(٧)].

---

(١) سورة الروم ، الآية ٢٧ .

(٢) سورة مريم ، الآيتان ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٢- ٣٥ ، وأضواء البيان ١/ ٨٩ ، ١١٥ ، ٣/ ٢٢٣ ، ٧/ ٣٣٤-٣٣٦ .

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٢ ، وأضواء البيان ١/ ٨٩ ، ١١٦ .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية ٣٣ .

(٦) انظر : أضواء البيان ٤/ ٢٤ ، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ٢٦٥ .

(٧) سورة الأنعام ، الآية ٦٠ .

ومن آيات الله العظيمة الباهرة الدالة على بعث الأرواح والأجساد ما أجراه الله سبحـــانه على أهل الكهف من نوم ثلاثمائة سنة، وازدادوا تسع سنين، ثم بعثهم بعد هذا النوم الطويل [1] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [2].

خامسا: إخراج النار من الشجر الأخضر:

ومن الأدلة على بعث الأجساد والأرواح قدرة الله -تعالى- على إخراج النار اليابسة المحرقة من الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة مع تضادهما وشدة تخالفهما، فالقادر على أن يخلق من الشجر الأخضر نارا أولى بالقدرة على أن يخرج إنسانا حيا من التراب كـــما خلقه أول مرة [3] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾ [4].

المسلك الثاني: الأدلة الحسية:

من الأدلة الحسية التي شاهدها الناس ونقلها لنا أعظم الكتب والمهيمن عليها ما يأتي:

أولا: إحياء الله الموتى في الحياة الدنيا:

فمن أعظم البراهين التي تدل على البعث إحياء الله ﷻ بعض الموتى في الحياة الدنيا؛ لأن من أحيا نفسا واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [5].

ومن هذا النوع الأمثلة التالية:

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٣/ ١٦٥ ، وابن كثير ٣/ ٧٨ ، والسعدي ٥/ ١٣ ، وأضواء البيان ٤/ ٢٢-٢٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٢١ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٤ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٨٣ .

(٤) سورة يس ، الآية ٨٠ .

(٥) سورة لقمان ، الآية ٢٨ .

١ – قوم موسى حين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأماتهم الله –تعالى– ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

٢ – قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة، ثم يضربوه ببعضها، ثم فعلوا فأحياه الله، فأخبر بمن قتله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

٣ – قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[3].

٤ – قصة الرجل الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٤٣ .

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [1].

٥ - قصة إبراهيم ﷺ حين سأل الله -تعالى- أن يريه كيف يحصي الموتى، فأمره أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حولـه، ثم يناديهن فتجتمع الأجزاء بعضها إلى بعض، وتأتي إلى إبراهيم سعيا [2] قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [3].

٦ - ما أخبر الله به عن عيسى ﷺ من أنه كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله تعالى: ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ ﴾ [4]﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ ﴾ [5].

فهذه أدلة حسية واقعة، وبرهان قطعي على القدرة الإلهية، وأن الذي أماتهم ثم أحياهم قادر على بعثهم يوم القيامة، فإنه لا يعجزه شيء سبحانه [6].

ثانيا: إحياء الأرض بعد موتها:

إحياء الله الأرض بعد موتها برهان قاطع من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت؛ لأنه برهان حسي يتجدد بين يدي الناس، ويشاهدون فيه آثار قدرة الله -تعالى- في الإحياء المتجدد؛ ولأن من أخرج النبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج فأحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم [7] قال

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣١٥ ، والسعدي ١/ ٣٢١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٤٩ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ١١٠ .

(٦) انظر : تفسير السعدي ١/ ٣٢١ ، ومناهج الجدل ص ٣٢٨ .

(٧) أضواء البيان ١/ ٩٠ ، ١١٦ ، ٣/ ٢٢٣ ، ٧/ ٣٣٦ ، وشرح أصول الإيمان لمحمد بن صالح العثيمين ص ٤٩ .

الله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [(١)] ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [(٢)] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [(٣)].

المسلك الثالث: الأدلة الشرعية:

رد الله –تعالى– شبه المنكرين للبعث، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [(٤)] ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [(٥)].

فبين سبحانه أنه يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم، ولا يخفى عليه أين تفرقت، وإلى أين ذهبت، كل ذلك عنده في كتاب مضبوط محفوظ [(٦)].

وأمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه –سبحانه– على وقوع البعث ووجوده، وأنه لا يغيب عن الله –تعالى– مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا

(١) سورة الروم ، الآية ١٩ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٥٠ .

(٣) سورة فصلت ، الآية ٣٩ .

(٤) سورة السجدة ، الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٥) سورة ق ، الآيات ١-٤ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣ .

أكـــبر، ولا يعجزه شيء[1] قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣ ﴾[2] ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ ﴾[3].

فإذا استخدم الداعية إلى الله -تعالى- في دعوته للوثنيين بالحكمة القولية ما جاء في هذه المطالب ومسالكها التفصيلية، كان مصيبا مسددا، فترلا للناس منازلهم، سالكا طريق الحكمة في دعوهم بإذن الله تعالى.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٤٢١ ، ٣/ ٥٢٦ ، ٤/ ٣٧٥ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٦/ ٦١٣ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٥٣ ، وانظر : سورة سبأ ، الآية ٣ .

(٣) سورة التغابن ، الآية ٧ .

المبحث الثالث: حكمة القول مع أهل الكتاب

تمهيـــد:

المطلب الأول: حكمة القول مع اليهود.

المطلب الثاني: حكمة القول مع النصارى.

المطلب الثالث: البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها.

المبحث الثالث حكمة القول مع أهل الكتاب

تمهيد:

إن من حكمة القول في دعوة أهل الكتاب إلى الله- تعالى- أن يجادلوا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل أن يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق، كـــما قال ﷻ [(١)] ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [(٢)] وقال ﷻ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [(٣)].

ونظير ذلك من الدعوة بالقول الحكيم قوله ﷻ لموسى وهارون: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [(٤)].

ومن ذلك القول اللين كقوله تعالى لموسى: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٥)].

وقـــد كان النبي ﷺ يستخـــدم القول الحكيم في دعوته إلى الله ﷻ ومن ذلك ما

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٢ ، ٣/ ٤١٦ ، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٤٨ ، والسعدي ١/ ٣٨٩ ، ٦/ ٩٢ ، وأضواء البيان ٣/ ٣٨٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٦٤ .

(٤) سورة طه ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) سورة النازعات ، الآيات ١٧ – ١٩ .

روته عائشة –رضي الله عنها– قالت: ﴿ دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام [1] عليك. قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة ! قالت: فقال رسول الله ﷺ " مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله ". فقلت: يا رسول الله ! أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ " قد قلت: وعليكم ﴾ [2].

وكان ﷺ يستخدم ذلك حتى في رسائله، ففي كتابه إلى هرقل:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين [3] و ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [4] إلى قوله: ﴿ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ [5] ﴾ [6].

وعلى أســاس دعوة أهل الكتاب بالجدال بالتي هي أحسن والقول الحكيم، فسأتحدث عن ذلك بإذن الله– تعالى– في المطالب الآتية:

المطلب الأول: حكمة القول مع اليهود.

المطلب الثاني: حكمة القول مع النصارى.

---

(١) السام : الموت ، وقيل : الموت العاجل ، وقيل : تسأمون دينكم . انظر : الفتح ١١/ ٤٢ ، ٤٣ ، ١٠/ ١٣٥ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب الرفق في الأمر كله ١٠/ ١٣٥ ، ٤٤٩ ، ١١/ ٤٢ ، ومسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم ٤/ ١٧٠٦ .

(٣) الأريسيين : أي إثم الفلاحين ، والمعنى : فإن لم تدخل في الإسلام فإن عليك إثمك وإثمهم إذا لم يسلموا تقليدا لك . انظر فتح الباري ١/ ٣٩ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٦٤ .

(٥) سورة آل عمران آية : ٦٤ .

(٦) البخاري مع الفتح واللفظ له ، كتاب التفسير ، باب : قل يا أهل الكتاب . . . ٨/ ٢١٥ ، وكتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ١/ ٣٢ ، ومسلم في كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ٣/ ١٣٩٦ .

المطلب الثالث: البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها.

المطلب الأول : حكمة القول مع اليهود :

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله ﷻ أن يسلك معهم الداعية المسلم المسالك التالية:

المسلك الأول: الأدلة العقلية والنقلية على نسخ الإسلام لجميع الشرائع.

المسلك الثاني: الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة.

المسلك الثالث: إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود.

المسلك الرابع: الأدلة على إثبات رسالة عيسى ومحمد، **عليهما الصلاة والسلام**.

المسلك الأول: الأدلة العقلية والنقلية على نسخ [1] الإسلام لجميع الشرائع:

دعوة الرسل- عليهم الصلاة والسلام - إلى توحيد الله تعالى دعوة واحدة، فقد اتفقوا جميعا على دعوة الناس إلى إفراد الله بالعبادة، لا إلـــه إلا هو، ولا رب سواه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [2] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3].

فأصل دين الأنبياء **صلى الله عليهم وسلم** واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائـــع [4]؛ ولهذا قال ﷺ ﴿ أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات [5] أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، [وليس بيني وبين عيسى

(١) النسخ في اللغة : الإزالة ، وفي الاصطلاح : رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه . انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٥٠ ، ومناهل العرفان ٢/ ٧١ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢٥ .

(٤) انظر : فتح الباري ٦/ ٤٨٩ .

(٥) أولاد العلات : الإخوة من أب وأمهاتهم شتى . (الضرائر) . فتح الباري ٦/ ٤٨٩ .

نبي] ﴾ [1].

ثم ختم الله -تعالى- الشرائع كلها بشريعة محمد ﷺ فأرسله الله إلى جمح الثقلين: من إنس وجن، ونسخت شريعته جميع الشرائع السابقة، ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [2].

وقال ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي أو نصراني، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار ﴾ [3] [4].

والله -تعالى- حكيم عليم ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [5] ولا غرابة في أن يرفع شرع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق من علام الغيوب تبارك وتعـــالى، ولكن اليهود والنصارى [6] أنكروا نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع السابقة [7] فيكون الرد عليهم بالقول الحكيم كالآتي:

أولا: الأدلة العقليـــة:

١ - ليس هنالك محظور في النسخ عقلا، وكل ما لم يترتب عليه محظور كان جائرا

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله -تعالى- : " واذكر في الكتاب مريم . . . " ، ٦/ ٤٧٧ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى ٤/ ١٨٣٧ ، وما بين المعقوفين من البخاري ٦/ ٤٧٨ ، ومسلم ٤/ ١٨٣٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(٣) أحمد (٢/٣٥٠) .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة محمد إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية ٢٣ .

(٦) لتداخل أقوال النصارى مع اليهود في النسخ ، فسأذكر الرد عيهم جميعا في هذا المسلك إن شاء الله تعالى .

(٧) ثم افترق اليهود والنصارى إلى ثلاث طوائف : (أ) طائفة الشمعونية من اليهود ، قالوا : النسخ ممتنع عقلا وسمعا ، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتأخرين . (ب) وطائفة العنانية من اليهود ، قالوا : النسخ جائز عقلا ، لكنه لم يقع سمعا ، فهو ممتنع . (جـ) طائفة العيسوية من اليهود ، قالوا : النسخ جائز عقلا وواقع سمعا ، إلا أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ ما قبلها من الشرائع ، وإنما هي للعرب خاصة ، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتقدمين . انظر : مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٨٢ ، ٨٣ .

عقلا، فالنسخ جائز عقلا.

٢ - الله -تعالى- يأمر بالشيء على قدر ما تقتضيه المصلحة، فقد يأمر بالشيء في وقت، وينهى عنه في وقت آخر؛ لأنه -سبحانه- أعلم بمصالح عباده، والطبيب الحكيم يأمر المريض بشرب الدواء، أو استعمال دواء خاص في بعض الأزمنة وينهاه عنه في زمن آخر؛ بسبب اختلاف مصلحته عند اختلاف مزاجه، والملك الذي يشفق على رعيته ينقلهم في بعض الأزمنة إلى نوع من السياسة غير النوع الأول، لما في ذلك من المصالح، وقد يسوس الوالد الحكيم ولده في وقت باللطف، وفي وقت آخر بالتأديب، على قدر ما يرى في ذلك من المصلحة [(١)] والله ﷻ ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [(٢)] وهو سبحانه لا يفعل شيئا إلا لحكمة بالغة، فهو يحيي ثم يميت ثم يحيي، وينقل الدولة من قوم أعزة إلى أذلة، ومن قوم أذلة إلى أعزة، ويعطي من شاء ما شاء، ويمنع من شاء [(٣)] ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٤)].

٣- يلزم من يقول بوقوع النسخ سمعا وجوازه عقلا أنهم ماداموا يجوزون أن يأمر الشارع عباده بأمر مؤقت ينتهي بانتهاء وقته، وقد وقع ذلك سمعا، فليجوزوا نسخ الشريعة الإسلامية للأديان السابقة [(٥)].

ثانيا: الأدلة النقلية السمعية، وهي نوعان:

النوع الأول: ما تقوم به الحجة على منكري النسخ من اليهود والنصارى الذين لم يعترفوا برسالة محمد ﷺ.

---

(١) انظر : الداعي إلى الإسلام ، لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧هـ ، ص٣١٩ ، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٨٣ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٢٧ .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٨٠ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٢٣ .

(٥) انظر : مناهل العرفان ٢/ ٨٦ .

النوع الثاني: ما تقوم به الحجة على من آمن برسالة محمد ﷺ ولكنهم قالوا: إنها خاصة بالعرب [1].

النوع الأول: تقوم الحجة على من أنكر نبوة محمد ﷺ مطلقا بالأدلة الواردة في التوراة والإنجيل، والداعية المسلم إذ يورد الأدلة من كتبهم لا يعتقد أن هذه النصوص كـــما أنزلت، بل يحتمل أن تكون مما وقع عليه التحريف والتغيير، فإن اليهود والنصارى قد غيروا وبدلوا كثيرا من كتبهم، ولكن المسلم يقيم عليهم الحجة بما بين أيديهم من التوراة والإنجيل [2] لا لثبوتها، ولكن لإلزامهم بالتسليم، أو يعترفوا بالتحريف ومن ذلك ما يلي:

١ - جاء في التوراة أن الله - تعالى- أمر آدم أن يزوج بناته من بنيه، وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثى، فكان يزوج توءمة هذا للآخر، ويزوج توءمة الآخر لهذا، إقامة لاختلاف البطون مقام اختلاف الآباء والأمهات والأنساب، ثم حرم الله ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين واليهود والنصارى [3].

٢ - جاء في السفر الأول من التوراة أن الله -تعالى- قال لنوح عند خروجه من السفينة: " إني جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب، ما خلا الدم فلا تأكلوه "، ثم اعترفوا بعد ذلك بأن الله حرم كثيرا على أصحاب الشرائع،

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ٧/ ٢٧ .

(٢) تنقسم أخبار كتب اليهود والنصارى إلى ثلاثة أقسام : (أ) ما علم صحته بنقله عن النبي نقلا صحيحا ، أو كان له شاهد صحيح من الشرع يؤيده ، فهذا القسم صحيح مقبول . (ب) ما علم كذبه لكونه يناقض ما عرف من شريعة محمد أو لا يتفق مع العقل الصحيح ، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته . (جـــ) ما هو مسكوت عنه ، وليس من النوع الأول ولا الثاني ، وهذا القسم يتوقف عنه المسلم فلا = = يصدقه ولا يكذبه ، ويجوز حكايته؛ لقوله " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل . . " ، البخاري مع الفتح ٨/ ١٧٠ ، ١٣/ ١١٦ ، وقوله " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج . . " في البخاري مع الفتح ٦/ ٤٩٦ ، وانظر : التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٧٩ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٥٢ ، ٣٨٣ ، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٨٧ ، وإظهار الحق ، لرحمة الله الهندي ١/ ٥١٣ .

ومن ذلك الخنزير في شريعة موسى، وهذا عين النسخ [1].

٣ - أمر الله إبراهيم ﷺ بذبح ولده، ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به، وقد أقر منكرو النسخ بذلك [2].

٤ - الجمع بين الأختين كان مباحا في شريعة يعقوب ﷺ ثم حرم في شريعة موسى ﷺ [3].

٥ - أمر الله -تعالى- من عبد العجل من بني إسرائيل أن يقتتلوا، ثم أمرهم برفع السيف عنهم [4].

وغير ذلك كثير.

النوع الثاني: تقوم الحجة به على من آمن بنبوة محمد ﷺ واعترف بها؛ ولكنه جعلها خاصة بالحرب دون غيرهم، فهؤلاء متى سلموا واعترفوا برسالته ﷺ وأنه صادق فيما بلغه عن الله ﷻ من الكتاب والسنة وجب عليهم الإيمان والتصديق بكل ما ثبت عنه، وما جاء به من عموم الرسالة، والنسخ الثابت بالكتاب والسنة [5] ومن هذا النوع ما يأتي:

١ - قال تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [6].

٢ - وقال تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ

---

(١) انظر . تفسير ابن كثير ١/ ١٥٢ ، ٣٨٣ ، ومناهل العرفان ٢/ ٨٧ ، وإظهار الحق ١/ ٥١٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٥٢ ، ومناهل العرفان ٢/ ٨٧ ، وإظهار الحق ١/ ٣١٥ .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ١٨١ ، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٢٤ ، وابن كثير ١/ ١٥٢ ، ٣٨٣ ، ومناهل العرفان ٢/ ٨٨ ، وإظهار الحق ١/ ٥١٥ .

(٤) ابن كثير ١/ ١٥٢ ، ومناهل العرفان ٢/ ٨٧ ، وانظر ذلك من القرآن في سورة البقرة ، الآية ٥٤ .

(٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١/ ٣٧ ، ١/ ٣١- ١٧٦ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٧/ ٢٧ .

(٦) سورة البقرة ، الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ .

نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[1].

٣ - وقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[2].

٤ - وقال سبحانه: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[3].

٥ - وقال ﷻ ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[4].

٦ - وقال جل وعلا: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[5].

٧ - إجماع سلف الأمة على أن النسخ وقع في الشريعة الإسلامية، كما أن النسخ

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ٩٣-٩٥ .

(٢) سورة النساء ، الآيتان ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٤٦ .

(٤) سورة النحل ، الآية ١٠١ .

(٥) سورة الرعد ، الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

وقع بها لجميع الشرائع السابقة [(١)].

وبهذه الأدلة العقلية والنقلية السمعية التي دلت على جواز النسخ عقلا ووقوعه [(٢)]. نقلا وسمعا- سقطت أقوال منكري النسخ، وأقوال من أنكر عموم رسالة النبي ﷺ [(٣)] ولله الحمد والمنة.

المسلك الثاني: الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة:

من حكمة القول في دعوة اليهود إلى الله ﷻ أن يبين لهم بالجدال بالتي هي أحسن أن الكتب التي بأيديهم قد دخلها التحريف والتبديل والتغيير [(٤)].

واليهود والنصارى يقرون أن التوراة كانت طول مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، وتقر اليهود أن سبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة، وذلك بعد المسيح ﷺ في عصر القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم، ومن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن من تحريف غيره.

واليهود تقر أيضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا، وزادوا ونقضوا، والسامرة تدعي على سائر اليهود بأن التوراة التي

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٢٢ ، ٨٤ ، ١/ ٣٢٦ ، وابن كثير ١/ ١٥١ ، ٣٨٢ ، ٥٨٥ ، ٢/ ١٨٦ ، ٥٢٠ ، ٥٨٧ ، والشوكاني ١/ ٣٦١ ، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٢١-٣٢٨ ، والسعدي ١/ ٤٠١ ، ٤/ ١١٦ ، ٢٤١ ، ومناهل العرفان ٢/ ٨٩ .

(٢) وهناك شبهات لمنكري النسخ قد تضمن الرد عليها الأدلة السابقة ، وانظر أيضا الرد عليها في الفصل لابن حزم ١/ ١٨١- ٢٠٠ ، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣١٧- ٣٤٠ ، ومناهل العرفان ٢/ ٩٣ - ١٠٤ .

(٣) وستأتي الأدلة القطعية على إثبات رسالة محمد وشمولها إن شاء الله تعالى .

(٤) لا شك أنه يجب على كل مسلم الإيمان بكل كتاب أنزله الله ، وبكل نبي أرسله ، وهذا هو أصل دين المسلمين ، فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد ، فهو كافر حلال الدم عند المسلمين . انظر . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٣٣ ، ولكن الكلام الآن هو في بيان وقوع التحريف والتبديل في التوراة .

بأيديهم محرفة مبدلة [١].

والذي يحكم بين الجميع هو كلام الله ﷻ المترل على محمد ﷺ المهيمن على ما سبقه من الكتب المصدق لها، فقد سجل التحريف وأثبته على أهل الكتاب، ونسب إليهم أنواعا من تحريفهم للتوراة، كالتالي:

النوع الأول: إلباس الحق بالباطل:

كان بنو إسرائيل يخلطون الحق بالباطل، بحيث لا يتميز الحق من الباطل، وقد سجل القرآن الكريم هذا الجرم عليهم، قال سبحانه: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ الآية [٢] وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ الآية [٣].

ومن أبلغ الصور وأقبحها في إلباس الحق ادعاء الكهنة والأحبار في التوراة التي بأيديهم أن هارون ﷺ هو الذي جمع الذهب من بني إسرائيل، واشترك معهم في صناعة العجل الذهبي، ووافقهم على عبادته من دون الله تعالى، وفي الوقت نفسه يبرئون السامري.

فهارون الذي تحمل المشاق ﷺ في سبيل إقرار فرعون بالتوحيد، جعلوه داعية إلى الشرك والكفر، ولكن القرآن الكريم كان لهذه الدعوى بالمرصاد، فكذبهم، وبين حقيقة الأمر [٤] قال تعالى: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم ١/ ١٠٢، ١٨٧، ١٩٧، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٨، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٥٨١.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٤٠ – ٤٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٧١.

(٤) انظر: الفصل لابن حزم ١/ ٢٥٦، وهداية الحيارى لابن القيم ص ٥٨٢.

خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمۡ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [1] إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَـٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَـٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ الآيات [2]؛ فهذا هو الصدق حقا، إنما عمل لهم العجل السامري، أما هارون فنهاهم، ولكنهم عصوه وكادوا يقتلونه [3].

النوع الثاني: كتمان الحق:

لا شك أن الله حق، ولا يقول إلا حقا، والتوراة التي أنزلت على موسى كلها حق؛ لأنها كلام الله تعالى، ولكن بني إسرائيل كانوا يكتمون الحق، قاصدين بذلك إخضاع كتاب الله لأهوائهم وشهواتهم، فالآيات التي يرون فيها منفعة لهم عاجلة أو تكون في جانب حجتهم يقرونها، أما الآيات التي يرون أن فيها دليلا عليهم فيكتمونها؛ ولهذا سجل الله عليهم هذا الكتم في كتابه، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [4].

ومن أعظم ما كتمه أهل الكتاب هو ما وجدوه في كتبهم من صفات محمد ﷺ واختيار الله له رسولا إلى الناس أجمعين، وقد كانوا يعرفونه في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم إذا سئلوا عن ذلك كتموه [5] قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [6] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَـٰهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا

(١) سورة طه آية : ٨٨ .

(٢) انظر : سورة طه ، الآيات ٨٧-٩١ .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ٤٥٦ ، وهداية الحيارى ص ٥٨٢ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٧١ ، وانظر : سورة البقرة ، الآية ٤٢ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ١/ ٦٧ ، ١٦٢ ، ٣١٥ ، وابن كثير ١/ ٨٥ ، ٩٥ ، ٣٧٤ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٤٦ .

يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

وقد بين ﷻ صفاته ﷺ الكاملة في التوراة والإنجيل، فقال عز وجـــل: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾[2].

ومع هذه الأوصاف العظيمة التي كانوا يعرفونها مكتوبة عندهم، أنكروا نبوته ﷺ وكتموا ما علموه [3].

النوع الثالث: إخفاء الحق:

الإخفاء قريب من الكتمان [4] وقد كان أهل الكتاب يخفون من أحكام التوراة الشيء الكثير، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[5].

ومن الأحكام التي أخفاها اليهود حكم رجم الزاني المحصن، فقد ﴿ جاءوا إلى

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٢٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيتان ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) انظر الأمثلة من نصوص التوراة التي بينت صفات النبي واضحة جلية ، ولكن اليهود كتموا ذلك ، في : الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ٢٠١- ٣٢٩ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ٢٩٩- ٣٣٢ ، وهداية الحيارى لابن القيم ص ٥٢٢- ٥٨٠ ، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٥١- ٣٦٣ ، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي ١/ ٣٣٥- ٥٠٨ .

(٤) انظر : هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٢٤ ، ويمكن أن يقال الفرق بين الكتمان والإخفاء : بأن الكتمان هو ما كتموه من أوصاف النبي وأمته حقدا وكراهة ، والإخفاء هو إخفاء كل ما فيه خزي لهم ومخالفة ، والله أعلم . انظر : التوراة دراسة وتحليل لمحمد شلبي ص ٨٠ .

(٥) سورة المائدة ، الآية ١٥ .

النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: " كيف تفعلون بمن زنى منكم؟ ". قالوا: نحممهما ونضربهما. فقال: " لا تجدون في التوراة الرجم؟ ". فقالوا: لا نجـــد فيها شيئا. فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدارسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده [(١)] عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ﴾... الحديث [(٢)].

ولهذا قال سبحانه: ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾ [(٣)] إلى قوله: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [(٤)] وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٥)].

فأنكر سبحانه على أهل الكتاب المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم: التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم [(٦)].

---

(١) وفي رواية أخرى للبخاري : فقال عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم . انظر : البخاري مع الفتح ٢/ ١٦٦ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب : " قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين " ٨/ ٢٢٤ ، ١٢/ ١٦٦ ، ١٣/ ٥١٦ .

(٣) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٤) سورة المائدة الآيات ٤١ – ٤٣ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٢٣ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٦ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٥٧ .

النوع الرابع: لي اللســـان:

من أنواع تحريف اليهود للتوراة: لي اللسان، فهم يلوون ألسنتهم ويعطفونها بالتحريف، ليلبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره، ويفتلون ألسنتهم حين يقرءون كلام الله -تعالى- لإمالته عما أنزله الله عليه إلى اللفظ الذي يريدونه [(١)] قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [(٢)].

ومن التحريف بلي اللســـان ما كان يفعله اليهود مع رسول الله ﷺ بقولهم: ﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ [(٣)] ويقصدون معنى: اسمع لا سمعت، أي: يدعون على النبي ﷺ وقد كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ راعنا، من المراعاة، والمعنى: فرغ سمعك لكل منا، فلما سمع اليهود هذه اللفظة اغتنموا الفرصة في التحريف؛ لأن معناها عندهم السحت والطعن بمعنى: يا أحمق [(٤)] ولكن الله – عز وجـــل- كشف سترهم، فقال: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [(٥)].

ونهى الله المؤمنين عن صفات اليهود فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا

(١) انظر . تفسير البغوي ١/ ٣٢٠ ، وابن كثير ١/ ٣٧٧ ، وهداية الحيارى ص٥٢٤ ، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٥٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٧٨ .

(٣) سورة النساء آية : ٤٦ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ١/ ١٠٢ ، ٤٣٨ ، وابن كثير ١/ ١٤٩ ، ٥٠٨ ، وفتح القدير للشوكاني ١/ ١٢٤ ، ٤٧٤ .

(٥) سورة النساء ، الآية ٤٦ .

وَقُولُوا ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [1].

النوع الخامس: تحريف الكلام عن مواضعه:

أثبت الله ﷻ على أهل الكتاب هذا النوع من التحريف، فقال ﷻ ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [2] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦۚ ﴾ [3] وقال ﷻ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾ [4].

وهذا النوع من التحريف له أربع صور كالتالي:

١ – **تحريف التبديل**: وهو وضع كلمة مكان كلمة، أو جملة مكان جملة.

٢ – **تحريف بالزيادة**: ويكون بزيادة كلمة أو جملة.

٣ – **تحريف بالنقص**: وهو إسقاط كلمة، أو جملة من الكلام المنزل على موسى ﷺ.

٤ – **تحريف المعنى**: تبقى الكلمة أو الجملة كما هي، ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين، ثم يختارون المعنى الذي يتفق مع أهوائهم وأغراضهم [5].

وهذه الصور لها أمثلة كثيرة من التوراة لا يتسع المقام لذكرها [6].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٠٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٤٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٤١ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٧ ، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٦٠ ، ٣٦١ ، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي ١/ ٣٣٧– ٥٠٨ ، والتوراة : دراسة وتحليل ، للدكتور محمد شلبي شتيوي ص ٨٣ .

(٦) انظر : الأمثلة على تحريف التبديل في الفصل لابن حزم ١/ ٢٠٧– ٢٢٤ ، وإغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٢ – ٣٤٤ ، وهداية الحيارى ص ٥٨٢ ، والمناظرة الكبرى ، ص ٤٦٥– ٤٧٥ ، والأمثلة على تحريف الزيادة في : إظهار الحق ١/ ٣٣٨–٣٧٤ ، والتوراة دراسة وتحليل ص ٩٠–٩٤ ، وأمثلة النقص إظهار الحق ١/ ٤١٤–٤٥٦ ، والتوراة دراسة وتحليل ٩٥–٩٨ ، وأمثلة التأويل في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٦١–٣٦٣ ، وهداية الحيارى ص ٥٢٦–٥٣٩ .

وقد بين الله ﷻ أن أهل الكتاب يعلمون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، لما يجدونه في كتبهم من نعته ﷺ وأمته، وما شرفه الله به من الشريعة الكاملة [(١)] قال سبحانه: ﴿ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا ﴾ [(٢)] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [(٣)].

ومن رحمة الله -تعالى- بهم وكرمه أنه عندما ذكر ما فعلوه من العظائم دعاهم إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [(٤)] فلو آمنوا بالله وملائكته، وجميع كتبه، ورسله لكفر عنهم سيئاتهم وأدخلهم الجنة [(٥)] قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [(٦)] ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [(٧)].

المسلك الثالث: إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود:

لا شك أن من حكمة القول مع أهل الكتاب في دعوتهم إلى الله ﷻ الاستشهاد عليهم بشهادة علماء أهل الكتاب المنصفين، الذين وفقهم الله -تعالى- وقبلوا الحق، وبينوه

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٩٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية، ٧١، وانظر: آل عمران: الآيتان ٩٨، ٩٩.
(٤) سورة النساء، الآية ٤٧.
(٥) انظر: تفسير السعدي ٢/ ٣١٩.
(٦) سورة المائدة، الآيتان ٦٥، ٦٦.
(٧) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

و لم يكتموه، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [1].

وأذكر على سبيل المثال من هؤلاء العلماء الذين يعترف اليهود بأهم كانوا منهم فأقروا بالإسلام وأنه الدين الحق ما يلي:

١ – عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه:

لو لم يسلم من اليهود في زمن النبي ﷺ إلا سيد اليهود على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، وخيرهم وابن خيرهم، باعترافهم وشهادهم، لكان في مقابلة كل يهودي على وجه الأرض، فكيف وقد تابعه من الأحبار والرهبان من لا يحصي عددهم إلا الله [2].

وقد آمن هذا الرجل بالله وبرسوله ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: « بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي. قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد يترع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ " خبرني هن آنفا جبريل " قال ابن سلام: ذلك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله ﷺ " أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، [قال: أشهد أن لا إلـــه إلا الله، وأنك رسول الله] قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم هت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم هتوني عندك، فادعهم [فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي]، [فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا]، فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ " يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا، وأني جئتكم بحق فأسلموا " قالوا: ما نعلمه- قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار – فقال رسول

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٦ .

(٢) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥١٤ ، ٥٢٥ .

الله ﷺ " فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ " قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، [خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا]، قال: " أفرأيتم إن أسلم؟ " قالوا: أعاذه الله من ذلك، حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: " أفرأيتم إن أسلم؟ " قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: " أفرأيتم إن أسلتم؟ ". قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: " يا ابن سلام، اخرج عليهم " [فخرج عليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله]، [يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، أشرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه]، [فأخرجهم رسول الله ﷺ] ﴾ [1] [2].

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: ﴿ لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قبله، وقيل: قدم رسول الله ﷺ قدم رسول الله ﷺ قدم رسول الله ﷺ ثلاثا، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: " يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ﴾ [3] [4].

وقد أثنى الله على هذا العالم الرباني، فعن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ

---

(١) البخاري أحاديث الأنبياء (٣١٥١) ، أحمد (٣/٢١١) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ٦/ ٣٦٢ ، ومناقب الأنصار ، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٥٠ ، وباب حدثني حامد بن عمر ، عن بشر بن المفضل ٧/ ٢٧٢ ، وكتاب التفسير ، سورة البقرة ، باب قوله : " من كان عدوا لجبريل " ٨/ ١٦٥ ، وألفاظ الحديث من المواضع الأربعة ، وانظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢١٠ .

(٣) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٨٥) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٥١) ، الدارمي الصلاة (١٤٦٠) .

(٤) ابن ماجه في كتاب الأطعمة ، باب إطعام الطعام ، ٢/ ١٠٨٣ بلفظه ، والترمذي في صفة القيامة ، باب حدثنا محمد بن بشار ٤/ ٦٥٢ ، وأحمد في المسند ٤/ ٤٥١ ، وانظر صحيح ابن ماجه ٢/ ٢٢٢ .

يقول لأحد يمشي [١] على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية [٢] ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾ [٣].

٢ – زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود، ﷺ :

قال ﷺ ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وأشهدك أن شطر مالي –فإني أكثرها مالا– صدقة على أمة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم. فخرج عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله "، وآمن به، وصدقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلا غير مدبرا [٤] ﷺ ورحمه.

٣ – من أسلم عند الموت:

« أتى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ " أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ " فقال برأسه هكذا، أي: لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد

---

(١) قد ثبت عنه أنه شهد لأناس كثير بالجنة ، ومنهم العشرة المبشرون بالجنة ، فقيل بأن سعد بن أبي وقاص يعني من الأحياء؛ لأن عبد الله بن سلام عاش بعد موتهم ، و لم يتأخر معه من العشرة غير سعد وسعيد ، ويؤخذ هذا من قول سعديمشي على الأرض . انظر : فتح الباري ٧/ ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب عبد الله بن سلام ٧/ ١٢٨ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبد الله بن سلام ٤/ ١٩٣٠ .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية ١٠ .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، وعزاه إلى الطبراني ، وقال : رجاله ثقات ٨/ ٢٤٠ ، وتقدم تخريجه كاملا مطولا في مواقف النبي الفردية ، والقصة هنا مختصرة ، فارجع إليها في المجمع ٨/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: " أقيموا اليهودي عن أخيكم "، ثم ولي كفنه، وحنطه، وصلى عليه ﷺ ﴾ [1] [2].

هذه ثلاثة أمثلة لاعترافات أحبار اليهود بأن محمدا ﷺ حق، وأن صفته موجودة في التوراة، ويعرفه اليهود كـــما يعرفون أبناءهم ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [3].

المسلك الرابع: الأدلة على إثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام:

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله -تعالى- إثبات نبوة عيسى ومحمد، **عليهما الصلاة والسلام**، وذلك بما ظهر على يديهما من المعجزات الباهرات، والآيات البينات الطاهرة التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها، كالتالي:

(أ) البراهين والبينات على صدق نبوة عيسى ابن مريم ﷺ :

ثبتت نبوة عيسى ﷺ بما ظهر على يده من المعجزات الخارقة للعادات من: إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم، وإبراء الأكمه، والأبرص، وخلق الطير من الطين بإذن الله، والإخبار بالغيوب، وإنزال الطعام من السماء، وولادته من أم بغير أب، وكلامه في المهد [4] وغير ذلك من المعجزات [5].

ومعجـــزات عيسى لم تكن دون معجزات موسى، **عليهما الصلاة والسلام**، فكلا الرسولين اشتركا في المعجزات والآيات الظاهرة، فإن قيل أحدهما قد تعلمها بحيلة، فالآخر يمكن أن يقال ذلك في حقه، وقد أخبرا جميعا أن الله - تعالى- هو الذي أجرى ذلك على

---

(١) أحمد (٥/٤١١) .

(٢) أحمد في المسند ٥/ ٤١١ ، وقال ابن كثير : هذا حديث جيد قوي ، له شواهد في الصحيح عن أنس . انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٢ ، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٣٤ .

(٣) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

(٤) انظر الأدلة على هذه المعجزات في سورة آل عمران ، الآية ٤٩ ، وسورة المائدة الآية ١١٠ ، والآيتان ١١٤ ، ١١٥ .

(٥) انظر : كتاب الداعي إلى الإسلام ، للأنباري ص ٣٤٧ ، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٤٧ .

أيديهما، وأنه ليس من صنعهما، فتكذيب أحدهما وتصديق الآخر تفريق بين المتماثلين، وليس هناك دليل على أن موسى ﷺ تلقى المعجزات عن الله تعالى إلا وهو يدل على أن عيسى ﷺ تلقاها عن الله تعالى، فإن أمكن القدح في معجزات عيسى أمكن القدح في معجزات موسى، وإن كان ذلك باطلا فهذا باطل أيضا (1) ولا شك أنه لا يمكن القدح في شيء من ذلك أبدا.

(ب) الحجج والبراهين على صدق نبوة محمد ﷺ :

ظهر على يده ﷺ من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثر من سائر الأنبياء، والعهد بهذه المعجزات قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرنا بعد قرن، وأعظمها فعجزة: القرآن، لم يتغير ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به، كأنه يشاهده عيانا، وقد عجز الأولون والآخرون عن الإتيان بمثله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (2).

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى ﷺ إن لم يؤمن بنبوة محمد ﷺ ولا يمكن لنصراني أن يقر بنبوة المسيح ﷺ إلا بعد إقراره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن من كفر بنبوة نبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾ (3).

ولا ينفع أهل الكتاب شهادة المسلمين بنبوة موسى وعيسى **عليهما الصلاة**

(1) انظر : إغاثة اللهفان 2/ 347 .

(2) سورة الإسراء ، الآية 88 .

(3) سورة النساء ، الآيات 150 - 152 .

والسلام؛ لأن المسلمين آمنوا بهما على يد محمد ﷺ وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به، فلولاه ما عرفنا نبوتهما، ولا سيما وليس بأيدي أهل الكتاب عن أنبيائهم ما يوجب الإيمان بهم؛ فلولا القرآن ومحمد ﷺ ما عرفنا شيئا من آيات الأنبياء المتقدمين، فمحمد ﷺ وكتابه هو الذي قرر نبوة موسى وعيسى، لا اليهود والنصارى، بل نفس ظهوره ومجيئه تصديقا لنبوتهما؛ فإنهما أخبرا بظهوره، وبشرا بظهوره: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [1] فلما بعث كان بعثه تصديقا لهما، قال تعالى: عن محمد ﷺ ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [2] .

فمجيئه تصديق لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذبا لم يصدق من قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء [3].

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [4] ولم يجسر أحـــد منهم على ذلك- مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته- لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة [5] ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ٣٧ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٧٨- ٨٣ ، ودقائق التفسير لابن تيمية ٣/ ٣٤ ، وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وهداية الحيارى ص ٦٣٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٩٤ .

(٥) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٧/ ٩٩ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٢٨ ، ١٢٩ ، وتفسير السعدي ١/ ١١٤ .

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾[1].

وغير ذلك من دلائل نبوته وصدقه[2] ﷺ التي سأذكرها- إن شاء الله- في آخر مطلب من مطالب حكمة القول مع أهل الكتاب.

المطلب الثاني : حكمة القول مع النصارى :

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله- تعالى- أن يسلك معهم الداعية المسلم المسالك الحكيمة الآتية:

المسلك الأول: إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية لله تعالى.

المسلك الثاني: البراهين على إثبات بشرية عيسى وعبوديته لله تعالى.

المسلك الثالث: البراهين على إبطال قضية الصلب والقتل.

---

(١) سورة الجمعة ، الآيتان ٦ ، ٧ .

(٢) ومن دلائل نبوته في هذا الزمن ما نشر في صحيفة البلاد السعودية ، في عددها رقم ٩٤٢٢ ، في ١٥/ ٨/ ١٤١٠هـ ، الموافق ١٢ مارس ١٩٩٠م ، ودخل في الإسلام بسبب ذلك أربع قرى نيجيرية ، وهذا نص المنشور : لقى أحد الضالين والمستهزئين بالإسلام حتفه أثر تشكيكه في الإسلام والقرآن ، وإعلانه أمام جمع من الناس قائلا : إن كان القرآن والإسلام حقا فإني أسأل الله ألا أرجع بيتي حيا . ويشاء الله أن يلقي هذا الكافر حتفه قبل أن يعود إلى مترله فعلا ! هذا وقد وقعت هذه الحادثة في قرية (بوب) في ولاية غونفولي بشمال نيجيريا ، وأسلم على أثرها أهل القرية وثلاث قرى مجاورة ، ويقول شهود عيان رأوا الحادثة : إن المكذب ويدعى عمر غيمو ، وهو قس في كنيسة باتيسي بقرية بوب وقف خطيبا في الكنيسة ، وبدأ في التطاول على الإسلام والقرآن الكريم ، وردد العديد من الأكاذيب والأباطيل والافتراءات على الإسلام والقرآن الكريم ، ثم قال في نهاية خطبته : (إن كان القرآن والدين الإسلامي حقا فأسأل الرب ألا يرجعني إلى بيتي حيا) . وخرج القس من الكنيسة وهو على ثقة تامة بأنه لن يصيبه شيء وسيصل إلى مترله في صحة وعافية؛ ليتخذ ذلك فيما بعد دليلا يؤكد به للناس افتراءه وأكاذيبه . ويشاء الله وعلى الرغم من أن الطريق على مترله لا توجد به أي أخطار تهدد حياة الإنسان ، يشاء الله أن تتعثر قدماه وهو يعبر جدول ماء صغير ، وسقط فيه حتى مات وسارع إليه جماعة من المسيحيين في دهشة وذهول ، ونقلوه إلى المستشفى والتي رفضت استلامه لوفاته ، فذهبوا به إلى مستشفى آخر وثالث وكان التأكيد أنه قد لاقى حتفه ليسقط في أيديهم لحدوث الوفاة بهذه البساطة ودون حدوث أي إصابة أو جرح . والأعجب من ذلك أن أحد المارة كان قد حاول في البداية إنقاذ هذا المستهزئ عند تعثره فلقي مصرعه . . . تجدر الإشارة إلى أن هذا القس كان مسيحيا ، ثم أسلم ، وعاش فترة بين المسلمين يتعامل معهم ويتعاملون معه ، إلا أنه نكص على عقبيه ، وارتد عن الإسلام ، وأصبح حربا على دين الله إلى أن لقي مصيره المحتوم .

المسلك الرابع: البينات على إثبات وقوع النسخ والتحريف.

المسلك الخامس: إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصـــارى.

المسلك الأول: إبطال عقيدة التثليث وإثبات الوحدانية لله تعالى:

المقصود بالتثليث عند النصارى ثلاثة أسماء: الآب، والابن، وروح القدس.

وقالوا: الآب هو الـــذات، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو الحياة [1] ويعبرون عن ذلك بأن الله- تعالى عن كفرهم- ثلاثة أقانيم، والأقنوم في لغتهم هو الأصل [2] والثلاثة أسماء إلـــه واحد [3] في زعمهم الباطل عقلا وشرعا.

والرد على عقيدة التثليث وإبطالها [4] ودعوة أصحابها إلى الله بالقول الحكيم يتلخص في الأمور الآتية:

---

(١) اختلف النصارى في تفسير هذا الكلام على أقوال : ١- فكثير منهم يقول : الآب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو الحياة . ٢ - ومنهم من يقول : الآب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو القدرة . ٣ - وقيل : الأقانيم ثلاثة : جواد ، حكيم ، قادر ، فقالوا : الجواد الآب ، والحكيم الابن ، والقادر : روح القدس . ٤ - وقيل : الذات الأب ، والنطق الابن ، والحياة روح القدس . ٥ - ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم ، فيقول : موجود ، حي ، عالم ، أو موجود ، عالم ، قادر . ٦ - ومنهم من يقول : موجود ، حي ، حكيم . ٧ - ومنهم من يقول . قائم بنفسه ، حي ، حكيم . وكلهم متفقون على أن المتجسد في المسيح -على زعمهم- والحال فيه هو أقنوم الكلمة ، وهو الذي يسمونه الابن دون الآب ، تعالى الله عن قولهم . = = انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٩٠ ، ٩٤ ، والملل والخل للشهرستاني ١/ ٢٢٢ -٢٢٨ . وفرق النصارى الثلاث : الملكانية ، والنسطورية ، واليعقوبية متفقون على أن معبودهم ثلاثة ، ولكنهم اختلفوا في تفسير الأقانيم الثلاثة ، وفي الحلول والاتحاد . انظر : الجواب الصحيح ٢/ ٩٥ ، والفصل لابن حزم ١/ ١١٠- ١١٢ ، وإظهار الحق ١/ ٥٧٦ ، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢١ - ٢٢٨ ، والبداية والنهاية ٢/ ١٥٠ ، ودقائق التفسير ٣/ ٣٠ ، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٧٣ . قال ابن حزم في الفصل ١/ ١١٢ : ولولا أن الله وصف قولهم في كتابه . . . لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف ، وتالله لولا أنا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يســـع هذا الجنون ، ونعوذ بالله من الخذلان .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ١٠٠ ، ١١٢ ، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٥٩ ، والفصل لابن حزم ١/ ١١٩ .

(٣) انظر : الداعي إلى الإسلام ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، والجواب الصحيح ٢/ ١١٢ .

(٤) انظر : اليهودية والمسيحية ، للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٤١١- ٤٣٩ .

١ – التوحيد دين الأنبياء– عليهم الصلاة والسلام– وأتباعهم:

إن عقيدة التثليث لم تكن في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم عليه الصلاة والسلام، إلى رفع عيسى ﷺ.

وعقيدة التوحيد هي دين الأنبياء وأتباعهم، كـــما أن كتب العهد القديم عند أهل الكتاب ناطقة بأن الله واحد، أزلي، أبدي، حي لا يموت، قادر يفعل ما يشاء، ليس كمثله شيء، لا في الذات ولا في الصفات، وعبادة غير الله حرام، وحرمتها مصرحة في مواضع شتى، وهذا الأمر لشهرته وكثرته في تلك الكتب غير محتاج إلى نقل الشواهد [(١)].

٢ – النصارى تلقوا عقيدة التثليث عن أصحاب المجامع:

إن المصادر النصرانية الموثوق فيها لا تملك سوى الإقرار بأن دعوة عيسى ﷺ كانت توحيد الله الخـــالص من الشرك، إلى بداية القرن الرابع الميلادي [(٢)] وذلك أن الله ﷻ بعث عبده ورسوله عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل، فجدد لهم الدين، وصدق لما بين يديه من التوراة، وأحل لهم بعض الذي حرم عليهم، ودعاهم إلى عبادة الله وحـــده، فعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالعظائم، وأرادوا قتله، فطهره الله – تعالى– منهم، ورفعه إليه، و لم يصلوا إليه بسوء، وأقام الله– تعالى– للمسيح أنصارا دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلاثمائة سنة، ثم أخذ دين المسيح في التبـــديل والتغيير، و لم يبق بأيدي النصـــارى منه إلا بقايا: كالختان، والاغتسال من الجنابة، وتعظيم السبت، وتحريم الختزير، وتحريم ما حرمته التوراة إلا ما أحلت لهم بنصها، ثم استحلوا الختزير، وأحلوا السبت، وعوضوا منه يوم الأحد، وتركوا الختان، والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس فصلوا إلى المشرق، وعظموا الصليب وعبدوه، وعندما أخذ دين المسيح ﷺ في التغير والفساد اجتمعت

---

(١) انظر : إظهار الحق ، لرحمة الله الهندي ١/ ٥٤٣ ، ٥٧٧ .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ٢٧٠ ، وهداية الحيارى ص ٦٢٢ ، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٦٤ .

النصارى عدة مجامـع، ثم يفترقون على الاختلاف والتلاعن، ومن أهم هذه المجامع: مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، فقد جمع الملك قسطنطين -باني القسطنطينية- ألفين وثـمانية وأربعين أسقفا (٢٠٤٨) من جميع بلدان العالم، وكانوا مختلفي الآراء والأديان، واتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا (٣١٨) على أن المسيح ابن الله -تعالى عن كفرهم- وأنه مساو له في الجوهر، وأنه نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنسانا، وحمل به، ثم ولد من مريم، وقتل وصلب، ودفن، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، وقالوا: نؤمن بروح القدس، وأجبر الملك الناس على هذه العقيدة التي أسسها هؤلاء الأساقفة.

ثم عقد مجمع آخر عام ٣٨١ م، وحضره مائة وخمسون أسقفا (١٥٠)، وأجمعوا على أن روح القدس خالق غير مخلوق، وبهذا المجمع تم لهم التثليث، وقالوا: بأن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وفرض ملوك النصارى هذه العقيدة على الناس.

ثم عقد مجمع سنة ٤٣١ م، وحضره نحو مائتي أسقف (٢٠٠)، وقرروا أن مريم ولدت إلها... !

واستمرت المجامـع تعقد بعد ذلك، وأشهرها المجامع العشرة التي عقدت على مر العصور، وكلهم يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، فدينهم الذي ابتدعوا قائم على اللعنة [(١)].

فثبت بهذا الاستعراض أن دين المسيح ﷺ هو التوحيد إلى نهاية القرن الثالث الميلادي، وأن المجامع النصرانية هي التي فرضت عقيدة التثليث، وألزم الملوك الناس بذلك بالسيف والعطاء [(٢)].

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ١١٥ ، ٢/ ٩٠-١٣٥ ، ٣/ ٢٢-٤٥ ، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٧٠- ٢٨١ ، وهداية الحيارى ص ٦٤٦-٦٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٥٠ ، ١٥١ ، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٠٢-٢١٦ .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢/ ٢٢٨ .

فعلم قطعا بأن عقيدة التثليث عقيدة وثنية مصدرها المجامع النصرانية، بدءا بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ م، وهذا من أعظم ما يرد به على النصارى، ولكن بالقول الحكيم، وبالرفق واللين، والجدال بالتي هي أحسن.

٣ - بطلان كون الثلاثة إله واحـــد:

قال المثلثة: الآب، والابن، وروح القدس: الثلاثة أسماء إله واحد، ورب واحـــد، وخالق واحد، ومسمى واحد، لم يزل ولا يزال شيئا- ناطقا: أي الذات والنطق والحياة [(١)] ويعبرون عن ذلك بأن الله - تعالى عن كفرهم- ثلاثة أقانيم، وحينئذ يرد عليهم بالقول الحكيم بالآتي:

أولا: لم خصصتم الأقانيم بالثلاثة؟ فإنه قد ثبت أنه: موجود، حي، عليم، قادر، سميع، بصير، كريم، خالق، رازق... فيلزمكم على قولكم هذا أن تثبتوا أقنوما رابعا، وهو القدرة، وخامسا وهو: السمع، وسادسا وهو: البصر، وسابعا وهو: الكرم، وثامنا وهو: الخلق، وتاسعا وهو: الكلام... وسائر الصفات الثابتة، فإن أسماء الله -تعالى- وصفات متعددة كثيرة، ومنها تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة [(٢)].

فإذا كانت أسماء الله كثيرة فالاقتصار على ثلاثة أسماء أو ثلاث صفات باطل مردود [(٣)].

ثانيا: قولكم: الآب الذي هو ابتداء الاثنين، والابن النطق الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل: كلام باطل؛ لأن صفات الكمال لازمة لذات الله -تعالى- أولا وآخرا،

(١) فالذات عندهم : الأب الذي هو ابتداء الاثنين ، والنطق : الابن الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل ، والحياة : هي روح القدس ، ثم يعبرون عن ذلك بأن الله- تعالى- ثلاثة أقانيم - تعالى الله عن ذلك- والأقنوم في لغتهم : هو الأصل انظر : الجواب الصحيح ٢/ ١٠٠ ، ١١٢ ، والداعي إلى الإسلام ص ٣٥٩ ، والفصل لابن حزم ١/ ١١٩ .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الشروط ، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار ٥/ ٣٥٤ ، ١١/ ٢١٤ ، ومسلم ، كتاب الذكر ، باب أسماء الله تعالى . . . ٤/ ٢٠٦٣ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١١٣ .

فهو لم يزل ولا يزال حيا، عالما، قادرا، فلم يصر حيا بعد أن لم يكن حيا، ولا عالما بعد أن لم يكن عالما !

ثالثا: قولكم في النطق: إنه الابن، وإنه مولود من الله -تعالى-: إن أردتم به أنه صفة لازمة له، فكذلك الحياة صفة لازمة له، فيكون روح القدس أيضا ابنا ثانيا، وإن أردتم أنه حصل منه بعد أن لم يكن لزم أن يكون عالما بعد أن لم يكن، وهذا مع كونه باطلا وكفرا فيلزم مثله في الحياة وأنه صار حيا بعد أن لم يكن حيا، تعالى الله وتقدس عن ذلك !

رابعا: إن تسمية حياة الله: روح القدس، لم ينطق به شيء من كتب الله المترلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله من التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه.

خامسا: إنكم تدعون أن المتجسد بالمسيح هو الكلمة، الذي هو العلم، وهذا إن أردتم به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الآب، وهو الابن، وهو روح القدس، وهذا عندكم وعند جميع الناس باطل.

سادسا: العلم صفة، والصفة لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء، وأيضا هو عند المثلثة خالق للسموات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد به صفة، فإن الإله المعبود هو الإله الحي العليم القدير، وليس هو نفس الحياة ولا نفس العلم والكلام، فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله اغفر لي وارحمني... كان هذا باطلا في صريح العقل؛ ولهذا لم يجوز أحد من أهل الأديان السماوية أن يقال للتوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله: اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلم بهذا الكلام -وهو الله وحده-: اغفر لنا وارحمني.

والمسيح عند المثلثة هو الإله الخالق الذي يقال له: اغفر لنا وارحمنا، فلو كان هو نفس علم الله وكلامه لم يجز أن يكون إلها معبودا، فكيف إذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه حيث قال: (كن)، فكان، فتبين بذلك أن كلمات الله كثيرة لا نهاية لها، ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة بل غايته أن يكون كلمة

واحدة، إذ هو المخلوق بكلمة من كلمات الله ﷻ [(١)].

سابعا: مما لا يشك في صحته عاقل أن عقيدة التثليث باطلة مردودة بصريح النقل وصحيح العقل، ومن المعلوم عند سائر أهل الملل أن الله موجود، حي، عليم، متكلم، قدير، لا تختص صفاته بثلاثة، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك، وهو: لفظ الآب، والابن، وروح القدس، فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجـــد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني، بل ذلك مما ابتدعه النصارى، و لم يدل عليه شرع ولا عقل [(٢)].

فتبين أن جميع كتب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تبطل مذهب النصارى، فهم بين أمرين:

١- الإيمان بكلام الأنبياء وبطلان دينهم (عقيدة التثليث).

٢- تصحيح دينهم وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [(٣)].

٤ - إبطال عقيدة التثليث بما في كتب النصارى:

من الأدلة التي تلزم أصحاب التثليث أن يبين لهم بالقول الحكيم ما في كتبهم التي يعترفون بها، فإن فيها ما يبطل قولهم وعقيدتهم في التثليث، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

(أ) جاء في إنجيل يوحنا، أن المسيح ﷺ قال في دعائه: " إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أرسلت اليسوع المسيح " [(٤)].

وهذه حقيقة شهادة أن لا إلـــه إلا الله، ولا معبود بحق سواه.

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١١٢- ١١٦ ، بتصرف .

(٢) انظر : المرجع السابق ٢/ ٩١ .

(٣) انظر : المرجع السابق ٢/ ٢١٣ .

(٤) هداية الحيارى لابن القيم ص ٦٢٠ .

(ب) وقال: " إن الله ﷻ ما أكل ولا يأكل، وما شرب ولا يشرب، ولم ينم ولا ينام، ولا ولد له ولا يلد ولا يولد، ولا رآه أحد ولا يراه أحد [1] إلا مات " [2].

وبهذا يظهر سر قوله تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾ [3].

وغير ذلك من الأمثلة كثير لا يتسع المقام لذكرها [4].

٥ – إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث:

القرآن الكريم هو الأصل في تصحيح العقائد، وما سبق من القول الحكيم مع النصارى إنما هو مخاطبتهم على قدر عقولهم بالأدلة العقلية، وبالواقع من تاريخهم، وما جاء في كتبهم، مما يبطل عقيدة التثليث، يثبت أن عقيدة التوحيد هي دين الأنبياء جميعا، عليهم الصلاة والسلام.

والقرآن الكريم – المحفوظ من الله عن التبديل والتحريف- يتولى الرد على هذه القضية بأوجز عبارة وأوضحها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ ﴾ [5] ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ

(١) المقصود بنفي الرؤية هنا في الدنيا ، أما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم في الجنة ، وهو أعظم نعيم أهل الجنة ، جعلنا الله منهم .

(٢) انظر : هداية الحيارى ص ٦٢١ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٧٥ .

(٤) انظر كثير من الأمثلة على ذلك في : هداية الحيارى ص ٦٢٠- ٦٢٢ ، وإظهار الحق ٢/ ٢٥-٣٩ .

(٥) سورة النساء ، الآية ١٧١ .

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [(1)].

وقال ﷻ مبينا حقيقة عيسى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [(2)].

وأخبر الله عن المسيح أنـــه لم يأمر النـــاس إلا بما أمره الله به، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [(3)] ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [(4)] ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ

(1) سورة المائدة ، الآية ١٧ .

(2) سورة المائدة ، الآيات ٧٢ – ٧٥ .

(3) سورة المائدة ، الآيتان ١١٦ ، ١١٧ .

(4) سورة مريم ، الآيات ٨٨ – ٩٣ .

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

. فهل بعد هذا القول بيان؟ وهل بعد هذه الحجج من حجج؟[2].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[3] فقد بينها الله تعالى أعظم بيان وأكمله وأبلغه.

(أ) فالكلمة التي ألقـــاها الله إلى مريم هي: (كن)، فكان عيسى بـــ " كن "، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان عيسى، فالكن من الله قوله: (كن)، وليس الكن مخلوقا[4] قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[5].

ففي هذا الكلام وجوه تبين أنه مخلوق وليس كما يقول النصارى، وذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾[6]، وهي نكرة في سياق الإثبات يقتضي أنه كلمة من كلمات الله، وليس هو كلامه كله كما يقول النصارى.

٢ - ومنها أنه بين مراده بقوله: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾[7]، وأنه مخلوق حيث قال: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[8] كـــما قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ

(١) سورة التوبة ، الآية ٣٠ .
(٢) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ٢٧٩- ٢٨١ ، ودقائق التفسير ٣/ ٢٨ ، ٢٩ .
(٣) سورة النساء ، الآية ١٧١ .
(٤) فتاوى ابن تيمية ٢٠/ ٤٩٣ ، ودقائق التفسير ٣/ ٣١ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٩٥١ .
(٥) سورة آل عمران ، الآيات ٤٥ - ٤٧ .
(٦) سورة آل عمران آية : ٤٥ .
(٧) سورة آل عمران آية : ٤٥ .
(٨) سورة آل عمران آية : ٤٧ .

كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [3].

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أن الله قال له: ﴿ كُن ﴾ [4]، وهذا تفسير كونه كلمة منه.

٣ – وقال: اسمه المسيح عيسى ابن مريم.

٤ – وأخبر أنه وجيه في الدنيا والآخرة.

٥ – وأنه من المقربين.

وهذه كلها صفة مخلوق، والله– تعالى– وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك.

٦ – وقالت مريم: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ ﴾ [5]، فبين أن المسيح الذي هو الكلمة ولد مريم لا ولد الله سبحانه وتعالى [6].

(ب) أما الروح التي قال تعالى فيها: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾ [7]، فلا يجب أن يكون منفصلا من ذات الله، كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ [8]. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [1]. ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٩ .

(٢) سورة مريم آية : ٣٤ .

(٣) سورة مريم ، الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) سورة مريم آية : ٣٥ .

(٥) سورة آل عمران آية : ٤٧ .

(٦) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ٩٩–٣٠٠ ، ٢/ ١٤٠ ، ٢٢٧ .

(٧) سورة النساء آية : ١٧١ .

(٨) سورة الجاثية ، الآية ١٣ .

ٱللَّهِ ﴾ [٢].

فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة.

وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلى مريم، وهي مخلوقة ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [٣]. ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [٥].

فعلم بذلك أن الروح الذي أرسله الله إلى مريم هو روح القدس، وهو الملك جبريل، عليه السلام، وهو مخلوق، وهو الذي خلق المسيح من نفخه ومن مريم، فإذا كان الأصل مخلوقا فكيف الفرع الذي حصل به؟

أما قوله عن المسيح: وروح منه فخص بذلك؛ لأنه نفخ في أمه من الروح، فحملت به من ذلك النفخ، وذلك غير روحه التي يشاركه فيها سائر البشر، فامتاز بأن حملت به من نفخ الروح؛ فلهذا سمي روحا منه [٦].

أما إضافة الروح إلى الله في قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [٧]، فهي إضافة مخلوق

---

(١) سورة النحل ، الآية ٥٣ .
(٢) سورة النساء ، الآية ٧٩ .
(٣) سورة مريم ، الآيات ١٧ – ١٩ .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٩١ .
(٥) سورة التحريم ، الآية ١٢ .
(٦) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ودقائق التفسير ٢/ ٣٤١ ، ٣/ ٣٢ ، والبغوي ١/ ٥٠١ ، وابن كثير ١/ ٥٩١ ، ٤/ ٣٩٥ ، وفتح القدير ١/ ٥٤٠ .
(٧) سورة مريم آية : ١٧ .

إلى خالقه، كقوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾ [1]. ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [2] والمضاف إلى الله -تعالى- نوعان:

(أ) إن كان صفة مضافة إلى الله لم تقم بمخلوق: كعلم الله، وقدرة الله، والقرآن كلام الله، وحياة الله، كان صفة لله تعالى.

(ب) وإن كان المضاف عينا قائمة بنفسها أو صفة فيها، أو صفة لغير الله: كالبيت، والناقة، والعبد، والروح كان مخلوقا مضافا إلى خالقه ومالكه.

لكن هذه الإضافة (ناقة الله)، (بيت الله)، (عباد الله)، (روح الله)، إضافة مخلوق إلى خالقه تقتضي التشريف، وبهذا يتبين أنه لا يوجد للنصارى حجة إطلاقا، فسقط قولهم بحمد الله تعالى [3].

المسلك الثاني: الأدلة والبراهين القاطعة على بشرية عيسى وعبوديته لله:

ومن حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله أن يبين لهم أن عيسى ﷺ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، خلقه ﷻ وبين لعباده أنه مخلوق، وأن ذلك لا يعجزه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝ ﴾ [4].

فقد خلق الله -تعالى- هذا النوع على الأقسام الممكنة، ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [5] وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وكان خلق آدم وحواء أعجب من

(١) سورة الشمس، الآية ١٣ .

(٢) سورة الإنسان، الآية ٦ .

(٣) انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١١٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٨- ١٤٠، ١٤٢، ودقائق التفسير ٢/ ٣٤٣ .

(٤) سورة آل عمران، الآيتان ٥٩، ٦٠ .

(٥) سورة النساء، الآية ١ .

خلق المسيح؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء؛ فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟ وهو ﷻ خلق آدم من تراب، ثم قال له: كن، فكان لما نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له. كن، فكان، ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتا وناسوتا، بل كله ناسوت، فكذلك المسيح كله ناسوت [1].

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يباهل النصارى على حقيقة عيسى ﷺ وأنه عبد الله ورسوله، فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2].

وقد امتثل النبي ﷺ قول الله، فدعاهم إلى المباهلة، فعرفوا أنهم إن باهلوه أنزل الله عليهم لعنته، فأقروا بالجزية وهم صاغرون.

وهذا كله يبين أن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه مخلوق، ويبين أن النصارى بامتناعهم عن المباهلة وعن الدخول في الإسلام كانوا ظالمين [3].

وقد بين ﷻ حقيقة عيسى، ووصفه وأمه وصفا كاملا لا يدع مجالا للشك، ويقطع كل شبهة ترد على بشرية عيسى وأمه، فقال ﷻ ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ [4] إلى قوله: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٢٩٤ ، ودقائق التفسير لابن تيمية ٢/ ٣٣٤ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٦١ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ٢٩٥ ، ودقائق التفسير ٢/ ٣٣٤ ، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٩٨ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٨ ، وانظر : ص ٤٢٦ ، من هذا الكتاب (الهامش) .

(٤) سورة مريم آية : ١٦ .

قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ [2] إلى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ ﴾ [3] الآيات [4].

وقال سبحانه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [5].

وهو ﷺ عبد الله ورسوله، وأحد أنبيائه ورسله الكرام، ويتصف بصفات البشر، ويأكل الطعام كـــما يأكله البشر [6] ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾ [7].

وقد شهد رسول الله ﷺ بالجنة لمن شهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، فقال: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » [8] [1].

---

(١) سورة مريم آية : ٣٠ .

(٢) سورة مريم آية : ٣٢ .

(٣) سورة مريم آية : ٣٤ - ٣٥ .

(٤) سورة مريم ، الآيات ١٦ - ٣٧ .

(٥) سورة الزخرف ، الآية ٥٩ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٨٢ .

(٧) سورة المائدة ، الآية ٧٥ .

(٨) البخاري أحاديث الأنبياء (٣٢٥٢) ، مسلم الإيمان (٢٨) .

وحذر ﷺ عن الغلو، وبين أنه من أسباب تأليه النصارى لعيسى ابن مريم [٢].

وبهذه البراهين القطعية من الأدلة العقلية والنقلية يتضح لكل ذي لب أن عيسى عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، ومن وصفه بغير ذلك من الصفات التي لم يصفه بها ربه وخالقه فقد خرج عن مقتضى العقل والنقل إلى الجنون أو الجحود والظلم: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [٣] ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [٤].

المسلك الثالث: البراهين الدالة دلالة قطعية على إبطال قضية الصلب والقتل:

زعم النصارى أن اليهود قتلوا عيسى ﷺ وصلبوه، وقبر، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء [٥] وقد كذبهم الله فيما زعموا ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ [٦].

ومن الحكمة القولية في دعوتهم إلى الله وإبطال مذهبهم أن يرد عليهم بالآتي:

---

(١) البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم " ، ٦/ ٤٧٤ ، ومسلم ، في الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/ ٥٧ ، وانظر زيادة للحديث في البخاري مع الفتح ٦/ ٤٧٤ ، ومسلم ١/ ٥٧ .

(٢) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى : " واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها . . " ، ٦/ ٤٧٨ ، وكتاب الحدود ، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، ١٢/ ١٤٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٧٢ .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان ٧٩ ، ٨٠ .

(٥) انظر . الجواب الصحيح ٢/ ١١٦ ، والداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٧٧ ، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٧٣ ، وهداية الحيارى ص ٦١٨ .

(٦) سورة النساء ، الآية ١٥٧ .

١ - الأدلة العقلية:

(أ) بما أنكم أجمعتم أيها النصارى على القول بالاتحاد والصلب والقتل [1] فهل كان الاتحاد موجودا في حالة الصلب والقتل أم لا؟ فإن قلتم كان موجودا، لزمكم القول بأن ابن الله القديم -في زعمكم- مات وصلب؛ لأن جواز القتل كجواز الموت والحركة والسكون والافتراق، وفيه جواز موت الأب والروح، وهذا لا يقولون به.

فإن قالـــوا: إن الاتحـــاد بطل، قيل لهم: فيجب ألا يكون المقتول مسيحا؛ لأن الجسد عند انتقاض الاتحاد ليس بمسيح، فبطل قولكم بأن المسيح قتل وصلب.

(ب) أنتم تزعمون أن المسيح قتل وصلب، والمسيح في عقيدتكم كان لاهوتا وناسوتا، فيلزم من ذلك إطلاق القول بقتل إلهكم؛ لأن المسيح عندكم إله مطلق، ومن ضرورة ذلك إطلاق القول بقتل الإلـــه وموته، وذلك مروق عن الدين [2].

فإن قالوا: إنما قتل الناسوت دون اللاهوت. قيل لهم: هذا باطل من وجهين:

١ - أن ناسوته لم يصلب وليس فيه لاهوتا.

٢ - ذكركم ذلك دعوى مجردة فيكفي في مقابلتها المنع [3].

(جـــ) إذا كان عيسى ابن الله -تعالى- قديم الروح بزعمكم فكيف قدر اليهود على أن يقتلوا ابن الله، وهو إلـــه عندكم، والإله لا يقتل !

فإن قالوا: إنما قتل الهيكل دون الروح، قيل لهم: قد بطل الاتحاد الذي ادعيتموه، فكان يجب أن يمنع الروح واللاهوت عن القتل وإتلاف الهيكل والناسوت، فدل ذلك على أنه كان عبدا لله ورسولا له، لا ابنا له [4].

---

(١) قالوا : إن الإله اتحد مع الإنسان فصار شيئا واحدا ، ويعنون بالاتحاد : اتحاد الكلمة بجسد المسيح ، ولا يسمون الكلمة التي هي العلم عندهم ابنا إلا بعد تدرعها بالمسيح ، فالمسيح عندهم - مع ما تدرع به - ابن . انظر : الفصل لابن حزم ١/ ١١٧ ، والداعي إلى الإسلام ص ٣٦٥ ، والملل للشهرستاني ، ١/ ٢٢٢ ، ودقائق التفسير ٢/ ٣٤٦ .

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام ص ٣٧٨ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ٢٩٧ ، ودقائق التفسير ٢/ ٣٣٦ ، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٩٠ .

(٤) انظر : الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٧٨ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٢/ ٢٧٩-٢٩٤ .

٢ – أخبار القتل والصلب مصدرها اليهود:

من المعلوم يقينا أن أخبار المسيح والصلب والقتل إنما تلقاها النصارى عن اليهود، وقــد ثبت أنه لم يحضر أحد منهم، وإنما قال اليهود: قتلناه وصلبناه، وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعظائم، وأجمعت اليهود على أن عيسى ﷺ لم يدع شيئا من الإلهية التي نسبها إليه النصارى، فحينئذ يقال للنصارى: إن صدقتم اليهود في القتل والصلب فصدقوهم في أنه ليس بإله، بل هو عبد مخلوق ! [(١)].

ومن العجيب أن النصارى يعظمون الصليب، وكان من مقتضى العقول أن يحرقوا كل صليب وجدوه؛ لأنه قد صلب عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم.. فبأي وجه بعد هذا يستحق الصليب التعظيم [(٢)].

٣ – تناقض الأناجيل في قضية الصلب:

وقــع في قضية الصلب في الأناجيل المعتمدة عند النصارى أكثر من ثلاثين تناقضا، وحينئذ يطبق على هذه التناقضات قاعدة: كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال [(٣)].

وهذا يدل على أن كل ما تعلق بالصلب اشتبه أمره على النصارى، وغابت عنهم الحقيقة، فهم لا يزالون مختلفين، وبهذا يسقط قولهم؛ لأنهم لا علم لهم ولا دليل يعتمدون عليه [(٤)].

٤ – إبطال القرآن الكريم لقضية الصلب والقتل:

أوضح الله في القرآن الكـــريم أمر الصلب وبينه وجلاه وأظهره، وأوضحه عنه رسوله ﷺ المؤيد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات، فقال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

---

(١) انظر : هداية الحيارى ص٦٣٧– ٦٣٩ ، والجواب الصحيح ٢/ ٢٨٣ .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢/ ٨٥ ، وهداية الحيارى من ٤٩٥ ، والفصل لابن حزم ١/ ١٢٣– ١٢٨ .

(٣) انظر أمثلة هذه التناقضات مع إحالتها إلى الأناجيل في : المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٦٢– ١٠٨ ، والإنجيل دراسة وتحليل للدكتور محمد شلبي ص ٩٤– ١٢١ .

(٤) انظر : المناظرة بين الإسلام والنصـــرانية ص ١٠٤ .

صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [1].

فعيسى ﷺ لم يقتل و لم يصلب، بل رفعـــه الله إليه، و لم يمت، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [2] وقال تعالى: حكاية عن المسيح: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [3].

والوفاة هنا بمعنى القبض، كـــما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته، فيكون معنى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [4] أي: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي [5].

وقوله ﷻ ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾ [6] يعم اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن جميع أهل الكتاب يؤمنون بالمسيح قبل موتـــه، وذلك إذا

---

(١) سورة النساء ، الآيات ١٥٥ - ١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٥٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ١١٧ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٥٥ .

(٥) ورجح هذا القول الطبري في تفسيره ٣/ ٢٠٣ . وهناك أقوال أخرى في معنى الوفاة هنا ، فمنهم من قال : النوم ، وهم الأكثر ، كما قاله ابن كثير ١/ ٣٦٧ ، ومنهم من قال في الآية تقديم وتأخير ، وتقديره . إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد ذلك . انظر . تفسير الطبري ٣/ ٢٠٢- ٢٠٤ ، والبغوي ١/ ٣٠٨ ، وزاد المسير ١/ ٣٩٦ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٢٨٥ وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦٧ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٣٤٢ .

(٦) سورة النساء آية : ١٥٩ .

نزل في آخر الزمان [1].

آمنت اليهود والنصارى بأنه رسول الله، ليس كاذبا كـــما يقول اليهود، ولا هو الله كـــما يقول النصارى [2] ثم بعد أن يحكم بشريعة محمد ﷺ يموت كـــما يموت البشر قبل يوم القيامة.

فاتضح بذلك -بحمد الله- أن عيسى لم يقتل، و لم يصلب، و لم يمت حتى الآن، فبطل قول النصارى وما قتلوه وما صلبوه والله المستعان.

المسلك الرابع: البينات الواضحات على وقوع النسخ والتحريف في الأناجيل:

من حكمة القول في دعوة النصارى إلى الله -تعالى- أن يبين لهم بالأدلة العقلية والنقلية أن دين الإسلام قد نسخ جميع الشرائع السابقة، وأن ما وجـــد من الكتب الســـابقة فهو بين أمرين. إما حق قد نسخته الشريعة الإسلامية، وإما كلام محرف أو خلط فيه الحق بالباطل [3].

ومن المعلوم أن النصارى يقسمون الكتب إلى قسمين:

١- كتب العهد القديم [4].

٢ - كتب العهد الجديد [1].

---

(١) انظر خبر نزول عيسى آخر الزمان وحكمه بالشريعة الإسلامية في البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى ابن مريم ٦/ ٤٩٠ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ١/ ١٣٥ .

(٢) انظر : فتح الباري ٦/ ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤/ ٤١٤ ، ٥/ ١٢١ ، وشرح النووي ٢/ ١٩٠ .

(٣) أما إثبات نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع السابقة ، فقد قدمت عليه الأدلة العقلية والنقلية في المطلب الأول من حكمة القول مع اليهود ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا . انظر : ص ٤٠٤ .

(٤) كتب العهد القديم هي ما يدعي النصارى أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى ، وأشهر هذه الكتب خمسة : ١- سفر التكوين ٢- سفر الخروج ٣- سفر الأحبار ٤- سفر العدد . ٥- سفر الاستثناء . ومجموع هذه الكتب يسمى بالتوراة ، انظر إظهار الحق ، لرحمة الله الهندي ١/ ٩٥- ٩٨ ، واليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٩٩- ١٨٣ .

أما كتب العهد القديم فقد تقدم إثبات وقوع التحريف فيها بالأدلة العقلية والنقلية [2].

وأما كتب العهد الجديد فلا شك أن القول بالتحريف في كتب العهد الجديد عند النصارى أيسر عليهم من القول بالتحريف في العهد القديم؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله -تعالى- على المسيح، ولا أن المسيح ﷺ أتاهم بها، بل كلهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال في أزمان مختلفة [3]؛ ولهذا قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: " الإنجيل بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم، ويقع في ذلك الصح والخطأ " [4].

ولسعة هذا الموضوع سأقتصر على ما يثبت وقوع التحريف في الأناجيل بالأمثلة التالية:

١ - النتيجة التي لا مفر من التسليم بها أن الأناجيل القانونية الموجودة الآن ما هي إلا كتب مؤلفة، وهي تبعا لذلك معرضة للخطأ والصواب، ولا يمكن الادعاء ولو لحظة أنها كتبت بإلهام؛ فلقد كتبها أناس مجهولون، في أماكن غير معلومـــة، وفي تواريخ غير مؤكدة، والشيء المؤكد أن هذه الأناجيل مختلفة غير متآلفة، بل إنها متناقضة مع نفسها، ومع حقائق العالم الخارجي؛ لأنها فشلت في تنبؤات كثيرة، كالقول بنهاية العالم، وهذا القول قد يضايق النصراني العادي، بل قد يصدمه، ولكن بالنسبة للعالم النصراني فقد أصبح ذلك عنده حقيقة مسلم بها [5] لما أجراه من أبحاث، ولما علمه من واقع الأناجيل.

---

(١) كتب العهد الجديد هي ما يدعي النصارى أنها كتبت بالإلهام بعد عيسى وأشهرها الأناجيل الأربعة : ١- إنجيل متى ٢- إنجيل مرقس ٣- إنجيل لوقا ٤- إنجيل يوحنا . انظر : إظهار الحق ١/ ٩٥ - ٩٨ ، واليهودية والمسيحية ، ص ٣١٣- ٣٥٢ .

(٢) انظر حكمة القول مع اليهود : المسلك الثاني من المطلب الأول ، ص ٤١١ .

(٣) انظر : الفصل لابن حزم ٢/ ١٣ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٩ ، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٤٧ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح ٢/ ١٩ .

(٥) انظر : المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٥ - ٥٠ فهناك تجد كثيرا من الأمثلة على هذه التناقضات .

٢ - الشواهد على التحريف من الأناجيل:

(١) جاء في إنجيل مرقس: أن المسيح قال لتلاميذه: " اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون "[(١)].

ففي هذا النص حجة على النصارى من وجهين:

الوجه الأول: قولهم عن عيسى: إنه أمرهم أن يبشروا بالإنجيل، فدل ذلك على أن إنجيلا أتاهم به وليس هو عندهم الآن، وإنما عندهم أربعة أناجيل متغايرة، وليس منها إنجيل ألف إلا بعد رفع عيسى ﷺ بأعوام كثيرة، فصح أن ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح أنه أتاهم به وأمرهم بالتبشير به ذهب عنهم؛ لأنهم لا يعرفون له أصلا، وهذا ما لا يمكن سواه.

الوجه الثاني: قولهم: إنه وعد كل من آمن بدعوة التلاميذ أنهم يتكلمون بلغات لا يعرفونها، وينفون الجن عن المجانين، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون، ويحملون الحيات، وإن شربوا شربة قتالة لا تضرهم، وهذا وعد ظاهر الكذب؛ فإن ما من النصارى أحد يتكلم بلغة لم يتعلمها، ولا منهم أحد ينفي جنيا، ولا من يحمل حية فلا تضره، ولا من يضع يده على مريض فيشفى، ولا منهم أحد يسقى السم فلا يضره، وهم معترفون بأن يوحنا - صاحب الإنجيل- قتل بالسم وحاشا لله أن يأتي نبي بمواعيد كاذبة، وهذا دليل على تحريف النصارى وتناقضهم وتكذيبهم أنفسهم "[(٢)].

(ب) ومن ذلك ما جاء في إنجيل متى أن عيسى ﷺ دعا على شجرة تين خضراء، فيبست التينة في الحال، فتعجب التلاميذ من ذلك، فقال لهم عيسى: " الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان، ولا تشكوا أمر التينة فقط، بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح في

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم ٢/ ١٣٩ ، وعزاه المحقق إلى إنجيل مرقس ، الإصحاح ١٦/ ١٥-١٨ .

(٢) انظر : الفصل لابن حزم ٢/ ١٣٩ .

البحر فيكون " [1].

وهذا فيه حجة على النصارى، وذلك أن الأمر لا يخلو من أن يكون النصارى مؤمنين بالمسيح ﷺ أو غير مؤمنين، فإن كانوا مؤمنين، فقد كذبوا المسيح فيما نسبوه إليه في هذه المقالة- وحاشا له من الكذب- فليس منهم أحد قدر على أن يأمر حبة من خردل بالانتقال فتنتقل، فكيف على قلع جبل وإلقائه في البحر !

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا كفار، ولا يجوز أن يصدق كافر [2].

وبهذا يتبين أن الأناجيل وقع فيها تحريف عظيم، ولا يعتمد عليها، ولا مخرج من هذا التيه إلا بالدخول في الإسلام.

المسلك الخامس: إثبات اعتراف المنصفين من علماء النصارى:

من حكمة القول مع النصارى في دعوتهم إلى الله الاستشهاد عليهم بشهادة المنصفين من علماء النصارى، ومن وفقه الله منهم للإسلام، فإن هذا من باب ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [3] ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ – النجاشي ملك الحبشة رحمه الله ورضي عنه:

عندما قرأ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على النجاشي [4] صدرا من سورة مريم، بكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته حين سمعوا ما تلي عليهم، وقال النجاشي للوفد: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ فقال جعفر رضي الله عنه يقول فيه قول الله: هو روح الله،

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم ٢/ ١٣٩ ، وعزاه المحقق إلى إنجيل متى ، الإصحاح ٢١/ ١٨-٢٢ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الإمام الحافظ ، ولد سنة ٣٨٤ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، ٢/ ٩٨ . وانظر : الفصل لابن حزم ٢/ ١٤- ٢٠٠ ، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٢- ٤٥٢ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٢٦ .

(٤) أصحمة ملك الحبشة ، أسلم وحسن إسلامه ، وهو معدود في الصحابة ، ولم يهاجر ، ولا له رؤية ، فهو تابعي من وجه ، صحابي من وجه ، توفي في حياة النبي فصلى عليه بالناس صلاة الغائب ، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه . انظر : سير أعلام النبلاء ١/ ٤٢٨-٤٤٣ .

وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر... فتناول النجاشي عودا فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد على ما تقولون في ابن مريم ما تزن هذه، وقال للوفد: مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله [١].

٢ - سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه:

قصة سلمان مشهورة عجيبة [٢] فقد عاش مع مجموعة من علماء النصارى، وعندما كان مع آخر عالم من هؤلاء بعمورية بالروم حضرته الوفاة، فأوصى سلمان الفارسي وقال: " قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه ".

وسافر سلمان ووجد العلامات التي وصفت له، فأسلم رضي الله عنه [٣].

٣ - هرقل عظيم الروم:

قال هرقل لأبي سفيان في آخر حديثه: "... وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه... " [٤].

ثم قال للروم بعد ذلك: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١/ ٤٣٨ .

(٢) انظر : قصته وإسلامه في سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥- ٥٥٦ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٥٠٩ ، ٥١٠ .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ١/ ٣٢ ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، ٣/ ١٣٩٦ ، وتقدم تخريجه أيضا .

فتبايعوا هذا النبي؟ [(١)] ولكن رغب في ملكه وضن به، فلم يسلم !

وهذا مما يبين أن عدول أهل الكتاب ومنصفيهم قد شهدوا لرسول الله ﷺ وأنه رسول الله حقا، فلا يقدح قدح المكذبين بعد ذلك [(٢)].

وقد أسلم الجم الغفير علماء النصارى، وشهدوا بأن محمدا ﷺ رسول الله إلى الناس أجمعين، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [(٣)].

فحـــري بجميع النصارى أن يسيروا على طريق علمائهم المنصفين، ويسلموا لله رب العالمين.

فينبغي للداعية إلى الله أن لا يغفل هذا المسلك في دعوته للنصارى إلى الله تعالى [(٤)].

المطلب الثالث : البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها :

من أعظم الأقوال الحكيمة في دعوة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن تبين لهم البراهين والأدلة القطعية الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ إلى الناس أجمعين:

ولا شك أن الآيات والبينات الدالة على نبوته ﷺ وعموم رسالته كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، وجميع الأنواع تنحصر في نوعين:

(أ) منها: ما مضى وصار معلوما بالخبر الصادق كمعجزات موسى وعيسى.

(ب) ومنها: ما هو باق إلى اليوم كالقرآن والعلم والإيمان اللذين في أتباعه، فإن ذلك من أعلام نبوته، وكشريعته التي أتى بها، والآيات التي يظهرها الله وقتا بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته، وظهور دينه بالحجة والبرهان، وصفاته الموجودة في كتب الأنبياء قبله وغير ذلك [(٥)] وهذا باب واسع لا أستطيع حصره، ولكن سأقتصر في إثبات

---

(١) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ١/ ٣٣ .

(٢) انظر : هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٢٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٨٢ .

(٤) ممن سلك هذا المسلك من العلماء المعاصرين : فضيلة الشيخ عبد المجيـــد الزنداني- وفقه الله وحفظه- فهو يستشهد على النصارى بشهادة علمائهم ، فأسلم على يديه الجم الغفير- فجزاه الله خيرا .

(٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٦٧- ٧١ .

نبوته ﷺ وعموم رسالته على المسالك الآتية:

المسلك الأول: معجزات القرآن العظيم.

المسلك الثاني: معجزاته ﷺ الحسية.

المسلك الثالث: عموم رسالته ﷺ.

المسلك الأول: معجزات القرآن العظيم:

المعجزة لغة: ما أعجز به الخصم عند التحدي [1].

وهي أمر خارق للعـــادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، يجعله الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحة رسالته [2].

والقرآن الكريم كلام الله المنزل على محمد ﷺ هو المعجزة العظمى، الباقية على مرور الـــدهور والأزمان، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة [3] قال ﷺ ﴿ ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ﴾ [4] [5].

(١) انظر . القاموس المحيط ، باب الزاي ، فصل العين ، ص ٦٦٣ .

(٢) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ، ١/ ٦٦ ، والمعجم الوسيط ، مادة : عجز ، ٢/ ٥٨٥ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، للدكتور صالح الفوزان ٢/ ١٥٧ . والفرق بين المعجزة والكرامة : هو أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة والتحدي للعباد . أما الكرامة : فهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا التحدي ، ولا تكون الكرامة إلا لعبد ظاهره الصلاح ، مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح . أما إذا ظهر الأمر الخارق على أيدي المنحرفين فهو من الأحوال الشيطانية . وإذا ظهر الأمر الخارق على يد إنسان مجهول الحال؛ فإن حاله يعرض على الكتاب والسنة كما قال الإمام الشافعي –رحمه الله– : (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة) . انظر . شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥١٠ ، وسير أعلام النبلاء ، ١٠/ ٢٣ ، والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان ، ص ٣١١ .

(٣) انظر : الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٣٩٣ .

(٤) البخاري فضائل القرآن (٤٦٩٦) ، مسلم الإيمان (١٥٢) ، أحمد (٤٥١/٢) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي ٩/ ٣ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس ١/ ١٣٤ .

وليس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته ﷺ في القرآن، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ﷺ كمن تقدمه، بل المراد أن القرآن المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به، تحدى بها من أرسل إليهم، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه؛ ولهذا لما كان السحر فاشيا في قوم فرعون جاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقف ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولما كان الأطباء في غاية الظهور جاء عيسى بما حير الأطباء، من: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وكل ذلك من جنس عملهم، ولكن لم تصل إليه قدرتهم.

ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعل الله - سبحانه- معجزة نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم الذي [1] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [2].

ولكن معجزة القرآن الكريم تتميز عن سائر المعجزات؛ لأنه حجة مستمرة، باقية على مر العصور، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم، ولم يبق منها إلا الخبر عنها، أما القرآن فلا يزال حجة قائمة كأنما يسمعها السامع من فم رسول الله ﷺ ولاستمرار هذه الحجة البالغة قال ﷺ ﴿ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ﴾ [3] [4].

والقرآن الكريم آية بينة، معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله- تعالى- وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالم

---

(١) انظر : فتح الباري ٩/ ٦ ، ٧ ، وشرح النووي على مسلم ٢/ ١٨٨ ، وأعلام النبوة للماوردي ص ٥٣ ، وإظهار الحق ٢/ ١٠١ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٤٢ .

(٣) البخاري فضائل القرآن (٤٦٩٦) ، مسلم الإيمان (١٥٢) ، أحمد (٢/٤٥١) .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٦/ ٦٩ ، وتقدم تخريج الحديث .

ما فتح الله عليه به منها [1] وسأقتصر على أربعة وجوه من باب المثال، لا الحصر بإيجاز كالتالي:

الوجه الأول: الإعجـــاز البياني والبلاغي:

من الإعجاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان، والتركيب المعجز، الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3].

وبعد هذا التحـــدي انقطعوا فلم يتقدم أحد، فمد لهم في الحبل وتحداهم بعشر سور مثله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [4] فعجـــزوا فأرخى لهم في الحبل، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [5] ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6].

فقوله تعـــالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [7] أي: فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فثبت التحدي، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ٤/ ٧٤ ، ٧٥ ، وأعلام النبوة للماوردي ص ٥٣- ٧٠ ، والبداية والنهاية ٦/ ٥٤ ، ٦٥ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٩٠- ١٢٤ ، ومناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٢٧- ٣٠٨ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٨٨

(٣) سورة الطور ، الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) سورة يونس ، الآية ٣٨ .

(٥) سورة هود ، الآية ١٣ .

(٦) سورة البقرة ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٧) سورة البقرة آية : ٢٤ .

مثله فيما يستقبل من الزمان، كـــما أخبر قبل ذلك، وأمر النبي وهو بمكة أن يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

فعم بأمره له أن يخبر جميع الخلق معجزا لهم، قاطعا بأنهم إذا اجتمعوا لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله من حين بعث ﷺ إلى اليوم والأمر على ذلك[2].

والقرآن يشتمل على آلاف المعجزات؛ لأنه مائة وأربع عشرة سورة، وقد وقع التحدي بسورة واحدة، وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصـــار، والقرآن يزيد بالاتفاق على ستة آلاف ومائتي آية، ومقدار سورة الكوثر من آيات أو آية طويلة على ترتيب كلماتها له حكم الســـورة الـــواحدة، ويقع بذلك التحدي والإعجاز[3]؛ ولهذا كان القرآن الكريم يغني عن جميع المعجزات الحسية والمعنوية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الوجه الثاني: الإخبار عن الغيوب:

من وجوه الإعجاز القرآني أنه اشتمل على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يعلمها، وهذا مما يدل على أن القرآن كلام الله - تعالى- الذي لا تخفى عليه خافية: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا

(١) سورة الإسراء ، الآية ٨٨ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٧١-٧٧ ، والبداية والنهاية ٦/ ٦٥ .

(٣) انظر : استخراج الجدال من القرآن الكريم لابن نجم ص ١٠٠ ، وفتح الباري ٦/ ٥٨٢ ، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٣٦ ، ١/ ٢٣١ ، ٢٣٢ .

يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1].

والإخبار بالغيوب أنواع:

النوع الأول: غيوب الماضي: وتتمثل في القصص الرائعة وجميع ما أخبر الله به عن ماضي الأزمان.

النوع الثاني: غيوب الحاضر: أخبر الله رسوله ﷺ بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأطلع عليه رسوله ﷺ.

النوع الثالث: غيوب المستقبل، أخبر الله رسوله ﷺ بأمور لم تقع، ثم وقعت كما أخبر، فدل ذلك على أن القرآن كلام الله، وأن محمدا ﷺ رسول الله [2].

الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي:

القرآن العظيم جاء بهدايات كاملة تامة، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان؛ لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيء، خالق البشرية والخبير بما يصلحها ويفسدها، وما ينفعها ويضرها، فإذا شرع أمرا جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [3].

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص، فيلغون غدا ما وضعوه اليوم؛ لأن الإنسان محل النقص والخطأ، والجهل لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غدا في أوضاع الإنسان

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٥٩ .

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام للأنباري ص ٤٢٤- ٤٢٨ ، وإظهار الحق ٦٥-١٠٧ ، ومناهل العرفان ٢/ ٢٦٣ ، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٦٣ . وقد أخبر بأمور غيبية كثيرة جدا . انظر : جامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣١١- ٣٣١ .

(٣) سورة الملك ، الآية ١٤ .

وأحواله، وفيما يصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهـــذا دليل حسي مشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تصلح الخلق وتقوم أخلاقهم، وعلى أن القرآن كلام الله سليم من كل عيب، كفيل برعاية مصالح العباد، وهدايتهم إلى كل ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه [1] قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [2].

وبـــالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله- تعالى- مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى: درء المفاســـد عن ستـــة أشياء [3] حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية: جلب المصالح [4] فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، وسد كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

فالقرآن الكريم حل جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانبا من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها [5].

الوجـــه الرابع: الإعجـــاز العلمي الحديث:

يتصل بما ذكر من إعجاز القرآن في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلة نوع جديد

---

(١) انظر مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٢٤٧ ، وأثر تطبيق الحدود في المجتمع الإسلامي ، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١١٧ ، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٢٦ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٩ .

(٣) درء المفاسد هو المعروف عند أهل الأصول بالضروريات . انظر . أضواء البيان ٣/ ٤٤٨ .

(٤) جلب المصالح يعرف عند أهل الأصول بالحاجيات . انظر . أضواء البيان ٣/ ٤٤٨ .

(٥) انظر : أضواء البيان ٣/ ٤٠٩–٤٥٧ ، فقد أوضح هذا الجانب بالأدلة العقلية والنقلية ، جزاه الله خيرا وغفر له .

كشف عنه العلم في العصر الحديث، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1].

لقد تحقق هذا الوعد من ربنا في الأزمنة المتأخرة، فرأى الناس آيات الله في آفاق المخلوقات بأدق الأجهزة والوسائل: كالطائرات، والغواصات، وغير ذلك من أدق الأجهزة الحديثة التي لم يمتلكها الإنسان إلا في العصر الحديث.. فمن أخبر محمدا ﷺ بهذه الأمور الغيبية قبل ألف وأربعمائة وعشرة أعوام؟ إن هذا يدل على أن القرآن كلام الله، وأن محمدا رسول الله حقا.

وقد اكتشف هذا الإعجاز العلمي: في الأرض وفي السماء، وفي البحار والقفار، وفي الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك، ولا يتسع المقام لذكر الأمثلة العديدة على ذلك [2].

المسلك الثاني: معجزات النبي ﷺ الحسية:

معجزات النبي ﷺ الحسية الخارقة للعادة كثيرة جدا [3] لا أستطيع حصرها، وسأقتصر بإيجاز على ذكر تسعة أنواع منها على سبيل المثال، كالآتي:

النوع الأولى: المعجزات العلوية، ومنها:

١ - انشقاق القمر: وهذه من أمهات معجزاته ﷺ الدالة على صدقه، فقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما [4] قال

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٥٣ .

(٢) انظر أمثلة كثيرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/ ٢٧٨-٢٨٤ ، وكتاب الإيمان ، لعبد المجيد الزنداني ص ٥٥-٥٩ ، وكتاب التوحيد للزنداني أيضا ١/ ٧٤-٧٧ .

(٣) قال ابن تيمية -رحمه الله- : " قد جمعت نحو ألف معجزة " . انظر . الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ١٥٨ . ومعجزاته- - تزيد على ألف ومائتين ، وقيل : ثلاثة آلاف معجزة . انظر : فتح الباري ٦/ ٥٨٣ .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب انشقاق القمر ٧/ ١٨٢ ، ٦/ ٦٣١ ، ٨/ ٦١٧ ، ومسلم ، صفات المنافقين ، باب انشقاق القمر ، ٤/ ٢١٥٩ .

تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ ۝ ﴾ الآيات [(١)].

٢ – صعوده ﷺ ليلة الإسراء والمعراج إلى ما فوق السماوات: وهذا ما أخبر به القرآن الكريم، وتواترت به الأحاديث، قال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝ ﴾ [(٢)].

وهذه الآية من أعظم معجزاته ﷺ فإنه أسري به إلى بيت المقدس، وقطع المسافة في زمن قصير، ثم عرج به إلى السموات، ثم صعد إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى الجنة، وفرضت عليه الصلوات، ورجع إلى مكـة قبل أن يصبح، فكذبته قريش، وطلبوا منه علامات تدل على صدقـه، ومن ذلك علامات بيت المقدس؛ لعلمهم بأنه ﷺ لم ير بيت المقدس قبل ذلك، فجلى الله له بيت المقدس ينظر إليه ويخبرهم بعلاماته وما سألوا عنه [(٣)].

وغير ذلك من الآيات العلوية، كحراسة السماء بالشهب عند بعثته ﷺ.

النوع الثاني: آيات الجو:

١ – من هذه المعجزات طاعة السحاب له ﷺ بإذن الله –تعالى– في حصوله ونزول المطر وذهابه بدعائه ﷺ [(٤)].

٢ – ومن هذا النوع نصر الله للنبي ﷺ بالريح التي قال تعالى: عنها: ﴿ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ

---

(١) سورة القمر ، الآيتان ١–٢ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ١ .

(٣) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث الإسراء ٧/ ١٩٦ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ١/ ١٥٦ .

(٤) انظر . البخاري مع الفتح ، كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ٢/ ٤١٣ ، ومسلم ، كتاب الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ٢/ ٦١٤ .

جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [1] وهذه الريح هي ريح الصبا، أرسلها على الأحزاب، قال ﷺ ﴿ نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور ﴾ [2] [3] وغير ذلك.

النوع الثالث: تصرفه في الحيوان: الإنس، والجن والبهائم:

وهذا باب واسع، منه على سبيل المثال:

(أ) تصرفه في الإنس:

١ – كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشتكي عينيه من وجع بهما، فبصق رسول الله ﷺ فيهما، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع [4].

٢ – انكسرت ساق عبد الله بن عتيك رضي الله عنه فمسحها رسول الله ﷺ فكأنها لم تنكسر قط [5].

٣ – أصيب سلمة بن الأكوع بضربة في ساقه يوم خيبر، فنفث فيها رسول الله ﷺ ثلاث نفثات، فما اشتكاها سلمة بعد ذلك [6].

(ب) تصرفه في الجن والشياطين:

١ – كان ﷺ يخرج الجن من الإنس بمجرد المخاطبة. فيقول: " اخرج عدو الله، أنا رسول الله " [7].

٢ – أخرج الشيطان من صدر عثمان بن أبي العاص، فضرب صدر عثمان بيده ثلاث مرات وتفل في فمه وقال: " اخرج عدو الله " فعل ذلك ثلاث مرات، فلم يخالط عثمان

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٩ .

(٢) البخاري الجمعة (٩٨٨) ، مسلم صلاة الاستسقاء (٩٠٠) ، أحمد (١/٢٢٣) .

(٣) مسلم ، كتاب الاستسقاء ، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر ١/ ٦١٦ .

(٤) انظر : البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل من أسلم على يديه رجل ٦/ ١٤٤ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي ٤/ ١٨٧٢ .

(٥) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع ٧/ ٣٤٠ .

(٦) انظر : المرجع السابق ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ٧/ ٤٧٥ .

(٧) مسند أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦ : رجال أحمد رجال الصحيح .

الشيطان بعد ذلك [1].

(جـ) تصرفه في البهائم:

وقد حصل له مرارا، ومن ذلك أنه ﴿ جاء بعير، فسجد للنبي ﷺ فقال أصحابه: يا رسول الله ! تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال ﷺ " اعبدوا ربكم، وأكرموا أخاكم، ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ﴾ [2] [3].

النوع الرابع: تأثيره في الأشجار والثمار والخشب:

(أ) تأثيره في الأشجار:

١ - ﴿ جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو في سفر. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال الأعرابي: ومن يشهد لك على ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ " هذه السلمة " [4] فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد [5] الأرض خدا حتى قامت بين يديه، فأشهدها ثلاثا، فشهدت ثلاثا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها ﴾ [6].

---

(١) ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه ، بسند حسن ٢/ ١١٧٤ ، وانظر : صحيح ابن ماجه ٢/ ٢٧٣ .

(٢) ابن ماجه النكاح (١٨٥٢) ، أحمد (٦/٧٦) .

(٣) مسند أحمد ٦/ ٧٦ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ٩/ ٩ : إسناده جيد ، وانظر : معجزات من هذا النوع مسند الإمام أحمد ٤/ ١٧٠-١٧٢ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣-١٢ .

(٤) شجرة من شجر البادية ، انظر : المصباح المنير ، مادة " سلم " ، ١/ ٢٨٦ ، ومختار الصحاح ، مادة " سلم " ، ص ١٣١ .

(٥) أي : تشقها أخدودا . وانظر : المصباح المنير ، مادة " خد " ، ١/ ١٦٥ ، ومختار الصحاح مادة " خد " ص ٧٢ .

(٦) الدارمي ، في المقدمة ، باب ما أكرم الله نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/ ١٧ ، وإسناده صحيح ، وانظر . مشكاة المصابيح برقم ٥٩٢٥ ، ٣/ ١٦٦٦ .

٢ - ﴿ أراد رسول الله ﷺ أن يقضي حاجته وهو في سفر، فلم يجد ما يستتر به، فأخذ بغصن شجرة وقال: " انقادي علي بإذن الله "، فانقادت معه كالبعير المخشوم [(١)] حتى أتى الشجرة الأخرى ففعل، وقال كذلك، ثم أمرهما أن تلتئما عليه فالتأمتا، ثم بعد قضاء الحاجة رجعت كل شجرة، وقامت كل واحدة منهما على ساق ﴾ [(٢)].

(ب) **تأثيره في الثمار:**

﴿ جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال. " إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أن رسول الله؟ " فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال: " ارجع "، فعاد، فأسلم الأعرابي ﴾ [(٣)] [(٤)].

(ج) **تأثيره في الخشب:**

﴿ كان ﷺ يخطب في المدينة يوم الجمعة على جذع نخل، فلما صنع له المنبر ورقى عليه صاح الجذع صياح الصبي، [وخار كما تخور البقرة، جزعا على رسول الله ﷺ فالتزمه رسول الله ﷺ وضمه إليه وهو يئن، ومسحه حتى سكن ﴾ [(٥)] [(١)].

---

(١) الذي جعل في أنفه عودا ، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد إذا كان صعبا . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ١٤٦ .

(٢) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ٤/ ٢٣٠٦ .

(٣) الترمذي المناقب (٣٦٢٨) ، الدارمي المقدمة (٢٤) .

(٤) الترمذي ، كتاب المناقب ، باب حدثنا عباد ، ٥/ ٥٩٤ ، وأحمد ١/ ١٢٣ ، والحاكم وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ٢/ ٦٢٠ .

(٥) البخاري البيوع (١٩٨٩) ، النسائي الجمعة (١٣٩٦) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤١٧) ، أحمد (٣/٣٠٠) ، الدارمي المقدمة (٣٣) .

النوع الخامس: تأثيره في الجبال والأحجار وتسخيرها له:

(أ) تأثيره في الجبال:

﴿ صعد النبي ﷺ أحدا، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه ﷺ برجله، وقال: " اثبت أحد، فإن عليك نبي، وصديق، وشهيدان ﴾ [٢] [٣].

(ب) تأثيره في الحجارة:

وقال ﷺ ﴿ إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن ﴾ [٤] [٥].

(جـ) تأثيره في تراب الأرض:

﴿ عندما كان رسول الله ﷺ في معركة حنين، واشتد القتال، نزل عن بغلته، وقبض قبضة من تراب الأرض، واستقبل به وجوه القوم، فقال: " شاهت الوجوه "، فـما خلق الله إنسانا منهم إلا ملأ عينيه من تلك القبضة، فهزمهم الله وقسم غنائمهم بين المسلمين ﴾ [٦] [٧].

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/ ٦٠٢ ، وما بين المعقوفين عند أحمد في المسند ، ٢/ ١٠٩ .

(٢) البخاري المناقب (٣٤٧٢) ، الترمذي المناقب (٣٦٩٧) ، أبو داود السنة (٤٦٥١) ، أحمد (٣/١١٢) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله لو كنت متخذا خليلا ٧/ ٢٢ ، ٤٠ ، ٧/ ٥٣ .

(٤) مسلم الفضائل (٢٢٧٧) ، الترمذي المناقب (٣٦٢٤) ، أحمد (٥/٨٩) ، الدارمي المقدمة (٢٠) .

(٥) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل النبي وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ٤/ ١٧٨٢ .

(٦) مسلم الجهاد والسير (١٧٧٧) .

(٧) مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ٣/ ١٤٠٢ وحصل له مثل ذلك في معركة بدر .

النوع السادس: تفجير الماء، وزيادة الطعام والشراب والثمار:

(أ) نبع الماء وزيادة الشراب:

هذا النوع حصل لرسول الله ﷺ مرات كثيرة جدا [1] ومن ذلك:

١ - ﴿ عطش الناس في الحديبية، فوضع يده ﷺ في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كالعيون، فشربوا، وتوضئوا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة ﴾ [2] [3].

٢ - ﴿ قدم ﷺ تبوك، فوجد عينها كشراك النعل، فغرف له منها قليلا قليلا، حتى اجتمع له شيء قليل، فغسل فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر، وبقيت العين إلى الآن ﴾ [4] [5].

٣ - قصة أبي هريرة ﷺ وقدح اللبن، وزيادة لبن القدح حتى شرب منه أضياف الإسلام [6].

(ب) زيادة الطعام وتكثيره لما جعل الله فيه ﷺ من البركة:

١ - ﴿ كان النبي ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه في غزوة، فأصابهم مشقة، فأمر ﷺ أن يجمعوا ما معهم من طعام وبسطوا سفرة، وكان الطعام شيئا يسيرا فبارك فيه،

---

(١) انظر : البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ٦/ ٥٨٠ ، من حديث ٣٥٧١- ٣٥٧٧ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ، ١/ ٤٧١- ٤٧٧ ، وجامع الأصول لابن الأثير ١١/ ٣٣٤- ٣٥١ .

(٢) البخاري المناقب (٣٣٨٣) ، النسائي الطهارة (٧٧) ، أحمد (٣/٣٦٥) ، الدارمي المقدمة (٢٧) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨١ ، ٧/ ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ١٠/ ١٠١ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ٣/ ١٤٨٤ .

(٤) مسلم الفضائل (٧٠٦) ، أحمد (٥/٢٣٨) ، مالك النداء للصلاة (٣٣٠) .

(٥) انظر صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باس معجزات النبي ٤/ ١٧٨٤ .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان يعيش النبي وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١/ ٢٨١ .

وأكلوا، وحشوا أوعيتهم من ذلك الطعام ﴾ [1].

٢ - ﴿ بقي الصحابة والنبي ﷺ في غزوة الخندق ثلاثة أيام، لا يذوقون طعاما، فذبح جابر بن عبد الله رضي الله عنه عناقا، وطحنت زوجته صاعا من شعير، ثم دعا النبي ﷺ فصاح النبي ﷺ بأهل الخندق يدعوهم على هذا الطعام اليسير، ثم جاء النبي ﷺ وبصق في العجين وبارك، وبصق في البرمة وبارك، قال جابر -رضي الله عنهما-: وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي [2] وإن عجيننا ليخبز كما هو ﴾ [3].

وهذا باب واسع لا يمكن حصره.

(جـ) زيادة الثمار والحبوب:

١ - ﴿ جاء رجل يستطعم النبي ﷺ فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وأهله حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: " لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم ﴾ [4] [5].

٢ - ﴿ كان على والد جابر دين، وما في نخله لا يقضي ما عليه سنين، فجاء جابر إلى رسول الله ﷺ ليحضر الكيل، فحضر، ومشى حول الجرن، ثم أمر جابرا أن يكيل، فكال لهم حتى أوفاهم، قال جابر رضي الله عنه " وبقي تمري، وكأنه لم ينقص منه

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب حمل الزاد في الغزو ٦/ ١٢٩ ، ومسلم ، اللقطة ، باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت ٣/ ١٣٥٤ .

(٢) أي تغلي ويسمع غليانها . انظر . الفتح ٧/ ٣٩٩ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، ٧/ ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ومسلم ، كتاب الأشربة ، باب جواز استتباع غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ، ٣/ ١٦١٠ .

(٤) مسلم الفضائل (٢٢٨١) ، أحمد (٣/٣٣٧) .

(٥) مسلم ، كتاب الفضائل ، باب معجزات النبي ٤/ ١٧٨٤ .

شيء ﴾ [1] [2].

النوع السابع: تأييد الله له بالملائكة:

أيد الله رسوله بالملائكة في عدة مواضع، نصرة له ولدينه، منها على سبيل المثال:

١ - في الهجرة، قال المولى - جل وعلا -: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾ [3].

٢ - في بدر، قال الله -تعالى-: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ ﴾ [4].

٣ - في أحد، قاتل جبريل وميكائيل -عليهما السلام- عن يمين النبي ﷺ وعن يساره [5].

٤ - في الخندق، قال الله -عز وجل-: ﴿ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ ﴾ [6].

٥ - في غزوة بني قريظة: « جاء جبريل إلى النبي ﷺ بعد أن وضع السلاح من غزوة الخندق واغتسل، فقال له جبريل: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم، فسأله النبي ﷺ " إلى أين؟ " فأشار إلى بني قريظة، فخرج ﷺ ونصره الله

---

(١) البخاري البيوع (٢٠٢٠) ، النسائي الوصايا (٣٦٣٨) ، أبو داود الوصايا (٢٨٨٤) ، ابن ماجه الأحكام (٢٤٣٤) ، أحمد (٣/٣١٣) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ٦/ ٥٨٧ ، ٧/ ٣٥٧ ، وانظر شرح روايات الحديث في الفتح ٦/ ٥٩٣ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٩ .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب : " إذ همت طائفتان . . " ٧/ ٣٥٨ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي يوم أحد ٤/ ١٨٠٢ .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية ٩ .

عليهم ﴾[1] [2].

٦ – في حنين، قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

النوع الثامن: كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس:

هذا النوع من أعظم الآيات الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ ومن ذلك:

١ – كفاه الله –تعالى– المشركين والمستهزئين، فلم يصلوا إليه بسوء، قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[4].

٢ – كفاه الله أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾[5].

٣ – وعصمه تعالى من جميع الناس بقوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾[6].

وهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس، فكل من هذه الأخبار الثلاثة قد وقع كـما أخبر الله– تعالى– فقد كفاه الله أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة، ونصره مع كثرة أعدائه وقوهم وغلبتهم، وانتقم ممن عاداه.

ومن ذلك ﴿ أن رجلا نصرانيا أسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ

---

(١) البخاري المغازي (٣٨٩١) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٦٩) ، أحمد (٦/١٤٢) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب المغازي ، باب مرجع النبي من الأحزاب ٧/ ٤٠٧ ، ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب جواز قتال من نقض العهد ٣/ ١٣٨٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٢٦ .

(٤) سورة الحجر ، الآيتان ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٣٧ .

(٦) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

ثم ارتد وعاد نصرانيا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماتـــه الله، فدفنه قومه، فأصبح وقد أخرجته الأرض من بطنها، فأعادوا دفنه، وأعمقوا قبره، فأصبح وقد أخرجته الأرض منبوذا على ظهرها، فأعادوا دفنه وأعمقوا له، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من الناس فتركوه منبوذا ﴾ (1) (2).

النوع التاسع: إجابة دعواته ﷺ :

الأدعية التي دعا بها النبي ﷺ وشوهدت إجابتها كالشمس في رابعة النهار كثيرة جدا، لا تحصر، ولا يتسع المقام لذكر أكثرها، ولكن منها على سبيل المثال:

١ - قال ﷺ لأنس رضي الله عنه ﴿ اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته " (3) [وأطل حياته واغفر له] ﴾ (4) قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم (5) [وحدثتني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة] (6).

وكان له رضي الله عنه بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجئ منها ريح المسك (7).

٢ - ﴿ ودعا ﷺ لأم أبي هريرة بالهداية فهداها الله فورا، وأسلمت ﴾ (8).

٣ - وقال ﷺ لعروة بن أبي الجعد البارقي: ﴿ اللهم بارك له في صفقة يمينه ﴾ (1)،

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٢١) ، مسلم صفات المنافقين وأحكامهم (٢٧٨١) ، أحمد (٣/١٢١) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة ٦/ ٦٢٤ ، ومسلم ، صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٥ ، برقم ٢٧٨١ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب الصيام ، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨ ، و ١١/ ١٤٤ ، ومسلم ، في فضائل الصحابة ، باب فضائل أنس ٤/ ١٩٢٨ .

(٤) البخاري في الأدب المفرد ، برقم ٦٥٣ ، وانظر . فتح الباري ١١/ ١٤٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٩ .

(٥) مسلم ، فضائل الصحابة ، باب فضائل أنس ٤/ ١٩٢٩ .

(٦) البخاري مع الفتح ، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم ٤/ ٢٢٨ .

(٧) الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب أنس ٥/ ٦٨٣ ، وانظر : صحيح الترمذي ٣/ ٢٣٤ .

(٨) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي هريرة ٤/ ١٩٣٨ .

فكان يقف في الكوفة ويربح أربعين ألفا قبل أن يرجع إلى أهله [(٢)] [وكان لو اشترى التراب لربح فيه] [(٣)].

٤ – ودعاؤه ﷺ على بعض أعدائه، فلم تتخلف الإجابة، كأبي جهل، وأمته، وعقبة، وعتبة... [(٤)].

٥ – ودعاؤه يوم بدر، ويوم حنين، وعلى سراقة بن مالك رضي الله عنه وغيره كثير [(٥)].

والحقيقة أن العاقل المنصف يقف أمام هذه الدلائل والبينات مذعورا، ولا يسعه إلا أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

المسلك الثالث: عموم رسالته ﷺ

إن أصل الأصول هو تحقيق الإيمان بما جاء به محمد ﷺ وأنه رسول الله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، كتابيهم ومجوسيهم، رئيسهم ومرءوسهم، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته ﷺ باطنا وظاهرا، حتى لو أدركه موسى وعيسى، وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لوجب عليهم اتباعه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [(٦)].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: " ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث

---

(١) البخاري المناقب (٣٤٤٣) ، الترمذي البيوع (١٢٥٨) ، أبو داود البيوع (٣٣٨٤) ، ابن ماجه الأحكام (٢٤٠٢) ، أحمد (٣٧٦/٤) .

(٢) أحمد في المسند ٤/ ٣٧٦ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب حدثنا محمد بن المثنى ٦/ ٦٣٢ .

(٤) انظر : البخاري مع الفتح ١/ ٣٤٩ ، ومسلم ٣/ ١٤١٨ ، وتقدم تخريجه ص ١٤٩ .

(٥) انظر : دعاءه يوم بدر في صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، ٣/ ١٣٨٤ ، ويوم حنين في مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة حنين ، ٣/ ١٤٠٢ ، وقصة سراقة في البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ، ٧/ ٢٣٨ ، وانظر : ص ١٧٥ و ١٧٩ .

(٦) سورة آل عمران ، الآيتان ٨١ ، ٨٢ .

محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه "[1].

ولهذا جاء في الحديث: ﴿ لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني ﴾ [2] [3].

ومن خالف عموم رسالة النبي ﷺ لا يخلو من أحد أمرين:

١ - إما أن يكون المخالف مؤمنا بأنه مرسل من عند الله؛ ولكنه يقول: رسالته خاصة بالعرب.

٢ - وإما أن يكون المخالف منكرا للرسالة جملة وتفصيلا.

فأما المعترف له بالرسالة ولكنه يجعلها خاصة بالعرب، فإنه يلزمه أن يصدقه في كل ما جاء به عن الله تعالى ومن ذلك عموم رسالته، ونسخها للشرائع قبلها، فقد بين ﷺ أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، وأرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وسائر ملوك الأرض، يدعوهم إلى الإسلام، ثم قاتل من لم يدخل في الإسلام من المشركين، وقاتل أهل الكتاب، وسبى ذراريهم، وضرب الجزية عليهم، وذلك كله بعد امتناعهم عن الدخول في الإسلام، أما كونه يؤمن برسول ولا يصدقه في جميع ما جاء به، فهذا تناقض ومكابرة.

وأما المنكر لرسالة نبينا محمد ﷺ مطلقا، فقد قام البرهان القاطع على صدق صاحب الرسالة ﷺ ولا تزال معجزات القرآن تتحدى الإنس والجن، فإما أن يأتي بما يناقض المعجزة

---

(١) انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٧٧ ، ١٩١- ٢٠٠ ، وفتاوى ابن تيمية ١٩/ ٩-٦٥ ، بعنوان : إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقلين ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١-١٧٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٧٨ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٣٣٤ ، ومعالم الدعوة للديلمي ١/ ٤٥٤-٤٥٦ ، والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٣٠٣-٣٠٩ .

(٢) أحمد (٣/٣٣٨) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٣٨ ، وله شواهد وطرق كثيرة ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ، ١/ ١٧٣-١٧٤ ، وانظر : مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني ، ١/ ٦٣ ، ٦٨ .

القائمة، وإلا لزمه الاعتراف بمدلولها، فإن اعترف بالرسالة لزمه التصديق بكل ما أخبر به الرسول ﷺ وإن ذهب يكابر ويعاند ليأتي بقرآن مثل ما جاء به محمد ﷺ وقع في العجز، وفضح نفسه لا محالة؛ لأن أصحاب الفصاحة والبلاغة قد عجزوا عن ذلك، ولا شك أن غيرهم أعجز عن هذا؛ لأن القرآن معجزة قائمة مستمرة خالدة [1].

وحينئذ يلزم جميع الخلق العمل بما فيه والتحاكم إليه.

وقد صرح القرآن الكريم بأن محمدا ﷺ رسول إلى جميع الناس، وخاتم النبيين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [3] ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [4].

وهذا تصريح بعموم رسالته لكل من بلغه القرآن.

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقال: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [5] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾ [6] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [1]،

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ١٤٤ ، ١٦٦ ، ومناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٣٠٣ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للدكتور صالح بن فوزان ٢/ ١٨٢ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ١ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٩ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ٢٠ .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية ٤٠ .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2].

وبلغ ﷺ الناس جميعا أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامة، قال ﷺ ﴿ أعطيت خمس لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي "، وذكر منها: " وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة ﴾[3]... الحديث[4].

وقال ﷺ ﴿ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذا اللبنة؟ " قال: " فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين ﴾[5] [6]. وعموم رسالته ﷺ لجميع الإنس والجن في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الرسالات، يقضي ويدل دلالة قاطعة على أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله- تعالى- وسنة رسوله ﷺ وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته، واتباع ما جاء به، فقد قال ﷺ ﴿ والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار ﴾[7] [8].

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

(٣) البخاري الصلاة (٤٢٧) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) ، النسائي الغسل والتيمم (٤٣٢) ، أحمد (٣/٣٠٤) ، الدارمي الصلاة (١٣٨٩) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب الصلاة ، باب قول النبي جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ١/ ٥٣٣ ، ومسلم ، كتاب المساجد ، ١/ ٣٧٠ ، برقم ٥٢١ .

(٥) البخاري المناقب (٣٣٤٢) ، مسلم الفضائل (٢٢٨٦) ، أحمد (٢/٣١٢) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ٦/ ٥٥٨ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠ .

(٧) أحمد (٢/٣٥٠) .

(٨) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ١/ ١٣٤ .

وبعون الله – تعالى– ثم بهذه المسالك الثلاثة الآنفة الذكر– تقوم الحجة، وتثبت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [1] ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ الآية [2].

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٠٤ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

المبحث الرابع: حكمة القول مع المسلمين

توطئة:

المطلب الأول: الموعظة الحسنة وأنواعها.

المطلب الثاني: الترغيب والترهيب.

المطلب الثالث: حكمة القول التصويرية.

المبحث الرابع : حكمة القول مع المسلمين

توطئة:

إن من حكمة القول في الدعوة إلى الله – تعالى– أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وأحوالهم، وعقائدهم، وأوضاعهم، وليس من الحكمة أن يخاطب المسلم – في توجيهه وإرشاده وحثه على الالتزام والتمسك بدينه– كما يخاطب الملحد، أو الوثني، أو اليهودي، أو النصراني، أو غيرهم من الكفار.

ولا شك أن المسلمين ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول من المسلمين: وهم الذين ينقادون للحق ولا يعاندون، فهؤلاء يكفي في دعوتهم بالقول الحكيم أن يبين لهم الحق علما وعملا واعتقادا، وحينئذ ينقادون لذلك– بإذن الله تعالى–.

أما القسم الثاني من المسلمين: وهم الذين عندهم غفلة وشهوات وأهواء، وهم عصاة المسلمين، فهذا القسم تكون دعوتهم بالحكمة القولية حسب المطالب التالية:

المطلب الأول: الموعظة الحسنة وأنواعها.

المطلب الثاني: الترغيب والترهيب.

المطلب الثالث: حكمة القول التصويرية.

المطلب الأول الموعظة الحسنة وأنواعها

والموعظة: هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس، ويكبح جماح النفوس المتمردة، ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية [1] قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [2] وقال سبحانه: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم

---

(١) انظر . فتاوى ابن تيمية ١٩/ ١٦٤ ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٥ ، والتفسير القيم لابن القيم ص٣٤٤ ، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ص٧١ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٦٦ .

مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)].

والداعية إلى الله -تعالى- ينبغي أن يكون وعظه للناس بالقول الحكيم على نوعين: تعليم، وتأديب.

النوع الأول: وعظ التعليم:

وهـذا النوع يكـون ببيان عقـائد التوحيد، وبيان الأحكام الشرعية الخمسة: من الواجب، والحرام، والمسنون، والمكروه، والمباح، ويراعي في ذلك كله ما يناسب كل طبقة، والحث على التمسك بها، والتحذير من التهاون فيها.

ومن تدبر أسلوب القرآن علم أن الأحكام ينبغي أن تساق إلى الناس مسـاق الوعظ الذي يلين القلوب، ويبعثها على العمل، ولا تسرد سردا خالية من وسائل التأثير، ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [(٢)].

فالأمر بتقوى الله بعـد النهي عن إتيان النساء في المحيض، والأمر بإتيانهن في موضع الحرث، والأمر بالتقديم لأنفسنا تحذيرا من مخالفة هذا الهدي الإلهي، وقوله: واعلموا أنكم ملاقوه إنذار للذين يخالفون عن أمره بأنهم يلاقون جزاء مخالفتهم في الآخرة، ويحاسبون على أعمالهم. وقوله تعـالى: وبشر المؤمنين تبشـير للطائعين الذين يقفون عند الحدود، ويتبعون هدى الله- تعالى-، والمبشر به عام يشمل منافع الدنيا، ونعيم الآخرة، وحصول كل خير، واندفاع كل شر -رتب على الإيمان- داخل في هذه الآية.

---

(١) سورة النور ، الآية ١٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآيتان٢٢٢ ، ٢٢٣ .

ومما يزيد ذلك وضوحا وبيانا أن الله ﷻ بعد أن ذكر أحكام الفرائض وتقسيم التركات ختم ذلك بقوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤ ﴾ (١).

وهذان مثالان يبينان أن الداعية إلى الله إذا سلك في هذا النوع طريقة القرآن الكريم فإنه سيجتذب الأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب ويلينها، وحينئذ تستقبل العقائد والأحكام بإذن الله ﷻ للعمل والتطبيق برغبة واشتياق (٢).

النوع الثاني: وعظ التأديب:

وهــذا يكون بتحديد الأخلاق الحسنة: كالحلم والأناة، والشجاعة، والوفاء، والصبر، والكرم...، وبيان آثارها ومنافعها في المجتمع، والحث على التخلق بها والتزامها، وتعريف وتحديد الأخلاق السيئة. كالغضب، والعجلة، والغــدر، والجــزع، والجبن، والبخــل،... والتحــذير عن الاتصاف بها من طريقي: الترغيب والترهيب.

وينبغي للداعية إلى الله أن يستشهد في كل من النوعين بما جاء فيه من الكتــاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين والأئمة المجتهــدين، وأحــوالهم في ذلك، فإن لهذا شأنا عظيما يوصل إلى الغاية المقصودة متى صدر من قلب سليم نقي متخلق بما يدعو إليه؛ لأن الموعظة في الغــالب إذا صدرت من القلب وقعت في القلب، وإن خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان.

وإذا أراد الداعية أن تكون موعظته مؤثرة بليغة، فإن عليه الآتي:

١ – ينظر إلى المنكرات المنتشرة، ولا سيما ما كان منها قريب العهد، وحديثه على ألسنة الناس.

٢ – ثم يقدم من هذه المنكرات أكبرها ضررا، وأسوأها أثرا، فيجعلها محور خطابته، وموضع موعظته.

---

(١) سورة النساء، الآيتان١٣ ، ١٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٦ ، ٤٦٢ ، وتفسير السعدي ١/ ٢٧٨ ، ٢/ ٣٥ ، وهداية المرشدين لعلي محفوظ ص ١٤٣ .

٣ - ثم يفكــر فيما ينشــأ عن هذا المنكــر من الأضرار الخلقية، والاجتماعية، والصحية، والمالية.

٤ - ثم يستحضر ما جاء في ذلك من الآيات، والأحاديث الصحيحة، أو الحسنة، وأقوال الصحابة، والأبيات الشعرية الحكيمة.

٥ - ثم يأخذ في كتابة الموضوع إن شاء كتابته، ويضمنه ما فيه من تلك المضار، وما ورد فيه عن الشارع، محذرا من الوقوع فيه، حاثا على التوبة منه.

أما إذا أراد الحث على العمل الصالح النافع، فيتبع ما يلي:

١- يفكر في مزاياه وآثاره الحسنة تفكيرا عميقا.

٢- يستحضر ما يناسبه من الكتاب وصحيح السنة وآثار الصحابة.

٣- ثم يسلك في الكتابة المسلك السابق.

فإذا كتب الموضوع، فإن شاء حفظه وألقاه، وإن شاء ذكر مضمونه، وذكــر المضمون أحسن الأمرين، حتى لا يكون مقيدا بعبارة خاصة، ويتخير من العبارات ما تؤدي إلى المعاني التي حصل عليها ببحثه وتفكيره.

وإن شاء عدم الكتــابــة واكتفى برسم الموضوع في مخيلته وتسطيره في ذاكــرته التي قواها بالمران والتجارب والممارسة كان ذلك أحسن وأكمل، وبتوفيق الله ﷻ ثم بإعداد الموضوع واستحضاره بأدلته تماما، وتقسيمه بحسب نقطه إلى أقسام، يكون الداعية في مأمن من الزلل بإذن الله تعالى.

وبعد ذلك ينبغي أن يراعي في حال التأدية والإلقاء استعداد السامعين، فيترل في العبارة مع العامة على قدر عقولهم متجنبا الألفاظ البعيدة عن أفهــامهم، ويتوسط مع أوساط الناس، ويتأنق مع الخاصة، فيكون مع جميع الطبقات حكيما يضع الأشياء في مواضعها، وبكل حال عليه أن يختار المعاني النفيسة، وتنسيقها، وشرحها بالدقة، وإبلاغها أذهان السامعين، وإنفاذها في قلوبهم، ودفع السآمة والملل عنهم، بإيراد الشواهد عليه من الحكــم النثرية والشعرية، والفكاهات الأدبية، بشرط التزام ظلال الكتاب والسنة،

وبذلك يكون الداعية موفقا مؤثرا بإذن الله -تعالى-، إذا قصد إبلاغ الناس بإخلاص وصدق ورغبة فيما عند الله- تعالى- [1].

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب :

من حكمة القول في أسلوب الدعوة إلى الله- تعالى- مع عصاة المسلمين وغيرهم أن يسلك الداعية في دعوته إلى الله مسلكي: الترغيب والترهيب؛ لأنه أسلوب له تأثيره في نفوس كثير من البشر؛ فإن الإنسان خبل على حب الخير، والرغبة في الحصول على كل محبوب، كما طبع على بغض الشر، وما يصيبه من بلاء في النفس، أو المال، أو الأهل، وحينئذ فغريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، ويحميها من كل شر، سواء كان ذلك عاجلا أو آجلا؛ ولذلك فالترغيب والترهيب يفيض بهما بحرا الكتاب والسنة [2] قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾ [3].

فالقرآن يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل، ومن هدايته الترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله- تعالى- بعظيم الخير، وتبشيرهم بحسن المثوبة، والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله- تعالى- بشديد العذاب، وإنذارهم بسوء العاقبة، ومن المعلوم يقينا أن الوعد بالخير يعم خير الدنيا والآخرة وسعادتهما، والوعيد يشمل نقم الدنيا والآخرة وشقاءهما [4].

وهذا يجعل الداعية إلى الله- تعالى- يهتم اهتماما بالغا بهذين الأسلوبين الحكيمين،

(١) انظر : هداية المرشدين ص ١٤٥ ، ١٩٢ .

(٢) انظر . مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ٣٠١ ، ومعا الدعوة للديلمي ١/ ٤٩٤ ، وهداية المرشدين ص ١٩٢

(٣) سورة الإسراء ، الآيتان٩ ، ١٠ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٢٦ ، والسعدي ٤/ ٢٦٤ .

وسأتناول ذلك- بإذن الله تعالى- بشيء من الإيضاح في المسلكين الآتيين:

المسلك الأول الترغيب والتبشير

المسلك الثاني: الترهيب والإنذار.

المسلك الأول: الترغيب والتبشير:

من الحكمة القولية في الدعوة إلى الله أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك ما يفيد في حمل الناس على التبشير عن ساعد الجد في طاعة الله - تعالى- لنيل السعادة في الدنيا والآخرة.

والترغيب قسمان:

القسم الأول: الترغيب في جنس الطاعات.

القسم الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات.

القسم الأول: الترغيب في جنس الطاعات:

وهذا القسم له أنواع وصور متعددة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

النوع الأول: الترغيب بالوعد بالخير العاجل في الدنيا:

عندما يتحقق الإيمان والاستقامة عليه بطاعة الله- تعالى- وتقواه تحصل السعادة والبركات العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، وما في الآخرة أعظم، ومن صور هذه الخيرات ما يأتي:

١ - الترغيب بالوعد بالحياة الطيبة والسلامة من كل مكروه، قال تعالى: ترغيبا في صالح العمل مع الإخلاص فيه والمتابعة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [1].

٢ - الترغيب بالوعد بالاستخلاف في الأرض والتمكين: قال تعالى: ﴿وَعَدَ

(١) سورة النحل ، الآية ٩٧ .

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [(1)].

٣ – الترغيب بالوعد بالإمداد بأنواع الخيرات والزيادة مع الشكر، قال تعالى: عن نوح ﷺ ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [(2)] ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾ [(3)].

٤ – الترغيب بالمد في العمر إلى استيفاء الآجال، وعدم المعاجلة بالعقوبة: قال تعالى: ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [(4)] فمن عبد الله واتقاه، وأطاع رسوله ﷺ وتاب من جميع المعاصي، غفر الله له ذنوبه، ومد في عمره، ودفع عنه الهلاك إلى حين استيفاء أجله [(5)].

٥ – الترغيب بالوعد بأنواع التأييد والنصر والتوفيق:

(أ) الوعد بولاية الله – تعالى –: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾ [(6)].

---

(١) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٢) سورة نوح ، الآيات ١٠-١٢ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ٧ .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ١٠ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٣/ ٢٧ ، ٤/ ٣٩٧ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٢٥ ، وتفسير السعدي ٤/ ١٢٧ ، ٧/ ٤٨١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧ .

(ب) الوعد بالدفاع عنهم: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾ [1].

(جـ) الوعد بالكفاية: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [2].

(د) الوعد بالنصر: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ ﴾ [3].

(هـ) الوعد بالعزة والعلو: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [4] ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ ﴾ [5].

(و) الوعد بمحبة الله للمؤمنين: وهذا باب واسع، قد ذكر الله فيه أنه يحب التوابين، والمتطهرين، والمتقين، والمحسنين، والصابرين، والمتوكلين، والمقسطين، والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص [6].

(ز) الوعد بمحبة عباد الله للمؤمنين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ [7].

(ح) الوعد بالهداية والتوفيق، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾ [8].

---

(١) سورة الحج ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

(٣) سورة الروم ، آية ٤٧ .

(٤) سورة المنافقون ، آية ٨ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

(٦) انظر سورة البقرة ، الآية ٢٢٢ ، وآل عمران ، الآيات ٧٦ ، ١١٦ ، ١٣٤ ، ١٤٨ ، ١٥٩والمائدة ، الآية ٤٢ ، والتوبة ، الآيتان ٤ ، ٧ ، والصف ، الآية ٤ .

(٧) سورة مريم ، الآية ٩٦ . وانظر البخاري مع الفتح ١١/ ٣٤٠ ، ١٣/ ٤٦١ ، ومسلم٤/ ٢٠٣٠ .

(٨) سورة الحج ، الآية ٥٤ .

(ط) الوعد بعدم تسليط الأعداء عليهم: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١٤١﴾ ﴾[(1)].

(ى) الوعد بالأمن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(2)].

(ك) الوعد بحفظ سعي المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾[(3)].

(ل) الوعد بازديادهم من العلم والفهم: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[(4)].

النوع الثاني: الترغيب بذكر سنة الله تعالى فيمن مضى من عباده المخلصين:

من حكمة القول مع عصاة المؤمنين في دعوهم إلى الله ﷻ أن يبين لهم أن سنة الله لا تتخلف في نصرة عباده المؤمنين ورحمته بهم حين يتجهون إليه- سبحانه- بإظهار كمال العبودية له، والافتقار إليه، وهم في حالة من الكرب أو الضيق أو الحاجة، فتدركهم رحمته سبحانه. ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[(5)] ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[(6)].

وفي ذكر الداعية إلى الله سنة الله فيمن مضى من عباده المؤمنين إطماع لعباد الله في

(١) سورة النساء ، الآية ١٤١ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .
(٣) سورة الكهف ، الآية ٣٠ .
(٤) سورة التوبة ، الآية ١٢٤ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية ٥٦ .
(٦) سورة النمل ، الآية ٦٢ .

الحصول على أمثالها للمؤمنين إذا اتجهوا إلى الله- تعالى- بقلوب صادقة، وترغيب للمعرضين في انقيادهم لأمر الله- تعالى- حتى يكونوا من المحسنين، فتصيبهم رحمة الله- تعالى- [1] وهذا النوع له أمثلة كثيرة جدا، منها ما يلي:

١ - إجابة الله لدعوة آدم وحواء بعد أن وقعا في المعصية ثم تابا إلى الله ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [3].

٢ - إجابته- تعالى- لنبيه أيوب بعد أن بلغ به الضر منتهاه: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [4].

٣ - استجابته تعالى ليونس: ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [5] ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [6].

٤ - إنجاؤه تعالى لأنبيائه وعباده المؤمنين عند حلول العذاب بأقوامهم المكذبين، وهذا باب واسع، ومن ذلك إنجاء نوح [7] وهود [8] وصالح [1] وإبراهيم، ولوط [2] وشعيب [3]

---

(١) انظر : معالم الدعوة للديلمي ١/ ٥٠٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٧ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآيتان ٨٧ ، ٨٨ .

(٦) سورة الصافات ، الآيتان ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٧) انظر : سورة يونس ، الآية ٧٣ .

(٨) انظر : سورة هود ، الآية ٥٨ .

وموسى وهارون [٤] والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من بني إسرائيل [٥] وغيرهم، فقد أنجى سبحانه هؤلاء ومن تبعهم وأهلك أعداءهم.

النوع الثالث: الترغيب بالوعد بالخير الآجل الأعظم في الآخرة:

جاء في كتاب الله- تعالى-، وفي سنة رسوله ﷺ الوعد بالخير الآجل، والنعيم المقيم والرضوان، والأمن التام، والرحمة والمغفرة وتكفير السيئات، كل ذلك لمن تحقق فيه شرط الإيمان والعمل الصالح، وهذا باب واسع يزخر به بحر الكتاب والسنة، ولا يتسع المقام لذكر الأمثلة على ذلك.

فعلى الداعية العناية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يقدم للناس القول الحكيم الذي يرضـــي الرب الحكيم [٦].

النوع الرابع: الترغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة وما أعد الله لهم:

وهذا النوع من الترغيب يزخر به كتاب الله- تعالى- وسنة رسوله ﷺ ولا يحصر ما أعد الله لعباده المؤمنين في جنات النعيم من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، ولهذا قال ﷺ فيما يرويه عن ربه- تبارك وتعالى-: " قال الله. أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [٧] وهذا مما يجعل العاقل يشمر عن ساعد الجد؛ ليسعد بهذا الفـــوز العظيم، والسعـــادة الأبـــدية، والنعيم الـــدائم الذي يعجز دونه الوصف، ومن

---

(١) انظر : سورة هود ، الآية ٦٦ .

(٢) انظر : سورة الأنبياء ، الآيتان ٧٠ ، ٧١ .

(٣) انظر : سورة هود ، الآية ٩٤ .

(٤) انظر : سورة الصافات ، الآية ١١٤-١١٦ .

(٥) انظر : سورة الأعراف ، الآية ١٦٤-١٦٦ .

(٦) انظر : سورة الأنعام ، الآية ٨٢ ، وطه ، الأيات ٨٠-٨٢ والفرقان ، الآية ٧٠ ، والبينة الآيتان٧ ، ٨ .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٦/ ٣١٨ ، ومسلم ، كتاب الجنة ، ٤/ ٢١٧٥ برقم ٢٨٢٥ . والآية من سورة السجدة ، الآية ١٧ .

هذا النعيم على سبيل المثال [1]

ما ذكر الله من نعيم أهل الجنة وصفاتهم، ومن ذلك: رضوانه تعالى؛ فإنه أكبر النعيم [2] وأنهار الجنة [3] ومساكن أهلها [4] وزوجاتهم [5] وحليهم [6] وطعامهم [7] وشرابهم [8] وصفاتهم [9] وأطوالهم [10] وفواكههم [11] ولباسهم [12] وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجه الله الكريم [13] فالداعية إذا هذا النوع من الترغيب يجذب قلوب الناس إلى الرغبة س في هذا النعيم الدائم.

القسم الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات:

وهذا القسم مهم جدا لا يقل أهمية عن القسم الأول، والناس يحتاجون إليه، ليشمروا عن ساعد الجد في عمل أنواع الطاعات، فينبغي للداعية إلى الله أن لا يغفل هذا الجانب، ويهتم بترغيب الناس بالأقوال الحكيمة في أنواع البر والإحسان، وجميع أنواع الطاعات:

---

(١) انظر صفة الجنة ونعيمها وأحوال أهلها ، وبعض ما أعد الله لهم ، في البخاري مع الفتح ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الحنة وأنها مخلوقة ٦/ ٣١٧-٣٢٩ ، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ٤/ ٢١٧٤-٢٢٠٦ ، وجامع الأصول في أحاديث الرسول فقد ذكر عشرة أنواع من صفة الجنة ونعيمها ١٠/ ٤٩٤-٥١٢ ، ثم ١٠/ ٥٢٠-٥٢٣ ، ثم ذكر عشرة أنواع من صفات أهل الجنة ونعيمهم ١٠/ ٥٢٣-٥٣٧ ، ثم ١٠/ ٥٤٤-٥٥٦ ، فكان ذكره لنعيم الجنة وعذاب أهل النار ١٠/ ٤٩٤-٥٦٤ ، وانظر أعظم كتاب ألف في الجنة ، هو حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم -رحمه الله- ، ذكر فيه سبعين بابا

(٢) انظر : سورة التوبة ، الآية ٧٢ .

(٣) انظر : سورة محمد ، الآية ١٥ .

(٤) انظر : سورة التوبة ، الآية ٢٣ .

(٥) انظر : سورة الصافات ، الآيات ٤٠-٤٨ .

(٦) انظر : سورة الكهف ، الآية ٣١ .

(٧) انظر : سورة الطور ، الآية ٢٧-٢٨ ، والواقعة الآيات ١٠-٤٠ .

(٨) انظر : سورة الإنسان ، الآية ٥-٢٢ .

(٩) انظر البخاري مع الفتح ٦/ ٣١٨ ، ٣٦٢ ، ومسلم ٤/ ٢١٨٠ .

(١٠) انظر البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء باب خلق آدم وذريته ٦/ ٣٦٢ .

(١١) انظر : سورة الرحمن ، الآيات ٥٢-٦٨ ، والواقعة الآيات ١٩-٣٣ .

(١٢) انظر : سورة الكهف ، الآية ١٥ ، وسورة الحج ، الآية ٢٣ .

(١٣) انظر : سورة يونس ، الآية ٢٦ ، وسورة ق ، الآية ٣٥ ، وسورة القيامة ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

كحثهم على تحقيق كلمة الإخلاص، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد لإعلاء كلمة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإصلاح ذات البين، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وغير ذلك.

وكذلك ينبغي ترغيب الناس في أنواع الفضائل النفسية: كالشجاعة، والعفة، والصدق، والوفاء، والأمانة، والإخلاص، والحلم، والتواضع، والكرم، والصبر، وطهارة الضمير، وحث الخير للناس، والعدل والإحسان، وغيرذلك مما ينفع الأمة في العاجل والآجل بذكر ما جاء فيها من الترغيب من الكتاب والسمنة الصحيحة والحسنة والآثار الثابتة مع شرح ذلك شرحا وافيا حسبما تدعو إليه الحاجة [(١)].

ومن أمثلة الترغيب في هذه الأنواع: قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [(٢)] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٣)]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [(٤)] وغير

(١) انظر : هداية المرشدين ص ١٩٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٧٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان ١٦ ، ١٧ .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان ١٣٤ ، ١٣٥ .

ذلك كثير من كتاب الله تعالى [1].

وكذا قد جاء عن النبي ﷺ الترغيب في أنواع الطاعات من الأحاديث ما لا يحصى، ومن ذلك قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو: "أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة" [2].

ومن هذا النوع حديث معاذ بن جبل حينما سأل النبي ﷺ عما يدخله الجنة ويباعده عن النار، فعد له النبي ﷺ اثنتي عشرة خصلة من أنواع الطاعات [3].

فالداعية إذا استخدم هذه الأنواع وفق بإذن الله ﷻ للصواب [4].

المسلك الثاني: الترهيب والإنذار:

من حكمة القول أن يذكر الداعية إلى الله من هذا المسلك الأمور النافعة المفيدة في حمل الناس على ترك الجرائم والذنوب، والتحذير والإنذار من كل المعاصي، والإصرار عليها.

والترهيب قسمان:

القسم الأول: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس المعاصي والذنوب.

القسم الثاني: الترهيب بذكر الوعيد والعقوبات على أنواع الذنوب وآحادها.

القسم الأولى: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات علي جنس المعاصي والذنوب:

وهذا القسم له أنواع وصور متعددة، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

---

(١) انظر : سورة النساء ، الآية ١١٤ ، والتوبة ، الآية ٧١ ، والمؤمنون ، الآيات ١- ١١ ، والفرقان ، الآيات ٦٣-٧٧ ، ولقمان ، الآيات ١٣-١٩ ، والأحزاب ، الآية ٣٥ ، والصف ، الآيات ١٠-١٣ ، وغير ذلك من الآيات في الترغيب في أنواع الطاعات .

(٢) أخرجه أحمد في المسند بإسناد جيد ٢/ ١٧٧ ، وانظر : صحيح الجامع الصغير ١/ ٣٠١ برقم ٨٨٦ .

(٣) انظر . سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، ٥/ ١١ ، وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة ، ٢/ ١٣١٤ ، وأحمد ٥/ ٢٣١ ، وانظر صحيح الترمذي ، وانظر أحاديث أخرى في الترغيب في أنواع الطاعات في البخاري مع الفتح ٦/ ١١ ، ١٠/ ٤١٥ ، ومسلم ٤/ ١٩٨٢ .

(٤) ويفيد الداعية في هذا القسم الترغيب والترهيب للمنذري ، وكتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي ، ورياض الصالحين للنووي .

النوع الأول: الترهيب لذكر الوعيد بالحرمان من الخير العاجل، أو الأخذ بالعذاب العاجل:

الإصرار على المعاصي والسيئات من أسباب الابتلاء بالفقر، والضيق في العيش، والإصابة بالأمراض والأسقام، والحرمان من الخيرات العاجلة والآجلة، وهي أعظم الأسباب في إهلاك الأمم والجماعات والأفراد بالدمار والهلاك [1] قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [2].

وهو سبحانه يعفو عن كثير من السيئات فلا يجازي ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥ ﴾ [3].

وكل ما يحدث في الأرض من المصائب، وقلة الثمار، وقحط الأمطار، فإنما هو من عقوبة بعض ما عمل الناس من الذنوب [4] ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١ ﴾ [5].

ويمكن للداعية أن يستخدم هذا النوع في دعوته على ضربين:

الضرب الأول: ذكر ما حل بالقرى من الأخذ بالدمار أو الحرمان من الخيرات التي كانت بين أيديهم بسبب ظلمهم أنفسهم واستكبارهم، وعدم شكرهم لله الرزاق، ومن ذلك ما حل بفرعون وقومه: ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦

(١) انظر تفسير ابن كثير١/ ١٣٣ ، ٢٣٤ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٣٠ . .

(٣) سورة فاطر ، الآية ٤٥ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٤ ، ٤/ ١١٧

(٥) سورة الروم ، الآية ٤١ .

وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1] وغير ذلك كثير مما حل بالقرى المكذبة للرسل، عليهم الصلاة والسلام [2].

الضرب الثاني: الترهيب بذكر ما وقع لجـــماعات أو أفراد من الأخذ العاجل أو الحرمان من الخيرات، ومن ذلك ما حل بالجـــماعات والأفراد الآتي ذكرهم:

١ – ما ذكره الله عن قوم سبأ، وما كانوا فيه من النعم والغبطة والسرور، فلم يشكروا الله، فحل بهم الدمار والخراب والحرمان [3].

٢ – وما ذكر الله في قصة قارون [4].

٣ – وصاحب الجنتين الذي تكبر على صاحبه الفقير [5].

٤ – وأصحاب الجنة الذين تعاهدوا أن يحرموا الفقراء والمساكين فحرمهم الله جنتهم ودمرها [6] وغير ذلك من الأمثلة كثير.

النوع الثاني: **التر**هيب بالإنذار من حلول العذاب العاجل:

هذا النوع يوجهه الداعية إلى المعرضين عن طاعة الله إذا ظلوا على إصرارهم وعنادهم واستكبارهم عن قبول الحق بعـــد وضوحه، ولزوم الحجـــة، ومن ذلـــك قولـــه تعـــالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ﴾ [7] إلى قوله تعالـــى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ ٱلْقَوْمُ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [8] [1].

---

(١) سورة الدخان ، الآيات ٢٥–٢٧ .

(٢) انظر سورة الأنعام ، الآيات ٤٢–٤٥ ، والأعراف ، الآيات ٩٤–١٠٠ ، والنحل ، الآية ١١٢ ، والقصص ، الآية ٥٨ .

(٣) انظر سورة سبأ ، الآيات ١٥–١٩ .

(٤) انظر : سورة القصص ، الآيات ٧٦– ٨١ ، وتفسير البغوي ٣/ ٤٥٤ ، وابن كثير ٣/ ٩٩ .

(٥) انظر . سورة الكهف ٣٣– ٤٣ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٨٤ .

(٦) انظر . سورة القلم ، الآيات ١٧– ٢٧ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٠٧

(٧) سورة الأنعام آية : ٤٦ .

(٨) سورة الأنعام آية : ٤٧ .

وقال سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [2] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [3].

وغير ذلك كثير في كتاب الله – تعالى– وسنة رسوله ﷺ [4].

النوع الثالث: الترهيب بذكر مصير الأمم التي كذبت رسلها:

وهذا النوع له أعظم الأثر والوقع في النفوس؛ لأنه من أعظم العبر لمن اعتبر، ولأنه تبين سنة الله ﷻ فيمن كذب الرسل عليهم الصلاة والسلام أو وقف من دعوتهم موقف الإعراض والاستكبار، ثم بعد إقامة الحجة عليهم وقع بهم الدمار والهلاك، وهذا باب واسع لا يمكن حصره، ومن ذلك قوله ﷻ لمحمد ﷺ ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [5] ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ ﴾ [6] إلى قوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا

---

(١) سورة الأنعام ، الآيتان ٤٦–٤٧ .

(٢) سورة النور ، الآية ٦٣ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٦٥ .

(٤) انظر . سورة الأنفال ، الآيتان ٢٤ ، ٢٥ ، وفصلت الآية ١٣ ، والسجدة ، الآية ٢٢ . والبخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة هود ، باب : " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة" ، ٨/ ٣٥٤ ، ومسلم ، البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧ ، والبخاري مع الفتح ٨/ ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٩/ ٣١٩ ، ١٣/ ٣٨٣ ، ومسلم ٤/ ٢١١٤ .

(٥) سورة الحج ، الآيات ٤٢–٤٥ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ٣٩ .

كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [1] [2].

ومن أنواع عذاب بعض هؤلاء المكذبين على سبيل المثال:

١ - قوم نوح: أهلكهم الله ﷻ بالغرق ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [3]

٢ - عاد قوم هود: سلط الله عليهم الريح فألقتهم موتى على وجـــه الأرض كأهم أعجاز نخل منقعر، خاوية، فدمرت الريح كل شيء بأمر ربها [4]

٣ - ثمود قوم صالح: أرسل الله عليهم الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم فأصبحوا في دارهم جاثمين [5].

٤ - قوم لوط: رفع الله قراهم إلى السماء، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم بحجارة أمطرها عليهم، ولإخوانهم أمثالها. [6]

٥ - مدين قوم شعيب: أظلتهم سحابة وأمطرت عليهم شررا من نار، ولهتا ووهجا، ثم جاءهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض من أسفل منهم [7].

٦ - فرعون وقومه: أغرقهم الله في البحر [8].

٧ - قارون. خسف الله به وبداره الأرض [9].

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٠ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآيتان ٣٩-٤٠ .

(٣) انظر سورة القمر ، الآيتان ١١-١٢ . .

(٤) انظر سورة الأحقاف الآيتان ٢٤-٢٥ ، والحاقة الآيات ٦-٨ ، والقمر الآيتان١٩ -٢٠ . .

(٥) انظر : سورة الأعراف الآية ٧٨ ، والذاريات ٤٣-٤٥ ، والقمر الآيات ٢٩-٣١ ، والحاقة الآية ٥ .

(٦) انظر : هود الآية ٨١ ، والحجر الآية ٨٢ ، والذاريات :الآية ٣٣ . .

(٧) انظر : الشعراء الآية ١٧٨ ، وهود الآية ٩٤ ، والأعراف الآية ٩١ .

(٨) انظر سورة يونس الآيات ٨٨-٩١ ، والزخرف الآيات ٥١-٥٦ .

(٩) انظر سورة القصص الآية ٧٦ ، وانظر التفصيل في ذلك في كتاب الجواب الكافي لابن القيم ، ص٨٤-٨٦ وسورة الأعراف الآيات٥٩-١٤١ ، وهود ٢٥-١١٠ .

النوع الرابع: الترهيب بالوعيد بالعذاب الآجل في الآخرة:

الوعيد بالعذاب الآجل يوم القيامة هو من الأقوال العظيمة الحكيمة التي تلين لها قلوب أهل العقول حين تذكر ببطش الله ونقمته وعذابه الأليم لمن حاد الله ورسوله وتعدى حدوده، ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[1] ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[3].

وهذا النوع كثير في كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ[4]

النوع الخامس: الترهيب بوصف حال الكفار والمجرمين وما أعد الله لهم من عذاب في الآخرة:

من المعلوم يقيتـــا أن وصف الـــداعية الحكيم أحوال الكفار والمنافقين والغصاة وهم يتلفون أنواعا من العذاب الأليم، وذكره لبعض ما أعد الله لهم في الآخرة من أصناف العـــذاب والعقاب، مما يثير الخوف والرعب والفزع في النفوس، ويحملها على أن تفر إلى الله ربها فتخلص له العبودية وتتوب إليه؛ لتنجو من عذابه، ومن خزي هذا اليوم العظيم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[5] إلى

(١) سورة النساء ، الآية ١٤ .

(٢) سورة الجن ، الآية ٢٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١١٥ .

(٤) انظر كتاب التخويف من النار لابن رجب ص١٣ .

(٥) سورة الزمر آية : ٧١ .

قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1] [2] وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3] ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

وقد ذكر سبحانه لباسهم في النار وشرابهم[5] وطعامهم[6] وسلاسلهم وأغلالهم، وأنكالهم، ومقامعهم، وعظم أجسادهم[7] وهذا لهم من أعظم الخسران المبين: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾[8].

النوع السادس: الترهيب بالعذاب النفسي يوم القيامة:

من الحكمة القولية التي توجه إلى الغافلين والمعرضين والمصرين على الجرائم والذنوب ذكر بعض ما بينه الله ﷻ من العذاب النفسي لأهل النار أعاذنا الله منها، ومن هذا النوع على سبيل المثال:

---

(١) سورة الزمر آية : ٧٢ .

(٢) سورة الزمر ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٦٠ .

(٤) سورة الحج ، الآيات ١٩-٢١ .

(٥) انظر سورة محمد ، الآية ١٥ ، وإبراهيم الآية ٩ ، والكهف الآية ٢٩ .

(٦) انظر سورة الدخان الآية ٤٣ ، والمزمل الآية ١٢ ، والحاقة الآية ٣٥ .

(٧) انظر سورة غافر ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ ، والحاقة ، الآية ١٢ ، والمزمل ، الآيتان ١٢ ، ١٣ ، والحج ، الآيتان ٢١ ، ٢٢ وانظر عظم أجسادهم وأضراسهم في البخاري مع الفتح ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ١١/ ٤١٥ ، ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ٤/ ٢١٨٩ ، ٢١٩٠ .

(٨) سورة الزمر ، الآية ١٥ .

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [3] وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [4] ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [5].

وغير ذلك من أنواع العذاب النفسي، فإنهم عندما يسألون الخروج من النار، ثم ترد عليهم مسألتهم تتقطع قلوبهم هما وغما [6].

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون ، الآيات ١٠٦-١٠٨ .

(٣) سورة غافر ، الآيات ١٠-١٢ .

(٤) سورة الزخرف آية : ٧٧ .

(٥) سورة الزخرف ، الآيتان ٧٧-٧٨ .

(٦) انظر : أنواع وأصناف عذاب أهل النار وصفاتهم وبعض ما أعد الله لهم في جامع الأصول لابن الأثير ١٠/ ٥١٢-٥٢٣ ، ثم ١٠/ ٥٣٧-٥٦٤ ، والتخويف من النار لابن رجب ص ٦٤-٢٨٣ .

القسم الثاني: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على أنواع الذنوب وآحادها

هذا قسم مهم، والناس بحاجة إليه، ليبتعدوا عن آحاد المعاصي، ويقلعوا عما تلبسوا به منها، ويظهروا توبتهم الصادقة.

فينبغي للداعية إلى الله- تعالى- أن يهتم بهذا القسم، ويذكر ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد بالعذاب والعقوبات والنقم على آحاد الذنوب وأنواعها كالتهاون ببعض أمور العقيدة الإسلامية، وكالتهاون بالصلاة والزكاة والصوم والحج عند الاستطاعة، والتحذير من عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتهاجر بين المسلمين، والشحناء، والإنذار من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا، واللواط، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والسرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والقذف، والغيبة، والنميمة، وأعظم من ذلك التحذير من الشركيات والبدع المحدثة في الدين والسحر، وإتيان الكهنة والعرافين، والتعلق بالأولياء والصالحين، وغير ذلك من أنواع المعاصي.

ويلزم الداعية أن يحذر الناس بالقول الحكيم من أنواع الرذائل الخلقية: كالجبن، وعدم العفة، والكذب، ونقض العهد، والغدر، والخيانة، والنفاق، والرياء، والغضب، والكبر، والبخل، والشح، والجزع عند المصائب، والحقد، والحسد، والتحذير من كل ما يضر الأمة في دينها ودنياها [1].

فإذا ذكر الداعية ما ورد في ذلك من التحذير بالقول الحكيم أثمر ذلك مجتمعا مستقيما- بإذن الله تعالى-.

ونظرا لسعة هذا القسم وكثرة أنواعه فسأكتفي بالأمثلة التالية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ

(١) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لابن القيم ص١٨٠-٣٠٥ ، وهداية المرشدين ص ٢١٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٢ .

خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [(١)] وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٢)].

أما الأمثلة من السنة فمنها قوله ﷺ "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" [(٣)].

وقال ﷺ "لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا الزكاة إلا من منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم" [(٤)].

وهذا من أعلام نبوتـــه ﷺ فقد وقع ذلك كله بمن وقع في هذه المعاصي، ومن الأدلة المحسوسة على ذلك مرض الإيدز، الذي وقع بمن أباحوا الفواحش.

وقد لعن ﷺ من لعن والديه، ومن ذبح لغير الله، ومن آوى محدثا، ولعن على فعل ذنوب كثيرة غير ذلك [(٥)].

وذكر الداعية ذلك مما يدفع العصاة على الفرار من الذنوب والرجوع إلى الله –

---

(١) سورة النساء ، الآية ٩٣ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٢٥ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب الوصايا ، باب قوله تعالى : " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما . . ." ٥/ ٣٩٣ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وكبرها ١/ ٩٢ .

(٤) ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب العقوبات ٢/ ٣٣٣ ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ٤/ ٥٤٠ ، وانظر : صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٧٠ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٧ ، برقم ١٠٦ .

(٥) انظر أنواعا من المعاصي التي لعن عليها رسول الله في الجواب الكافي لابن القيم ، ص ١١٥-١١٩ .

تعالى–، والندم على ما مضى، والله الموفق سبحانه [1].

المطلب الثالث : حكمة القول التصويرية :

من حكمة القول في الدعوة إلى الله –تعالى– استخدام الأساليب التصويرية التي تدخـــل على القلوب مبـــاشرة فتؤثر فيها، وتشد أذهان المدعوين، وتشوقهم إلى الاستماع والاستفادة، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

المسلك الأول: القصص الحكيم:

القصة من خير ما يتوصل به الداعية الحكيم لإبلاغ دعوته إلى أعماق القلوب؛ لأن النفس تميل إليها، وترغب فيها، يقول سيد قطب –رحمه الله–: "ممـــا لا شك فيه أن للقصص طريقته الخاصة في عرض الحقائق وإدخالها إلى القلوب في صورة حية عميقة الإيقاع بتمثيل هذه الحقائق في صورها الواقعية، وهي تجري في الحياة البشرية، وهذا أوقع في النفس من مجرد عرض الحقائق عرضا تجريديا" [2].

وأفضل القصص ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، فقد بين الله ﷻ في كتابه العزيز أخبار الأمم الماضية أحسن بيان، ومن ذلك قصص الأنبياء وأقوامهم، وأثنى على أنبيائه ومن تبعهم من المؤمنين، وبين سنته في نصرهم وتأييدهم، وذم الأمم التي كذبت رسلها، وبين سنته فيهم، وما أوقع بهم من العذاب والدمار، وغير ذلك من القصص العظيم الحسن كـــما قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [3] ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [4].

أما القصص من السنة فإن قدوة الداعية في ذلك رسول الله ﷺ فقد كان يقص على

---

(١) انظر في الترهيب بالوعيد بالعذاب على أنواع الذنوب وآحادها : كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ، وكتاب الكبائر للذهبي ، وكتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الهالكين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين ، للإمام محي الدين أبي زكريا ، أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي ، المتوفى سنة ٨١٤ هـــ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣٩٠ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٣ .

(٤) سورة يوسف ، الآية ١١١ .

أصحـــابـــه القصص الذي ينفعهم، ويرغبهم في الخير، ويخوفهم من الوقوع في ضده، ومن ذلـــك: قصـــة الأبـــرص والأعمى والأقرع [(١)] ففي هذه القصة التحذير من كفران النعم والبخل، والتشويق إلى شكر النعم، والاعتراف بها للخالق، والإحسان إلى الناس [(٢)].

وقصة الغلام مع الملك والساحر والراهب [(٣)] وفيها تشويق الناس في الثبات على دين الله، والتضحية بكل غال ورخيص في سبيل نصرة دين الله وإظهاره.

وقصة الرجل الذي قتل مائة ثم تاب فتاب الله عليه [(٤)] فإن في هذه القصة الإيضاح للناس أن من تاب تاب الله عليه، وأن البيئة لها تأثير على الشخص، فلابد للتائب أن يلتمس الجليس الصالح، وغير ذلك كثير في السنة النبوية.

المسلك الثاني: التشبيه وضرب الأمثال:

في القرآن الكريم كثير من الأمثال المضروبة، والداعية لا بد له من ذلك في دعوته، ومن ذلك أن الله –تعالى– شبه المنفق في سبيله بمن بذر بذرا فأنبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة، والله يضاعف فوق ذلك لمن يشاء بحسب حال المنفق وإخلاصه [(٥)].

ومثل المنفق رياء وسمعة وبطلان عمله كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه مطر شديد، فتركه أملس لا شيء عليه [(٦)].

وشبه سبحانه الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها بالماء الذي يترل من السماء فأنبت الكلأ والعشب، ثم صار بعد هذه النضرة هشيما [(٧)] وغير ذلك كثيرا في كتاب الله تعالى [(١)].

---

(١) البخاري مع الفتح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع من بني إسرائيل ، ٦/ ٥٠٠ ، ومسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، برقم ٢٩٦٤ ، ٤/ ٢٢٧٥ .

(٢) انظر : فتح الباري ٦/ ٥٠٣ .

(٣) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والغلام ، ٤/ ٢٢٩٩ .

(٤) انظر : صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، ٤/ ٢١١٨ .

(٥) انظر : سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .

(٦) انظر : سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

(٧) انظر : سورة الكهف ، الآية ٤٥ .

وضرب النبي ﷺ الأمثال في دعوته، ومن ذلك تشبيهه الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير [2] وهذا من حكمة النبي ﷺ لأنه جمع بين الترغيب والحث على مجالسة من يستفاد من مجالسته في الدين والدنيا، وحذر من مجالسة من يتأذى بمجالسته فيهما [3] وهذا كثير في السنة [4].

المسلك الثالث: لفت الأنظار والقلوب إلى الصور المعنوية وآثارها:

من حكمة القول التصويرية لفت أنظار الناس إلى الأوصاف الحميدة المعنوية، وبيان آثارها العملية التي تحصل بسبب تطبيقها والعمل بها، ومن هذه الصور المعنوية ذكر الداعية أوصاف المؤمنين، وآثار هذه الأوصاف، وهذا كثير في كتاب الله – تعالى–، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠

---

(١) انظر : أمثال القرآن لابن القيم ص ٥٠– ٥٢ .

(٢) انظر البخاري مع الفتح ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ، ٩/ ٦٦٠ ، ومسلم ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب مجالسة الصالحين ٤/ ٢٠٢٦ .

(٣) انظر : فتح الباري ٤/ ٣٢٤ ، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٧٨

(٤) انظر كثيرا من الأمثال في السنة في صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن ، ١/ ٥٤٩ برقم ٧٩٧ ، وكتاب الزكاة ، باب مثل البخيل ، ٢/ ٧٠٨ ، برقم ١٠٢١ ، وكتاب الإمارة ، باب فضل الشهادة في سبيل الله ، ٣/ ١٤٩٨ ، برقم ١٨٧٨ ، وكتاب الفضائل ، ٤/ ١٧٨٧– ١٧٩١ ، بأرقام ٢٢٨٢– ٢٢٨٧ ، وكتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، ٤/ ٩٩٩– ٢٠٠٠ ، برقم ٢٥٨٥– ٢٥٨٦ ، وكتاب صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٦ ، برقم ٢٧٨٤ ، و ٤/ ٢١٦٣– ٢١٦٦ ، بأرقام ٢٨٠٩– ٢٨١٢ ، وكتاب الأمثال للرامهرمزي ، وسنن الترمذي ، كتاب الأمثال ٥/ ١٤٤– ١٤٨ ، ومسند الإمام أحمد ، ١/ ٤٣٥ ، ٤٦٥ ، ٤/ ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ .

ﵟٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ﵞ [1].

وهذه أوصاف تجذب القلوب الحية، وتلفت الأنظار إلى هذه الصفات العالية وآثارها الحميدة، ومن أعظم آثارها الفوز بالفردوس الأعلى في الجنة، وكتاب الله يزخر بأوصاف عباد الله المؤمنين، وآثار هذه الأوصاف في الدنيا والآخرة [2].

فحري بالداعية أن لا يغفل هذا الجانب؛ فإن له الأثر الحميد بتوفيق الله تعالى.

المسلك الرابع لفت الأنظار والقلوب إلى الآثار المحسوسة

المسلك الرابع: لفت الأنظار والقلوب إلى الآثار المحسوسة:

من حكمة القول التصويرية لفت أنظار الناس إلى آثار الأمم الماضية، والأفراد والجماعات الظالمة، والقرى والأمصار المكذبة المجرمة، وقد تكون الآثار في الأزمان القريبة أو الأماكن والأزمان المعاصرة المتأخرة؛ فإن في النظر فيما حل بهم من الهلاك والدمار والزلازل والمحن والأمراض، أعظم العبر لمن اعتبر وتفكر، ونظر واتعظ، والنظر في مساكنهم وديارهم، وكيف أبادهم وأهلكم وأذلهم، وخذلهم الملك الجبار، وجعل أخبارهم عبرة لأولى الأبصار [3]؟!.

وقد أمر الله عباده بالسير والنظر والتأمل في هذه الآثار في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﵟقُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١ﵞ [4] وقال تعالى: ﵟأَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات١-١١ .

(٢) انظر كثيرا من هذه الأوصاف وآثارها في سورة البقرة ، الآية ١٧٧ ، وآل عمران ، الآيات ١٥-١٧ ، ١٣٢-١٣٦ ، والتوبة ، الآية ٧١ ، والفرقان ، الآيات ٦٣-٧٤ ، والأحزاب الآية ٣٥ ، والذاريات ، الآيتان ١٥ ، ١٦ ، والمعارج ، الآيات ٢٢- ٣٥ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٥ ، ٣/ ٥٦٣ ، ٤٢٨ ، والسعدي ٢/ ٣٧٧ ، ٦/ ١١٤ ، ١٣٥ ، ٣٣٠ ، ٥١٩ ، ٥٥٤ ، ٧/ ٦٨ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١١ .

كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ﴾ [(١)].

والأمر بالسير يشمل السير بالأبدان، والتفكر بالقلوب للنظر والتأمل في عواقب المكذبين والمجرمين، والنظر بالأبصار والبصيرة في آثار هؤلاء من المساكن الخاوية، والديار المهجورة، والسماع بالآذان الأخبار المفزعة، وإلا فمجرد نظر العين الجامدة، وسماع الأذن المسدودة، وسير البدن الخالي من القلب المتفكر المعتبر غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب [(٢)].

---

(١) سورة الروم ، الآية ٩ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ٦/ ١٣٥ ، ٣٣٠ .

الفصل الرابع

حكمة القوة الفعلية مع المدعوين

تمهيد: مراتب الدعوة.

المبحث الأول: حكمة القوة الفعلية مع جميع الكفار.

المبحث الثاني: حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسلمين

الفصل الرابع حكمة القوة الفعلية مع المدعوين

تمهيد: مراتب الدعوة إلى الله تعالى:

قد دل كتاب الله على أن مراتب الدعوة - بحسب مراتب البشر- قال الله - تعـــالى-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [(1)] وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾ [(2)] فاتضح بذلك أن مراتب الدعوة إلى الله أربع مراتب كالتالي:

المرتبة الأولى: الحكمـــة.

المرتبة الثانية: الموعظة الحسنة.

المرتبة الثالثة: الجدال بالتي هي أحسن.

المرتبة الرابعة: استخدام القوة.

ولا بد أن تكـــون مرتبـــة الحكمة ملازمة لجميع المراتب التي بعدها، فالموعظة لا بد أن توضع في موضعها، والجدال في موضعه، واستخدام القوة في موضعه مع بيان الحق بدليله والإصابة في الأقوال والأفعال، وكل ذلك بإحكام وإتقان.

وبهذا تكون مراتب المدعوين بحسب هذه المراتب كالتالي:

١ - المستجيب الذكي، القابل للحق، الذي لا يعاند ولا يأباه، وهذا يبين له الحق علما وعملا واعتقادا، فيقبله ويعمل به.

٢ - القابل للحق المعترف به؛ لكن عنده نوع غفلة وتأخر، وله أهواء وشهوات تصده عن اتباع الحق، فهذا يدعى بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترغيب من الباطل.

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦ .

٣ – المعاند الجاحد، فهذا يجادل بالتي هي أحسن [(١)].

٤ – فإن ظلم المعاند و لم يرجع إلى الحق انتقل معه إلى مرتبة استخدام القوة إن أمكن.

واستخدام القوة يكون بالكلام، وبالتأديب لمن له سلطة وقوة، وبالجهاد في سبيل الله –تعالى– تحت لواء ولي أمر المسلمين بالشروط التي دل عليها الكتاب والسنة [(٢)] وهذا ما يقتضيه مفهوم الحكمة الصحيح؛ لأنها وضع الشيء في موضعه اللائق به بإحكام وإتقان وإصابة.

ويزيد ذلك وضوحا وبيانا ما كان عليه رسول الله ﷺ وهو الذي أعطاه ربه من الحكمة ما لم يعط أحدا من العالمين، فقد كان يضع العلم والتعليم والتربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، والقوة والغلظة والسيف في مواضعها، وهذا من أحكم الحكم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾ [(٣)] وهذا عين الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى [(٤)].

وقد تقدمت حكمة القول مع المراتب الثلاث الأولى من مراتب البشر السابقة، أما المرتبة الرابعة: وهم المعاندون الظالمون الذين لم يرجعوا إلى الحق، فهؤلاء من الحكمة في دعوتهم إلى الله –تعالى– استخدام القوة الفعلية معهم في المباحث التالية:

المبحث الأول: حكمة القوة الفعلية مع جميع الكفار الظالمين.

المبحث الثاني. حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسلمين.

---

(١) انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٢/ ٤٤ ، ٤٥ ، ١٥/ ٢٤٣ ، ١٩/ ١٦٤ ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٩٤ ، ١٩٥ ، والتفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤ ، ومعالم الدعوة في القصص القرآني للديلمي ١/ ٥٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦ ، ٤/ ٣١٥ ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص ٨٩ ، وفتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ١/ ٩٠ ، وزاد الداعية إلى الله ، لفضيلة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ص ١٥ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ٢/ ١٧٤– ١٧٥ .

(٣) سورة التحريم ، الآية ٩ .

(٤) انظر : تعليق الشيخ محمد حامد الفقي على التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤ .

المبحث الأول: حكمة القوة الفعلية مع الكفار

المطلب الأول: أسباب استخدام القوة الفعلية مع الكفار.

المطلب الثاني: قوة الجهاد في سبيل الله تعالى.

المطلب الثالث: أسباب النصر.

المبحث الأول حكمة القوة الفعلية مع الكفار

المطلب الأول: أسباب استخدام القوة الفعلية مع الكفار:

أصناف المدعوين: من الملحدين، والوثنيين، وأهل الكتاب، وغيرهم من الكفار إذا لم يؤثر فيهم ما تقدم من حكمة القول في دعوتهم، ولم يستفيدوا من حكمة القول العقلية، والحسية، والنقلية، والبراهين المعجزة، والجدال بالتي هي أحسن، وأعرضوا وكذبوا فحينئذ يكون آخر الطب الكي: وهو استخدام القوة؛ فإن لها الأثر العظيم في نشر الدعوة، وقمع الباطل وأهله، ونصر الحق وأهله، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1].

فبين- سبحانه- أنه أرسل الرسل، عليهم الصلاة والسلام، بالبينات وهي: المعجزات، والحجج الباهرات، والبراهين الساطعات والدلائل القاطعات، التي يوضح الله بها الحق ويدفع بها الباطل، وأنزل مع الرسل الكتاب الذي فيه البينات والهدى والإيضاح، وأنزل معهم الميزان: وهو العدل في الأقوال والأفعال الذي ينصف به المظلوم من الظالم، ويقام به الحق، ويعامل الناس على ضوئه بالحق، وأنزل الحديد فيه قوة وردع وزجر لمن خالف الحق، فالحديد لمن لم تنفع فيه الحجة والبرهان وتؤثر فيه البينة، فهو الملزم بالحق والقامع للباطل بإذن الله -تعالى-. ولقد أحسن من قال في مثل هذا:

وما هو إلا الوحي أو حد مرهف ... تميل ظباه أخدعي كل مائل

فهذا دواء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

هو الحق إن تستيقظوا فيه تغنموا ... وإن تغفلوا فالسيف ليس بغافل! [2]

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٥ .

(٢) ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ٣/ ٨٦ – ٨٧ .

وقال آخر: يعني رسول الله ﷺ

قالوا غزوت ورسـل الله مـا بعثـوا لقتل نفـس ولا جـاءوك لسـفك دم

جهـل وتضـليل أحـلام وسفسـطة فتحت بالسيف بعـد الفـتح بـالقلم

لما أتى لك عفـوا كـل ذي حسـب تكفل السـيف بالجهـال والعمـم [(١)]

وما أحكم ما قاله الآخر:

دعا المصطفى دهـرا بمكـة لم يجـب وقـد لان منـه جانـب وخطـاب

فلما دعـا والسـيف صـلت بكفـه له أسـلموا واستسـلموا وأنـابوا [(٢)]

فالعاقل ذو الفطرة السليمة ينتفع بالبيئة والبرهان ويقبل الحق بدليله، أما الظالم المتبع لهواه فلا يرده إلا السيف وأنواع السلاح [(٣)] ولهذا يكون الجهاد في سبيل الله أعظم حكمة القوة في الدعوة إلى دين الله تعالى.

المطلب الثاني : قوة الجهاد في سبيل الله تعالى :

الجهاد في سبيل الله [(٤)] من أعظم ما تقرب به العباد بعد الفرائض إلى الله – تعـالى–، لما يترتب عليه من نصر المؤمنـين وإعلاء كلمة الدين وقمع الكـافرين المعـانـدين الظالمين والمنافقين وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة، ولـه أهداف، وأطوار، وأنواع، ومراتب إذا علمها المجاهدون وعملوا بها فقد أحرزوا حكمة القوة الفعلية

---

(١) الشوقيات :ديوان أحمد شوقي ١/٢٠١ ، ومعنى العمم : اسم جمع للعامة .

(٢) انظر : فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ٣/ ١٨٤ ، ٢٠٤ .

(٣) انظر الإمام محمد بن عبد الوهاب : دعوته وسيرته للعلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ٢٨ ، وفتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٣٧ ، ٢٦٤ وتفسير ابن كثير ٣/ ٤١٦ ، ٤/ ٣١٥ ، وتفسير السعدي ، ٧/ ٣٠١

(٤) الجهاد في اللغة : بذل واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل وفي الشرع : بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار ، والبغاة ، والمرتدين ونحوهم . وهو فرض كفاية . ويكون فرض عين في ثلاث حالات : ١- إذا حضر المسلم صف القتال . ٢- إذا حضر العدو بلدا من بلدان المسلمين . ٣- إذا طلب إمام المسلمين النفير . انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، باب الجيم مع الهاء ، والمصباح المنير ، مادة "جهد" ١/ ١١٢ ، والمغني لابن قدامة ٣/ ٥-٨ ، والقتال في الإسلام ، ص ١١ ، وذكر ابن القيم أن جنس الجهاد فرض عين : إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد . فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله بنوع من هذه الأنواع حسب الحاجة والقدرة؛ ولهذا قال "جاهدوا المشركين بألسنتكم ، وأنفسكم ، وأموالكم ، وأيديكم" ، رواه أبو داود والنسائي والدارمي ، وأحمد واللفظ له . ٣/ ١٥٣ ، وانظر زاد المعاد ٣/ ٦ ، ١٠ ، ١٢ .

في الدعوة إلى الله.

وسأتناول ذلك بإذن الله - تعالى- في المسالك الآتية:

المسلك الأول: أهداف الجهاد وغايته.

المسلك الثاني: أطوار الجهاد.

المسلك الثالث: الإعداد للجهـــاد.

المسلك الرابع: ضوابط قوة الجهاد.

المسلك الخامس: مراتب الجهاد وأنواعه.

المسلك الأول أهداف الجهاد وغايته

المسلك الأول: أهداف الجهاد وغايته:

الجهاد جهادان: جهاد الطلب وجهاد الدفاع، والمقصود منهما جميعا والهدف هو:

١ - إعلاء كلمة الله، وتبليغ دينه، ودعوة الناس إليه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [(١)].

٢ - نصر المظلومين، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [(٢)].

٣ - رد العدوان، وحفظ الإسلام، وحماية عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [(٣)] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٧٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

المسلك الثاني: أطوار قوة الجهاد:

قد كان الجهاد في الإسلام على أطوار ثلاثة:

الطور الأول: الإذن للمسلمين بالجهاد من غير إلزامهم به وفرضه عليهم كما في قوله سبحانه: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

الطور الثاني: الأمر بقتال من قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾[3] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾[4].

الطور الثالث: جهاد الكفار والمشركين كافة، وغزوهم في بلادهم وقتالهم بعد البلاغ والدعوة إلى الإسلام وإصرارهم على الكفر، فيجاهدوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. وليعم الخير أهل الأرض، وتتسع رقعة الإسلام، ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد، وينعم العباد بحكم الشريعة العادل وليخرجوا بهذا الدين من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق سبحانه، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة الإسلامية وأحكامها الرشيدة.

ويستمر القتال حتى يدخلوا في دين الله أو يلتزموا بالجزية بشروطها إذا كانوا من

---

(١) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٣٩ .

(٣) سورة النساء آية : ٨٩ .

(٤) سورة النساء ، الآيات ٨٩-٩١ ، وانظر سورة الكهف ، الآية ٢٩ ، وسورة البقرة ، الآيتان ١٩٠ ، ٢٥٦ .

أهلها [1] كما قال تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2].

وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام وتوفي عليه نبينا محمد ﷺ وأنزل الله فيه آية السيف وهي من آخر ما نزل: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [4].

وقوله ﷺ ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ﴾ [5] [6].

وهذا إذا استطاع المسلمون بدء عدوهم بالقتال وجهاده في سبيل الله. أما إذا لم يستطيعوا فعليهم أن يقاتلوا من قاتلهم واعتدى عليهم، ويكفون عمن كف عنهم عملا

(١) انظر التفصيل فيمن تؤخذ منهم الجزية ومن لا تؤخذ منهم في زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٥٣ ، وفتاوى ابن باز ٣/ ١٩٠ ، وفضل الجهاد والمجاهدين لابن باز ص ٢١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٢٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٥ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٣٩ .

(٥) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١/ ٧٥ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/ ٥٣ .

بآية النساء وما ورد في معناها في الطور الثاني من أطوار الجهاد [1] قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] ولا تعارض بين هذه الآية وآية التوبة وما جاء في معناها، لأن آية التوبة فيها الأمر بقتال الكفار إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفا فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه آية الأنفال، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم [3].

ويكون الأمر لولي الأمر إن شاء قاتل، وإن شاء كف، وإن شاء قاتل قوما دون قوم على حسب القوة والقدرة والمصلحة للمسلمين لا على حسب هواه وشهواته. فإذا صار عندهم من القوة والقدرة، والسلاح ما يستطيعون به قتال جميع الكفار أعلنوها حربا للجميع وأعلنوا الجهاد للجميع [4].

المسلك الثالث: الإعداد لقوة الجهاد:

ولا يمكن أن يكون الجهاد قويا إلا بإعداد قوتين عظيمتين.

١ - قوة الإيمان والعمل الصالح، كما قال ﷻ ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [5] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾ [6] ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [7] فالقيام بجميع الواجبات والابتعاد عن جميع المحرمات

(١) قال العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز- حفظه الله- : وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- وبهذا يعلم أن قول من قال من كتاب العصر إن الجهاد شرع للدفاع لا للطلب قول غير صحيح ومخالف للنصوص . انظر فضل الجهاد لابن باز ص ٢٦ ، وفتاوى ابن باز أيضا ٣/ ١٧١ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٦١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢٤ .

(٤) انظر فتاوى ابن باز ٣/ ١٩٣ ، وفتاوى ابن تيمية ١٣/ ١٦ .

(٥) سورة الروم ، الآية ٤٧ .

(٦) سورة محمد ، الآية ٧ ، ٨ .

(٧) سورة غافر ، الآية ٥١ .

من أعظم أسباب النصر والتمكين.

٢ - قوة الحـــديد وما استطاعه المسلمون من قوة مادية، قال الله - تعالى-:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [(١)] والإعداد يكون على حسب الظروف والأحوال ويتنـــاول كل وسيلة يستطيعهـــا المسلمون، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي ﴾ [(٢)] [(٣)] فيجب إعداد القوات البرية، والجوية، والبحرية إذا استطاع المسلمون ذلك [(٤)] ويجب عليهم أن يأخذوا حذرهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [(٥)].

وهذا يدل على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان، وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة، وكيفية استعمالها وتوجيههم إلى ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده، والله ﷻ أطلق الأمر بالإعداد وأخذ الحذر و لم يذكر نوعا دون نوع ولا حالا دون حال، وما ذلك إلا لأن الأوقات تختلف، والأسلحة تتنوع، والعدو يقل ويكثر، ويضعف ويقوى، فلهذا ينبغي على قادة المسلمين وأعيانهم ومفكريهم إعداد ما يستطيعون من قوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك وقد قال ﷺ ﴿ الحرب خدعة ﴾ [(٦)] [(٧)]

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

(٢) مسلم الإمارة (١٩١٧) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٠٨٣) ، أبو داود الجهاد (٢٥١٤) ، ابن ماجه الجهاد (٢٨١٣) ، أحمد (٤/١٥٧) ، الدارمي الجهاد (٢٤٠٤) .

(٣) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه ٣/ ١٥٢٢ .

(٤) انظر : عناصر القوة في الإسلام ، للسيد سابق ، ص ٢٢٣ ، وتفسير السعدي ، ٣/ ١٨٣

(٥) سورة النساء ، الآية ٧١ .

(٦) البخاري الجهاد والسير (٢٨٦٤) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٤٠) ، أحمد (٢/٣١٢) .

(٧) مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز الخداع في الحرب ، ٣/ ١٣٦١ ، وانظر : شرح النووي ، ٢١/ ١٥

ومعناه أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب ما لا تدركه بالقوة والعدد، وذلك مجرب ومعروف [(١)].

المسلك الرابع: ضوابط قوة الجهاد:

ومع أن ما تقدم هو مفهوم القوة الصحيح في الدعوة إلى الله -تعالى-، فإن قوة الجهاد في سبيل الله لها ضوابط ينبغي أن يلتزم بها المجاهدون في سبيل الله- تعـالى- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝١٩٠ ﴾ [(٢)]، فيدخل في ذلك ارتكاب المناهي: من المثلة والغلول، وقتل النســاء، والصبيان، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتــال، والرهبان، والمرضى، والعمي، وأصحـــاب الصوامع؛ لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفار برأيه قتل [(٣)].

ويدخل في ذلك قتل الحيوان لغير مصلحة، وتحريق الأشجار، وإفساد الزروع والثمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت [(٤)] ولهذا كان ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال... " [(٥)] ثم بينها ﷺ كالآتي:

(أ) الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين.

(ب) فإن أبوا الإسلام دعاهم إلى بذل الجزية.

(ج) فإن امتنعوا عن ذلك كله استعان بالله وقاتلهم [(٦)].

ومن هذه الضوابط قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ

---

(١) فضل الجهاد والمجاهدين ص ٢٨ ، وفتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٢٥٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٠ .

(٣) انظر : المغني لابن قدامة ١٣/ ١٧٥- ١٧٩ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٧ وعناصر القوة في الإسلام ص ٢١٢ .

(٥) مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب تفسير الإمام الأمراء على البعوث ، ٣/ ١٣٥٧ .

(٦) انظر المرجع السابق ٣/ ١٣٥٧ ، وزاد المعاد ٣/ ١٠٠ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [1].

فإذا كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة، فحينئذ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوي علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة من الأعداء لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم؛ لأنه لم يخف منهم بل علم ذلك.

ودل مفهوم الآية أيضا أنه إذا لم يخف منهم خيانة؛ بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته [2].

ولهذا قال سليم بن عامر: كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى عهدهم غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية ﷺ فسأله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول. « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء » [3] فرجع معاوية [4].

وهذا هو عين الحكمة في دعوة من ظلم وتجبر وصد عن سبيل الله تعالى.

المسلك الخامس مراتب قوة الجهاد وأنواعه

المسلك الخامس: مراتب قوة الجهاد وأنواعه:

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٥٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢/ ٣٢١ ، وتفسير السعدي ، ٣/ ١٨٣- ١٨٤ .

(٣) الترمذي السير (١٥٨٠) ، أبو داود الجهاد (٢٧٥٩) ، أحمد (١١٣/٤) .

(٤) أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه ، ٣/ ٨٣ ، وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ٢/ ٥٢٨ .

الجهاد له أربع مراتب: جهاد النفس، والشيطان، والكفار والمنافقين، وأصحاب الظلم، البدع والمنكرات.

١ - جهاد النفس له أربع مراتب:

(أ) جهادها على تعلم أمور الدين والهدى الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

(ب) جهادها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

(ج) جهادها على الدعوة إليه ببصيرة، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

(د) جهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، وأن يتحمل ذلك كله لله. فمن علم وعمل، وصبر فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[1].

٢ - جهاد الشيطان وله مرتبتان:

(أ) جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

(ب) جهـــاده على دفع ما يلقي إليه من الشهوات والإرادات الفاسدة، فالجهاد الأول بعد اليقين، والثاني بعد الصبر. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤ ﴾[2]. والشيطان من أخبث

---

(١) سورة العصر ، الآيات ١-٣ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ٢٤ .

الأعداء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾ [1].

٣ - جهاد الكفار والمنافقين:

وله أربع مراتب:

(أ) بالقلب. (ب) باللسان. (ج) بالمال. (د) باليد.

وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

٤ - جهاد أصحاب الظلم والعدوان، والبدع والمنكرات:

وله ثلاث مراتب:

(أ) باليد إذا قدر المجاهد على ذلك.

(ب) فإن عجز انتقل إلى اللسان.

(ج) فإن عجز جاهد بالقلب. قال ﷺ ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [2] [3].

فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد وأكمل الناس عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله محمد خاتم أنبيائه ورسله؛ فإنه كفل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده [4] فصلوات الله وسلامه عليه ما تتابع الليل والنهار.

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال ﷺ ﴿ ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا

---

(١) سورة فاطر، الآية ٦ .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩)، الترمذي الفتن (٢١٧٢)، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨)، أبو داود الصلاة (١١٤٠)، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥)، أحمد (٣/١٠) .

(٣) مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩ .

(٤) انظر: زاد المعاد ٣/ ١٠، ١٢

والذنوب ﴾ [(١)] [(٢)]. كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج وأصلا له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرها الله به وتترك ما نهاها الله عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصار عليه، وعدوه الذي بين جنبيه غالب له وقاهر له؛ ولا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج. فهذان عدوان [(٣)] وبينهما عدو ثالث لا يمكن للعبد أن يجاهدهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يثبط الإنسان عن جهادهما ويخوفه ويخذله، ولا يزال يخوفه ما في جهادهما من المشاق، وفوات اللذات، والشهوات، فلا يمكنه أن يجاهد هذين العدوين إلا بجهاد هذا العدو الثالث وهو الأصل لجهادهما وهو الشيطان [(٤)].

ويتضح مما تقدم أن ميادين أو أنواع القتال في الجهاد كالآتي:

١ - جهاد الكفار، والمنافقين، والمرتدين [(٥)].

٢ - جهاد البغاة المعتدين.

٣ - جهاد الدفاع عن: الدين، والنفس، والأهل، والمال. ويدخل في هذا النوع جهاد قطاع الطرق أو المحاربين. قال ﷺ ﴿ من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ﴾ [(٦)] [(٧)].

---

(١) ابن ماجه الفتن (٣٩٣٤) .

(٢) أحمد بسند جيد ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ١/ ١١ .

(٣) النفس والعدو في خارجها .

(٤) انظر . زاد المعاد ٣/ ٦ .

(٥) انظر "التفصيل في ذلك ، زاد المعاد ٣/ ١٠٠ ، ٦- ١١ ، والمغني لابن قدامة ١٢/ ٢٦٤ ، والقتال في الإسلام لمحمد الجعوان ص ١١٣ .

(٦) البخاري المظالم والغصب (٢٣٤٨) ، مسلم الإيمان (١٤١) ، الترمذي الديات (١٤٢٠) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٨٨) ، أبو داود السنة (٤٧٧١) ، أحمد (٢/٢٠٦) .

(٧) أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في قتال اللصوص ، ٤/ ٢٤٦ والترمذي ، كتاب الديات ، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد ، ٤/ ٢٨ والنسائي ، كتاب تحريم الدم ، باب من قتل دون ماله ، ٧/ ١٩٤ ، وأحمد برقم ١٦٥٢-١٦٥٣ .

المطلب الثالث : أسباب النصر :

من المعلوم يقينا أن النصر على الأعداء له أسباب تحققه للمسلمين على أعدائهم بإذن الله -تعالى-، وسأذكر معظم هذه الأسباب بإيجاز في أربعة عشر مسلكا كالتالي:

المسلك الأول: الإيمان والعمل الصالح:

وعـــد الله المؤمنين بالنصر المبين على أعدائهم، وذلك بإظهار دينهم، وإهلاك عدوهم وإن طال الزمن قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾[(1)]. وقال سبحانه: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[(2)]. والمؤمنون الموعودون بالنصر هم الموصوفون بقوله تعالى. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾[(3)]. وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[(4)]. وقال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾[(5)].

المسلك الثاني: نصر دين الله تعالى:

ومن أعظم أسباب النصر: نصر دين الله- تعالى- والقيام به قولا، واعتقادا، وعملا

---

(١) سورة غافر ، الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

(٢) سورة الروم ، الآية ٤٧ .

(٣) سورة الأنفال ، الآيات ٢-٤ .

(٤) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٥) سورة النساء ، الآية ١٤١ .

ودعوة. قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣ ﴾[3].

المسلك الثالث: التوكل على الله والأخذ بالأسباب:

التوكل على الله مع إعداد القوة من أعظم عوامل النصر لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٦٠ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩ ﴾[6]. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾[7].

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ﴾[8]. وقال ﷺ: ﴿ لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما

(١) سورة الحج ، الآيتان ٤٠ ، ٤١ .
(٢) سورة محمد ، الآيتان ٧ ، ٨ .
(٣) سورة الصافات ، الآيات ١٧١-١٧٣ .
(٤) سورة المائدة ، الآية ١١ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٦٠ .
(٦) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .
(٧) سورة الأحزاب ، الآية ٣ .
(٨) سورة الفرقان ، الآية ٥٨ .

يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴾ (1) (2). ولابد مع التوكل من الأخذ بالأسباب، لأن التوكل يقوم على ركنين عظيمين:

(أ) الاعتماد على الله والثقة بوعده ونصره تعالى.

(ب) الأخذ بالأسباب المشروعة.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (3). وعن أنس ﷺ ﴿ أن رجلا قال: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال: "اعقلها وتوكل ﴾ (4) (5).

المسلك الرابع: المشاورة بين المسئولين:

كما كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه مع كمال عقله وسداد رأيه امتثالا لأمر الله تعالى وتطييبا لنفوس أصحابه قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (6). ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (7).

المسلك الخامس: الثبات عند لقاء العدو:

من عوامل النصر الثبات عند اللقاء وعدم الانهزام والفرار، فقد ثبت النبي ﷺ في جميع معاركه التي خاضها، كما فعل في بدر، وأحد وحنين. وكان يقول في حنين حينما ثبت وتراجع بعض المسلمين: ﴿ أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد

---

(1) الترمذي الزهد (2344) ، ابن ماجه الزهد (4164) ، أحمد (1/30) .

(2) الترمذي ، كتاب الزهد ، باب في التوكل على الله 4/ 573 ، وانظر صحيح الترمذي 2/ 274 .

(3) سورة الأنفال ، الآية 60 .

(4) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2517) .

(5) الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب حدثنا عمرو بن علي 4/ 668 ، وانظر صحيح الترمذي 2/ 309 .

(6) سورة آل عمران ، الآية 159 .

(7) سورة الشورى ، الآية 38 .

المطلب. اللهم نزل نصرك ﴾[1] [2] وثبت أصحابه من بعـــده. وهو قدوتنا وأسوتنا الحسنة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[3].

وقال ﷺ ﴿ يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ﴾[4] [5].

المسلك السادس: الشجاعة والبطولة والتضحية:

من أعظم أسباب النصر: الاتصاف بالشجاعة والتضحية بالنفس والاعتقاد بأن الجهاد لا يقدم الموت ولا تؤخره؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[6].

قال الشاعر:

من لم يمـت بالسـيف مـات بغـيره ... تعـددت الأسـباب والمـوت واحـد

ولهذا كان أهل الإيمان الكامل هم أشجع الناس، وأكملهم شجاعة هو إمامهم محمد ﷺ وقد ظهرت شجاعته في المعارك الكبرى التي قاتل فيها ومنها على سبيل المثال:

(أ) شجاعته البطولية الفذة في معركة بدر، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ

(١) البخاري الجهاد والسير (٢٧٧٢) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٦) ، الترمذي الجهاد (١٦٨٨) ، أحمد (٤/٢٨١) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ٦/ ١٠٥ ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ٣/ ١٤٠١ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٨٠٤) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٤٢) ، أبو داود الجهاد (٢٦٣١) .

(٥) مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ، ٣/ ١٣٦٢ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٧٨ .

بأسنا ﴾ [1]. وقال ﷺ ﴿ كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه ﴾ [2] [3].

(ب) في معركة أحد قاتل قتالا بطوليا لم يقاتله أحدا [4].

(ج) في معركة حنين: قال البراء: ﴿ كنا إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ ﴾ [5] [6].

وهكذا أصحابه -رضي الله عنهم- ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان فينبغي للمجاهدين أن يقتدوا بنبيهم ﷺ قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [7].

المسلك السابع: الدعاء وكثرة الذكر:

من أعظم وأقوى عوامل النصر الاستغاثة بالله وكثرة ذكره، لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه ونصر أوليائه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [8]. ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [9]. ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [1]. وقد أمر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٨٦ .

(٢) أحمد (١/١٥٦) .

(٣) أخرجه الحاكم قي المستدرك وصححه ووافقه الإمام الذهبي ٢/ ١٤٣ .

(٤) انظر زاد المعاد ٣/ ١٩٩ .

(٥) مسلم الجهاد والسير (١٧٧٦) .

(٦) مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين ، ٣/ ١٤٠١ .

(٧) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٨) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

(٩) سورة غافر ، الآية ٦٠ .

الله بالذكر والدعاء عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [2]. لأنه سبحانه النصير فنعم المولى ونعم النصير. وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [3]. ولهذا كان النبي، ﷺ يدعو ربه في معاركه ويستغيث به، فينصره ويمده بجنوده، ومن ذلك أنه نظر ﷺ يوم بدر إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل ﷺ القبلة ورفع يديه واستغاث بالله، وما زال يطلب المدد من الله وحده مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: (يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك)، فأنزل الله ﷻ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [4] فأمـــده الله بالملائكـــة. وهكذا كان ﷺ يدعو الله في جميع معاركه، ومن ذلك قوله: ﴿ اللهم مترل الكتاب، سريع الحساب [مجري السحاب] [هازم الأحزاب]، اهزم الأحزاب. اللهم اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم ﴾ [5] [6]. وكان يقول عند لقاء العدو: "اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل" [7]. وكان إذا خاف قوما قال: ﴿ اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٩ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٤٥ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٢٦ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٩ .

(٥) البخاري الجهاد والسير (٢٧٧٥) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٤٢) ، الترمذي الجهاد (١٦٧٨) ، أبو داود الجهاد (٢٦٣١) ، ابن ماجه الجهاد (٢٧٩٦) ، أحمد (٣٨١/٤) .

(٦) مسلم ، كتاب ، الجهاد والسير ، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ٣/ ١٣٦٣ .

(٧) أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب ما يدعى عند اللقاء ، ٣/ ٤٢ والترمذي ، كتاب الدعوات ، باب في الدعاء إذا غزا ، ٥/ ٥٧٢ ، وانظر صحيح أبي داود ٢/ ٤٩٩ .

شرورهم ﴾ [1] [2]. وقال ابن عباس – رضي الله عنهما-: ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قال له الناس: "إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ [3] [4]. وهكذا ينبغي أن يكون المجاهدون في سبيل الله- تعالى- لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم.

ولهذا قال ﷺ. ﴿ لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر ﴾ [5] [6].

المسلك الثامن: طاعة الله ورسوله ﷺ

طاعة الله ورسوله من أقوى دعائم وعوامل النصر، فيجب على كل مجاهد في سبيل الله – تعالى- بل على كل مسلم أن لا يعصي الله طرفة عين، فما أمر الله- تعالى- به وجب الائتمار به، وما نهى عنه تعالى وجب الابتعاد عنه. ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [7]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [8]. ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [9]. وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) أبو داود الصلاة (١٥٣٧) ، أحمد (٤/٤١٤) .

(٢) أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا خاف قوما ، ٢/ ٨٩ وأحمد ٤/ ٤١٤ ، وانظر : صحيح أبي داود ، ١/ ٢٨٦ .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٢٨٧) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم " ، ٨/ ٢٢٩ .

(٥) الترمذي القدر (٢١٣٩) .

(٦) الترمذي ، كتاب القدر ، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء ٤/ ٤٤٨ ، وانظر صحيح الترمذي ٢/ ٢٢٥ ، والأحاديث الصحيحة برقم ١٥٤ .

(٧) سورة الأنفال ، الآية ٤٦ .

(٨) سورة النور ، الآية ٥٢ .

(٩) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦ .

﴿ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1].

وقال ﷺ "... ﴿ وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم ﴾ [2] [3].

المسلك التاسع: الاجتماع وعدم النزاع:

يجب على المجاهدين أن يحققوا عوامل النصر ولا سيما الاعتصام بالله والتكاتف، وعدم النزاع والافتراق، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [4]. وقال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [5]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [6].

المسلك العاشر: الصبر والمصابرة:

لا بد من الصبر في الأمور كلها ولا سيما الصبر على قتال أعداء الله ورسوله. والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله التي هي من عوامل النصر، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [7]. ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [8].

---

(١) سورة النور ، الآية ٦٣ .

(٢) أحمد (٢/٩٢) .

(٣) أحمد ، ٢/ ٩٢ ، والبخاري مع الفتح معلقا ٦/ ٩٨ ، وانظر صحيح الجامع الصغير٣/ ٨ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٤٦ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٧) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠ .

(٨) سورة الأنفال ، الآية ٤٦ .

وجـــاء عنـــه ﷺ ﴿ واعلم أن النصر مع الصـــبر وأن الفـــرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ﴾ [1] [2]. وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [3].

المسلك الحادي عشر: الإخلاص لله تعالى:

لا يكـــون المقاتل والغازي مجاهدا في سبيل الله إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [4] الآية. وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [5]. ﴿ وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! الرجل يقاتل للمغنم، والرجـــل يقاتل للذكر [6]. والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ﴾ [7] وقد ثبت عنه ﷺ أن أول من يقضى عليه يوم القيامة ثلاثة، وذكر منهم من قاتل ليقال: هو جرئ- أي شجاع [8].

المسلك الثاني عشر: الرغبة فيما عند الله تعالى:

(١) أحمد (١/٣٠٨).

(٢) مســـند الإمام أحمد ، ١/ ٣٠٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآيات ١٤٦-١٤٨ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية ٤٧ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية ٦٩ .

(٦) أي ليذكر بين الناس ويشتهر بالشجاعة انظر فتح الباري ٦/ ٢٨ .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمته هي العليا ، ٦/ ٢٨ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، ٣/ ١٥١٣ .

(٨) انظر صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، ٣/ ١٥١٤ .

مما يعين على النصر على الأعداء هو الطمع في فضل الله وسعادة الدنيا والآخرة، ولهذا نصر الله نبيه ﷺ وأصحابه من بعده، ومما يدل على الرغبة فيما عند الله تعالى ما يأتي:

(أ) ما فعل عمير بن الحمام في بدر حينما قال ﷺ ﴿ قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض". فقال يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: "نعم" قال: بخ بخ [(١)] فقال ﷺ "ما يحملك على قولك بخ بخ؟ " قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: "فإنك من أهلها". فأخرج تمرات من قرنه [(٢)] فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل ﴾ [(٣)].

(ب) ما فعل أنس بن النضر – عم أنس بن مالك – يوم أحد. تأخر ﷺ عن معركة بدر، فشق عليه ذلك وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، وإن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع [(٤)]. فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو واها لريح الجنة [(٥)] أجده دون أحد فقاتلهم حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، فما عرفته أخته– الربيع بنت النضر – إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٦)]. فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه [(٧)].

---

(١) كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه في الخير . انظر شرح النووي ١٣/ ٤٥ .

(٢) أي جعبة النشاب . انظر شرح النووي ١٣/ ٤٦ .

(٣) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ٣/ ١٥١٠ .

(٤) أي ليرى الله ما أصنع . انظر شرح النووي ، ١٣/ ٤٨ .

(٥) كلمة تحنن وتلهف ، انظر : شرح النووي ، ٣/ ٤٨ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٢٣ .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب قول الله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ٦/ ٢١ ، و ٧/ ٣٥٥ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، ٣/ ١٥١٢ .

والمسلم المجاهد في سبيل الله – تعالى– إذا رغب فيما عند الله، فإنه لا تبالي بما أصابه رغبة في الفوز العظيم.

فلست أبالي حـــين أقتـــل مســـــلما على أي جنب كـــان في الله مصـــرعي

المسلك الثالث عشر: إسناد القيادة لأهل الإيمان:

من أسباب النصر تولية قيادة الجيوش، والسرايا، والأفواج والجبهات لمن عرفوا بالإيمان الكامل والعمل الصالح والشجاعة الحكيمة، ثم الأمثل فالأمثل، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [1]. والله ﷻ يحب أهل التقوى، ومحبته– سبحانه– للعبد من أعظم الأسباب في توفيق عبده وتسديده ونصره على أعدائه قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [2].

المسلك الرابع عشر: التحصن بالدعائم المنجيات:

إن العباد لهم منجيات، ودعائم تنجيهم من المهالك والهزائم إذا حلت بهم، وهذه الأمور هي من أعظم العلاج لمن أصيب بالمهلكات أو الحروب والأوبئة، وهي كذلك وقاية من حلول المصائب قبل نزولها، وتتلخص في اتباع الدعائم المنجيات الآتية:

(أ) التوبة والاستغفار من جميع المعاصي والذنوب كبيرها وصغيرها، ولا تقبل التوبة إلا بشروط:

١ – الإقلاع عن جميع الذنوب وتركها.

٢ – العزيمة على عدم العودة إليها.

٣ – الندم على فعلها. فإن كانت المعصية في حق آدمي فلها شرط رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق. ولا تنفع التوبة عند الغرغرة، أو بعد طلوع الشمس من مغـــربها. ولا شك أن التوبة النصوح والاستغفار من أعظم وسائل النصر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٧٦ .

بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [1] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2].

(ب) تقوى الله تعالى وهي أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من ربه ومن غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك. وهي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

(ج) أداء جميع الفرائض وإتباعها بالنوافل؛ لأن محبة الله لعبده تحصل بذلك.

(د) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ﷺ ﴿ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم ﴾ [3] [4]. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [5]

(هـ) الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع الاعتقادات، والأقوال والأفعال.

(و) الدعاء والضراعة إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الرعد ، الآية ١١ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٣٣ .

(٣) الترمذي الفتن (٢١٦٩) .

(٤) الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ٤/ ٤٦٨ ، وأحمد واللفظ له ، ٥/ ٣٨٨ ، وانظر : صحيح الترمذي ٢/ ٢٣٣ .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٦٥ .

المبحث الثاني : حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسلمين

المطلب الأول: أسباب استخدام القوة مع عصاة المسلمين.

المطلب الثاني: الكلمة القوية والفعل الحكيم.

المطلب الثالث: التهديد الحكيم والوعيد بالعقوبة.

المطلب الرابع: حكمة القوة بالعقوبات الشرعية.

المبحث الثاني :

حكمة القوة الفعلية مع عصاة المسلمين

المطلب الأول: أسباب استخدام القوة مع عصاة المسلمين:

كما أن من الحكمة في الدعوة إلى الله استخدام القوة مع الكفار عند الحاجة إليها، فكذلك تستخدم مع من يحتاجها من المسلمين الذين لم ينتفعوا بالمواعظ من الترغيب والترهيب، و لم يستفيدوا من حكمة القول التصويرية: من ضرب الأمثال، ولفت الأنظار إلى الصور المعنوية كصفات المؤمنين وآثارها، ولفت الأنظار والقلوب إلى الآثار المحسوسة، كالأمر بالسير في الأرض، والنظر فيما حل بالمكذبين من الدمار والهلاك.

فإذا لم يؤثر ما تقدم في عصاة المؤمنين فإن استخدام القوة حينئذ من الحكمة؛ لأن القوة كالعملية الجراحية للمريض إذا لم ينفع في علاج مرضه غيرها، فتستخدم عند الحاجة إليها بشرط الالتزام بالشروط والضوابط الشرعية.

واستخدام القوة في هذه المرحلة يتنوع ويختلف باختلاف الداعية والمدعو، والأحوال الأزمان والأماكن، وإمكانية استخدام القوة مع أمن الوقوع في المفاسد؛ فإن النبي ﷺ شرع لأمته الدعوة إلى الله – تعالى –، وإيجاب إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكاره المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله؛ فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد ﴿ استأذن الصحابة -رضي الله عنهم- رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: "لا ما أقاموا الصلاة ﴾ [(1)] [(2)] وقال: ﴿ من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر [ولا يترعن يدا

(١) مسلم الإمارة (١٨٥٤) ، الترمذي الفتن (٢٢٦٥) ، أبو داود السنة (٤٧٦٠) ، أحمد (٦/٢٩٥) .

(٢) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم ، ٣/ ١٤٨٢ ، وأحمد بلفظه ، ٣/ ٢٨-٢٩ .

من طاعة] ﴾ [1] [2] ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من- إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه وأنكر؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يترك بعض الأمور المختارة، ويصبر على بعض المفاسد خوفا من أن يترتب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولهذا لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على نقض بناء البيت ورده على قواعد إبراهيم، ولكن منعه من ذلك -مع قدرته عليه- خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في قتل عبد الله بن أبي، ولم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد، لما يترتب على ذلك من وقوع ما هو أعظم منه [3].

المطلب الثاني : الكلمة القوية والفعل الحكيم :

١ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما- ﴿ أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: " يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده "! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ ﴾ [4] [5].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟ " قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: " أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني ﴾ [6] [1].

---

(١) البخاري الفتن (٦٦٤٦) ، مسلم الإمارة (١٨٤٩) ، أحمد (١/٣١٠) ، الدارمي السير (٢٥١٩) .

(٢) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، ٣/ ١٤٧٧ ، وباب خيار الأئمة وشرارهم ، ٣/ ١٤٨٢ ، واللفظ من الموضعين .

(٣) انظر : إعلام الموقعين لابن القيم ، ٣/ ١٥- ١٦ ، وشرح النووي ١٦/ ١٣٩ .

(٤) مسلم اللباس والزينة (٢٠٩٠) .

(٥) مسلم ، كتاب اللباس ، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ٣/ ١٦٥٥ .

(٦) مسلم الإيمان (١٠٢) ، الترمذي البيوع (١٣١٥) ، ابن ماجه التجارات (٢٢٢٤) ، أحمد (٢/٢٤٢) .

٣ - ﴿ وعن عائشة - رضي الله عنها- أنها اشترت نمرقة [٢] فيها تصاوير فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله ماذا أذنبت؟ قال: " ما هذه النمرقة؟ " قلت: لتجلس عليها وتوسدها قال: " إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم ! وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة ﴾ [٣].

٤ - وعنها- رضي الله عنها: ﴿ قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقرام لي [٤] على سهوة [٥] فيها تماثيل [٦] فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه، وقال: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله". قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين ﴾ [٧].

٥ - وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: ﴿ بينما النبي ﷺ يصلي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده، فتغيظ ثم قال: "إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة ﴾ [٨] [٩].

فهذه كلمات حكيمة قوية مؤثرة تصحبها الحكمة الفعلية، وما ذلك إلا لأن النبي ﷺ

---

(١) مسلم كتاب الإيمان ، باب قوله من غشنا فليس منا ١/ ٩٩ .

(٢) النمرقة : قيل : هي الوسائد التي يضم بعضها إلى بعض ، وقيل : هي الوسائد التي يجلس عليها . انظر : الفتح ١٠/ ٣٣٩ ، وشرح النووي ١٤/ ٩٠ .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب اللباس ، باب من كره القعود على الصورة ، ١٠/ ٣٨٩ .

(٤) القرام : ستر فيه رقم ونقش . انظر : شرح النووي ١٤/ ٨٨ ، وفتح الباري ١٠/ ٣٨٧ .

(٥) قيل بيت صغير علقت عائشة - رضي الله عنها - الستر على بابه ، وقيل : الكوة ، وقيل : الرف . ورجح القول الأول الحافظ في فتح الباري ١٠/ ٣٨٧ . وانظر شرح النووي ١٤/ ٨٨ .

(٦) التصاوير . انظر : الفتح ١٠/ ٣٨٧ ، وشرح النووي ١٤/ ٨٨ .

(٧) البخاري مع الفتح ، كتاب اللباس ، باب ما وطئ من التصاوير ، ١٠/ ٣٨٧ ، ومسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم صور الحيوان وما فيه صور غير ممتهنة ٣/ ١٦٦٧ .

(٨) البخاري الأدب (٥٧٦٠) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٧) ، النسائي المساجد (٧٢٤) ، أبو داود الصلاة (٤٧٩) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (٧٦٣) ، أحمد (٢/٣٤) ، مالك النداء للصلاة (٤٥٦) ، الدارمي الصلاة (١٣٩٧) .

(٩) البخاري مع الفتح ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ، ١٠/ ٥١٧ .

أسوة الدعاة إلى الله، فقد قال ﷺ ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ﴾ (١) (٢).

٦ - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ﴿ ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما؛ فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ﴾ (٣) (٤).

المطلب الثالث : التهديد الحكيم والوعيد بالعقوبة :

قال ﷺ ﴿ إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار ﴾ (٥) (٦).

وفي هذا الحديث التخويف بتقديم الوعيد والتهديد على العقوبة، والسر في ذلك- والله أعلم- أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفي به عن الأعلى من العقوبة (٧) وهذا من حكمته ﷺ فقد خوف وزجر عن التخلف عن صلاة الجماعة بهذا الوعيد والهم بالتعذيب، فللداعية الحكيم القادر أن يستخدم التخويف بالعقوبة الجائزة شرعا، أما

---

(١) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/١٠) .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، ١/ ٦٩ .

(٣) البخاري المناقب (٣٣٦٧) ، مسلم الفضائل (٢٣٢٧) ، أبو داود الأدب (٤٧٨٥) ، أحمد (٦/١١٦) ، مالك الجامع (١٦٧١) .

(٤) البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ٦/ ٥٦٦ ، ١٢/ ٨٦ ، ١٨٦ .

(٥) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١) ، أحمد (٢/٤٢٤) .

(٦) البخاري مع الفتح ، كتاب الأذان ، باب وجوب صلاة الجماعة ، ٢/ ١٢٥ ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها ١/ ٤٥١ .

(٧) انظر : فتح الباري ٢/ ١٣٠ .

التعذيب بالنار فقد نسخ [1].

ولا بد في التهديد والوعيد بالعقوبة من مراعاة الشروط والضوابط الشرعية، والأصول التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذه الشروط والضوابط والأصول تجعل الداعية في سلامة من الزلل، فلا ينكر منكرا ويقع ما هو أنكر منه، ولا يسعى في جلب مصلحة ويفوت ما هو أعظم منها؛ فإن من أعظم الحكم في الدعوة إلى الله دفع المفاسد وجلب المصالح، فإن تعارضت المصالح والمفاسد دفعت أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما وجلبت أعظم المصلحتين بترك أيسرهما [2].

المطلب الرابع : حكمة القوة بالعقوبات الشرعية :

توطئة:

قرر الإسلام العقوبات الشرعية على ارتكاب الجرائم؛ ليستوفي المجرم جزاءه، ويطهر من هذه الجريمة، ويرتدع أمثاله من ناحية أخرى، وهذا من أبلغ الحكم، ومن أعدل الأحكام، ومن أعظم وسائل حفظ الأمن والاستقرار، وبهذا حفظ الإسلام لأهله: الدين، والنفس، والنسب، والعرض، والعقل، والمال [3].

والدعوة إلى الله - تعالى- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم ذلك كله إلا بتطبيق وتنفيذ العقوبات الشرعية، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وذلك واجب على ولاة الأمور، وذلك يحصل بالعقوبات على ترك الواجبات وفعل المحرمات، ولا يجوز لهم التهاون في تنفيذها؛ لأنها من شرع الله، وتعطيلها يؤدي إلى سخط الله كما يؤدي إلى فساد المجتمع، فإذا أقيمت الحدود ظهرت طاعة الله، ونقصت معصيته،

(١) انظر : المرجع السابق ٢/ ١٣٠ ، قال " إن النار لا يعذب بها إلا الله " البخاري مع الفتح ٦/ ١٤٩ .
(٢) انظر : فتح الباري ١/ ٣٢٥ ، وشرح النووي ، ٣/ ١٩١ ، وإعلام الموقعين لابن القيم ، ٣/ ١٥- ١٧ .
(٣) وهذا يعرف عند أهل الأصول بالضروريات . انظر : أضواء البيان ٣/ ٤٤٨ .

وحصل الخير والنصر والتمكين [1] وتطبيق هذه العقوبات كما أمر الله من حكمة القوة في الدعوة إلى الله ونصر دينه. وسأذكر معظم هذه العقوبات الشرعية الحكيمة في عشرة مسالك بإيجاز كالتالي:

المسلك الأول: عقوبة الهجر الحكيم:

من حكمة القوة في الدعوة إلى الله هجر من يظهر المنكرات على وجه التأديب حتى يتوب، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم.

وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كان هجره يضعف الشر كان مشروعا، وإن كان المهجور لا يرتدع بذلك ولا يرتدع به غيره، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف وتكون مفسدة الهجر راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، كما كان الهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوما ويهجر آخرين [2] وينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله وبين الهجر لحق النفس، فالهجر لحق الله- تعالى- مأمور به والثاني منهي عنه.

ولا شك أن الهجر لحق الله من العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله [3] وهذا يفعل؛ لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله. وهذا يدل على أن حكمة القوة لها الأثر الكبير عند وضعها في موضعها.

ولهذا يجب على ولي أمر المسلمين- وهو الذي ينبغي أن ينصر الدعوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم- أن يعلم بأن إقامة الحدود والعقوبات الشرعية رحمة من الله بعباده، وأن يكون قويا في إقامة الحد لا تأخذه في الله لومة لائم، ويكون قصده رحمة الخلق بكف

---

(١) انظر : الحسبة في الإسلام ، لابن تيمية ، ص ٥٠ ، وأصول الدعوة ، لعبد الكريم زيدان ، ص ٢٧٢ ، وعناصر القوة في الإسلام ، ص ٥١ .

(٢) انظر : فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٢٠٤- ٢٠٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٢٨/ ٢٠٨ .

الناس عن المنكرات، ويكون بمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الدواء الكريه، فيدخل المريض على نفسه المشقة ويشرب الدواء لينال به الراحة والشفاء [١].

المسلك الثاني: عقوبة التعزير:

التعزير هو العقوبة المشروعة على جناية لا حد فيها [٢] وقد اتفق العلماء -رحمهم الله- على أن التعــزير مشروع في كل معصية ليس فيها حد. والمعصية نوعان: ترك واجب أو فعل محرم [٣] كــما يستتاب المرتد حتى يسلم، فإن تاب وإلا قتل، وكــما يعاقب تارك الزكاة وحقوق الآدميين حتى يؤدوها [٤].

والتعــزير أجناس: فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب؛ فإن كان ذلك لترك واجب مثل الضرب على ترك الصلاة، أو ترك أداء الحقوق الواجبة مثل: ترك وفاء الدين مع القدرة عليه، أو على ترك رد المغصوب، أو أداء الأمانة إلى أهلها فإنه يضرب مرة بعد مرة حتى يؤدي الواجب ويفرق عليه الضرب يوما بعد يوم، وإن كان الضرب على ذنب ماض جزاء بما كسب ونكالا من الله له فهذا يفعل منه بقدر الحاجة فقط، وليس لأقله حد. أما أكثر التعزير ففيه ثلاثة أقوال وأعدلها أنه لا يتقدر بحد، لكن إن كان التعزير فيما فيه مقدر لم يبلغ به ذلك المقدر مثل التعزير على سرقة دون النصاب لا يبلغ به القطع، والتعزير على المضمضة بالخمر لا يبلغ به حد الشرب، والتعزير على القذف بغير الزنا واللواط لا يبلغ به الحد [٥]. أما حديث ﴿ لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود

---

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٣٢٩ .

(٢) انظر : المغني لابن قدامة ، ١٢/ ٥٢٣

(٣) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٣٥/ ٤٠٢ .

(٤) انظر . المرجع السابق ، ٢٨/ ٣٤٧ ، والحسبة في الإسلام لابن تيمية ، ص ٥٠ .

(٥) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ١٠٨ ، والحسبة في الإسلام لابن تيمية ، ص ٥٢ .

الله ﷺ [1] [2] فقد فسره طائفة من أهل العلم بأن المراد بحدود الله ما حرم لحق الله، ومراد الحديث أن من ضرب لحق نفسه كضرب الرجل امرأته في النشـــوز وكتأديب الأب ولـــده الصغـــير فلا يزيد على عشر جلدات في التـــأديبـــات [3] ثم من لم يندفع فساده في الأرض إلا بالقتل قتل مثل: المفرق لجماعة المسلمين، والداعي إلى البدع في الدين [4].

المسلك الثالث: القصاص:

أوجب الله – تعـــالى – القصاص في جريمة قتل العمد والاعتداء على الأطراف، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾ [5] وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ ﴾ [6] وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ [7].

المسلك الرابع: حد الزنا واللواط:

(أ) الزاني إن كان محصنا؛ فإنه يرجم بالحجارة حتى يموت كـــما رجم النبي ﷺ ماعز

---

(١) البخاري الحدود (٦٤٥٨) ، مسلم الحدود (١٧٠٨) ، الترمذي الحدود (١٤٦٣) ، أبو داود الحدود (٤٤٩١) ، ابن ماجه الحدود (٢٦٠١) ، أحمد (٤/٤٥) ، الدارمي الحدود (٢٣١٤) .

(٢) البخاري مع الفتح ، كتاب الحدود ، باب التعزير والأدب ١٢/ ١٧٥ ، ومسلم ، كتاب الحدود ، باب قدر أسواط التعزير ٣/ ١٣٣٢ .

(٣) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ٣٤٨ ، وفتح الباري ١٢/ ١٧٨

(٤) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٣٤٨ ، والحسبة في الإسلام لابن تيمية أيضا ، ص ٥٢ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٧٨ .

(٦) سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٧) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

بن مالك الأسلمي، ورجم الغامدية، ورجم اليهوديين ورجم غير هؤلاء، ورجم المسلمون بعده [(١)].

(ب) وإن كان الزاني غير محصن؛ فإنه يجلد مائة جلدة بكتاب الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [(٢)] ويغرب عاما بسنة رسول الله ﷺ [(٣)].

(ج) وأما اللواط فالصحيح الـــذي اتفق عليه الصحابة أنه يقتل الاثنان: الأعلى والأسفل. فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ﴾ [(٤)] [(٥)] ولم يختلف الصحابة في قتله ولكن تنوعوا فيه [(٦)]. المسلك الخامس حد القذف

المسلك الخامس: حد القذف:

حفظ الإسلام الأعراض من الاعتداء عليها، وجعل عقوبة القاذف ثمانين جلدة. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ٣٣٣ .

(٢) سورة النور ، الآية ٢ .

(٣) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ٣٣٣ .

(٤) الترمذي الحدود (١٤٥٦) ، أبو داود الحدود (٤٤٦٢) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٦١) ، أحمد (١/٣٠٠) .

(٥) أخرجه أصحاب السنن : أبو داود ، كتاب الحدود ، باب فيمن عمل عمل قوم لوط ، ٤/ ١٥٨ ، والترمذي ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد اللواط ، ٤/ ٥٧ ، وابن ماجه ، كتاب الحدود ، باب من عمل عمل قوم لوط ، ٢/ ٨٥٦ ، وانظر : صحيح أبي داود ٣/ ٨٤٤ ، وصحيح الترمذي ، ٢/ ٧٦ ، وصحيح ابن ماجه ، ٢/ ٨٣ .

(٦) انظر : فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ٣٣٥ .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1].

وهـــذا الحد جاء به الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون؛ فإذا قذف المحصن بالزنا أو اللواط وجب الحد على قاذفه، والمحصن هنا هو الحر العفيف، وفي باب حد الزنا هو الذي وطئ وطئا كاملا في نكاح تام [2].

المسلك السادس: حد شرب الخمر:

وحد الشرب ثابت بسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه ضرب في شرب الخمر بالجريد والنعال أربعين، وضرب أبو بكر رضي الله عنه في خلافته أربعين، وضرب عمر رضي الله عنه في خلافته ثمانين، وكان علي رضي الله عنه يضرب مرة أربعين ومرة ثمانين. فمن العلماء من يقول يجب ضرب الثمانين، ومنهم من يقول: الواجب أربعون والزيادة يفعلها الإمام عند الحاجة إذا أدمن الناس الخمر أو كان الشارب ممن لا يرتدع بدونها، ورجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [3].

المسلك السابع: حد السرقة:

السرقـــة اعتداء على مال معصوم لا شبهة له فيه يأخذه خفية بشروط معينة منها: أن يكون المال محرزا، ولا تقل قيمته عن ربع دينار، وحينئذ يجب عليه حد السرقة بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [4].

ولا يجوز بعد اكتمال شروط القطع وثبوت الحد عليه بالبينة أو بالإقرار تأخيره لا بحبس ولا مال يفتدى به ولا غيره بل تقطع يده اليمنى في الأوقات المعظمة وغيرها [5].

(١) سورة النور ، الآيتان ٤ ، ٥ .

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٢٨/ ٣٤٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ٢٨/ ٣٣٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ٣٢٩ .

المسلك الثامن: حد المحاربين قطاع الطريق:

قطاع الطريق هم المحاربون الـــذين يتعرضون للناس بالسلاح في الصحراء والطرقات؛ ليغصبوهم المال مجاهرة بالقوة والقهر وسواء ارتكب هذه الجريمة فرد أو جماعة فإنه يسمى بالمحارب [1].

والأصـــل في عقوبتهم قولـــه تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال في قطاع الطريق: « إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا و لم يأخذوا المال قتلوا و لم يصلبوا، وإذا أخـــذوا المال و لم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل و لم يأخذوا مالا نفوا من الأرض » [3] وهذا قول كثير من أهل العلم كالشافعي وأحمد، أما من كان من المحاربين قد قتل فإنه يقتل حدا لا يجوز العفو عنه بحال بإجماع العلماء ولا يكون أمره إلى ورثة المقتول بخلاف ما لو قتل رجل رجلا لعداوة بينهما.

أما غير القاتل فمنهم من قال للإمام أن يجتهد فيهم فيقتل من رأى في قتله مصلحة، والقول الأول قول الأكثر [4].

المسلك التاسع: عقوبة المرتد:

المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر بفعل، أو قول، أو اعتقاد، أو شك، قال

---

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ٣٠٩ ، والمغني لابن قدامة ١٢/ ٤٧٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، كتاب السرقة ، باب قطاع الطريق ، ٨/ ٢٨٣ ، وانظر المغني ١٢/ ٤٧٥ ، وفتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ٣١٠ .

(٤) انظر : فتاوى ابن تيمية ، ٢٨/ ٣١٠ .

تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [1] وقال ﷺ ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [2] [3] وقال ﷺ ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾ [4] [5] فمن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وكان بالغا عاقلا استتيب ثلاثة أيام فإن رجع وإلا قتل بالسيف [6].

المسلك العاشر: قتال أهل البغي:

جريمة البغي هي خروج جماعة ذات قوة وشوكة على الإمام يريدون خلعه بالقوة والعنف، فعلى الإمام أن يراسلهم فيسألهم ما ينقمون منه فإن ذكروا مظلمة أزالها، وإن ادعوا شبهة كشفها، فإن رجعوا وإلا قاتلهم وعلى المسلمين القتال مع إمامهم والأصل في هذه الجريمة [7] وعقوبتها قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٧ .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) ، أحمد (١/٢٨٢) .

(٣) البخاري مع الفتح ، كتاب الجهاد ، باب لا يعذب بعذاب الله ، ٦/ ١٤٩ ، وفي كتاب حكم المرتد ١٢/ ٢٦٧ .

(٤) البخاري الديات (٦٤٨٤) ، مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦) ، الترمذي الديات (١٤٠٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠١٦) ، أبو داود الحدود (٤٣٥٢) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤) ، أحمد (٦/١٨١) ، الدارمي الحدود (٢٢٩٨) .

(٥) البخاري مع الفتح ، كتاب الديات ، باب قوله تعالى : "أن النفس بالنفس" ، ١٢/ ٢٠١ ، ومسلم ، كتاب القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ، ٣/ ١٣٠٢ .

(٦) انظر : المغني لابن قدامة ، ١٢/ ٢٦٤ ، وفتاوى ابن تيمية ، ٣٥/ ٩٩-٢٠٦ .

(٧) انظر المغني ، ١٢/ ٢٣٧ ، وفتاوى ابن تيمية ، ٣٥/ ٥ ، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ، ص ٢٧٩ .

فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [1].

وقال، ﷺ ".. ﴿ . ستكون هنات وهنات [2] فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان ﴾ [3]. وقال: ﴿ من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه ﴾ [4] [5].

(١) سورة الحجرات الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٢) الفتن والأمور الحادثة . انظر شرح النووي ١٢/ ٢٤١ .

(٣) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، ٣/ ١٤٧٩ .

(٤) مسلم الإمارة (١٨٥٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٧٦٢) ، أحمد (٤/٣٤١) .

(٥) مسلم ، كتاب الإمارة ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، ٣/ ١٤٨٠ .

الخاتمة

ملخص البحث

الحمد لله الذي أعانني على إتمـــام هذه الرسالة على هذه الصورة، فالفضل والمنة له أولا وآخرا، و ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [(١)] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [(٢)].

بعد هذه الرحلة المباركة -إن شاء الله تعالى- التي طفت من خلالها بمفهوم الحكمة الصحيح في الدعوة إلى الله -تعالى- وأنواعها، ودرجاتها، وأركـــانها التي تقوم عليها، ومعاول هدمها، وطرق ومسالك اكتسابها، ومواقف الحكمة في الدعوة إلى الله - تعالى-، التي أعز الله بها الإسلام وأهله، وأذل بها الكفر والعصيان والنفاق وأعوانها، وحكمة القول مع أصناف المدعوين على اختلاف عقائدهم وعقولهم وإدراكاتهم ومنازلهم، وحكمة القوة الفعلية مع المدعوين: الكفار، ثم عصاة المسلمين، أقول:

هذا ما من الله به، ثم ما وسعه الجهد، وسمح به الوقت، وتوصل إليه الفهم المتواضع، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن فيه خطأ أو نقص فتلك سنة الله في بني الإنسان، فالكمال لله وحده، والنقص والقصور واختلاف وجهات النظر من صفات الجنس البشري، ولا أدعي الكمال، وحسبي أني قد حاولت التســـديد والمقـــاربة، وبذلت الجهد ما استطعت بتـــوفيق الله - تعالى-، وأسأل الله أن ينفعني بذلك، وينفع به جميع المسلمين؛ فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

أهم النتائج

أما أهم النتائج التي أعانني الله ويسر لي التوصل إليها في هذا البحث فمنها ما يلي:

(١) سورة القصص ، الآية ٧٠ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ١ .

١ - إن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين والترغيب والرفق والحلم والعفو والصفح، بل تشمل جميع الأمور التي عملت بإتقان وإحكـــام، وذلك بأن تنزل في منازلها اللائقة بها، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها، والموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند، والمستكبر في موضعها، والزجر والغلظة والقوة في مواضعها، وكل ذلك بإحكام وإتقان، ومراعاة لأحوال المدعوين، والواقع والأزمان والأماكن، في مختلف العصور والبلدان، مع إحسان القصد والرغبة فيما عند الكريم المنان.

٢ - إن الداعية الحكيم هو الذي يدرس ويعرف أحوال المدعوين: الاعتقادية، والنفسية والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، ويعرف مراكز الضلال ومواطن الانحراف، وعاداتهم ولغتهم ولهجاتهم، والإحاطة بمشكـــلاتهم، ومستواهم الجدلي، ونزعاتهم الخلقية، والشبه التي تعلق بأذهانهم، ثم ينزل الناس منازلهم ويدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم، ويعطي الدواء على حسب الداء.

٣ - إن النبي ﷺ هو القدوة الحسنة للدعاة الحكماء، فقد كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله ﷻ وهذا من فضل الله عليه وعلى أتباعه، فقد أرسل جبريل ففرج صدره ثم غسله بماء زمزم، ثم أفرغ في صدره طستا من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا [1] وأقبل النـــاس، ودخلوا في دين الله أفـــواجا بفضـــل الله ثم بحكمة هذا النبي الكريم، وما من خلق كريم ولا سلوك حكيم إلا كان له منه أوفر الحظ والنصيب.

٤ - إن أحسن الطرق في دعوة الناس ومخاطبتهم ومجادلتهم طريقة القرآن الكـــريم، وطريقة النبي ﷺ وسوق النص القرآني والحديث النبوي في ألصق الأمور مساسا بها من أعظم الحكم التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا.

٥ - إن الحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور ويعطيها ما تستحقه، فلا يزهد في الدنيا والناس في حاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى الانقطاع والانعزال عن

(١) انظر : البخاري مع الفتح ، ١/ ٤٥٨ ، ومسلم ١/ ١٤٨ ، وتقدم تخريجه .

الناس، والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم وأعراضهم، ولا يبدأ بتعليم الناس البيع والشراء وهم في مسيس الحاجة إلى تعلم الوضوء والصلاة، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصـــيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم.

٦ – إن البصيرة في الدعوة إلى الله هي أعلى درجات الحكمة والعلم، وهذه الخاصية اختص بها النبي ﷺ ثم أصحابه، والمخلصون من أتباعه، وهي أعلى درجـــات العلماء، وحقيقتها الدعوة إلى الله على علم ويقين وبرهان عقلي وشرعي، وترتكز البصيرة في الدعوة إلى الله على ثلاثة أمور:

(أ) أن يكون الداعية على بصيرة، وذلك بأن يكون عالما بالحكم الشرعي فيما يدعو إليه.

(ب) وأن يكون على بصيرة في حال المدعو حتى يقدم له ما يناسبه.

(ج) وأن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة.

٧ – إن العلم النافع المقرون بالعمل الصالح، والحلم والأناة من أعظم الأسس التي تقوم عليها الحكمة في الدعوة إلى الله– تعالى–، ولهذا فقد يكون المرء عالما أو حليما، ولا يكون حكيما حتى يجمع هذه الأسس الثلاثة.

٨ – إن العلم والحلم والأناة لها أسباب تؤدي وتوصل إليها، وأسباب تعين على التمسك بها، والمحافظة عليها.

٩ – إن العلم لا يكون من دعائم الحكمة إلا باقترانه بالعمل الصالح، وقد كان علم الصحابة مقرونا بالعمل والإخلاص والمتابعة، ولهذا كانت أقوالهم وأفعالهم وسائر تصرفاتهم– في دعوتهم إلى الله وأمورهم– تزخر بالحكمة.

١٠ – إن العجلة وعدم التثبت والتأني والتبصر أو التباطؤ والتقاعس، كل ذلك يؤدي إلى كثـــير من الأضرار والمفاســـد، والداعية أولى الناس بالابتعاد عن ذلك كله، فمقتضى

الحكمة أن يعطي كل شيء حقه، ولا يعجله عن وقته، ولا يؤخره عنه، فالأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ونهايات تصل إليها ولا تتعداها، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر.

١١ - إن الحلم من أعظم ركائز الحكمة ومبانيها العظام، وقد كان خلقا من أخـــلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء **عليهم الصلاة والسلام** هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله، والصالحين في أخلاقهم كافة، وعلى رأسهم محمد ﷺ وأتباعه.

١٢ - إن الأناة عند الداعية تسمح له بأن يحكم أموره، فلا يقدم على أي عمل إلا بعد النظر والتأمل ووضوح الغاية الحميدة التي سيجنيها، ولا يتعجل بالكلام قبل أن يديره على عقله، ولا بالفتوى قبل أن يعرف دليله وبرهانه الذي اعتمد عليه وبنى عليه فتواه.

فالداعية بحاجة ماسة إلى الأناة، لما يحصل بذلك من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة، وهذا يجعل الداعية بإذن الله -تعالى- في سلامة عن الزلل.

١٣ - إن الداعية لا يكون حكيما في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته وأفكاره وموافقا للصواب في جميع أموره إلا بتوفيق الله - تعالى- له، ثم بسلوك طرق الحكمة، وذلـــك بالتزام السلوك الحكيم، والسياسة الحكيمة مع مراعاة التســـديد والمقاربة والأساليب الحكيمة، وفقه أركان الدعوة، وأن يكون عاملا بما يدعو إليه مخلصا متخذا في ذلك محمدا ﷺ قدوة وإماما.

١٤ - إن الخـــبرات والتجارب والمران من أعظم ما يعين الداعية على التزام الحكمة واكتسابها، فهو بتجاربه بالسفر ومعاشرة الجماهير سيكون له الأثر الكبير في نجاح دعوته، وابتعاده عن الوقوع في الخطأ في منهجه ودعوته إلى الله؛ لأنه إذا وقع في خطأ مرة لا يقع فيه أخرى، فيستفيد من تجاربه وخبراته.

١٥ - إن تحري أوقات الفراغ والنشاط والحاجة عند المدعوين وتخولهم بالموعظة والتعليم من أعظم ما يعين الداعية على استجلاب الناس وجذب قلوبهم إلى دعوته.

١٦ - إن المصالح إذا تعارضت أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمـــع بين

فعـــل المصلحـــة وترك المفســـدة بدئ بالأهم، فيدفـــع أحد المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما.

١٧ – إن لتأليف القلوب بالمال والعفو والصفح والرفق واللين والإحسان بالقول أو الفعل أعظم الأثر في نفوس المدعوين.

١٨ – إن من أعظم الأساليب البالغة في منتهى الحكمة عدم مواجهة الداعية أحدا بعينه عندما يريد أن يؤدبه أو يعاتبه أو يزجره ما دام يجد في الموعظة العامة كفاية، وذلك إذا كان المدعو المقصود بين جمهور المخاطبين أو يبلغه ذلك، كأن يقول الداعية: ما بال أقوام، أو ما بال أناس، أو ما بال رجال يفعلون كذا، أو يتركون كذا.

١٩ – إن الداعية لا يكون حكيما في دعوته إلا بفقهه لركائز الدعوة، وذلك: بمعرفة ما يدعو إليه، وما هي الصفات والأخلاق والآداب التي ينبغي أن يلتزم بها الـــداعية، ومعرفـــة المدعوين وأصنافهم، والوسائل والأساليب التي تستخدم في نشر الدعوة وتبليغها.

٢٠ – إن الدعوة بالمواقف الحكيمة المشرفة، لها الأثر البالغ قي قلوب المدعوين؛ لأنها تدفعهم إلى التفكر والتأمل، ثم تكون نقطة التحول في نظام حياتهم بإذن الله تعالى.

٢١ – إن اطلاع الداعية على مواقف النبي ﷺ الحكيمة في عفوه وصفحه، ورفقه وحلمه وأناته، وشجاعته، وجوده وكرمه، وإصلاحه، من أعظم ما يفيد الداعية في حياته، وخاصة في دعوته إلى الله– تعالى–.

٢٢ – إن للصحابة وأتباعهم ومن سار على نهجهم مواقف حكيمة في دعـــوتهم إلى الله– تعـــالى–، تدل على صدقهم ورغبتهم فيما عنـــد الله – تعالى–، وتبين مدى جهودهم، وتغذي وتربي من اطلع عليها من الدعاة إلى الله – تعالى–.

٢٣ – إن من أعظم الحكمـــة في دعوة الملحدين أن تقدم لهم الأدلة الفطرية على وجـــود الله– تعـــالى– وربوبيته، والبراهين العقلية القطعية بمسالكها التفصيلية، والأدلة الحسية المشاهدة، ثم يختم ذلك بالأدلة الشرعية.

٢٤ - إن من الحكمة في دعوة الوثنيين بالحكمة القولية أن يقدم لهم الداعية الحجج والبراهين العقلية على إثبات ألوهية الله - تعالى-، وأن الكمال المطلق له من كل الوجوه، وما عبد من دونه ضعيف من كل وجه، وأن التوحيد الخالص دعوة جميع الرسل **عليهم الصلاة والسلام** والغلو في الصالحين سبب كفر بني آدم، والشفاعة لا تنفع إلا بإذن الله للشافع ورضاه عن الشافع والمشفوع له، وأن البعث ثابت بالأدلة العقلية والنقلية القطعية، وأن الله الذي سخر جميع ما في هذا الكون الفسيح لعباده فهو في الحقيقة المستحق للعبادة وحده.

٢٥ - إن دعوة اليهود بالحكمة القولية إلى الله - تعالى- ترتكز على إثبات نسخ الإسلام لجميع الشرائع، وإظهار وإثبات وقوع التحريف في التوراة، واعتراف المنصفين من علمائهم، وإثبات رسالة عيسى ومحمد، **عليهما الصلاة والسلام**.

٢٦ - إن دعوة النصارى بالحكمة القولية إلى الإسلام تقوم على إبطال عقيدة التثليث، وإثبات وحدانية الله - تعالى-، وتقديم الأدلة العقلية والبراهين القطعية على إثبات بشرية عيسى ﷺ وأنه عبد الله ورسوله، ثم تقديم البراهين على إبطال قضية الصلب والقتل، وإثبات وقوع النسخ والتحريف في الأناجيل، وتتويج ذلك بالاعترافات الصادقة من المنصفين من علماء النصارى.

٢٧ - إن من حكمة القول مع أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن تقدم لهم الأدلة والبراهين القطعية على صدق رسالة النبي محمد ﷺ وذلك ببيان معجزات القرآن الكريم التي عجز عنها جميع الجن والإنس، ومعجزات النبي ﷺ الحسية المشاهدة، ثم تتويج ذلك بالأدلة القطعية على عموم رسالة الإسلام في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة.

٢٨ - إن من مقتضى العقول السليمة والحكمة السديدة أن لا يخاطب المسلم- في توجيهه وإرشاده وحثه على الالتزام بدينه- كما يخاطب الملحد، أو الوثني، أو الكتابي، أو غيرهم من الكفار.

٢٩ - إن من الدعوة إلى الله بالحكمة أن يبدأ الداعية بالمهم، ثم الذي يليه، وأن

يجعـــل للمدعو من الدروس ما يسهل عليه حفظها وفهمها، والتفكر التام فيها، وأن يعلم العوام ما يحتاجون إليه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم تناسب مستواهم مع مراعاة التنويع في الأسلوب والتشويق.

٣٠ - إن مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر، فالقابل للحق يدعى بالحكمة، فيبين له الحق بدليله: علما وعملا واعتقادا، فيقبله ويعمل به. وهذا هو القسم الأول من المسلمين، والقابل للحق الذي عنده شهوات تصده عن اتباع الحق يدعى بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والـــترهيب من الباطل، ويغـــذى بالحكمـــة التصويرية: من القصص الحكيم، وضرب الأمثال، ولفت القلوب والأنظار إلى الصور المعنوية وآثارها، والآثار المحسوسة. وهذا هو القسم الثاني من المسلمين وهم العصاة.

والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن.

والظالم الـــذي عاند وجحد و لم يقبل الحق بل وقف في طريقه، فهذا يدعى بالقوة إن أمكن.

فهذه مراتب الدعوة بحسب مراتب البشر، ويلاحظ أن مرتبة الحكمة ملازمة لجميع المراتب الأخرى، وذلك؛ لأن الحكمة في الحقيقة هي وضع الشيء في موضعه والإصابة في الأفعال والأقوال والاعتقادات إصابة محكمة متقنة.

٣١ - إن استخدام القوة الفعلية في الدعوة إلى الله- تعالى- من أعظم الحكم عند الحاجة إليها، وهي تكون بقوة الكلام، والتأديب، وبالضرب، وبالجهاد في سبيل الله تعالى.

ومفهوم القوة الحكيمة في الدعوة إلى الله تعالى ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: حكمـــة القوة مع جميع الكفار: من الملحـــدين، والوثنيين، وأهل الكتاب، وغيرهم من الكفار، فهؤلاء إذا لم ينفع فيهم جدالهـــم بالتي هي أحسن، و لم يستفيدوا من حكمـــة القـــول: العقلية والحسية، والنقلية، والبراهين والمعجزات، وأعرضوا وكذبوا، فحينئذ يكون آخر الطب الكي: وهو استخدام القوة بالجهاد في سبيل الله- تعالى-: بالسيف، والسنان، والحجة، والبيان، وبجميع ما يستطيع المسلمون من قوة،

بشرط مراعاة الشروط والضوابط الشرعية، مع الإعداد المعنوي والحسي للجهاد، والعمل بأسباب النصر على الأعداء.

القسم الثاني: حكمة القوة مع عصاة المسلمين، فهؤلاء، إذا لم ينفع فيهم الوعظ، والترغيب، والترهيب، والقصص الحكيم، وضرب الأمثال، ولم يؤثر فيهم ما يلقى إليهم من الحكمة التصويرية، ولفت أنظارهم إلى الصور المعنوية والآثار المحسوسة، فحينئذ يكون من الحكمة في دعوهم إلى الله استخدام القوة: بالكلمة القوية مع الفعل الحكيم، وبالتهديد الحكيم والوعيد بالعقوبة، وبالتعزير، والهجر لله – تعالى–، وإقامة الحدود الشرعية بالشروط والضوابط التي دل عليها الكتاب والسنة.

أما التوصيات والمقترحات

١ – فإني أوصي نفسي وإخواني الباحثين والدعاة بتقوى الله– تعالى–، فهي وصية الله للأولين والآخرين، ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ (1).

٢ – التزام الحكمة في جميع الأمور، وخاصة في الدعوة إلى الله –تعالى– قولا وفعلا، وتفكيرا، ومنهجا، وسلوكا، صدقا وإخلاصا ورغبة فيما عند الله ﷻ وهذا من أعظم العطايا وأجل الهبات، ولا يكون ذلك إلا بالتزام أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة، والعناية بهما حفظا وفهما وعملا، وتعليما للناس ودعوة، فهما المنبعان الصافيان، من أخذ بهما سعد وفاز في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنهما وعن هديهما خاب وخسر وضل مسعاه، وتشتت شمله.

٣ – أقترح عقد دورات تدريبية علمية وميدانية للعاملين في مراكز الدعوة ومراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لرفع مستواهم العلمي وتدريسهم كيفية دعوة الناس بالحكمة.

(١) سورة النساء ، الآية ١٣١ .

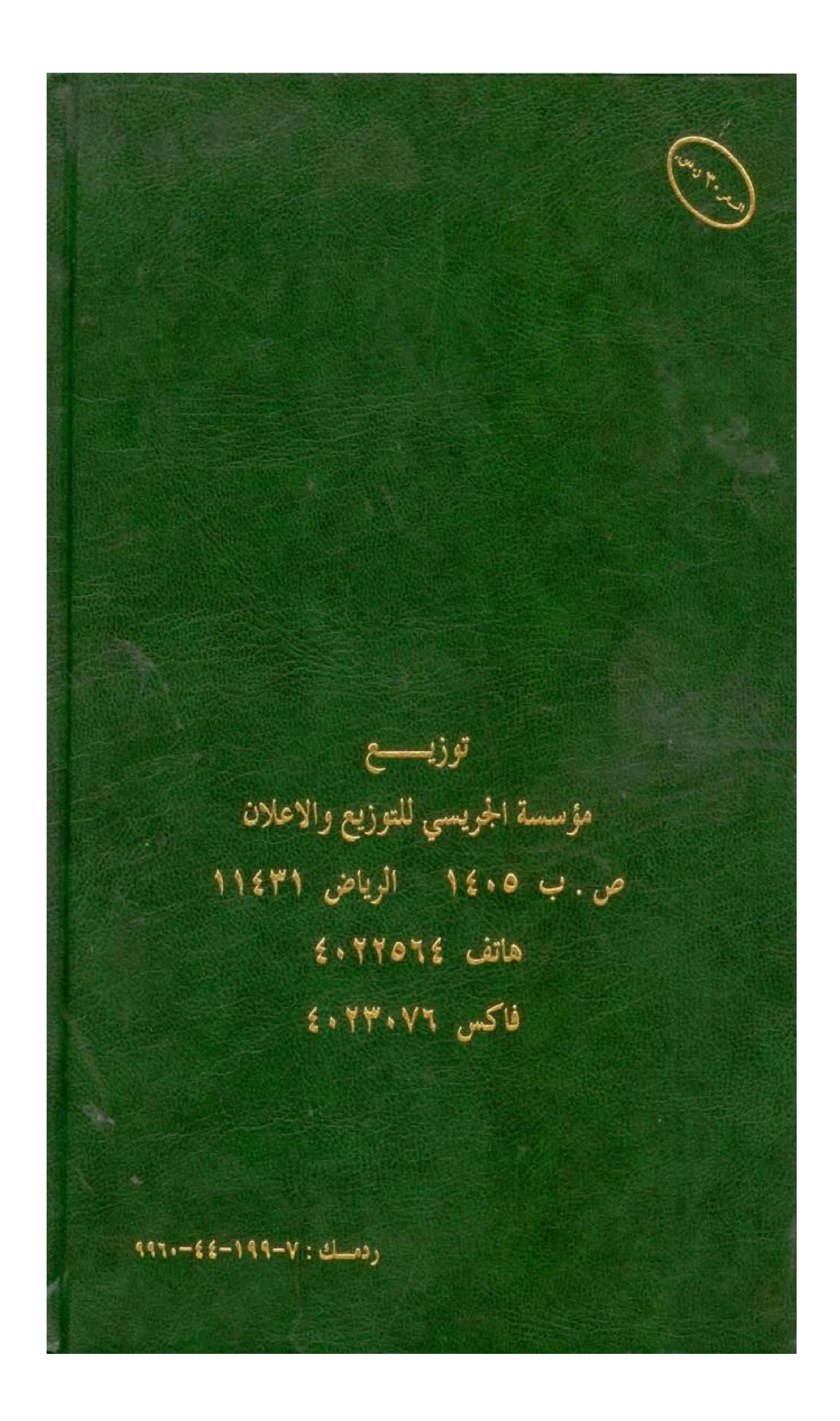
وأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلني وإياهم وجميع المسلمين من القائلين بالحق وبه يعملون، وأن يحسن لنا جميعا النية والقصد والعاقبة، إنه حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس

المبحث الثاني مواقف الصحابة رضي الله عنهم.. ١٧٩


السعر ٣٠ ر.س
توزيـــع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص. ب ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١
هاتف ٤٠٢٢٥٦٤
فاكس ٤٠٢٣٠٧٦
ردمك : ٧-١٩٩-٤٤-٩٩٦٠